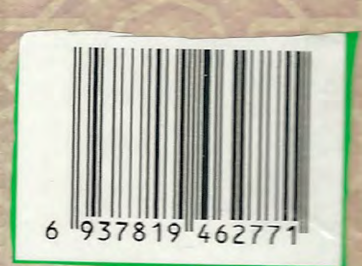
الصحيح من الأثر في خطب المنبر

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
غفر الله له ولسائر المسلمين





طبعة جديدة منقحة ومزيدة

دار الإيمان
إسكندرية

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
الصحيح من الأثر في خطب المنبر
دار الإيمان
إسكندرية

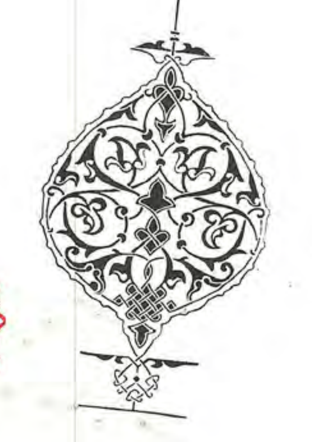
الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

خُطَبِ المِنْبَرِ



رقم الإيداع
٢٠٠٥/٢٠٠٧

الترقيم الدولي
977/331/370/0



١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠١٠١٩١١٤٥-٠٠٢٢٢٢٥
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

الصحيح من الأثر في

خطب المنبر

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

غفر الله له ولسائر المسلمين







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ[١].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يقولها بين يدي كلامه، وفي خطبته، وكان ـ ﷺ ـ يُعلمها أصحابهُ ـ رضي الله عنهم ـ في شأنهم كله، وقد زهد فيها كثير من خطباء هذا الزمان، وقد أشرت لتخريجها في كتابي «تحفة الخطيب» حاشية (ص٦)، وللشيخ الألبانيِّ ـ رحمه الله ـ رسالةٌ مفردة ماتعة في تخريجها، اسمها «خطبة الحاجة» قال ـ رحمه الله ـ في خاتمتها ما نصُّه: «قد تبين لنا ـ من مجموع الأحاديث المتقدمة ـ أنَّ هذه الخطبةَ تفتح بها جميعُ الخطب، سواء كانت خطبة نكاحٍ، أو خطبةَ جمعةٍ، أو غيرها، فليست خاصَّةً بالنكاح كما يُظنُّ»

وبَعْدُ، فقد يسَّر اللّهُ لي - ولله الحمدُ - كتابة شيءٍ من الخطب، لتُلْقىٰ من قِبَلِ بَعْضِ الطلاب في القُرىٰ، فكانت تنالُ استحسانَ الناس وارتياحهم، فرأيتُ من المصلحة القيام بتهذيبها وتشذيبها، والزيادة عليها، وإخراجها في كتابٍ، سمّيْتُهُ «الصحيح من الأثر في خُطَبِ المِنبرِ»؛ لتعمّ به الفائدةُ.

وقد حرصتُ - بتوفيق الله عزّ وجلّ أن أحشوَ سَمْعَ المستمعِ وقَلْبَهُ بنصوص الوحيَيْن الشريفَيْنِ، فهذا - لَعَمْري - هو الغيثُ المبَاركُ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ [ق: ٩].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

وفي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحّحه الألباني في «صحيح سنن التِّرمذيِّ»(١) من حديث المِقْدام بْنِ مَعْدِ يْكَرِبَ - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ألاَ إني أُوتِيتُ القُرآنَ، ومِثْلَهُ مَعَهُ».

وقدْ يَظُنُّ مَنِ اعتاد الخُطَبَ التي تَزْخَرُ بالسَّجْعِ والترصيعاتِ البيانيَّة - أنَّ البلاغةَ لا توجد في غيرها، وليس كذلك، ومَن ظَنَّ أنَّ البلاغة في غيرِ كتابِ اللّهِ، وسنةِ رسولِ الله - ﷺ - فما عَرَفَ البلاغة، وإنما عرف صَدَاها.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]

ولقدْ أودع اللّه - عزَّ وجلَّ - معانيَ كتابه في قوالبَ لفظيةٍ عربيَّةٍ، وزيَّنه بروعةِ

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٨٤٨).

الفصاحة، وكساه حُلَّةَ البلاغة وجلالَ الإعجاز، فدُهِشَتْ به العربُ جميعًا إذ سمعتْهُ، حتىٰ قال قائلهُم[١] : « إنَّ له لَحَلاَوَةً، وإنَّ عليه لَطَلاَوَةً[٢] ، وإنَّه لَمُثْمِرٌ أعْلاهُ، مُغْدِقٌ[٣] أسْفَلُهُ، وإنَّه لَيَعْلُو، ولا يُعْلَىٰ عليه، وإنّه ليَحطمُ ما تحتَهُ»[٤] .

وخَرَّ بعضُهم سجَّدًا تعظيمًا عندما سمعه يُتْلَىٰ، وانجذبتْ إليه صناديدُ الكُفرِ والعناد، فكانوا يستمعون إليه تَلَذُّذًا وإعجابًا، بل انقادتْ إليه قلوبُ العَرَب والعَجَم عندما كشف السِّتار عن جماله، وحاكىٰ العُقول؛ لذلك خالطتْ محبّتُهُ بشاشةَ القُلوب، حتَّىٰ إنّ نَفَرًا من الجنِّ انقادوا إليه عندما سمعوه يُتلىٰ، ورأَوا إعجازَهُ، وأيقنوا بسلطانه.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ لسانهم: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ [الجن: ١، ٢] .[٥]

وبعث الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نبيَّه بجوامع الكَلِم، واختصر له الحديث اختصاراً، وفاق العرب في فصاحته وبلاغته، هو القائلُ كما «في صحيح مسلم»[٦] من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ـ: «**أُعْطِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ**».

وأسأل اللّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلَ عملَنا خالصًا لوجهه الكريم،

وأن يجعلَنا هُدَاةً مُهتدين

وآخرُ دَعْوَانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) هو الوليد بن المُغيرة المَخْزوميُّ.

(٢) الطَّلاوة ـ مثلَّثةً ـ: الحُسْنُ والسِّحْر.

(٣) مُغْدِق: كثير.

(٤) هذه القصة أخرجها الحاكم في «المستدرك» من حديث عبد الرزَّاق عن مَعْمَرٍ عن أَيُّوبَ السَّخْتِيانيِّ عن عِكْرِمةَ عن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهم ـ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط البُخاريِّ، ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبيُّ (٢/ ٥٠٧)، وأخرجها البيهقيُّ في «دلائل النبوة» عن عبد الرزاق ـ أيضًا ـ كما أخرجها من طريق آخر (٢/ ١٩٨ ـ ٢٠٥).

(٥) انظر كتابي «فن الحوار» (ص٢٢، ٢٣).

(٦) رواه مسلم (٥٢٣).

أَرْكَانُ الإِسْـــلام



الخطبة الأولى
١. الشَّهادتان
أ. شهادة أن لا إله إلا الله



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ⑦ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الرّكن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادةُ «أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ»، وشهادةُ «أن محمّدًا رسولُ الله».

فشهادة «أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ» معناها: توحيدُ المَعبُودِ، وشهادةُ «أنّ محمداً رسولُ الله» معناها: توحيدُ المتبوع.

وسوف أتحدَّث في هذه الخطبة عن شهادة «أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ».

أيُّها الناس، إنّ كلمة التوحيد «لا إله إلاّ اللهُ» هي أصل الإسلام وأساسُهُ، فهي الكلمة الفاصلةُ بَيْنَ الشِّركِ والتوحيد، بَيْنَ الحقِّ والباطلِ، ومعنىٰ كلمة «لا إله إلا الله» أي: لا مَعْبودَ بحقٍّ إلاّ اللّهُ.

وتشتملُ هذه الكلمةُ العظيمةُ علىٰ رُكْنين:

الرُّكْنُ الأوَّل ـ النفْيُ.

الرُّكْنُ الثاني ـ الإثبات.

فالنفي هو قولنا: «لا إلهَ».

والإثبات هو قولنا: «إلاَّ اللّهُ».

فـ«لا إله»: نفْي جميع ما يُعبدُ من دون اللّه.

و«إلاّ اللـه»: إثبات جميع أنواع العبادةِ للهِ ربِّ العالمين وَحْدَهُ لا شريكَ له في عبادته، كما لا شريكَ له في مُلكه ورُبوبيَّتهِ.

وقد جاء معنىٰ هذه الكلمة في آياتٍ كثيرةٍ من كتابِ اللهِ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

فقولُهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾ هو معنىٰ: «إلاَّ اللهُ».

وقوله تعالىٰ ـ: ﴿**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ هو معنىٰ «لا إلهَ».

والطاغوتُ ـ أيُّها الناسُ ـ: هو كُلُّ مَعْبودٍ ـ أو مَتْبوعٍ ـ من دونِ اللهِ.

ومن فوائد هذه الآية أنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر أنه ما من أُمَّةٍ متقدِّمةٍ ـ أو متأخِّـرةٍ ـ إلاّ بَعَـثَ اللهُ فيهم رسولاً، وكلّهم متَّفقون على كلمة التوحيد «لا إله إلا اللهُ».

وكذلك قولُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومّما يدلُّ على أنَّ شهادة «أن لا إله إلا الله، وأن محمَّدًا رسولُ الله» ركن من أركان الإسلام ـ ما جاء في «الصحيحين»[١] من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «**بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهَادَة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنّ محمّدًا رسولُ الله، وإِقَامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، والحَجِّ، وصَومِ رَمَضَانَ**».

ونظرًا لأهمية هذا الركن العظيم؛ فقد أمر اللهُ نبيَّه ـ ﷺ ـ بقتال مَنْ لم يشهد أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأنّ محمّداً رسولُ الله.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ، حتَّى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّ محمّدًا رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤتُوا الزّكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحقِّ الإسلام، وحسابُهُم على الله**».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ اللّه ـ ﷺ ـ يُغيرُ إذا طلع الفجرُ، وكان يَسْتَمعُ الأَذانَ، فإن سمع أذانًا أمسك، وإلاّ أَغَارَ، فسمعَ رجلاً يقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**على الفِطْرةِ**» ثمَّ قال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، أشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ. فقال

---

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).
(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٣) رواه مسلم (٣٨٢).

رسول الله ـ ﷺ ـ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ». فنظروا، فإذا هو راعي مِعْزًى».

وفضائل كلمة التوحيد «لا إلهَ إلا اللهُ» أكثرُ من أنْ تُحْصَرَ.

فمنها أنّ مَنْ شهدَ أنْ لا إله إلاّ الـلهُ، وأنّ محمّدًا رسولُ الله ـ ﷺ ـ فهـو معصومُ الدّمِ، والمالَ، و العِرْضِ إلاّ بحقِّه.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم، يَشْهُدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأنّي رسولُ الله ـ إلا بإحدى ثلاث: النفسُ بالنّفسِ، والثَّيِّبُ الزاني، والمُفارقُ لدينه التاركُ للجماعة**».

ومنها أنّها سببٌ للفوز والفلاح.

أخرج ابن خُزيمةَ في «صحيحه» بسندٍ صحيحٍ، صحّحه الوادعيُّ في «الصحيح المسند»[2] من حديث طارق المُحاربيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ مرَّ في سوق ذي المجاز، وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وهو يقول: «**يأيُّها الناسُ، قولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهُ تُفْلحُوا**».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلاّ اللهُ» أنها أثقلُ شيءٍ في الميزان.

فقد أخرج التِّرمذي في «سننه»، وابن ماجَهْ بسندٍ صحيح، صحّحه الوادعيُّ في «الصحيح المسند»[3] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقـول: «**إنّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلاً من أُمّتي على رُءوس الخلائق يومَ القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سجلاًّ، كُلُّ سجلٍّ مثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثمَّ يقولُ: أتُنكرُ مِنْ هذا شيئًا؟، أظَلَمَكَ كَتَبَتي الحافظون؟ فيقـول: لا، يارَبِّ. فيقـول: ألك عذرٌ، أو**

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) «صحيح ابن خزيمة» (١٥٩)، وصححه الوادعيُّ في «الصحيح المسند» (١/ ٣٨١).

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٣٩)، وابن ماجَهْ (٤٣٠٠)، وصححه الوادعيُّ في «الصحيح المسند» (١/ ٥٣٥).

حسنةٌ؟ فيبهتُ الرجلُ، فيقولُ: لا ياربِّ. فيقولُ: بلى، إنّ لك عندنا حَسَنةً، وإنّه لا ظُلْمَ عليك اليومَ. فتُخرجُ بطاقةٌ فيها: أشهد أنْ لا إله إلا اللّهُ، وأنَّ محمّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ، فيقول: أحضرْ وَزْنَكَ. فيقول: ياربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلاَّت؟!. فيُقال: فإنك لا تُظلمُ، فتُوضعُ السِّجلاتُ في كفَّة، والبطاقة في كفَّة، فطاشت السِّجلاَّتُ، وثَقُلَت البطاقةُ، فلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شيءٌ».

ومن فضائلها أنه تُفتحُ لها أبواب السماء.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ حسن، حسَّنه الوادعيُّ في «الصحيح المسند»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما قال عَبْدٌ: لا إله إلاّ اللهُ - قَطُّ - مُخْلصًا إلاّ فُتحَتْ له أبواب السماء، حتَّى تُفْضي إلى عَرْشِ الرَّحْمنِ، ما اجْتَنَبَ الكبائرَ».

ومن فضائلها أنها سبب في الخروج من النار بعْدَ دخوله فيها.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنّ النبي - ﷺ - قال: «يَخْرُجُ من النار مَنْ قال: لا إله إلاّ اللهُ، وفي قَلْبه وزنُ شَعيرة من خير، ويَخْرُجُ من النار مَنْ قال: لا إله إلاّ اللهُ، وفي قَلْبه وَزْنُ بُرَّةٍ من خيرٍ، ويَخْرُجُ من النارِ مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ،وفي قَلْبِه وَزْنُ ذَرَّةٍ من خيرٍ».

ومن فضائلها أنها سَبَبٌ للنجاة من النار.

ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي قَتادةَ قال: حدَّثنا أنسُ بْن مالكٍ: أنّ النبيَّ - ﷺ - (ومُعاذٌ رَديفُهُ على الرَّحْلِ) قال: «يا معُاذُ بنَ جَبَلٍ» قال: لَبَّيْكَ - يا رسولَ الله - وسَعْدَيْكَ. قال: «يا مُعاذُ» قال: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ - ثلاثًا - قال: «ما من أحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ

---

(١) أخرجه الترمذي بسندٍ حسن (٣٥٩٠)، وأخرجه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٢/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

لا إلهَ إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسولُ الله صدْقًا من قلْبه - إلاّ حَرَّمَهُ اللهُ على النار». قال: يا رسولَ الله، أَفَلا أُخْبِرَ به النَّاس فَيَسْتبشروا؟! قال: «إذًا يتَّكلُوا» وأَخْبَرَ بها مُعاذٌ عندَ موْتِه تأثُّمًا (أي تحرُّجًا وخوفًا من الإثم في كَتْمِ العلم).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - أنه قال - وهو في الموت -: ما مِنْ حديثٍ سمعتُهُ من رسول الله - ﷺ - لكم فيه خيرٌ إلاَّ حدَّثْتُكُموهُ، إلا حديثًا واحدًا، وسوف أُحدِّثُكُمُ اليومَ، وقَدْ أُحِيطَ بنفسي، سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأنّ محمّداً رسولُ الله - حرَّمَ اللهُ عليه النارَ».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها سببٌ في دخول الجنة.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأنّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ وأنَّ عيسى عَبْدُ الله ورسولُهُ، وكلمتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حقٌّ - أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّة على ما كان منَ العَمَلِ».

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث عُثمان بْنِ عفَّانَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ مات - وَهو يَعْلَمُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ - دخل الجنَّةَ».

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال: أتيت النبيَّ - ﷺ - وعليه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثمَّ أتيتُهُ وقد استيقظَ، فقال: «ما مِنْ عبدٍ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، ثمَّ ماتَ على ذلك - إلاَّ دخل الجنَّةَ». قلتُ: وإنْ زَنَى، وإن سَرَقَ؟. قال: «وإن زنى، وإن سَرَقَ». قلتُ: وإن زنى، وإن سَرَقَ؟. قال: «وإن زنى، وإن سَرَقَ». قلتُ: وإن زنى، وإن سَرَقَ؟. قال: «وإن زنى، وإن سَرَقَ، على رَغْمِ أنْفِ أبي ذَرٍّ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦).

(٤) رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها سبب لنيل شفاعة المصطفى - ﷺ -.

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله، منْ أسعدُ الناس بشفاعتك يومَ القيامة؟. قال رسول الله - ﷺ -: «**لقد ظننتُ - يا أبا هُريرةَ - ألاَّ يَسْألَني عَنْ هذا الحديث أحدٌ أوَّلُ منك؛ لما رأيتُ منْ حرْصك على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامة مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، خالصًا من قلْبِه أو نفسِه**».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ اللهُ» أنها أعظم سببٍ لمغفرة الذنوب، وتكثير الأُجور.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - ﷺ - قال: «**مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهو على كُل شيءٍ قديرٌ، في يوم مائةَ مرَّةٍ - كانتْ له عَدْلَ عشْرِ رقابٍ، وكُتبتْ له مائةُ حسنة، ومُحيَتْ عَنهُ مائةُ سيِّئة، وكانتْ له حرْزًا من الشيطانِ يَوْمَهُ ذلك حتى يُمسيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا جاء به إلاَّ رجلٌ عَمِلَ أكثرَ منه**».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنّ ذكر «لا إله إلاَّ اللهُ»، خيرٌ من الدنيا وما فيها.

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**لأَنْ أَقولَ: سُبحانَ الله، والحمدُ للَّه، ولا إله إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ - أحبُّ إليَّ ممَّا طلعتْ عليه الشمسُ**».

وأستغفرُ اللَّهَ.

---

(١) رواه البخاري (٩٩).
(٢) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).
(٣) رواه مسلم (٢٦٩٥).



الخطبة الثانية

شروط «لا إله إلا الله»



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلينَ:

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناس، تقدم الحديث معكم عن معنى كلمة التوحيد، وشيءٍ من فضائلها، والآن حديثي معكم عن شروطها.

أيّها الناسُ، لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ثمانيةُ شروط، ذكرها أهل العلم، وهي كلُّها مأخوذة من كتاب الله، وسنةِ رسول الله ـ ﷺ ـ، وسوف أذكرها بأدلتها، فأعيروني أسماعكم.

الشرطُ الأوَّلُ ـ العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا:

والمراد بالعلم هنا العلمُ المنافي للجهل بالمعنى الذي دلَّت عليه، ولذلك قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

إذْ لابُدَّ من علمٍ، أمّا أنْ يقولهَا الشخصُ، وهو لا يدري، فإنه لا يكون بذلك ناجيًا، ولا يكون بذلك مُسلمًا، ولو أن شخصًا أعجميًّا كافرًا ـ نصرانيًّا أو يهوديًّا أو مجوسيًّا ـ سمع رجلاً يقول: «لا إله إلاَّ اللهُ» بالعربية، فقالها ـ لم يكن بذلك مسلمًا، حتى يعلم معناها، ويعتقد ويعمل بمقتضاها.

وقوله تعالى ـ: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فسَّرها ابنُ عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: إلا من شهد بالحقِّ: يعني بـ«لا إلهَ إلاَّ اللهُ». وهم يعلمون أي: يعلمون ما دلَّت عليه[1].

---

(١) انظر رسالة بعنوان «فاعلم أنه لا إله إلا الله» لبشر البشر (ص٣٤، ٣٥).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عُثْمانَ رَضي الله عنه ـ قال: رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ مات ـ وهو يعلم أن لا إله إلاَّ اللهُ ـ دخلَ الجنَّة**».

والجهل بمعناها ـ أيُّها الناسُ ـ هو الذي أوقع كثيراً من الناس في الشرك، حيث جهلوا معنىٰ «لا إله إلا الله»، فجهلوا معنىٰ الإله، وأنّ الإله هو المعبود، وجهلوا مدلولَ النفي، ومدلولَ الإثبات، بعكس المشركين السابقين حيث كانوا يعرفون معناها؛ لأنهم أهل الفصاحة والبلاغة، فرفضوها لَمّا قالها لهمُ النبيُّ ـ ﷺ ـ، قالوا له: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص: ٥].

أيُّها الناسُ، هؤلاء المشركون عرفوا معناها، فيا لله! كم من أناسٍ في زماننا جهلوا معناها، فعبدوا القبور، وعَكَفَوا عليها، ونذروا لأهلها، وذبحوا لهم، ودعوهم من دون الله، فإنا لله، وإنا إليه راجعون!.

الشرط الثاني ـ اليقين:

أي أن يقولها الشخصُ بيقينٍ، فيتيقَّنُ قلبُهُ بها، ويعتقد صحّة ما يقوله. وضدُّ اليقين الشَّك والرَّيبُ، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأني رسولُ الله لا يَلْقى اللَّهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلاَّ دَخَلَ الجنَّةَ**». فمن قالها وهو شاكٌّ في صحّتها ـ كان بذلك كافراً.

الشرط الثالث ـ القَبُول:

والقَبُولُ ينافي الرَّدَّ، فلا يَرُدُّ شيئًا من معانيها، وقد كان زُعماءُ المُشركين يعرفون معنىٰ «لا إله إلا الله»، ويعرفون صِدْقَ النبي ـ ﷺ ـ، ومع ذلك استكبروا عن قَبُول الحقِّ والهُدَىٰ.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه مسلم (٢٧).

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ، حتَّى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني مالَهُ ونَفْسَهُ إلاَّ بحقِّ الإسلام، وحسابُهُ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ».

الشرط الرابع ـ الانقياد والاستسلام:

أي ينقاد لها، ويستسلمُ ويُذْعِنُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرط الخامس ـ الصِّدقُ المُنافي للكذب:

فأمَّا مَنْ قالها كاذبًا، فإنها لا تنفعُهُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن المنافقين كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولكنهم في باطن الأمر يكذبون. فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

الشرط السادس ـ الإخلاص:

أن يقولها بإخلاص، وضدُّ الإخلاص الشِّرك، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقد سُئِلَ

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) تقدم تخريجه.

رسولُ الله ـ ﷺ ـ : مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِك؟ فقال : «أسعدُ الناسِ بشفاعتي مَنْ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، خالصًا مِنْ قَلْبِهِ».

الشرط السابع ـ المحبة:

فيقولها المسلمُ مُحبًّا لها.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأنْ يُحبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إلاَّ لله، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ ـ بَعْدَ أنْ أَنْقَذَهُ اللهُ منه ـ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ».

الشرط الثامن ـ الكفر بالطواغيت:

وهي المَعْبُوداتُ من دونِ الله، فمن قال: لا إله إلا الله، ثمَّ عَبَدَ غيرَ الله ـ بدعاءٍ، أو ذَبْحٍ، أو نَذْرٍ ـ فهو مشركٌ بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الشِّرْكَ الأكبرَ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث طارق بن أُشَيْمٍ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قال: لا إلَه إلاَّ اللهُ، وكَفَرَ بما يُعبدُ مِنْ دونِ الله ـ حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ، وحسابُهُ على الله».

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

---

(١) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣).



الخطبة الأولى

ب. شهادة أنّ محمّداً رسولُ الله. ﷺ ـ

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن شهادةِ «أنَّ محمَّداً رسول الله»، والحديث عن هذه الكلمة العظيمة ذو شُجُونٍ.

أيُّها الناسُ، إنَّ معنى هذه الكلمة العظيمة هو: الاعتقاد الجازم بأنَّ محمَّداً رسولُ الله ـ ﷺ ـ مُرسلٌ من ربِّه، فنصدِّقه فيما أَخْبَرَ، ونطيعُهُ فيما أَمَرَ، ونتركُ ما نهى عنه وزَجَرَ، ونَعْبُدُ اللهَ بما شَرَعَ.

وقُرِنَتْ شهادة «أنَّ محـمَّداً رسول الله» بشهادة «أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ» لِحِكَمٍ عظيمةٍ، ومعان جليلة تدلُّ عليها، ومنها:

الأمر الأوَّل ـ وُجوبُ محبَّته صلى الله عليه وسلم :

ومحبّتُهُ ـ ﷺ ـ أصل عظيمٌ من أصول الإيمان، فلا يكونُ المَرْءُ مُؤمنًا إلاَّ بها، ولا إيمانَ لمَنْ لم يكنِ الرسولُ ـ ﷺ ـ أحبَّ إليه من ولدِه، ووالدِه، والناسِ أجمعين.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ومن أعظم مَنْ فسَّر هذه الآية القاضي عِياضٌ في كتابه الماتع «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ـ ﷺ ـ»[١].

قال ـ رحمه الله ـ: «فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالةً وحُجَّةً على إلزام محبَّته، ووجوبِ فَرْضِها، وعِظَمِ خَطَرِها، واستحقاقِه لها ـ ﷺ ـ؛ إذْ قرَّع اللهُ مَنْ كان مالُهُ، وأهلُهُ، وولدُهُ أحبَّ إليه من اللهِ ورسولِهِ، وتوعَّدهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنَّهم ممَّن أضلَّ، ولم يَهْدِهِ اللهُ».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أَنَسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه، وولدِه، والنَّاسِ أجْمعينَ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[٣] من حديث عبد الله بن هِشامٍ قال: كُنَّا مع النبيِّ ـ ﷺ ـ،

---

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (ص١٨).
(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٣) رواه البخاري (٦٦٣٢).

وهو آخذٌ بيدِ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ، فقال له عُمَرُ: يا رسولَ الله، لأَنْتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيءٍ إلاَّ من نفسي. فقال النبيُّ -ﷺ-: «لا- والذي نفسي بيده - حتَّى أكونَ أحبَّ إليك منْ نَفْسكَ». فقال لهُ عُمَرُ: فإنه الآنَ- واللهِ- لأَنْتَ أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ -ﷺ-: «الآنَ يا عُمَرُ».

قال الحافظ ابن حَجَرٍ - رحمه الله -: «أي: الآن عرفت، فنطقت بما يجبُ»[1].

ومحبَّةُ النبيِّ -ﷺ- (أيُّها الناس) هي موافقة لُمراد اللهِ في محبَّته لنبيِّه -ﷺ- وتعظيمه له، فقد أقسم بحياتِهِ، فقال- سبحانه وتعالىٰ-: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

كما أثنىٰ عليه، فقال- سبحانه وتعالىٰ-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

واتخذه- سبحانه وتعالىٰ- خليلاً.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث عبد الله بن مسعودٍ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لوكنتُ مُتَّخِذًا خليلاً، لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنَّه أخي وصاحبي، وقد اتَّخذ اللهُ - سبحانه وتعالى - صاحبَكُمْ خليلاً».

ألاَ يا مُحبَّ المُصْطفى زِدْ صَبَابةً ... وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ منْكَ بطيْبِهِ
ولا تعْبَأَنَّ بالمُبْطلينَ؛ فإنَّما ... علامةُ حُبِّ الله حُبُّ حَبِيبِهِ

الأمر الثاني - طاعته -ﷺ-:

وهذا الأمر- أيها الناس- من أعظم لوازم محبّته والإيمان به.

قال الله- سبحانه وتعالىٰ-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

---

(١) «الفتح» (١١/ ٥٣٦).
(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وجاء أمر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في وجوب طاعة الرسول ـ ﷺ ـ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ: **﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾** [النساء: ٨٠].

وأمر ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالرَّدِّ عند التنازع إلىٰ الله والرسول، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [النساء: ٥٩].

ومن اعتقد ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّ أحداً يَسَعُهُ الخروجُ عن طاعةِ الرسول ـ ﷺ ـ، أو الوصولُ إلىٰ الله من غيرِ سلوكِ طريقته ـ فقدْ كَفَرَ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [النساء: ٦٤].

فتبيَّن من ذلك ـ أيها الناس ـ أنَّ طاعةَ الرسول ـ ﷺ ـ هي دليلُ محبَّته، وكلَّما ازداد الحُبُّ زادت الطاعات؛ ولهذا قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٣١].

فالطاعةُ ثَمَرةُ المحبَّة، وفي هذا يقول أحدُ الشُّعراء:

تَعْصي الإلهَ، وأنت تَزعُمُ حُبَّهُ ... ذاك ـ لَعَمْري ـ في القياسِ بديعُ

لو كان حُبُّكَ صادقًا لأطَعْتَهُ ... إنَّ المُحبَّ لِمَنْ أحبَّ مُطيعُ

الأمر الثالث ـ تصديقه في كلِّ ما أخبرَ:

وهذا الأمر ـ أيُّها الناسُ ـ أصل من أصول الإيمان بعصمة النبيِّ ـ ﷺ ـ من الكذب والبُهتان، وتصديقه في كُلِّ ما أخبر من أمر الماضي، أو الحاضرِ، أو المُستقبلِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وبهذا يُعْلَمُ ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّه مَنْ ردَّ شيئًا ممَّا جاء به الرسول ـ ﷺ ـ، وكذَّبه فيه ـ فهو كافر، سواء كان ردُّه اتباعًا للهوىٰ، أو لشريعةٍ منسوخةٍ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«والذي نفسي بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأُمَّة ـ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ـ ثمَّ يموتُ، ولم يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به ـ إلاَّ كان من أصحابِ النَّار»**.

وأخرج الحاكمُ في «مُستدركِه» بسندٍ صحيحٍ، صحّحه الألبانيُّ لشواهده[2] من حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «لما أُسْرِيَ بالنبيِّ ـ ﷺ ـ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ، أَصْبَحَ يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممَّن كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسَعَوا بذلك إلىٰ أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، قالوا: هَلْ لك إلىٰ صاحبك، يَزْعُمُ أنَّه أُسْرِيَ به اللَّيلةَ إلىٰ بيت المقدس؟!

قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نَعَمْ. قال: لَئِنْ كان قال ذلك لَقَدْ صَدَقَ، قالوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أنَّه ذهب اللَّيلةَ إلىٰ بيتِ المقدسِ، وجاء قَبْلَ أنْ يُصبحَ؟! قال: نَعَمْ، إنِّي لأُصدِّقُهُ فيما هو أَبْعَدُ مِنْ ذلك، أُصدِّقُهُ بخَبَرِ السَّماءِ في غَدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ. فلذلك سُمِّيَ الصِّدِّيقَ».

وفي «صحيح البخاري»[3] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢)، وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني لشواهده في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٣).

رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: «بَيْنَما راعٍ في غَنَمه، عدا عليه الذِّئبُ، فأَخَذَ منها شاةً، فطَلَبَهُ الرَّاعي، فالتفت إليه الذِّئبُ، فقال: مَنْ لها يومَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لها راعٍ غيري؟

بَيْنَما رجلٌ يسوقُ بقَرَةً، قد حَمَلَ عليها، فالتفتَتْ إليْه فكلَّمَتْهُ، فقالتْ: إني لم أُخْلَقْ لهذا، لكنِّي خُلقْتُ للحَرْث» قال الناس: سُبحان الله! فقال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم -: «فإنِّي أُومنُ بذلك، وأبو بكر، وعُمَرُ».

الأمر الرابع - التحاكم إلى سُنَّة النَّبيِّ - ﷺ -:

وهذا الأمر - أيُّها الناسُ - أصل من أصول الإيمان، فلا إيمانَ لِمَنْ لم يحتكمْ إلى شريعته، ويُسلِّم تسليمًا، قال الله - سبحانه وتعالى -:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث عبد الله بن الزُّبير - رضي الله عنهما -: أنَّ رجلاً من الأنصار خاصم الزُّبيرَ عندَ رسول الله - ﷺ -، في شِراجِ الحَرَّةِ التي يَسْقُونَ بها النَّخْلَ، فقال الأنصاريُّ: سَرِّحِ الماءَ يَمُرُّ. فأبى عليهم.

فاختصموا عندَ رسولِ الله - ﷺ -، فقال رسول الله - ﷺ - للزُّبْير: «اسْقِ - يا زُبَيْرُ - ثمَّ أَرْسِلِ الماءَ إلى جارِكَ».

فَغَضِبَ الأنصاريُّ، فقال: يا رسولَ الله، أَنْ كان ابْنَ عمَّتِكَ؟! . فتلوَّنَ وجهُ نبيِّ الله - ﷺ -، ثمَّ قال: «يا زُبَيْرُ، اسْقِ، ثمَّ احْبِسِ الماءَ، حتَّى يَرْجِعَ إلى الجَدْرِ» فقال الزُّبيرُ: والله، إني لأَحْسِبُ هذه الآية نَزلتْ في ذلك: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧)، واللَّفظ له.



الخطبة الثانية
الاتبــاع



الحـمـدُ لله ربِّ العـالمين، والصـلاةُ والسـلامُ علىٰ أشـرف المرسلين، وعلىٰ آله وصحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، تقـدَّم الحديثُ معكـمْ عن معنىٰ شهــادة «أنَّ محمَّداً رسولُ الله» فذكرت أربعة أُمورٍ، وهي:

وجوبُ محبَّته، وطاعتُهُ، وتصديقُهُ في كُلِّ ما أخبر، والتحاكمُ إلىٰ سُنَّتِهِ.

وفيما يأتي الحديث عن الأمر الخامس، وهو: وجوب اتِّباعه.

واتِّبـاع النبيِّ - ﷺ - أحـدُ ركـائز دين الإسـلام، بل إنَّ الإسـلامَ يقـوم علىٰ أصلين أساسيَّين، هما:

الإخلاص، والمتابعةُ.

فالإخلاصُ وإفـرادُ الله بالعبـــادة هـــو حقيقــةُ إيمـان العبد وشهادته بأن لا إله إلا الله، والاتِّباعُ والتأسِّي برسول الله - ﷺ - هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأنَّ محمَّداً رسولُ الله.

فتبيَّن - أيها الناسُ - أنَّه لا يتحقَّقُ إسلامُ عَبْدٍ، ولا يُقْبَلُ منه قولٌ، ولا عملٌ، ولا اعتقادٌ - إلاَّ إذا حقَّق هذين الأصلين (الإخلاص، والاتِّباع)، وأتىٰ بمقتضاهما.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠].

قال شارح الطحاويَّة: «فهما توحيدان، لا نَجاةَ للعبد من عذابِ الله إلاَّ بهما:

توحيدُ المُرْسِلِ، وتوحيدُ متابعةِ الرَّسولِ»(١) .

ويُعرَّفُ الاتِّباعُ ـ أيها الناسُ ـ بأنه: الاقتداء والتأسِّي بالنبيِّ ـ ﷺ ـ في الاعتقاداتِ، والأقوالِ، والأفعال، والتُّروكِ ـ بعمل مثل عمله، على الوجه الذي عمله ـ ﷺ ـ من أجل أنه عَمِلَهُ.

والاتِّباع ـ أيها الناس ـ هو دليل محبة اللَّه، ويدلُّ على ذلك قولُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ: «ممّا ينبغي التَّفَطُّنُ له أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، قال طائفةٌ من السَّلف: ادَّعى قومٌ على عَهْدِ رسول الله ـ ﷺ ـ أنهم يُحبُّون الله، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فبيَّن ـ سبحانه ـ أنَّ محبَّتَهُ توجبُ اتباعَ الرسولِ ـ ﷺ ـ، وأنَّ اتِّباعَ الرسول ـ ﷺ ـ يُوجِبُ محبَّةَ الله للعبد، وهذه محبَّةٌ امتحن اللهُ بها أهلَ دعوى محبّة الله؛ فإنَّ هذا البابَ تكثرُ فيه الدعاوى والاشتباه»(٢) .

ويقول ابن كثير: «هذه الآية حاكمة على كُلِّ مَنِ ادَّعى محبَّةَ الله، وليس هو على الطريقة المحمَّديَّة، فإنَّه كاذبٌ في دَعْواهُ في نفسِ الأمرِ، حتى يتَّبعَ الشَّرْعَ المحمَّديَّ، والدِّينَ المحمَّديَّ في جميع أقوالِهِ وأفعاله»(٣) .

وقال العلامة ابن القيِّم: «قال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إشارةً إلى دليلِ المحبَّة، وثَمرتُها وفائدتُها، فدليلُها وعلامتُها: اتِّباعُ الرسولِ، وفائدتُها وثمرتُها: محبَّةُ المُرْسِلِ لكم، فما لم تحصلِ المتابعةُ فليستْ محبَّتُكم له حاصلةً، محبَّتُهُ لكم منتفية»(٤) .

---

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٢٨).
(٢) «الفتاوى لابن تيمية» (١٠/ ٨١).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٥٨).
(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٢).

ويقول: «وثباتُها - أي محبَّة الله - في القلب إنَّما يكونُ بمتابعة الرسول في أعمالِهِ، وأقوالِهِ، وأخلاقِهِ، فبحَسْبِ هذا الاتِّباعِ يكونُ منشأُ هذه المحبَّةِ وثباتُها وقوَّتُها، وبحَسْبِ نُقْصانِهِ يكونُ نُقْصَانُها»[1] .

أيها الناسُ، إنَّ حُبَّ اللهِ ليس كلماتٍ تُقال، ولا قَصَصًا تُروَىٰ، فكذلك محبَّة رسول الله - ﷺ - ليستْ دعوةً باللِّسان، ولا هيامًا بالوِجْدانِ وكفىٰ، بل لابُدَّ أنْ يُصاحبَ ذلك الاتِّباعُ لرسول الله - ﷺ -، والسَّيرُ علىٰ هُداه، فالمحبَّة ليستْ ترانيمَ تُغَنَّىٰ، ولا قصائدَ تُنْشَدُ، ولا كلماتٍ تُقالُ، ولكنها الاقتداءُ والتأسِّي به - ﷺ - ظاهرًا وباطنًا، فإنَّ الطُّرُقَ إلىٰ الله كُلُّها مسدودةٌ إلاَّ طريقةَ - رسولِ الله - ﷺ -[2] .

قال الجُنَيْدُ بْنُ محمَّدٍ: «الطُّرقُ إلىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ - كُلُّها مسدودةٌ علىٰ الخلق إلا مَنِ اقتفىٰ أثرَ الرسولِ - ﷺ -، واتَّبع سنَّتَهُ، ولَزِمَ طريقتَهُ؛ فإنَّ طُرقَ الخَيْراتِ كُلُّها مفتوحةٌ عليه، كما قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١]»[3] .

اللّهُمَّ إنَّا نسألُك عِلْمًا نافعًا، ورزقًا طيِّبًا، وعملاً مُتَقَبَّلاً.

اللّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا علىٰ طاعتِكَ.

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٣٧)

(٢) انظر «دراسات تربويَّة في الأحاديث النبويَّة» لمحمد لقمان الأعظميِّ (ص٢٨، ٢٩) بتصرُّفٍ.

(٣) «الحلية» لأبي نُعَيْم (١٠/ ٢٥٧)، «وتلبيس إبليس» لابن الجَوزيِّ (ص١٩).



الخطبة الأولى

من مُعجزاتِ النبي - ﷺ -

إن الحمدَ لله، نَحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنّ الله - سبحانه وتعالى - أيَّدَ أنبياءَهُ ورُسُلَهُ بالمُعجزاتِ الباهراتِ، والدَّلائلِ القاطعاتِ، والحُجَجِ الواضحاتِ؛ ما يدُلُّ على صِدْقِ دعواهُمْ أنَّهم رُسُلُ الله، فأعطى اللهُ - سبحانه وتعالى - كُلَّ نبيٍّ من الأنبياء - عليهم السلامُ - مُعْجزةً خاصَّةً به، لم يُعْطِهَا غَيْرَهُ، تحدَّى بها قَوْمَهُ، وكانت مُعْجزةُ كلِّ نبيٍّ تقعُ مُناسبةً لِحالِ قومِهِ، وأهلِ زمانِه.

فالغالب على زمانِ موسى - عليه السلام - السِّحْرُ، فبعثه الله بمعجزةٍ بَهَرَتِ

الأبصارَ، وحيَّرَتْ كُلَّ سَحَّارٍ.

والغالبُ علىٰ زمانِ عيسىٰ ـ عليه السلام ـ الطبُّ، فجاءهم من الآيات البيِّنات بما لا قِبَلَ لهم به، ولا سبيل لأحدٍ عليه، وهو شفاءُ الأمراضِ المُسْتعصية: كالأَكْمَه، والأَبْرَصِ، بل وإحياء الموتىٰ بإذْنِ ـ الله ـ.

وأمَّا نبيُّنا محمَّدٌ ـ ﷺ ـ فقد بُعثَ في زمانِ الفصَحاء والبُلَغاء، وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتابٍ من عند اللهِ ـ سبحانه وتعالى ـ، فتحدَّاهم ودعاهم أن يُعَارِضُوهُ، ويَأْتوا بمثلِه، وليستعينوا بمن شاءوا، وهَيْهاتَ!.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

أيها الناس، لقد كان ادِّعاءُ هؤلاءِ الفُصَحاءِ أنَّ القُرآنَ مَحْضُ افتراءٍ، فتحدَّاهم اللهُ أنْ يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، فتقاصر معهم إلىٰ عَشْرِ سُورٍ منه، ثمَّ أعاد التحدِّي إلىٰ سورةٍ واحدةٍ، فعجزوا أن يأتوا بآيةٍ واحدةٍ!.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [هود: ١٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس: ٣٨].

وكما أعاد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ التحدِّي في سورةِ يُونُسَ ـ وهي مكيّة ـ أعاد التحدِّي في سورة البقرة ـ وهي مدنيَّة ـ، وأخبر ـ سبحانه وتعالىٰ أنَّ عَجْزَهُمْ عن الإتيان بسورةٍ مثله مستمرٌّ إلىٰ يوم القيامة، فقال: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ**

صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٢٣، ٢٤].

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «بيَّن ـ تعالىٰ ـ أنَّ الخلق عاجِزُونَ عن معارضَة هذا القرآن، بل عن عَشْرِ سُورٍ مثله، بل عن سورةٍ منْه، وأنَّهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍّ ثانٍ، وهو أنَّه لا يُمْكِنُ معارضَتُهُمْ لهُ لا في الحالِ، ولا في المآلِ، ومِثْلُ هذا التَّحدِّي إنَّما يَصْدُرُ عن واثقٍ بأنَّ ما جاء به لا يمكنُ للبشر مُعارضَتُهُ، ولا الإتيانُ بمثلِه، ولو كان من متقوِّلٍ من عند نفسِه، لخاف أن يُعارَضَ فيفتضحَ، ويعودَ عليه نقيضُ ما قَصَدَ من متابعةِ النَّاسِ لَهُ.

ومعلومٌ لكل ذي لُبٍّ أنَّ محمَّداً ـ ﷺ ـ من أعْقَلِ خَلْقِ الله، بل أعْقَلُهُمْ وأكْمَلُهُمْ علىٰ الإطلاق في نفسِ الأمرِ، فما كان ليُقْدِمَ علىٰ هذا الأمرِ إلاَّ وهو عالمٌ بأنَّه لا يمكن معارضَتُهُ، وهكذا وقَعَ؛ فإنَّهُ من لَدُنْ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ، وإلىٰ زماننا هذا لم يستطعْ أحدٌ أن يأتيَ بنظيرِه، ولا نظيرِ سُورةٍ منه، وهذا لا سبيلَ إليه أبداً؛ فإنه كلامُ ربِّ العالمين الذي لا يُشْبِهُهُ شيءٌ من خلقه: لا في ذاتِه، ولا في صفاتِه، ولا في أفعالِه، فأنَّىٰ يُشْبِهُ كلامُ المخلوقين كلامَ الخالقِ؟!»[١].

أيها الناسُ، إنَّ المُعجِزَات لنبيِّنا ـ ﷺ ـ كثيرة، لكنَّ أجلَّها وأعظمها القرآن الكريم، وفيه الكفاية لمن أراد الله له الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبيُّ ـ

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٦٥، ٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

ﷺ ـ: «ما منَ الأنبياء نبيٌّ إلاَّ أُعْطِيَ من الآيات ما مثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كان الذي أُوْتيتُهُ وَحْيًا أَوْحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهُمْ تابعًا يومَ القيامة».

والمعنى: أنَّ المُعجزاتِ التي أُوتِيَهَا الأنبياءُ قد انتهتْ بانتهاءِ وقْتِها، أمَّا مُعجزةُ القرآنِ فباقيةٌ مستمرَّةٌ إلى يومِ القيامة.

قال الحافظ ابن حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: «وقد جَمعَ بَعْضُهم إعجازَ القرآنِ في أربعةِ أشياءَ:

أحدها ـ حُسْنُ سياقِهِ والتِئام كَلِمِهِ مع الإيجازِ والبلاَغَةِ.

ثانيها ـ صُورةُ سياقِهِ وأُسلُوبِهِ المخَالِفِ لأساليب أهل البلاغةِ من العرب نَظْمًا ونَثْرًا، حتّى حارتْ فيه عُقُولُهم، ولَم يهتدوا إلى الإتيان بشيءٍ مِثْلِهِ مع توفُّرِ دواعيهم على تحصيلِ ذلك، وتَقْريعِهِ لهم على العَجزِ عنه.

ثالثها ـ ما اشْتمَلَ عليه من الإخْبار عمّا مضى من أحوالِ الأُمم السَّالِفَةِ والشرائعِ الداثِرةِ، ممّا كان لا يَعْلَمُ منهُ بَعْضَهُ إلاّ النَّادِرُ من أهلِ الكتابِ.

رابعها ـ الإخبارُ عمّا سيأتي من الكوائنِ التي وقع بعضُها في العصر النبويِّ، وبعضُهَا بَعْدَهُ.

ومن غير هذه الأربعة آياتٌ وردت بتعجيز قومٍ في قضايا أنَّهم لا يفعلونها، وعجزوا عنها مع توفُّر دواعيهم على تكذيبه: كتمنِّي اليهودِ الموتَ، ومنها الرَّوعَةُ التي تَحْصُلُ لسامعيه، وفيها أنَّ قارئَهُ لا يَمَلُّ من تَرْداده، وسامعَهُ لا يَمُجُّهُ، ولا يزداد بكَثْرَةِ التَّكْرارِ إلاَّ طَراوةً ولَذَاذةً. ومنها أنَّه آيةٌ باقيةٌ ما بَقِيَتِ الدُّنيا، ومنها جمْعُهُ لعُلُوْمٍ ومعارِفَ لا تنقضي عجائبُها، ولا تَنْتَهي فوائِدُها»[1].

(١) انظر «فتح الباري» (٨/ ٦٢٣، ٦٢٤)، وقد لخَّص الحافظ ذلك من كلام عِياضٍ وغيرِهِ.

أيها الناس، ومن مُعجزات النبي - ﷺ - مُعجزة الإسراء والمعراج،
والحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ذو شُجُونٍ، بل يحتاج إلى خطبةٍ كاملةٍ، ولكن شُهْرتها تُغني عن سَرْدِها، فهي صحيحة، رواها الإمام مسلم(١) من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «**أُتيْتُ بالبُراق (وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ، فوقَ الحمار ودُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافرَهُ عنْدَ مُنتهى طَرْفه)، فَرَكبْتُهُ حتَّى أتيتُ بيتَ المَقْدسِ فربطْتُه بالحَلْقَة التي يَرْبطُ بها الأنبياءُ، ثمَّ دخلتُ المَسجدَ، فصلَّيتُ فيه ركعتين، ثمَّ خرجتُ فجاءني جِبْريلُ بإناء من خَمْر، وإناء من لَبَن، فاخترتُ اللَّبنَ، فقال جبْريل - عليه السلامُ -: اخترتَ الفطْرةَ. ثمَّ عُرِجَ بنا إلى السماء - وفيه - ثمَّ ذَهَبَ بي إلى السِّدْرة المُنْتهى، وإذا ورَقُها كآذان الفيلَة، وإذا ثَمَرُها كالقلال - قال: - فلمَّا غَشيَها من أمر الله ما غَشيَ تغيَّرتْ، فما أحدٌ من خَلْقِ الله يستطيعُ أن يَنْعَتَهَا من حُسْنها، فَأَوْحَى اللهُ إليَّ ما أَوْحَى**».

أيها الناس، هذه مُعجزة الإسراء والمعراج التي أيَّدَ اللهُ بها نبيَّنا - محمَّداً - ﷺ -، اضطررتُ لاختصارها لشُهْرَتها؛ ولأنَّ في سَرْدها ما تَحْتَاجُ إلى خُطبةٍ كاملةٍ.

ومن معجزات النبي - ﷺ - رَفْعُ بيت المقدسِ؛ حتى يَرَاهُ - وهو بمكَّةَ -:

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**لقد رأَيْتُني في الحِجْرِ، وقريشٌ تسألُني عَنْ مَسْرَايَ (أي عن الإسراء والمعراج) فسألَتْني عن أشياءَ من بيت المَقْدسِ لم أُثْبتْها؛ فكَربْتُ كُرْبةً ما كَربْتُ مثْلَها قَطُّ - قال: - فرفعَهُ الله لي أنظرُ إليه، ما يسألُوني عَنْ شيءٍ إلاَّ أنبأتُهم به**».

ومن معجزات النبيِّ - ﷺ - انشقاقُ القَمر:

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه -: أنَّ أهلَ مكَّةَ

(١) رواه مسلم (١٦٢).
(٢) رواه مسلم (١٧٢).
(٣) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

سألوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ أن يُرِيَهُم آيةً، فأراهُمُ القمرَ شِقَّتَيْنِ، حتى رَأَوْا حِراءً بَيْنَهُمَا». وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هذه المُعجزة في كتابه العزيز، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ١-٥].

أيها الناس، إنَّه مع عِظَم هذه المعجزة، فإنَّ أهل مكَّة استمرُّوا علىٰ كُفرهم وإعراضهم، وقالوا: سَحَرَنَا محمّدٌ، لكن العقلاء منهم قالوا: لئن كان سَحَرَنا ما يستطيع أنْ يَسْحَرَ النّاسَ كُلَّهم، فسألوا مَنْ قَدِمَ عليهم من المسافرين، فأخبروهم بنظيرِ ما شاهدوه، فعلموا صحَّة ذلك.

ومن معجزات النبيِّ ـ ﷺ ـ تكثيرُهُ الماءَ، ونبعُهُ مِنْ بَيْنِ أصابعه الشريفة ـ ﷺ ـ:

ففي «الصحيحين»[1] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبِيَة، والنبيُّ ـ ﷺ ـ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ (أي: إناءٌ صغيرٌ من جِلْدٍ يشربُ منه الماءَ) فتوضَّأَ، فَجَهِشَ الناسُ نَحْوَهُ (أي: فَزِعُوا إليه من شدَّة العَطَشِ) فقال: «مالكم؟!». قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتوضَّأُ، ولا نشربُ إلاَّ ما بَيْنَ يَدَيْكَ، فوضَعَ يَدَهُ في الرَّكْوَة، فجعل الماءُ يثُورُ بينَ أَصابِعِه كأمثال العُيُون، فشربْنا وتوضَّأْنا. قُلْتُ: كم كُنتم؟. قال: لو كُنَّا مائةَ ألفٍ لكفَانَا، كنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مائةً».

ومن معجزات النبيِّ ـ ﷺ ـ تكثيرُهُ الطَّعامَ والشَّرابَ:

ففي «الصحيحين»[2] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رأيتُ برسولِ الله ـ ﷺ ـ خَمَصًا (أي: جُوعًا)، فانكفأْتُ (أي: رَجَعْتُ)

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).
(٢) رواه البخاري (٤١٠٣)، ومسلم (٢٠٣٩)، واللفظ له.

إلىٰ امرأتي، فقلتُ لها: هل عندك شيءٌ؟ فإنّي رأيتُ برسول الله -ﷺ- خَمَصًا شديدًا. فأخرجتْ لي جِرابًا فيه صاعٌ من شعيرٍ، ولنا بُهَيمةٌ داجنٌ (أي: آلفةُ البيت) فَذَبَحْتُهَا وطَحَنَتْ (أي: الشَّعير) ففَرَغَتْ إلىٰ فَرَاغي، فقطَّعْتُها في بُرْمَتِها، ثمَّ ولَّيتُ إلىٰ رسولِ الله، فقالت: لا تَفْضَحْني برسول الله -ﷺ- ومَنْ مَعَهُ. قال: فَجِئْتُهُ فسارَرْتُهُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّا قدْ ذَبَحْنا بُهيمةً لنا، وطَحَنَتْ صاعًا من شعيرٍ كان عندنا، فَتَعالَ أنت في نَفَرٍ معك. فَصَاحَ رسُولُ الله -ﷺ- وقال: «يـا أَهْـلَ الخَنْدَقِ، إنَّ جابرًا قد صَنَعَ لكم سُوْرًا (أي: ضيافةً) فَحَيَّهَلاً بكم».

وقال رسول الله -ﷺ-: «لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، ولا تُخْبَزُنَّ عَجِينَتَكُم حتى أَجِيءَ» فجئْتُ وجاء رسولُ الله -ﷺ- يَقْدُمُ النَّاسَ (أي: يتقدَّمهم)، حتَّىٰ جِئْتُ امرأتي فقالتْ: بِكَ وبِكَ (قال أهل العلم: أي: ذَمَّتْهُ ودَعَتْ عليه، ومعناه: بك تَلْحَقُ الفضيحةُ، ويتعلق الذَّمُّ. وقيل: معناه: جرىٰ هذا برأيكَ، وسُوءِ نَظَرِك؛ إذ كيف تدعو أهلَ الخَنْدقِ كُلَّهم إلىٰ صاعٍ من شعيرٍ وبُهَيمةٍ -وهي الصَّغيرة من أولادِ الضَّأْنِ- ؟!).

فقلتُ: قدْ فعلْتُ الذي قُلْتِ لي (أي: أنه أخبر النبيَّ -ﷺ- بما عنده من طعامٍ، وهو أعلمُ بالمصلحة). فأَخْرَجَتْ له عَجِينَتَنَا، فَبَصَقَ فيها وبَارَكَ، ثمَّ عَمَدَ إلىٰ بُرْمتنا، فَبَصَقَ فيها وبارَكَ، ثمَّ قال: «ادْعِي خابِزةً فَلْتخْبِزْ مَعَك، واقْدَحي منْ بُرْمَتِكمْ ولا تُنْزِلُوهـا» (أي: اغرفي من الطعام وهو في مكانه) وهُمْ أَلْفٌ، فأُقْسِمُ باللهِ، لأَكَلُوا حتَّىٰ تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا (أي شَبِعُوا وانصرفوا)، وإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغطُّ كما هِيَ (أي: تَغْلي ويُسمعُ غَلَيانُها) وإنَّ عجينتنا -أو كما قال الضَّحَّاكُ- لَتُخْبَزُ كما هُوَ!» (يعني: العَجينَ).

وأستغفرُ اللهَ.



الخطبة الثانية

من معجزات النبي - ﷺ -



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على رسول الله - ﷺ - وعلى آلِه وصَحْبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، سبق بيانُ شيءٍ من معجزات نبيِّنا - ﷺ -، وفيما يأتي ذِكْرُ بعضِها.

فمن ذلك تسليمُ الحَجَرِ عليه - ﷺ -:

ففي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سَمُرَةَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«إنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بمكَّة، كَانَ يُسَلِّمُ عليَّ قَبْلَ أن أُبْعَثَ، إنِّي لأَعْرِفُهُ الآن»**.

قال الإمام النَّووي[٢] **- رحمه الله -** مُعلِّقًا على هذا الحديث: «فيه معجزةٌ له - ﷺ - وفي هذا إثباتُ التمييز في بعض الجمادات، وَهُوَ مُوافِقٌ لقوله - تعالى - في الحجارة: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: ٤٤]».

ومن معجزاته - ﷺ - تسْبِيحُ الطَّعامِ بَحضْرتِه - ﷺ -:

ففي «صحيح البخاري»[٣] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: «كنَّا نَعُدُّ الآيات بَرَكةً، وأنتم تَعُدُّونها تخويفًا، كنَّا مع رسول الله - ﷺ - في سَفَرٍ،

(١) رواه مسلم (٢٢٧٧).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٦، ٣٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٣٥٧٩).

فقلَّ الماءُ، فقال: «اطْلُبُوا فَضْلَةً من ماء» فجاءُوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ، فأدخل يَدَهُ في الإناء، ثمَّ قال: «حيَّ على الطَّهور المُبارك، والبركةُ منَ الله». فَلَقَدْ رأيتُ الماءَ ينْبُعُ من بَيْنِ أصابع رسولِ الله ـ ﷺ ـ، ولَقَدْ كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعَامِ وهو يؤْكَلُ».

ومن معجزاته ـ ﷺ ـ إخبارُهُ بأمور وقعت بَعيداً عنه وقتَ وقوعها:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ: «أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ نَعَىٰ النجاشي في اليومِ الذي مات فيه، خَرَجَ إلىٰ المُصَلَّىٰ، فصفَّ بهم، وكبَّر أربعًا».

وفي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ نَعَىٰ زيداً، وجَعْفَراً، وابْنَ رَواحةَ للناس قَبْلَ أنْ يأتِيَهُم خَبَرُهُمْ، فقال: «أخذ الرايةَ زيدٌ فأُصيبَ (أي قُتِلَ وذلك يَوْمَ مُؤْتَة)، ثمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فأُصيبَ، ثمَّ أخذ ابنُ رَواحةَ فأُصيبَ ـ وعَيْنَاهُ تَذْرِفانِ ـ حتَّى أَخَذَ الرَّاية سَيْفٌ من سُيُوفِ الله، حتَّى فتَحَ اللهُ عليهم».

ومن معجزاته ـ ﷺ ـ إخبارُهُ عن أُمور لم تكن حدثتْ، فحدثت بعد ذلك: فأخبر ـ ﷺ ـ أنَّ كِسْرىٰ سَيَهْلِكُ، ولن يكون هناك كِسرىٰ بَعْدَهُ، وكذلك قَيْصَرُ، فوقع الأمرُ كما أخبر ـ ﷺ ـ.

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا هَلَكَ كِسْرى فلا كِسْرى بَعْدَهُ، وإذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، والذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيده، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُما في سبيلِ الله».

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).
(٢) رواه البخاري (٤٢٦٢).
(٣) رواه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٩).

ومن معجزاته ـ ﷺ ـ حَنِينُ الجِذْعِ إليه:

ففي «صحيح البخاري»(١) من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ كان يقُومُ يومَ الجُمُعة إلى شجرةٍ ـ أو نَخلَةٍ ـ، فقالت امرأةٌ منَ الأنصارِ ـ أو رَجُلٌ ـ: يا رسولَ الله، ألاَ نَجْعَلُ لك مِنبراً؟. قال: «إن شئْتُم». فجعلوا له مِنْبراً، فلمَّا كان يومُ الجُمُعة دُفِعَ إلى المِنْبرِ، فصاحت النَّخْلَةُ صِياحَ الصَّبيِّ، ثمَّ نَزَلَ النبيُّ ـ ﷺ ـ فَضَمَّها إليه، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبيِّ الذي يُسَكَّنُ. قال: «كانتْ تَبْكي على ما كانتْ تَسْمَعُ مِنَ الذكْرِ عندها».

أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ مُعجزاتِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ أكثرُ من أنْ تتضمَّنها خُطَبَةٌ، بل أكبرُ من أن يَتَضمَّنَها كتابٌ، ومَنْ أراد التوسُّعَ في ذلك فعليه بكتب دلائل النُّبوَّة، وخاصَّةً كتاب «دلائل النَّبوَّةِ» لمحدِّثِ اليَمَنِ الشيخ مُقْبِلِ بن هادي الوادعيِّ ـ رحمه الله ـ، فهو كتابٌ مفيدٌ في بابه.

أيُّهـا الناسُ، إنَّ شَـأنَ المُؤمـنِ أمـامَ هذه المُعـجـزاتِ أنَّه يَـزْدَادُ إيمانًا مع إيمانه، ولا يَسَعُهُ إلاَّ التَّصديقُ، وإذا ازداد المؤمنُ مَعْرفةً بالمعجزات، فإنَّما يكون ذلك طَلَبًا لزيادة الطُّمأنينة لقلبه، كما قال الخليل إبراهيمُ ـ ﷺ ـ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أيُّها الناسُ، إنَّه متى عرف المؤمن شيئًا من الآيات البيِّنات، والمعـجزات الباهرات، ازداد إيمانًا إلى إيمانه، كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٤).

وذكر الله حالَ الكُفَّارِ حِيالَ المُعجزاتِ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤-١٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

اللَّهُمَّ زِدْنا معرفةً بمعجزات نبيِّك ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وزِدْنا بها طُمَأْنينةً لقلوبنا، وإيمانًا إلى إيماننا، يارِبَّ العالمين.



الخطبة الأولى



خصائص النبي - ﷺ -

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعدُ، أيُّها النَّاس، حديثي معكمُ اليومَ عنْ خصائصِ النبيِّ - ﷺ -، والخصائص - أيُّها الناسُ - هي ما اختصَّ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - نبيَّه به، وفضَّله به علىٰ سائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وكذلك سائر البشر.

ومعرفتها تجعلنا نزداد إيمانًا ومحبَّةً وتبجيلاً لنبيِّنا - ﷺ -.

ومَّا اخْتُصَّ به نبيُّنا ـ ﷺ ـ من خصائصَ في الدنيا:

أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أخذ العهد والميثاق علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين لَيُؤْمِنُنَّ به، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق علىٰ أُمَمِهم.

فقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»[١] من حديث جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ أتىٰ النبيَّ ـ ﷺ ـ بكتابٍ، أصابه من بعض أهل الكُتُبِ، فقرأهُ للنبيِّ ـ ﷺ ـ فَغَضِبَ، فقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابْنَ الخطَّابِ؟!، والذي نفسي بيده، لقد جئتكُم بها بيضاءَ نقيةً، لا تسألُوهُمْ عن شيء، فيخبروكم بحقٍّ فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى ـ ﷺ ـ كان حيًّا ما وَسِعَهُ إلا أنْ يتَّبعني» ومعنىٰ مُتَهَوِّكون: أي مُتَحيِّرونَ.

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ رسالته رسالةٌ عامَّةٌ:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «أُعطيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قَبلي: نُصرتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شَهْرٍ، وجُعلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً، فأيُّما رجُلٍ من أُمَّتي أدركتْهُ الصلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحلَّتْ ليَ المغانمُ، ولم تُحَلَّ لأحد قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعةَ، وكان النَّبيُّ يُبْعثُ إلى قومه خاصَّةً، وبُعثْتُ إلى الناسِ عامَّةً».

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٧)، وحسنه الألباني لشواهده في «الإرواء» (١٥٨٩)، وانظر «المشكاة» (١/ ٦٣).

(٢) رواه البخاري ـ واللفظ له ـ انظر «الفتح» (١/ ٥٥٣)، ومسلم (٥٢١).

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ ختم به النُّبوَّة:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هُريرَة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعْطيتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصرْتُ بالرُّعْب، وأُحلَّتْ ليَ الغنائمُ، وجُعلَتْ ليَ الأرضُ طَهُوراً ومَسْجداً، وأُرسلتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النبيُّون**».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسله رحمةً للعالمين.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال بعضُ العلماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: «لجميع الخلق: للمؤمن رحمةً بالهداية، ورحمةً للمنافق بالأمان من القتل، وللكافر بتأخير العذاب»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله، ادْعُ على المشركين. قال: «**إني لم أبْعَثْ لعَّانًا، وإنَّما بُعِثتُ رحمةً**».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أقسم بحياته،

ولم يقسم بحياة أحدٍ من البشر غيره، وهذا يدلُّ على شرف حياته عند المُقْسِمِ بها، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

---

(١) رواه مسلم (٥٢٣).

(٢) انظر «الشفاء» للقاضي عياض (١/ ٥٧).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خاطبه بالنُّبوَّة والرسالة زيادةً في التشريف دونَ سائرِ الأنبياء والمرسلين.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ نهى المؤمنين عن مُناداته باسمه: بل يخاطبونه: يا رسولَ اللهِ، يا نبيَّ اللهِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّه أُوتي جَوامعَ الكَلِم، واخْتُصِرَ له الحديثُ اختصاراً، ونُصِرَ بالرُّعبِ مسيرةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ له الأرضُ مسجدًا وطَهُوراً.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعْطِيْتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ طَهُوراً ومسجداً، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ مفاتيحَ خزائنِ الأرض بيدِه، وهي ما سهَّلَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ له ولأمَّته من بَعْدِه.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث عُقْبَةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ خرج يوماً،

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

فصلَّىٰ علىٰ أهل أُحُدٍ صلاتَهُ علىٰ الميِّت، ثمَّ انصرف علىٰ المِنْبَر، فقال: «إنِّي فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإنِّي ـ والله ـ لأنظرُ إلى حَوْضيَ الآنَ، وإني أُعْطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرض، وإنِّي ـ والله ـ ما أخاف عليكم أنْ تُشركوا بَعْدي، ولكنْ أخاف عليكُمْ أنْ تَنَافَسُوا فيها».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّرَ:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «هذا من خصائصه ـ ﷺ ـ التي لا يشاركه فيها غَيْرُهُ، وليس في حديثٍ صحيحٍ في ثوابِ الأعمال لغيرِهِ: غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخَّرَ، وهذا فيه تشريف لرسول الله ـ ﷺ ـ»[1].

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ مُعجزة كُلِّ نبيٍّ تصرَّمَتْ وانقرضت، ومعجزاتُهُ محفوظةٌ بحفظ الله:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ مُعجزة الإسراء والمعراج:

فقد أُسْرِيَ به ـ ﷺ ـ ببدنه وروحه يَقَظَةً من المسجدِ الحرامِ بمكّةَ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ ـ وهو ببيت المَقْدِسِ ـ في جُنْحِ الليلِ، ثمَّ عُرِجَ بِهِ إلىٰ سِدْرَةِ المُنْتهىٰ، ثمَّ إلىٰ حيثُ شاء الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ورَجَعَ مكّةَ مِنْ لَيْلتِهِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٨).

أيها الناسُ، تلك بعض خصائص نبيِّنا محمَّدٍ ـ ﷺ ـ في ا الدنيا.

وقـد اخْتُصَّ رسـولُ الله ـ ﷺ ـ بخصـائصَ في الآخـرة، ولم يُعْطَهَا غَيْرُهُ من الأنبياء ـ عليـهم السلام ـ، ممَّا يدلُّ علىٰ منزلتـه وعظيم قـدره عند ربِّه ـ سبحـانه وتعالىٰ ـ، ومن ذلك الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، والحوض، والكوثر، واللِّواء، وغيرُ ذلك.

فمن خصائصه ـ ﷺ ـ في الآخرة:

أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يُعطيه الوسيلة والفضيلة، وهي أعلىٰ دَرَجةٍ في الجنَّة، لا ينالُها إلا عبدٌ واحدٌ من عباد الله، وهو رسولنا ـ ﷺ ـ.

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**مَنْ قال حين يسمعُ النِّدَاءَ: اللّهُمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامَّة، والصلاة القائمة، آتِ محمَّدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْهُ مقامًا محمودًا الذي وعَدْتَهُ ـ حلَّت له شفاعتي يوم القيامة**».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ في الآخرة المقامُ المحمودُ:

ومن ذلك المقام المحمود ـ أيها الناسُ ـ الذي يَقُومُهُ ـ ﷺ ـ فَيَحْمَدُهُ الخالقُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، والخلائقُ من بعده.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

والمراد بالمقام المحمود ـ أيها الناسُ ـ: هو الشفاعة، قال ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: «المقام المحمودُ: مقامُ الشفاعة»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) رواه ابن جرير انظر «التفسير» (١٥/ ٩٧)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨).

قال ابن بطَّال ـ رحمه الله ـ: «والجمهور على أنَّ المُراد بالمقام المحمود الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع»[١].

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الآخرة أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعطاه دعوةً مستجابةً، فجعلها للمُذْنبين من أُمَّته لكونهم أحوجَ إليها من الطائعين، وهذا من كمال شفقته على أُمَّته، ورَأْفَتِهِ بهم.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«لكُلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُستجابةٌ، فتعجَّلَ كُلُّ نبيٍّ دَعْوَتَهُ، وإني اختبأتُ دَعْوتي شفاعةً لأُمَّتي يومَ القيامةِ، فهي نائلةٌ ـ إن شاء الله ـ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتي لا يُشْرِكُ بالله شيئًا».**

وأستغفر الله.

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.






الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حَوْلَ ما اختصَّ به نبيُّنا محمَّدٌ ـ ﷺ ـ عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

والآن حديثي معكمْ حولَ ما اخْتُصَّ به ـ ﷺ ـ دُوْنَ أُمَّتِهِ، وقد شاركه في بعضها إخوانُهُ الأنبياءُ.

فمن خصائصه ـ ﷺ ـ دُونَ أُمَّتِهِ الوِصَالُ في الصِّيام:

ففي «الصحيحين»[(1)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**لاتُواصِلُوا**».

قالوا: إنك تواصِلُ! قال: «**لَسْتُ كأحدٍ منكم؛ إنِّي أُطْعَمُ وأُسْقى**».

قال النوويُّ: «قال الخطَّابيُّ وغيرُهُ من أصحابنا: الوِصَالُ من الخصائص التي أُبيحتْ لرسول الله ـ ﷺ ـ، وَحُرِّمَتْ على الأُمَّةِ»[(2)].

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ دون أمَّته الزواجُ من غير وليٍّ ولا شُهُود، لقد انفرد رسول الله ـ ﷺ ـ عن أمَّته في هذين الحُكمين، فأباح الله ـ سبحانه وتعالى ـ له الزواج

(1) رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٢).
(2) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/ ٢١٢).

بغير وليٍّ ولا شُهودٍ تشريفًا وتكريمًا لعدم الحاجة إلىٰ ذلك في حقِّه ـ ﷺ ـ.

قال العلماء: «إنما اعْتُبِرَ الوليُّ في نكاحِ الأَمَةِ للمحافظة علىٰ الكفاءة، وهو ـ ﷺ ـ فوقَ الأَكْفاءِ، وإنما اعْتُبِرَ الشُّهود لأَمْنِ الجُحُودِ، وهو ـ ﷺ ـ لا يَجْحَدُ»[(١)] .

وبُرهان هذا الحكم في حقِّه ما جاء في «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث زَيْنبَ بِنْتِ جَحْشٍ ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تَفْخَرُ علىٰ أزواج النبيِّ ـ ﷺ ـ تقول: «زوَّجكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجني اللهُ ـ تعالىٰ ـ من فوقِ سَبْعِ سمواتٍ».

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ دُونَ أمَّته الجمعُ بَيْنَ أكثرَ مِنْ أربعِ نِسْوة:

قال الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ: «دلَّتْ سُنَّةُ رسول الله ـ ﷺ ـ المُبيِّنَةُ عن الله أنَّه لا يجوزُ لأحدٍ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ أنْ يجمعَ بَيْنَ أكْثَرَ من أربعِ نِسْوَةٍ».

قال الحافظ ابن كثيرٍ ـ رحمه الله ـ: «وهذا الذي قاله الشافعيُّ مُجْمَعٌ عليه بَيْنَ العلماء»[(٣)] .

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ أنَّ أزواجه أمَّهاتُ المؤمنين إكرامًا وإجلالاً لعبده ورسوله ـ ﷺ ـ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

ومن خصائصه ـ ﷺ ـ دُونَ أمَّته أنَّ رُؤيتهُ في المنام حقٌّ، فمن رآه في المنام كانَ كَمَنْ رآه في اليَقَظَةِ.

---

(١) انظر «موسوعة نضرة النعيم» (١/ ٥٠٨).
(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠).
(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٠).

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي**».

قال العلماء: إنَّ هذه الرُّؤيا مشروطة بأن يراهُ الرَّائي على صُورته التي كان عليها في الحياة الدنيا، والتي جاءت مفصَّلةً في الأحاديث.

قال الحافظ ابن كثير: «واتُّفِقَ على أنَّ من نقل عنه حديثًا في المنام أنَّه لا يُعملُ به لعدم الضَّبْط في روايةِ الرَّائي؛ فإنَّ المنامَ محلٌّ تضعفُ فيه الرُّوحُ وضبْطُهَا»[(٢)].

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون أمَّته أنه مَن استهان به، أو سَبَّه فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِه، وقد أجمعتِ الأُمَّةُ على قَتْلِ مُنْتَقصِه وسابِّه:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ٦١].

فكلُّ مَن استهان برسول الله ـ ﷺ ـ، أو سبَّهُ، أو عابَهُ، أو ألحق به نقصًا في نفسه، أو نسبِه، أو دينه، أو خَصْلةٍ من خِصالِه، أو عرَّض به، أو شبَّهَهُ بشيءٍ على طريق السَّبِّ لهُ، أو الإزراءِ عليه، أو التصغيرِ لشأنِه، أو الغَضِّ مِنْهُ والعيبِ لَهُ ـ فإنَّهُ يُقتل كُفرًا[(٣)].

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(٤)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ أعمى كانت لَهُ أمُّ ولدٍ، تشْتُمُ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٢) انظر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص٢٩٨، ٢٩٩).

(٣) انظر «نضرة النعيم» (١/ ٥١٢). وهذا الكتاب استفدت منه في هذه الخطبة، وأنصح باقتنائه فهو كتاب مفيد للخطيب والواعظ، بل من أحسن ما أُلِّف في هذا الباب.

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٦١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «سنن أبي داود» (٣٦٦٦).

النبيَّ - ﷺ - وتقعُ فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرُها فلا تَنْزَجِرُ، قال: فلمَّا كانتْ ذاتُ ليلةٍ جعلتْ تقعُ في النبيِّ - ﷺ - وتشتمُهُ، فأخذَ المِغْوَلَ (وهو سيفٌ قصيرٌ يشتملُ به الرجلُ تحتَ ثيابِهِ) فوضعه في بَطْنِها، واتَّكأَ عليه فقَتَلَهَا، فوقعَ بَيْنَ رجليها طِفْلٌ، فلطخت ما هناك بالدَّمِ، فلمَّا أصبح ذُكِرَ ذلك لرسول الله - ﷺ -، فجمع الناس، فقال: «أَنْشُدُ اللهَ رجلاً فعل ما فعل، لي عليه حقٌّ إلاَّ قام». فقام الأعمى يتخطَّى الناسَ، وهو يتزلزلُ، حتى قعد بين يَدَيِ النبيِّ - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله، أنا صاحِبُهَا، كانتْ تشتمُكَ وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأَزْجُرُها فلا تَنْزَجِرُ، ولِيَ منها ابنانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وكانتْ بي رفيقةً، فلمَّا كانت البارحةُ، جعلتْ تَشْتُمُكَ وتقعُ فيك، فأخذتُ المِغْوَلَ، فوضعْتُهُ في بَطْنِها، واتّكأتُ عليها حتَّى قتلتُها. فقال النبيُّ - ﷺ -: «ألاَ اشهدوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ».

وقد أجمعت الأُمَّةُ - أيُّها الناسُ - على قتل من سبَّ النبيَّ - ﷺ - أو انتقصه بأيِّ وجهٍ من الوُجُوه:

قال ابن المنذر - رحمه الله -: «أجمع عوامُّ أهلِ العِلْمِ على أنَّ مَنْ سبَّ النبيَّ - ﷺ - يُقْتَلُ»[(١)].

وقال محمَّد بن سحنون - رحمه الله -: «أجمع العلماءُ أنَّ شاتمَ النبيِّ - ﷺ - المُنتَقِصَ له كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحُكْمُهُ عند الأُمَّةِ القَتْلُ»[(٢)].

اللَّهُمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تُشْمِتْ بنا عُدوًّا ولا حاسداً.

اللَّهُمَّ إنّا نسألُك كُلَّ خيرٍ خزائنُهُ بيدِك، ونعوذ بك من كُلِّ شرٍّ خزائنُهُ بيدِك.

---

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ٤٧٤).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٧٦).



الخطبة الأولى



حبُّ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرِ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ وَهَبَ نبيَّنا محمَّداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الخصال الحميدة، والصفات العليَّة، والأخلاق المَرْضِيَّة ـ مما كان داعيًا لكُلِّ مسلمٍ أن يُجلَّه ويُعظِّمَهُ بقلبه ولسانه وجوارحه، فحقُّه علينا محبَّتُهُ، وطاعَتُهُ واتِّباعُهُ، وتوقيرُهُ واحترامُهُ من غير غُلُوٍّ ولا تفريطٍ.

فحبُّ النبيِّ - ﷺ - من الإيمان.

فقد أخرج البخاريُّ في «صحيحه»[(١)] من حديث عبد الله بن هشامٍ - رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبيِّ - ﷺ - وهو آخذٌ بيدِ عُمَرَ بنِ الخطاب - رضي الله عنه - فقال له عُمَرُ - رضي الله عنه -: يا رسولَ الله، لأَنتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيءٍ إلاَّ مِنْ نفسي، فقال النبي - ﷺ -: «**لا - والذي نفسي بيده - حتَّى أكونَ أحبَّ إليك من نَفْسك**».

فقال له عُمَرُ: «فإنَّه الآنَ - والله - لأَنْتَ أحبُّ إليَّ من نفسي».

فقال النبي - ﷺ -: «**الآن يا عُمَرُ**».

يقول العلامة العينيُّ - رحمه الله - في شرح قوله - ﷺ -: «**الآنَ يا عُمَرُ**»: «أي: الآنَ كَمُلَ إيمانُكَ»[(٢)].

أيها الناسُ، إنَّه يجبُ أن تكونَ محبَّتُنا لنبيِّنا - ﷺ - فوقَ محبَّة الوالدِ والولدِ، بل فوقَ محبَّة الأهلِ، والمالِ، والناسِ أجمعين.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»[(٣)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**فوالذي نفسي بيدِه، لا يُؤمِنُ أحدُكُم، حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولَدِه**».

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**لا يُؤمِنُ أحدُكُم، حتَّى أكَونَ أحبَّ إليه من أَهلِه، ومالِه، والناسِ أجمعينَ**».

أيها الناس، إنّه لَيَبْلُغُ التشريفُ لمنْ قصد المحبَّة مَبْلَغَهُ كما في «الصحيحين»[(٥)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**مِنْ أشَدِّ أُمَّتي لي**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٤).
(٢) «عمدة القارئ» (٢٣/ ١٦٩).
(٣) رواه البخاري (١٤).
(٤) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩).
(٥) البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٨٣٢)، واللفظ له.

حبًّا ناسٌ يكونون بَعْدي، يَوَدُّ أحدُهُمْ لو رآني بأهله وماله».

أَلاَ يا مُحبَّ المُصْطَفى، زِدْ صَبَابَةً ... وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ منْكَ بطِيْبِهِ

ولا تَعْبَأَنَّ بالمُبْطلين؛ فإنَّما ... علامةُ حُبِّ الله حُبُّ حبيبِهِ

أيها الناسُ، إنَّ محبَّة رسول الله - ﷺ - ليستْ دعوةً باللسان، ولا هيامًا بالوِجْدان، وليستْ ترانيمَ تُغنَّى، ولا قصائدَ تُنْشَدُ.

فمحبَّتُه - ﷺ - تكون في اتِّباعه، والسَّير على هُداه، وعَمَلٍ بمنهج الله الذي يحمله الرسول - ﷺ -، وهذه هي المحبَّة الحَقيقية، وإلى ذلك أرشدنا الله - سبحانه وتعالى - فقال - سبحانه وتعالى - لنبيِّنا أن يُوَجِّهَ الخطابَ إلى أُمَّته: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

أيها الناسُ، لا يختلف اثنانِ في أنَّ المُحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعٌ، فكذلك مَنْ أحبَّ الحبيب المُصطفى - ﷺ - يحرصُ - أشدَّ الحرص - على اتِّباعه، ويُسارعُ إلى تنفيذ أوامره، ويبادر إلى اجتناب نواهيه، فالعملُ طَوْعُ المحبَّة الصادقة، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قسم العلامة ابن القيم المُحبِّين إلى أقسام ثلاثة - كما في كتابه «روضة المُحبِّين»(١) -: منهم مَنْ يُريد مِن المحبوب، ومنهم مَنْ يُريدُ المحبوبَ، ومنهم مَنْ يُريد مُرادَ المحبوبِ مع إرادتِه للمحبوب، وهذا أعلى أقسام المُحبِّين.

تَعْصي الإلهَ وأنت تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا - لَعَمْري - في القياسِ شَنيعُ

لو كان حُبُّكَ صادقًا لأطَعْتَهُ ... إنَّ المُحبَّ لِمَنْ يُحبُّ مُطيعُ

أيها الناسُ، كم من مواقفَ رائعةٍ للصحابة البَرَرة المُحبِّين الصادقين لنبيِّهم - ﷺ -، تؤكِّد أنهم فهموا الحُبَّ الحقيقيَّ في طاعة نبيِّهم في كُلِّ ما أمرَ، والانتهاء عمَّا نهى عنه وزَجَرَ، وبذلك كَمُلَ إيمانُهم.

---

(١) روضة المحبين (ص٢٧٣)

أيها الناسُ، أذكرُ بعضًا من امتثال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لأوامره ـ ﷺ ـ واجتناب نواهيه:

رویٰ البخاري في «صحيحه»[(١)] عن البَرَاء بن عازبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينة، صلَّىٰ نَحْوَ بيتِ المَقْدسِ ستَّةَ عَشَرَ ـ أو سَبعَةَ عَشَرَ ـ شهرًا، و كان يُحبُّ أن يُوَجَّهَ إلىٰ الكعبةِ، فأنزل اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

فَوُجِّهَ نَحْوَ الكعبةِ، وصلَّىٰ معه رجلٌ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ، فمرَّ علىٰ قوم من الأنصار، فقال: هو يَشْهَدُ أنَّه صلَّىٰ مع النبيِّ ـ ﷺ ـ، وأنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إلىٰ الكعبةِ، فانحرفوا وهم رُكُوعٌ في صلاةِ العَصْرِ».

الله أكبر، ما أَسْرَعَ تأسِّيَهُمْ بالحبيب الكريم ـ ﷺ ـ! إنَّهم لم ينتظروا حتىٰ ترفع رءوسُهم من الركوع، بل بادروا بالتوجُّه إلىٰ حيثُ توجَّه نبيُّهم وهُم ركوعٌ!.

ومن مبادرة الصحابة إلى طاعة الحبيب ـ ﷺ ـ ما رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه»[(٢)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنتُ ساقيَ القومِ في مَنْزِلِ أبي طَلْحَةَ ـ رضي الله عنه ـ وكان خَمْرُهُمْ يومئذٍ الفَضِيخَ، فأمَرَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ مُناديًا يُنادي: ألا إنَّ الخَمرَ قد حُرِّمَتْ. قال: فقال لي أبو طلحةَ: اخرُجْ فأَهْرِقْها.

فخرجتُ فَهَرَقْتُها، فَجَرَتْ في سِكَكِ المدينة».

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجرٍ ـ كما في «الفتح»[(٣)] ـ: «وفيه إشارة إلىٰ توارد مَنْ كانت عنده من المسلمين علىٰ إراقتها، حتىٰ جرت في الأزِقَّة من كَثْرَتِها»

أيها الناسُ، إنَّ الحبَّ الصادقَ يُولِّدُ الاستسلامَ المُطلقَ، والانقيادَ الكاملَ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٢٥٢).

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٤).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩).

فالصحابة - رضوان الله عليهم - لم يحتجُّوا لعصيان رسول الله - ﷺ - بالعادة والتعوُّد، كما يفعله كثيرٌ من مسلمي زماننا، بل إنَّهم لم يُراجعوا نبيَّهم بعد خبر الرجل، إنَّ هؤلاء الصادقين في حبِّهم لينطبقُ عليهم قولُ الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ومن الأدلَّة الدَّالَّة على حبِّهم لنبيِّهم أنهم لم يقفوا عند امتثال أمره، واجتناب نواهيه، بل كانوا يتابعون أفعالَهُ، ويُلاحظون تصرُّفاتِه بحبٍّ وتقديرٍ وشوقٍ حرصًا على الاقتداءِ به، فإذا وجدوه يفعلُ شيئًا سارعوا إلىٰ فعله، وإذا رَأَوْهُ ترك شيئًا بادروا إلىٰ الابتعاد عنه.

ومن الشواهد الرائعة الدالَّة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود[1] عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: (بَيْنَما رسولُ الله - ﷺ - يُصلِّي بأصحابه إذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ، فوضعهما عن يسارِهِ، فلمَّا رأىٰ ذلك القومُ أَلْقَوْا نِعالَهُم، فلمَّا قَضَىٰ رسولُ اللهِ - ﷺ - قال: «ما حَمَلَكُمْ على إلقائكم نِعالَكُم؟!».

قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نِعالَنَا».

فقال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ جِبْرِيلَ - عليه السلامُ - أتاني، فأَخْبَرَني أنَّ فيها قَذَرًا».

وقال: «إذا جاء أحدُكم إلى المسجدِ فَلْيَنْظُرْ، فإنْ رأى في نَعْلَيْهِ قَذَرًا أو أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ، وليُصَلِّ فيهما»).

كيفَ انْطَوَتْ أيَّامُهُمْ، وهُمُ الأُلَى ... نشروا الهُدى، وعَلَوْا مكانَ الفَرْقَدِ؟!

هَجَرُوا الدِّيارَ، فأين أَزْمَعَ رَكْبُهُمْ ... مَنْ يَهْتدي للقومِ، أو مَنْ يَقْتدي؟

يا قَلْبُ، حَسْبُكَ لَنْ تَلُمَّ بطَيْفِهِمْ ... إلا على مِصْباحِ وَجْهِ مُحمَّدِ

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٦٠٥).



أيها الناسُ، إنَّه كما عرف الصحابة الحبَّ الصادق، كان هذا الحبُّ - أيضًا - من المؤمنات الصادقات.

ومن الشواهد الدّالَّة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود[1] عن عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: «إنَّ امرأةً أتتْ رسولَ الله - ﷺ - ومعها ابنةٌ لها، وفي يَدِ ابنتِها مَسَكَتَانِ غَلِيْظَتَانِ من ذَهَبٍ،

فقال: «أَتُعْطِيْنَ زكاةَ هذا؟».

قالت: لا.

قال: «أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بهما يَوْمَ القيامةِ سِوَارَيْنِ مِن نارٍ؟».

قال: فخلعتهما فألقتهما إلىٰ رسولِ الله - ﷺ -، وقالت: هما لله - عزَّ وجلَّ - ولرسوله».

ومن ذلك التصاق النساء بالجدار تنفيذًا لأمره - ﷺ - لهنَّ بالمشي في حافَات الطَّريق.

فقد روىٰ الإمام أبو داود[2] بسندٍ حسنٍ من حديث أبي أُسَيدٍ الأنصاريِّ - رضي الله عنه -: «أنه سمع رسول الله - ﷺ - وهو خارجٌ من المسجد، فاختلط رجالٌ مع النساء في الطريق، فقال رسول الله - ﷺ -: «استأخِرْنَ؛ فإنَّهُ ليس لكنَّ أن تَحْقُقْنَ الطريقَ [أي تَرْكبْنَ حقَّها: وهو وَسَطُها]، عليكُنَّ بحافات الطَّريقِ».

فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتىٰ إنَّ ثوبها يتعلَّق بالجدار من لُصُوقها به».

أيها النّاسُ، إنَّ الناظر في سيرة الصحابيات لَيتعلم أنَّ المسارعة في امتثال أمر نبيِّهن كان هو السائدَ فيهنَّ.

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢).
(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٩٢).

يا مُـدَّعـيَ حُبِّ طَهَ، لا تُخـالِـفْـهُ   الخُلْفُ يَحْـرُمُ فـي دُنْيـا المُحِـبِّـينا
أَرَاكَ تأْخُـذُ شـيئـاً مِنْ شَـرِيعَـتِـهِ   وتَتْـرُكُ البَـعْضَ تَـدْوينًا وتهـوينا
خُذْهـا جميعًا تجِـدْ خيـراً تفـوزُ بِهِ   أو فاطَّـرِحْها، وخُـذْ رِجْسَ الشياطينا

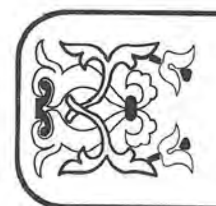
أيها الناسُ، إنَّ أصلَ المحبة ـ الذي يعني الطاعةَ والانقيادَ والتسليمَ ـ لا يشكُّ مسلمٌ في فَرْضيَّته، كما قال ـ ربَّنا ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

حُكمُ الاحتفال بالمولد



الحمدُ لله الذي أتمَّ الدِّين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، لا شك أنَّ محبَّة النبيِّ - ﷺ - إنما تكون بتعظيمِه وطاعتِه، وامتثالِ أمرِه، واجتنابِ نهيِه.

وليست محبَّته - ﷺ - بالبدع والخرافات والمعاصي، والاحتفال بذكرى المولد من هذا القبيلِ المذموم، فهو معصيةٌ لله؛ لأنَّ الحبيبَ - ﷺ - لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة - رضوان الله على الجميع - ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة، وهم أعلم الناس بالسنَّة، وأكملُ حُبًّا لرسول الله - ﷺ -، كما قال عُروةُ بن مسعودٍ القُرَشيُّ - كما في «صحيح البخاري»[1] - : «أَيْ قَوْمِ، والله، لقدْ وَفَدْتُ على المُلُوكِ، ووفدْتُ على قَيْصَرَ، وكِسرى، والنجاشيِّ، والله، إنْ رأيتُ مَلِكًا - قَطُّ - يعظِّمُهُ أصحابُهُ ما يُعظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ - ﷺ - محمَّدًا، والله إنْ تَنَخَّمَ نُخَامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فَدَلَكَ بها وجهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا توضَّأَ كادُوا يقتتلون على وَضُوئِهِ، وإذا تكَلَّمَ خَفَضُوا أصواتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تعظيمًا له».

ومع هذا التعظيم وهذه المحبَّة ما جعلوا يومَ مولدِه عيدًا واحتفالاً، ولو كان مشروعًا ما تركوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم عن المولد: «لم يفعله السَّلفُ مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه».

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٣١).

وقال - أيضًا -: «لو كان هذا خيرًا مَحْضًا - أو راجحًا - لكان السلفُ - رضي الله عنهم - أحقَّ به منَّا؛ فإنهم كانوا أشدَّ محبَّةً لرسول الله - ﷺ - وتعظيمًا له، وهم على الخير أحرصُ».

وقال الفاكهانيُّ في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد»:

«لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتابٍ ولا سُنةٍ، ولا يُنْقَلُ عَمَلُهُ عن أحدٍ من علماء الأُمَّة، الذين هم القدوة في الدين، والمتمسِّكون بآثار المتقدِّمين، بل هو بِدْعة أَحْدَثها البطَّالون، وشهوة نفسٍ اعتنى بها الأكَّالون».

أيها الناس، القاعدة الشرعية هي ردُّ ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ -، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [النساء: ٥٩].

والرَّدُّ إلى الله: هو الرجوع إلى كتاب الله الكريم، والرَّدُّ إلى الرسول - ﷺ -: هو الرجوع إلى سنَّته بعد وفاته، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع، فأين في الكتاب والسنة ما يدلُّ على مشروعيَّة الاحتفال بالمولد النبويِّ؟!!.

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**» أي: مردودٌ عليه.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»[(٢)] من حديث العِرْباضِ بْنِ ساريةَ

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، والترمذي (٢٦٧٦).

- رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنَّهُ مَنْ يَعِشْ منْكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدينَ المَهْديِّينَ مِنْ بَعْدي، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».

فبيَّن لنا نبينا - ﷺ - في هذا الحديث بمن نقتدي بهم عند الاختلاف، كما بيَّن أنّ ما خالف السنَّة من الأقوال والأفعال بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيها الناسُ، إنَّ إحداثَ هذه الموالد يُفْهمُ منه أن الله - سبحانه وتعالى - لم يُكملِ الدِّينَ لهذه الأُمَّة، وهذا خطرٌ عظيم، فأين هذا من قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟!.

بل ويُفهمُ من ذلك أنَّ الرسولَ - ﷺ - خانَ الرِّسالة، ولم يُبلِّغِ البلاغَ المبين.

كيف ذلك والرَّسولُ - ﷺ - لم يترك طريقًا يُوصِلُ إلى الجنَّة، ويُباعد عن النار - إلا بيَّنه للأمّة، كما في «صحيح مسلم»(١) من حديث عبد الله بن عَمْرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما بَعَثَ اللهُ من نبيٍّ إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّته على خير ما يعلمُهُ لهم، ويُنْذِرَهُمْ شرَّ ما يعلمُهُ لهم».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً من المشركين قال له: «قد علَّمكم نبيُّكم - ﷺ - كُلَّ شيءٍ حتى الخِرَاءة!». فقال: «أَجَلْ، لقَدْ نهانا أنْ نستقبل القبلة لغائطٍ أو بَوْلٍ، أو أن نَسْتَنْجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلَّ

---

(١) رواه مسلم(   ).
(٢) رواه مسلم (٢٦٢).

من ثلاثة أحجارٍ، أو أن نستنجيَ برَجيعٍ أو بعظمٍ».

أيها الناسُ، لا شك أنَّ العواطف هي التي حَدَتْ بأولئك الجَهَلَةِ إلى أن يبتدعوا ولا يتَّبعوا، ولكن كيف نجمع بين حبِّ النبيِّ -ﷺ- مع مخالفة أمره في النَّهيِ عن الإحداث في الدِّين، والضِّدَّانِ لا يجتمعانِ؟!.

وقد جعل الله ميزانَ محبَّته ودليلَها اتِّباعَ رسول الله -ﷺ-، فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

اللهمَّ إنا نسألُك حبَّ نبيِّك -ﷺ-، والعملَ الذي يُبلِّغُنا حُبَّه من غيرِ ابتداعٍ، وأن تجعل حبَّه أحبَّ إلينا من أنفسِنا وأهلينا.



الخطبة الأولى



النبيُّ ﷺ. كأنك تراهُ

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إنَّ الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يُمثِّلونَ الكمال الإنسانيَّ في أرقى صُوَرِهِ، فهم في غاية الكمال في خَلْقِهِمْ وخُلُقِهِمْ.

وكان نبيُّنا ـ ﷺ ـ في قمَّة الكمال والجمال في خُلُقه وخَلْقه، فكان أجملَ الناس، وأحسنَ الناس، لم يَصِفْهُ واصفٌ ـ قطُّ ـ إلا شَبَّهُهُ بالقَمرِ ليلةَ البدرِ.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل

المحمَّدية» للتِّرمذيِّ[١] من حديث جابر بن سَمُرةَ - رضي الله عنهما - قال: «رأيتُ رسولَ الله - ﷺ - في ليلةٍ أضحيانٍ (أي: مُضيئةٍ مُقْمِرةٍ)، فجعلتُ أنظرُ إليه، وإلى القمرِ، فَلَهُوَ عندي أحسنُ من القمرِ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[٢] من حديث أبي إسحاقَ قال: سُئِل البراءُ بْنُ عازبٍ: «أكان وَجْهُ رسولِ الله - ﷺ - مِثْلَ السَّيف؟» قال: «لا، بل مِثْلَ القَمَرِ».

قال الحافظ - رحمه الله -: «كأنَّ السائلَ أراد أنه مثل السيف في الطُّول، فردَّ عليه البراءُ فقال: «بلْ مِثْلَ القَمَرِ» أي: في التدوير، ويُحتمل أنْ يكون أراد مثل السيف في اللَّمَعان والصِّقالِ، فقال: بل فوقَ ذلك، وعَدَلَ إلى القمرِ لجمعه الصِّفتين في التدويرِ واللَّمَعانِ»[٣].

أيها الناسُ، إن شاء الله أصف لكمُ الحبيبَ - ﷺ - وكأنه ماثلٌ أمامكم، وكأنكم تَرَوْنَه.

أيها الناسُ، فمن ناحية لون رسول الله - ﷺ - فقد كان أَزْهَرَ اللَّونِ: وهو الأبيض المستنيرُ الناصعُ البياضِ.

ففي «الصحيحين»[٤] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - رَبْعَةً مِنَ القَومِ: ليس بالطَّويلِ، ولا بالقصيرِ، أَزْهَرَ اللَّونِ: ليس بأبيضَ أَمْهَقَ، ولا آدَمَ، ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ، ولا سَبْطٍ رَجِلٍ».

وفي «صحيح مسلم»[٥] عن الجُرَيْريِّ عن أبي الطُّفَيل - رضي الله عنه - قال: «رأيتُ رسولَ - ﷺ - وما على وَجْهِ الأرضِ رجُلٌ رآهُ غيري» قال: فقلتُ له: «فكيف

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٨١٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّدية» (ص٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٦٦٢).

(٤) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٥) مسلم (٢٣٤٠).

رأيتَهُ؟». قال: «كان أبيضَ مليحًا مُقَصَّدًا».

وفي «سُنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث عليِّ بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ أبيضَ مُشْرَبًا بياضُهُ بحُمْرَةٍ».

وأخرج التِّرْمذيُّ في كتابه «الشمائل المحمَّديَّة» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ أبيضَ، صيغَ مِنْ فِضَّةٍ».

وأخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه العلاَّمة الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[3] من حديث مُحرِّشٍ الكَعْبيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «إنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ خَرَجَ من الجِعْرَّانة ليْلاً، فاعْتَمَرَ، ثمَّ رَجَعَ، فأصْبَحَ بها كبائت، فنظرتُ إلى ظَهْرِه كأنَّه سَبيكةُ فِضَّةٍ».

ومِمَّا جاء في وصف وجه رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان أحسنَ الناس وجهًا، فكان وجهُهُ كالقمر والشمس مستديراً، عظيم العينين، أَهْدَبَ الأشفار، مشرَبَ العينين حُمْرَةً، أشكلَ العين، أسودَ الحَدَقَة أَدْعَجَ، أكحَلَ العَينين، دقيق الحاجبين سابهما، أَزَجَّ، أَقْرَنَ أَبْلَجَ، واسعَ الجبين، أَغَرَّ، أجْلى، كأنَّه يتلألأ، وكأنَّ العَرَقَ في وجهه كاللُّؤْلُؤِ، وكان أَسَيلَ الخدَّين سَهْلَهُمَا، أقنى الأنفِ ـ والقنا في الأنف: طُولُهُ ورقَّةُ أَرْنَبَتِه مع حَدَبٍ في وسطه ـ ضَلِيعَ الفَمِ، حَسَنَ الثَّغْرِ، برَّاقَ الثنايا، إذا ضَحِكَ كادَ يتلألأُ.

ففي «الصحيحين»[4] من حديث البراء بن عازبٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان

(١) رواه الترمذي (٣٦٣٨)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٤٩٧).
(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٩٥).
(٣) أخرجه أبو داود (١٩٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٧٥٨).
(٤) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

رسولُ الله - ﷺ - أحسنَ الناس وَجْهًا، وأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، ليس بالطويلِ الذَّاهِبِ، ولا بالقصيرِ».

وروىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه أحمد شاكر في «ترتيب المسند»[1] من حديث علِّي بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ - عظيمَ العينينِ، أَهْدَبَ الأشفارِ، مُشْرَبًا بحُمْرةٍ». ومعنىٰ أهْدَب الأَشْفار أي: شَعَرُ أشْفارِ عَيْنَيْه كثيرٌ مستطيلٌ.

والأشْفارُ: جمعُ شُفْر - بالضَّمِّ ويُفتح -، والشُّفْرُ: طَرَفُ الجَفْنِ الذي يَنْبُتُ عليه الشعرُ، وهو الهُدْبُ.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث سماك بْنِ حَرْبٍ قال: سمعتُ جابرَ بْنَ سَمُرَةَ قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - ضَلِيعَ الفَمِ، أَشْكَلَ العَيْنِ، مَنْهُوسَ العَقِبَيْن». قال: قُلْتُ لسماك: «ما ضَلِيعُ الفَمِ؟». قال: «عظيمُ الفَمِ». قلتُ: «ما أَشْكَلُ العَيْنِ؟». قال: «طويلُ شَقِّ العَيْنِ». قال: قلتُ: «ما مَنْهُوسُ العَقِبِ؟». قال: «قليلُ لَحْمِ العَقِبِ».

وممَّا جاء في وصفِ رأسِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وصفة لحيته - أنَّه كان - كما أخبرَ واصفوه - عظيمَ الرَّأسِ، ذا لِحيةٍ عظيمةٍ حَسَنَةٍ، كثيرةِ الشَّعرِ سوداءَ، كادتْ تملأُ نَحْرَهُ، إذا تكلَّمَ في نفسِهِ عَرف ذلك مَن خَلْفهُ باضطرابها لعَظَمَتِها.

فقد أخرج التِّرْمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّديَّة»[3] من حديث عليِّ بنِ أبي طالبٍ - رضي الله عنه - قال: «لم يَكُنِ النَّبيُّ - ﷺ - بالطَّويلِ، ولا بالقصيرِ، شَثْنُ الكَفَّين والقدمينِ (أي: غَليظُ الأصابع والرَّاحةِ)، ضخم الرأسِ، ضخمُ الكراديسِ (أي: رءوسُ العظام)، طويل المَسْرُبَةِ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٨٩)، وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر «ترتيب المسند» (٢/ ٨٠، ٨١).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٩).

(٣) أخرجه التِّرْمذيُّ في «سننه» (٣٦٤١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّديَّة» (ص ١٥).

(أي أنه طويلُ الشَّعْرِ الذي يبدأُ من الصَّدر، وينتهي بالسُّرَّة)، إذا مشىٰ تَكفَّأَ تكفُّؤًا، كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ، لم أرَ قَبْلَه - ولا بَعْدَه - مثْلَهُ - ﷺ - ».

ومعنىٰ قوله: «إذا مشىٰ تكفَّأ» أي: يتمايل إلىٰ قدَّام، وقيل: أن يرفع القدمَ من الأرض، ثمَّ يضعها، ولا يمسح قَدَمَهُ علىٰ الأرض كمَشْيِ المُتبختر. ومعنىٰ قوله: «كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ» أي يرفعُ رِجْلَهُ منْ قُوَّةٍ وجلادةٍ، والأشبه أنَّ يتكفَّأَ بمعنىٰ صبِّ الشيء دفعةً، قاله المباركفوري - رحمه الله -[1].

في «صحيح مسلم»[2] من حديث جابر بن سَمُرةَ - رضي الله عنهما - قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - كثيرَ شَعْرِ اللِّحْيةِ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[3] من حديث أبي مَعْمَرٍ قال: قلتُ لخبَّاب بْنِ الأَرَتِّ: «أكان النَّبيُّ - ﷺ - يقرأُ في الظُّهرِ والعَصْرِ؟» قال: «نعم». قال: قلتُ: «بأيِّ شيءٍ كنتم تعلمون قراءتَهُ؟». قال: «باضْطِراب لحيتِهِ».

ومِمَّا جاء في صفة شَعَرِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنَّه كان

رَجِلَ الشَّعرِ حَسَنَهُ، فلم يكنْ شَعْرُهُ شديدَ الجُعُودة، ولا شديدَ السُّبُوطَة، بل بَيْنَ ذلك، شديد السَّواد، يبلغ إلىٰ أنصاف أُذُنيهِ، وتارةً شَحْمَةَ أُذُنيه، وتارةً بيْنَ أُذُنيه وعاتقِه، وتارةً يضربُ مَنْكِبَيْه، وكان أوَّلَ أمرِه قد سَدَلَ ناصيتَهُ بيْنَ عينيه، ثمَّ فَرَقَه بَعْدَ ذلك، فجعله فِرْقَتَيْنِ، وكان رُبَّما جعله غدائرَ أربعًا - أي: ضفائرَ - يُخرِجُ الأُذُنَ اليُمنىٰ مِنْ بَيْنِ غَديرتينِ يَكْتنفانِها، ويُخرجُ الأُذُنَ اليُسرىٰ مِنْ بَيْنِ غَديرتينِ يَكْتَنفَانِهَا، وتَخْرُجُ الأُذُنانِ ببَياضِهِمَا مِنْ بَيْنِ تلك الغدائرِ، كأنَّها توقُّدُ الكواكبِ الدُّرِّيةِ من سوادِ شَعرِه[4].

---

(١) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٥/ ٤٤٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٣) رواه البخاري (٧٦١).
(٤) انظر «نضرة النعيم» (١/ ٤٣٠).

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رسولُ اللهِ - ﷺ - رَجِلَ الشَّعَرِ: ليس بالسَّبْطِ، ولا بالجَعْدِ القَطَط».

ومعنىٰ رَجِلَ الشَّعَرِ: أي الذي ليس شديدَ الجُعُودةِ، ولا شديدَ السُّبوطةِ، بل بَيْنَهما.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «كان شَعَرُ رسولِ اللهِ - ﷺ - إلىٰ أنصافِ أُذُنَيْهِ».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما - قال: «كان رسولُ الله - ﷺ - رَجلاً مَرْبوعًا، بَعيدَ ما بَيْنَ المنكبيْنِ، له شَعرٌ يبلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ (أي: إلىٰ مُعَلَّقِ القُرْطِ منها) عليه حُلَّةٌ حَمْراءُ، ما رأيتُ شيئًا - قَطُّ - أحسنَ مِنْهُ - ﷺ».

وفي لفظ البخاري: «له شَعرٌ يبلُغُ شحمة أُذُنيه إلىٰ مَنْكبيهِ».

وفي «الصحيحين»[4] - أيضًا - من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما - قال: «ما رأيتُ من ذي لِمَّةٍ أحسنَ في حُلَّةٍ حَمراءَ مِنْ رسولِ الله - ﷺ -، شَعرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ». ولفظ البخاريِّ: «إنَّ جُمَّتَهُ لَتَضْرِبُ قريبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ».

واللِّمَّةُ: هي الشَّعرُ الَّذي أَلَمَّ بالَمنكِبَيْنِ (أي قاربهما)، قاله ابنُ الأثير[5].

وفي «الصحيحين»[6] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: «كان أهلُ الكتابِ يَسْدِلُون أشعَارَهمْ (أي: إرساله علىٰ الجبين، واتِّخاذه كالقصَّة)، وكان المشركون يَفْرُقُونَ رُءوسَهُم (أي: يجعلونه فِرْقتينِ مِنْ وَسَطِهِ)، وكان رسولُ اللهِ -

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٨).
(٢) رواه مسلم (٢٣٣٨).
(٣) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٤) رواه البخاري (٥٩٠١)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٥) «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/ ٢٣٣).
(٦) رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

ﷺ - يُحِبُّ مُوافَقَةَ أهلِ الكتابِ فيما لم يُؤْمَرْ فيه، فَسَدَلَ رسولُ اللهِ - ﷺ - ناصيَتَهُ (والناصية: هي شعرُ مُقَدَّمِ الرأسِ)، ثمَّ فَرَقَ بَعْدُ».

وأخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّدِيَّة»(١) من حديث أُمِّ هانِئٍ بنتِ أبي طالبٍ - رضي الله عنها - قالتْ: «قدِمَ رسولُ اللهِ - ﷺ - مَكَّةَ (أي: يومَ فَتَحَ مكَّةَ)، وله أربعُ غَدَائِرَ - وفي روايةٍ: ضفائر -».

وفي «سنن ابن مَاجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل المحمَّديَّة»(٢) من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: «كنتُ أغتسلُ أنا ورسولُ اللهِ - ﷺ - من إناءٍ واحدٍ، وكان له شَعرٌ فَوقَ الوفرة، ودُونَ الجُمَّةِ».

وممَّا جاء في وصف مَنْكِبِ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أنه كان عريضَ الصَّدْرِ، بعيدَ ما بَيْنَ المَنْكِبِين.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: «كان رسولُ اللهِ - ﷺ - بعيدَ ما بَيْنَ المَنكِبَيْنَ».

وممَّا جاء في وصف ذراعَيْ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أنَّه كان شَبْحَ الذِّراعينِ - أي طويلَهُما، وقيل: عريضهما -.

ففي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن(٤) من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - في نَعْتِ رسولِ اللهِ - ﷺ - قال: «كان شَبْحَ الذِّراعَيْنِ».

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤١٩١)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٣٥).

(٢) أخرجه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣٧٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص٣٤، ٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٨).

ومِمَّا جاء في وصف كَفَّيْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان ضَخْمَ اليدينِ، بَسِطَ الكفَّين، والبسطُ: هو الزيادة في السَّعَةِ.

ففي «صحيح البخاري»(١) من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النَّبيُّ ـ ﷺ ـ ضَخْمَ اليدينِ والقَدَمَين، حَسَنَ الوَجْهِ، لم أرَ بَعْدَهُ ـ ولا قَبْلَهُ، ـ مثلهُ وكان بَسِطَ الكَفَّينِ».

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ أَزْهَرَ اللَّونِ، كأنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ (أي: في الصفاء والبياض)، إذا مشىٰ تكفَّأَ، ولا مَسِسْتُ دِيباجَةً ـ ولا حريرةً ـ أَلْيَنَ من كفِّ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، ولا شَمَمتُ مِسْكَةً ـ وَلا عَنْبَرَةً ـ أطيب مِنْ رائحةِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ».

ومِمَّا جاء في وصف الساقين والقدمين لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه دقيقُ الساقين، وكان في ساقيه حُمُوشةٌ (أي: دِقَّةٌ)، وكان ضَخْمَ القدمينِ، قليلَ لَحْمِ العَقِبَينِ.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي جُحَيْفةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: «دُفِعْتُ إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ وهو بالأَبْطَحِ في قُبَّةٍ، وكان بالهاجرةِ ـ وفيه ـ وخرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ كأنِّي أنظرُ إلىٰ وَبِيصِ ساقَيْه». قال ابنُ الأثير ـ رحمه الله ـ: «الوَبِيصُ: البريقُ».

وأخرج الإمام التِّرْمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ(٤) من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسولُ الله ﷺ ـ لا يضحكُ إلا تبسُّماً، وكان في ساقَيهِ حُمُوشةٌ».

---

(١) رواه البخاري (٥٩٠٧).
(٢) رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم (٥٠٣).
(٤) رواه الترمذي (٣٦٤٥).

وفي «صحيح البخاري»[١] من حديث ـ أنس رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ ضَخمَ القَدَمَيْنِ».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن سَمُرَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ مَنْهُوسَ العَقِبَيْنِ»: أي قليل لحمِ العقبين، والعَقِبُ: هو مُؤخَّر القدم.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٩).





الخطبة الثانية

بعض صفة النبي ﷺ .

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ - ﷺ - وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إنَّ الحديث عن صفة الحبيب - ﷺ - ذو شُجُونٍ، وقد سبق بيانُ بعض تلك الصفاتِ، وفيما يأتي ذكر بعضها ليكتملَ العِقْدُ - إن شاء الله -.

ومِمَّا جاء في وصف شَيْبِ رسول الله - ﷺ - أنه كان في رأسه ولحيتِهِ قليلٌ من الشَّيْبِ، وكان أكثرُ شيبِ رأسه في فَوْدَيْ رأْسِهِ - والفوْدَان: حَرْفا الفَرْقِ -، وأكثرُ شَيْب لحيته في عَنْفَقَتِهِ فوقَ الذَّقَنِ - والعَنْفَقَةُ: الشُّعَيْراتُ التي بَيْنَ الشَّفَةِ السُّفْلى والذَّقَنِ. وكان شيْبُهُ كأنه خُيوطُ الفِضَّة، يتلألأ بَيْنَ ظَهري سوادِ الشَّعرِ الذي معه.

وإذا مسَّ ذلك الشَّيْبَ الصُّفْرة - وكثيراً ما يفعل ذلك - صارَ كأنَّه خيوط الذَّهبِ، يتلألأ بين ظهري سواد الشعر.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «تُوُفِّيَ رسولُ الله - ﷺ - وليس في رأسِهِ ولحيتِهِ عِشْرونَ شَعَرَةً بيضاء». قال ربيعةُ: «فرأيتُ شَعَراً من شَعَرِ رسولِ الله - ﷺ - فإذا هو أحمرُ، فسألتُ، فقيل: من الطِّيبِ».

وفي «الصحيحين»[2] عن محمَّد بن سِيرينَ قال: سألتُ أَنَسَ بْنَ مالكٍ: أَخَضَبَ

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١)، واللفظ له.

رسولُ الله ـ ﷺ ـ (أي: استعملَ الخضابَ: وهو ما يُخْتَضَبُ به من حِنَّاءٍ، وكَتَمٍ، ونَحْوِهِ). قال: «إنَّه لَمْ يَرَ مِنَ الشَّيبِ إلاَّ قليلاً».

في «صحيح مسلم»(١) من حديث جابر بن سَمُرَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ قَدْ شَمِطَ (أي: ابتدأ الشيبُ فيه) مُقَدَّمُ رأسِهِ ولحيتِهِ، وكان إذا ادَّهَنَ ومَشَطَ لم يَتبيَّنْ، وإذا شَعِثَ رأسُهُ تبيَّنَ».

والشَّعَثُ: هو بُعْدُ أي بُعْدُ العَهْدِ بالغُسْلِ، وتسريحِ الشَّعرِ، قاله ابن الأثير.

وممَّا جاء في وصف خاتِمِ النُّبُوَّة، أنَّه كان على كتِفِهِ اليُسرى مثل بيضةِ الحمامةِ، وهي بيضتها المعروفة.

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عبد الله بن سَرْجِسَ ـ رضي الله عنه ـ قال: «أتيتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ وهو في ناسٍ من أصحابه، فدُرْتُ من خَلْفِهِ، فَعَرَفَ الذي أُريدُ، فألقى الرِّداءَ عن ظَهْرِهِ، فرأيتُ موضعَ الخاتمِ على كَتِفَيْهِ مِثْلَ الجُمْعِ (أي: مِثْلَ جُمْعِ الكفِّ: وهو هَيْئَتُهُ بعد جمع الأصابع). كأنها ثآليلُ، فَرَجَعْتُ حتَّى استقبلته، فقلتُ: غَفَرَ اللهُ لك يا رسولَ اللهِ. فقال: «**ولك**».

فقال القوم: أَسْتَغْفَرَ لك رسولُ الله ـ ﷺ ـ؟ فقال: نعم، ولكم. ثمّ تلا هذه الآيةَ: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩].

وفي «صحيح مسلم»(٣) من حديث جابر بن سمرة ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان وجهُ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ مِثْلَ الشَّمْسِ والقَمَرِ مُسْتَديراً، ورأيتُ الخاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الحمامةِ، يُشْبِهُ جَسَدَهُ».

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤٤).
(٢) رواه مسلم (٢٣٤٦).
(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[(١)] من حديث أبي زيدٍ عَمْرِو بْنِ أخطبَ الأنصاريِّ قال: قال لي رسولُ الله - ﷺ -: «يا أبا زيد، ادْنُ منِّي؛ فامسحْ ظَهْري».

فمسحتُ ظهرَهُ، فوقعتْ أصابعي على الخاتمِ، قلت: وما الخاتم؟. قال: «شعراتٌ مُجتمعاتٌ».

ومَّا جاء في لِباس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان أحبَّ الثِّيابِ إليه القَميصُ، وكان يحبُّ البياضَ.

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «مختصر الشمائل» للتِّرْمذيِّ[(٢)] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - قالت: «كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله - ﷺ - يَلْبَسُهُ القميصُ».

وأخرج أبو داود - أيضًا - بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[(٣)] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول - ﷺ - «**عليكم بالبَيَاضِ من الثياب، لِيَلْبَسْها أحياؤكم، وكفِّنُوا فيها موتاكم؛ فإنها من خيرِ ثيابِكم**».

ومَّا جاء في وصف عِمامته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يلبس العِمامة، يَسْدُلُها بين كتفيه، ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[(٤)] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي - ﷺ - إذا اعتمَّ سَدلَ عِمامَتَهُ بينَ كَتِفَيْهِ».

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٧٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٣١).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٤٦).

(٣) رواه أبو داود (٤٠٦١)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٧٣٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٦٨).

ومِمَّا جاء في وصف نَعْلِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّ له قبلانِ، والقبلانِ: السّيْرُ الذي فيه الشِّسْع، الذي يكون بَيْنَ إصبعَيْ الرِّجْلِ.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»[1] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان نَعْلُ رسول الله ـ ﷺ ـ لهما قبلان».

أيها الناسُ، تلك صفة الحبيب ـ ﷺ ـ، وقد كان لها أثرُها العظيمُ في الدَّعوة والاستجابة لها، فكم من رجلٍ دخل الإسلام بمجرد رؤيته ـ ﷺ ـ ومشاهدة نورِ وَجْهِهِ، فهذا عبدُ اللهِ بْنُ سلامٍ ـ حِبْرُ اليهودِ وأَعْلَمُهُمْ قبل إسلامه ـ يقولُ ـ كما عند الترمذي بسندٍ حسنٍ صحيح[2]: «لَّما قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينة انجفل الناسُ إليه (ومعنى انجفل: أي أسرع)، وقيل: قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ثلاثَ مرَّاتٍ، فجئتُ في الناس لأنظر إليه، فلمَّا تأملتُ وجهَهُ، واستثبتُّهُ (أي تحقَّقْتُهُ)، عرفتُ أنه ليس بوجه كذَّابٍ».

هذا ونسأل اللهَ أن يُوزِعَنا شُكْرَ نعمتِهِ، وأن يُوفِّقَنا لأداءِ حقِّهِ، وحقِّ نبيِّه ـ ﷺ ـ.

---

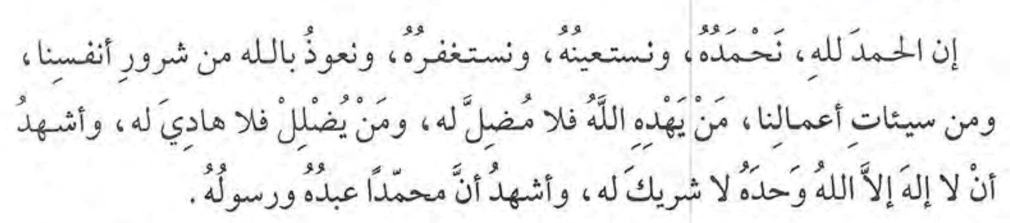
(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٨٤٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص٥٣).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٨٥)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وابن ماجه (١٣٣٤) والدارمي (١٤٦٠٨)، والحاكم (٣/ ١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



الخطبة الأولى

الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، إن من أعظم نعم الله على عباده أن بعث فيهم رسوله محمَّداً ـ ﷺ ـ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وللنبيِّ ـ ﷺ ـ علينا حقوق كثيرة، منها الصلاة والسلام عليه ـ ﷺ ـ، فالصلاة والسلام عليه ـ ﷺ ـ من أجلِّ العبادات، وأفضل الطاعات التي نتقرَّب بها إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وللصلاة والسلام على رسول الله ـ ﷺ ـ فضائل كثيرة:

فمنها أنها امتثال لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومنها أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يصلي على من صلَّى عليه:

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ صلى عليَّ واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عَشْرًا».

وروىٰ النَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢]، من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ ذُكِرْتُ عندهُ فلْيُصلِّ عليَّ، ومَنْ صلَّى عليَّ مرَّةً صلَّى اللهُ عليه عَشْرًا».

وفي «مسند أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث عامر بن ربيعَة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «ما منْ عبد يُصَلِّي عليَّ إلاَّ صلَّتْ عليه الملائكةُ، ما دام يُصلِّي عليَّ فلْيُقِلَّ العَبْدُ مِنْ ذلك أو لِيُكْثِرْ».

ومنها أنَّ الصلاة والسلام عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترفع الدَّرجات، وتَحُطُّ السَّيِّئات.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٤] من

(١) رواه مسلم (٤٠٨).
(٢) رواه النسائي (ص٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).
(٣) «المسند» (٣/ ٤٤٥)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).
(٤) «المسند» (٤/ ٢٩)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٧).

حديث أبي طلحةَ الأنصاريَّ - رضي الله عنه - قال: أصبح رسولُ الله - ﷺ - يومًا طيِّبَ النَّفْسِ، يُرَىٰ في وجهِهِ البِشْرُ. قالوا: يا رسولَ الله، أصبَحْتَ اليومَ طيِّبَ النَّفس، يُرَىٰ في وجْهكَ البشرُ! . قال: «أَجَلْ، أتاني آتٍ منْ عنْد ربِّي - عزَّ وجلَّ - فقال: مَنْ صلَّى عَلَيْكَ منْ أُمَّتكَ صلاةً، كتبَ اللهُ لهُ بها عَشْرَ حسنات، ومحا عنه عَشْرَ سيِّئات، ورفعَ لهُ عَشرَ درجات، وردَّ عليه مثْلَهَا».

وروىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده»، والنسائيُّ في «سننه» - واللَّفظ له - بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عَشْرَ صَلَوات، وحطَّ عنه عَشْرَ خطيئات، ورُفعَتْ له عَشْرُ درجات».

ومنها أن الصلاة والسلام عليه - صلى الله عليه وسلم - كفاية الهموم، ومغفرة الذنوب:

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، والترمذي في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ - كما قال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] -: من حديث أُبيِّ بن كعبٍ - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُكْثِرُ الصلاةَ عليك، فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ . قال: «ما شئْتَ».

قال: قلتُ: الرُّبعَ؟ . قال: «ما شئْتَ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك» قلت: النِّصْفَ؟ . قال: «ما شئْتَ، فإنْ زِدْتَ خير لك».

قال: قلت: ثُلُثينِ؟ قال: «ما شئْتَ، وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك».

قال: أجعل لك صلاتي كلَّها. قال: «إذًا تُكْفَى همَّك، ويُغفَرُ لك ذنبُكَ».

---

(١) «المسند» (٣/ ١٠٢)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٢٤٥٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٠).

قال المنذري - رحمه الله - قوله: «أُكثِرُ الصلاةَ، فكم أجعلُ لك من صلاتي؟» معناه:

أُكثِر الدُّعاءَ، فكم أجعلُ لك من دُعائي صلاةً عليك[1].

ومنها أنَّ الصلاة والسلام عليه - صلى الله عليه وسلم - سببٌ لِنَيلِ شَفَاعته:

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث عبد الله بن عَمْرِو بْنِ العاصِ - رضي الله عنهما - أنه سمع رسولَ الله - ﷺ - يقول: «**إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ، فقولوا مثلَما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً صلى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثم سلُوا اللهَ ليَ الوسيلةَ، فإنَّها مَنْزلةٌ في الجنَّة لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكون أنا هُوَ، فمن سأل ليَ الوسيلةَ حلَّتْ لهُ الشَّفَاعةُ**».

ومنها أنها سببٌ لعَرْضِ اسْم المُصلِّي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

فقد أخرج الديلميُّ في «مسند الفِردوس» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[3]، من حديث أبي بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**أَكْثِروا الصلاةَ عليَّ؛ فإنَّ اللهَ وكَّلَ بي مَلَكًا عِنْدَ قَبْري، فإذا صلَّى عليَّ رجُلٌ من أُمَّتي، قال لي ذلك المَلَكُ: يا مُحمَّدُ، إنَّ فلانَ بْنَ فُلانٍ صلَّى عليك السَّاعةَ**».

وروىٰ البزَّار بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيَّ في «صحيح الجامع»[4] من حديث عمَّار ابن ياسرٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إنَّ لله - تعالى - مَلَكًا،**

---

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠١).
(٢) «رواه مسلم (٣٨٤).
(٣) الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ٩٣)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٨).
(٤) رواه البزار (٣٠٦)، «صحيح الجامع» (٢١٧٦).

أعطاهُ سَمْعَ العباد، فليس مِنْ أَحَد يُصلِّي عليَّ إلاَّ أَبْلَغْنِيها، وإنِّي سألتُ ربي ألاَّ يُصلِّيَ عليَّ عبدٌ صلاةً إلاَّ صلَّى عليه عَشْرَ أمثالها».

و في «مسند الإمام أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ[(١)] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ لله ـ تعالى ـ ملائكةً سيَّاحينَ في الأرضِ، يُبلِّغونني عن أمَّتي السَّلامَ».

ومنها أنَّ الصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طهارةٌ من لَغْوِ المَجْلِسِ:

ففي «مسند الإمام أحمدَ صحيحٍ[(٢)]، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما قعد قومٌ مقعداً، لا يذكرون اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ، ولا يُصلُّون على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا كان عليهم حَسْرَةً يومَ القيامةِ، وإنْ دَخَلُوا الجنَّةَ للثَّوابِ».

ومنها أن الصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سببٌ في إجابة الدُّعاءِ:

فقد أخرج ابن مخلد في «المنتقى» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع»[(٣)] عن عليِّ بْنِ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كُلُّ دُعاءٍ مَحْجُوبٌ، حتَّى يُصَلَّى على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ».

ومنها: أنَّ الصلاة والسلام على رسول الله سبب لانتفاء البخل عن الشخص.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ[(٤)] من حديث الحسين بن عليٍّ ـ رضي الله عنهما

---

(١) «المسند» (١/ ٣٨٧)، وانظر «صحيح الجامع» (٢١٧٠).
(٢) «المسند» (٢/ ٤٦٣)، وانظر «صحيح الجامع» (٧٥٠٠).
(٣) رواه ابن مخلد في «المنتقى» (١/ ٧٦)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٢٩٩).
(٤) رواه الترمذي (١٤٥٦).

- عن النبيِّ - ﷺ - قال: «البخيلُ مَنْ ذُكِرتُ عِندَهُ، فَلَمْ يُصلِّ عَلَيَّ».

ومنها أنها سبب للوقاية من النار:

ففي «صحيح ابن حِبَّانَ» بسند صحيح لغيره(١) من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أن النبيَّ - ﷺ - صَعِدَ المِنْبرَ، فقال: «آمينَ، آمين». قيل: يا رسولَ الله، إنَّكَ حين صَعِدْتَ المِنْبَرَ قُلْتَ: آمينَ، آمينَ، آمينَ؟. قال: «إنَّ جبْريلَ أتاني فقال: مَنْ أدرك شَهْرَ رمضانَ، ولم يُغْفَرْ له، فدخل النَّارَ، فأَبْعَدهُ اللهُ، قل: آمينَ، فقلتُ: آمينَ.

ومَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْه أو أَحَدَهُما عِنْدَ الكِبَر، فلم يبَرهما، فمات فدخل النارَ، فأبعدَهُ اللهُ، قل: آمين. فقلت: آمين ومَنْ ذُكِرتَ عِنْدَهُ، فلم يُصلِّ عليك، فمات فدخل النار، فأبعدَهُ اللهُ، قُلْ: آمين. فقلت: آمين».

أيها الناس، تلك بعض فضائل الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ -، لكن كيف نصلِّي عليه؟

أيها الناس، لكي تكونَ أعمالُنا مقبولة عند الله؛ لابُدَّ من تحقيق أمرينِ مُتلازمينِ - لا ينفكُّ أحدُهما عن الآخرِ -:

الأوَّل - إخلاص العمل لله.

والثاني - أن يكونَ هذا العملُ مُوافقًا لما جاء به رسولُ اللهِ.

وها هو رسول الله - ﷺ - يُعلِّمنا كيف نصلِّي عليه.

ففي «صحيح البخاريِّ»(٢) من حديث أبي حُمَيْدٍ الساعديِّ - رضي الله عنه - أنهم قالوا: يا رسولَ الله، كيف نُصلي عليك؟. فقال رسول الله - ﷺ -: «قولوا: اللَّهمَّ صلِّ على محمد، وأزواجه، وذُرِّيته، كما صلَّيت على آلِ إبراهيمَ، وبارِكْ على محمَّدٍ،

---

(١) رواه ابن حبان (٢٣٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٩).

وأزواجِه، وذُرِّيَّتِه، كما باركْتَ على آلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[1] - أيضًا - من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قلنا: يا رسولَ الله، هذا السلامُ عليك، فكيف نُصلِّي عَلَيْكَ؟. قال: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وباركْ على محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما باركْتَ على إبراهيمَ، وآلِ إبراهيمَ».

وفي «صحيح البخاريِّ»[2] من حديث عبدِ الرحمنِ بن أبي ليلىٰ قال: لَقِيني كَعْبُ بنُ عُجْرَةَ فقال: ألاَ أُهْدي لك هديّةً سمعتُها من النبيِّ - ﷺ -؟. فقلتُ: بلىٰ، فأهْدِها لي. فقال: سَأَلْنا رسولَ الله - ﷺ - فقلنا: يا رسولَ الله، كيف الصلاةُ عليكُمْ أَهْلَ البيتِ؟، فإنَّ اللهَ قدْ علَّمنا كيف نُسلِّمُ عليكم. قال: «قُولُوا: اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، اللهُمَّ باركْ على محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما باركْتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي مسعودٍ قال: أتانا رسولُ الله - ﷺ - ونحن في مجلس سَعْدِ بْنِ عُبادةَ، فقال له بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أمَرَنا اللهُ - تعالىٰ - أن نُصلِّيَ عليك - يا رسولَ الله - فكيف نُصلِّي عليك؟. قال: فسكتَ رسولُ الله - ﷺ -، حتىٰ تمنَّيْنَا أنَّه لم يَسْأَلْهُ، ثمَّ قال رسولُ الله - ﷺ -: «قُولوا: اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صليتَ على آلِ إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آلِ محمدٍ، كما باركت على آلِ إبراهيمَ في العالمينَ، إنّك حميدٌ مجيدٌ، والسلامُ كما قَدْ عَلِمْتُمْ».

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٢٣) مع شرح النووي.



الخطبة الثانية

الصلاة على النبي - ﷺ -



الحمدُ لله حقَّ حَمْدِهِ، كما ينبغي لجلالِ وَجهِهِ، وعظيمِ سُلْطانِهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله - ﷺ -، وعلى آله، وصَحبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناس، سبق الحديث عن فضل الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ -، مع ذِكْرِ كيفيَّة الصلاةِ عليه - ﷺ - كما شرع الله على لسان نبيِّه، لا ما أحدثه الناس من الصلوات التي ليس لها ذكرٌ صحيحٌ عن رسول الله - ﷺ -.

أيها الناسُ، حديثي معكمُ الآنَ حولَ مَواطِنَ تُشْرَعُ فيها الصلاةُ على رسُول الله - ﷺ -:

فمنها في آخرِ التَّشَهُّدِ: قد أجمع المسلمون على مَشْروعيته، وهي واجبةٌ على الصحيح من أقوالِ أهل العلم.

لما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ - رضي الله عنه - قال: أَتانا رسولُ الله - ﷺ - ونحن في مجلسِ سَعْدِ بنِ عُبادةَ - رضي الله عنه -، فقال له بَشيرُ ابْنُ سَعْدٍ - رضي الله عنه -: قدْ أَمَرَنا اللهُ أنْ نصلِّيَ عليك، فكيف نُصلِّي عليك؟.

قال: **«قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ، وباركْ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ في العالمين، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، والسلامُ كما علِمْتُم».**

---

(١) تقدم تخريجه.

وفي «مسند الإمام أحمدَ» بسندٍ حسنٍ،[١] من حديث فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ رجلاً يدعو في صلاتِهِ، لم يُمجِّدِ اللهَ ـ تعالىٰ ـ، ولم يُصلِّ علىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «عَجِلَ هذا». ثمَّ دعاه، فقال له ـ أو لغيرِهِ ـ: **«إذا صلى أحَدُكم فليبدأْ بتحميدِ اللهِ، والثناءِ عليهِ، ثمَّ لِيُصَلِّ على النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثمَّ لِيَدْعُ بعدُ بما شاءَ»**.

ومن مواطنِ الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صلاةِ الجنازةِ بَعْدَ التكبيرةِ الثانيةِ:

فقد أخرج إسماعيلُ بن إسحاق القاضي في كتابه «فضل الصلاة علىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم»، وصححه الألباني في تعليقه علىٰ الكتاب[٢] عن سعيد بن المُسَيِّبِ أنَّه قال: «إنَّ السُّنَّةَ في صلاةِ الجنازةِ أن يَقْرأَ بفاتحةِ الكتاب، ويُصلِّيَ علىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ، ثمَّ يُخْلِصَ الدُّعاءَ للميِّتِ حتىٰ يَفرُغَ، ولا يقرأ إلاَّ مرَّةً واحدةً، ثمَّ يُسلِّمُ في نَفْسِهِ».

ومن مواطنِ الصلاةِ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بَعْدَ الأذان:

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه سمع رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: **«إذا سَمِعْتُمُ المؤذِّنَ، فقولوا مثلَما يقولُ، ثمَّ صلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثمَّ سَلُوا اللهَ ليَ الوسيلةَ، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّةِ، لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عبادِ اللهِ، وأرجو أنْ أكونَ أنا هُوَ، فمَنْ سألَ ليَ الوسيلةَ، حلَّتْ له الشفاعةُ»**.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٨).
(٢) «فضل الصلاة علىٰ النبي ـ ﷺ ـ» (ص٧٩) بتحقيق الألباني.
(٣) رواه مسلم (٣٨٤).

ومن مواطن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندَ الدُّعاء:

فقد أخرج الإمام الترمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[١] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنتُ أُصلِّي والنبيُّ ـ ﷺ ـ، وأبو بكر، وعمر معه، فلما جلست بدأتُ بالثناء على الله ـ تعالى ـ، ثمَّ بالصلاةِ على النبيِّ ـ ﷺ ـ ثمَّ دعَوتُ لنفسي، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**».

ومن مواطنِ الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند دخول المسجد، والخروج منه:

فقد أخرج ابن خُزيمةَ بسند صحيحٍ[٢] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا دخل أحدُكُمُ المسجدَ، فَلْيُسَلِّمْ على النبيِّ ـ ﷺ ـ وليقُلْ: اللهمَّ افتحْ لي أبواب رَحمتكَ، وإذا خَرَجَ فليسلمْ على النبيِّ ـ ﷺ، وليقُلِ: اللّهُمَّ، أَجِرْني من الشَّيطانِ الرَّجيمِ**».

ومن مواطنِ الصلاةِ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ذكرِه ـ صلى الله عليه وسلمَ ـ:

فقد روى النَّسائيُّ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «صحَيح الترغيب والترهيب»[٣] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**مَنْ ذُكِرْتُ عندَهُ فَلْيُصَلِّ عليَّ؛ فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ مرَّةً، صلَّى اللهُ عليه عَشْرًا**».

---

(١) رواه الإمام الترمذي في «سننه» (٥٩٣)، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وقال محقِّقُ «جامع الأصول» (٤/ ١٥٦): حَسَنٌ.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٤٥٢).

(٣) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

ومن مواطن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند طَرَفَيِ النَّهارِ:

فقد أخرج الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث أبي الدَّرداءِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ صلَّى عليَّ حِيْنَ يُصبحُ ـ وحِين يُمسي ـ عَشْراً، أدْرَكَتْهُ شفاعتي يومَ القيامةِ».

ومن مواطن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجُمُعة وليلتُها:

فقد أخرج أبو داود بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث أوس بن أوسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ من أفضلِ أيَّامِكُمْ يومَ الجُمُعةِ؛ فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخَةُ، وفيه الصَّعْقَةُ؛ فأكثروا عليَّ منَ الصلاة فيه؛ فإنَّ صلاتَكُمْ مَعْرُوضةٌ عليَّ». قالوا: يا رسولَ الله، وكيف تُعْرضُ عليك وقد أَرِمْتَ (أي: بَلِيْتَ)؟! . فقال: «إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ حرَّم على الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ».

ورَوىٰ البيهقيُّ في «سننه» بإسنادٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أكثروا الصلاة عليَّ في يومِ الجُمُعةِ؛ فإنَّه ليس أحدٌ يُصَلِّي عليَّ يومَ الجُمُعةِ إلاَّ عُرِضتْ عليَّ صلاتُهُ».

ورَوىٰ الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٤)] من حديث أبي مسعود الأنصاريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٠)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٣).
(٢) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٤).
(٣) رواه البيهقي (٣/ ٢٤٩)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢٢٠).
(٤) رواه الحاكم (٢/ ٤٢١)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٦).

ﷺ - «أكثروا الصلاةَ عـليَّ في يومِ الجُمُعة؛ فإنه ليس أحدٌ يُصلِّي عليَّ يـومَ الجُمُعة إلاَّ عُرِضتْ علَّي صلاتُهُ».

أيها الناسُ، تلك جُملةُ مواطنَ تُشرعُ فيها الصلاةُ عليه - ﷺ -.

وليستْ تلك المواطنُ هي التي تُشرعُ فيها الصلاةُ عليه - ﷺ - فَقَطْ، كلاَّ بل تُشْرعُ الصلاةُ عليه - ﷺ - عند ذكرِه - وقد تقدَّم الدليلُ على ذلك - وتُشرعُ الصلاةُ عليه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ عدا الأماكنِ الَّتي لا يُشرعُ فيها ذِكرُ الله: كالحمَّام.

فقد أخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسندٍ حسنٍ[1] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا تجعلوا بيُـوتَكُمْ قُبُوراً، ولا تجعلوا قَـبري عِيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتَكُمْ معروضةٌ، تبلُغُني حيثُ كُنتم».

وسُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وبحمدِك، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٣٦٧).



الخطبة الأولى

٢. أهمية الصلاة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن أهميَّة الصلاة، فهي أفضلُ الأعمال بعد الشهادتين، بل إنها حياةُ القلوب، وبُرهانٌ على شُكرِ المُحسنِ، والاعترافِ بالجميلِ، **وهي (أي الصلاة) واجبة - بالكتاب، والسنة، وإجماع الأُمَّة - على كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ.**

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ - ﷺ - بَعثَ مُعاذًا إلىٰ اليمن، فقال: «ادْعُهُم إلى شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ الله، فإنْ هُم أطاعُوا لذلك، فأعْلِمْهُم أنَّ الله قد افترضَ عليهم خَمْسَ صَلَوات في كُلِّ يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأَعْلِمْهُم أنَّ اللهَ قد افترضَ عليهم صدقةً في أموالِهِم، تُؤْخَذُ مِنْ أغنيائِهِمْ، وتُرَدُّ على فُقَرائهم».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - عن النبيِّ - ﷺ - أنه قال: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمس: شهادة أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسُولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحجِّ، وصَوم رمَضانَ».

والأدلة من الكتاب والسنة في فرضيَّة الصلاة كثيرة،

وقد نقل الإمام ابن قُدامة في كتابه «المغني»[٣] إجماع الأُمَّة علىٰ وجوب خمس صلواتٍ في اليوم واللَّيلة.

وأمَّا أهميَّة الصلاة - أيها الناسُ - فإنَّ ذلك لا يكاد يُحصر:

فمنها أنَّ الصلاةَ عمادُ الدِّينِ الذي لا يقومُ إلاَّ بِهِ، وإذا سقط العمود سقط ما بُنِيَ عليه:

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسَّنه الألباني في «إرواء الغليل»[٤] من حديث مُعاذ بن جبلٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١/ ٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «المغني» لابن قُدامة (٣/ ٦).

(٤) «المسند» (٥/ ٢٣١)، و«سنن الترمذي» (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٣٨).

«رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سنامه الجهادُ».

وممَّا يدلُّ على أهميَّتها ـ أيها الناسُ ـ أنها أوَّلُ ما يُحاسبُ عليه العبدُ من عمله، فصلاحُ عمله وفَسادُهُ بصلاح صلاته وفسادها:

فقد أخرج الطَّبرانيُّ في «الأوسط» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «الصحيحة»[(١)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال: «أوَّلُ ما يُحاسبُ به العبْدُ يومَ القيامة الصلاةُ، فإنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سائرُ عَمَلِه، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائرُ عمله».

وفي روايةٍ: «أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامة ينظرُ في صلاته، فإن صَلَحَتْ فقد أفْلَحَ [وفي روايةٍ: وأنجح]، وإن فسَدَتْ فقد خَابَ وخَسرَ».

وممَّا يدلُّ على أهميتها أنَّها آخِرُ ما يُفْقَدُ من الدِّين، فإذا ذهب آخِرُ الدِّين لم يبقَ شيءٌ منه:

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث أبي أُمامةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «لَتُنقَضَنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُرْوَةً، فكُلَّما انتقضتْ عُروةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بالتي تَلِيَها، فأوَّلُهُنَّ نقْضًا الحُكمُ، وآخِرُهُنَّ الصلاةُ».

أيها الناس، تلك بعض الأدلَّة التي تدلُّ على أهمية الصلاة، وأمَّا فضائلها فأكثرُ من أن تُحصَرَ:

فمن فضائلها أنَّها تغسلُ خطايا بني آدَمَ:

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٤٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٣٤٦).
(٢) «المسند» (٥/ ٢٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٩).
(٣) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

الله ـ ﷺ ـ يقول: «أرأيْتُم لو أنَّ نَهَرًا ببابِ أحَدِكُم، يغتسلُ فيه كُلَّ يومٍ خمْسَ مرَّات، هل يبقى مِنْ دَرَنِه شيءٌ؟» قالوا: لا يبقىٰ مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ. قال: «فذلك مَثَلُ الصَّلَواتِ الخمسِ، يمحو اللهُ بهِنَّ الخطايا».

والدَّرَنُ: هو الوَسَخُ.

قال الإمام ابن العربيِّ ـ رحمه الله ـ: «وَجْهُ التمثيل أنَّ المرءَ يتدنسُ بالأقذارِ المحسوسةِ في بدنِهِ وثوبِه، ويُطَهِّرُهُ الماءُ الكثيرُ، فكذلك الصلواتُ تُطَهِّرُ العبدَ مِنْ أقذارِ الذُّنوبِ، حتىٰ لا تُبْقي لَه ذنبًا إلاَّ أسقطتْهُ وكفَّرتْهُ، واللهُ أعلمُ»[١].

ومن فضائلها أنها تُكَفِّرُ السَّيِّئات:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ ـ مُكَفِّراتٌ ما بَيْنَهُنَّ، إذا اجْتَنَبَ الكبائرَ».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث عُثمانَ بنِ عفَّان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يتوضَّأُ رجلٌ، يُحْسِنُ وُضُوءهُ، ويُصلِّي الصلاةَ ـ إلاَّ غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وبَيْنَ الصلاةِ حتَّى يُصلِّيَها».

ومن فضائلها أنها أفضل الأعمال بعد الشَّهادتين:

ففي «الصحيحين»[٤] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ رسول الله ـ ﷺ ـ: أيُّ العملِ أحبُّ إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ؟. قال: «الصلاةُ على وَقْتِها». قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟. قال: «برُّ الوالدين» قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟. قال: «الجهادُ في سبيلِ الله».

---

(١) «حاشية صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

(٣) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧).

(٤) رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

قال: «حدَّثَني بهنَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ، ولو استزدتُه لزادني».

وفي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ فسأله عن أفضلِ الأعمالِ؟، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**الصلاة**».

قال: ثُمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ الصلاة**». قال: ثمَّ مَهْ؟. قال: «**ثمَّ الصلاة**». قال: ثمَّ مَهْ قال: «ثُمَّ الصلاةُ» ـ (ثلاثَ مَرَّاتٍ) ـ قال: ثمَّ مَهْ؟. قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث ثَوْبانَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**استقيموا ولن تحصُوا، واعلموا أنَّ خَيْرَ أعمالِكمُ الصلاةُ، ولنْ يُحافظَ على الوُضُوءِ إلاَّ مؤمنٌ**».

ومن فضائلها أنها سببٌ لدخولِ الجنَّةِ، والنجاةِ من النَّار:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٣)] من حديث حَنْظَلَةَ الكاتبِ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ حافظ على الصَّلَوات الخَمْسِ: رُكُوعهنَّ، وسُجودهنَّ، ومواقيتهنَّ، وعَلِمَ أنَّهنَّ، مِن عندِ الله ـ دخل الجنَّةَ** ـ أو قال: **وَجَبَتْ له الجنَّةُ**، أو قال: **حَرُمَ على النَّارِ** ـ».

ومنها أنها سببٌ لرفعِ الدرجات:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٨).

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١/ ١٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٩).

(٣) رواه أحمد في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨١).

والترهيب»(١) من حديث مُطَرِّفٍ قال: قَعَدتُ إلىٰ نفرٍ من قُريشٍ، فجاء رجلٌ، فجعل يُصلِّي ويركعُ، ويَسجدُ ولا يَقعدُ، فقلتُ: واللهِ، ما أرىٰ هذا يَدري يَنصَرِفُ علىٰ شَفْعٍ، أو علىٰ وِتْرٍ؟. فقالوا: ألاَ تقومُ فتقولَ له؟.

قال: فقُمْتُ فقلتُ: يا عبدَ اللهِ، ما أراك تدْري تَنْصَرِفُ علىٰ شَفعٍ، أو علىٰ وِتْرٍ!.

قال: ولكنَّ اللهَ يدْري، سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقول: «**مَنْ سَجَدَ سَجْدَةً، كَتَبَ اللهُ له بها حسنةً، وحطَّ عنه بها خطيئةً، ورفع له درجةً**».

فقلتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فقال: أبو ذَرٍّ. فَرَجَعْتُ إلىٰ أصحابي، فقلتُ: جزاكُمُ اللهُ مِنْ جُلساءَ شَرًّا! ، أمرتموني أن أُعلِّمَ رجلاً من أصحابِ النبيِّ - ﷺ -!.

وأخرج الإمام التِّرْمذيُّ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٢) من حديث ثَوْبانَ مولىٰ رسولِ الله ﷺ - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: «**ما منْ عبد يسجدُ لله سجدةً إلاَّ كَتَبَ له بها حسنةً، ومحا عنه بها سيئةً، ورفع له بها درجةً؛ فاستَكثِروا من السُّجودِ**»

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٣) من حديث ربيعة بن كعبٍ - رضي الله عنه - قال: «كنتُ أَخْدُمُ رسولَ الله - ﷺ - نَهَاري، فإذا كان اللّيلُ أَوَيْتُ إلىٰ بابِ رسول الله - ﷺ -، فبِتُّ عندَهُ، فلا أزالُ أسمعُهُ يقول: «**سُبحانَ الله، سُبحانَ الله، سُبحانَ ربِّي**» حتىٰ أَمَلَّ، أو تَغْلِبَني عيني فأنامُ، فقال يومًا: «**يا ربيعةُ، سَلْني فأُعْطِيَكَ**».

فقلتُ: أَنْظِرْني حتَّىٰ أنْظُرَ، وتذكَّرْتُ أنَّ الدنيا فانيةٌ مُنقطعةٌ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أسألُكَ أنْ تدعُوَ اللهَ أنْ يُنجيني مِن النّارِ، ويُدخِلَني الجنَّةَ.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩٢).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٦).
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٨).

فسكت رسولُ الله -ﷺ-، ثم قال: «مَنْ أَمَرَك بهذا؟».

قلتُ: ما أَمَرني به أَحَدٌ، ولكنِّي علِمتُ أنّ الدُّنيا مُنطقعةٌ فانيةٌ، وأنت مِن اللهِ بالمكانِ الذي أنت منه؛ فأحببتُ أنْ تدعوَ اللهَ لي قال: «إنِّي فاعلٌ، فأعنِّي على نفسِك بكَثْرةِ السُّجُودِ».

وأخرج ابنُ حِبَّانَ في «صحيحه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] من حديث عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الجُهنيِّ -رضي الله عنه- قال:

جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ -ﷺ-، فقال: يا رسولَ الله، أَرَأَيْتَ إنْ شَهِدْتُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّكَ رسولُ الله، وصلَّيتُ الصَّلواتِ الخمسَ، وأدَّيتُ الزكاةَ، وصُمتُ رَمَضانَ وقُمْتُهُ، فممَّن أنا؟.

قال: «منَ الصِّدِّيقين والشُّهَداء».

ومن فضائلها أنها سبب للنجاة من النار:

فقد أخرج الطَّبراني في «الكبير» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث عبد الله بن مسعودٍ -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «يُبعثُ مُناد عنْدَ كُلِّ صلاة فيقولُ: يا بني آدمَ، قوموا فأَطْفئُوا {عنكم} ما أوقدتموه على أنفسكم، فيقومون، {فتسقُطُ خطاياهم من أَعْيُنِهم، ويُصلُّون، فيغفرُ لهم ما بَيْنَهُما، ثمَّ تُوقدون فيما بَيْنَ ذلك، فإذا كان عند الصَّلاة الأولى نادى: يا بني آدمَ، قوموا فأطفئوا ما أوقدتُم على أنفسكم، فيقومون فيتطهَّرون}، ويُصلُّون

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٦٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩).

الظُّهْرَ، فيغفر لهم ما بَيْنَهما، فإذا حَضَرَتِ العَصْرُ، فمثلُ ذلك، فإذا حضرت المغربُ فمثلُ ذلك، فإذا حَضَرَتِ العَتَمةُ فمثلُ ذلك، فينامون وقد غُفِرَ لهم، فمُدْلَجٌ في خيرٍ، ومُدْلَجٌ في شَرٍّ».

أيها الناسُ، تلك بعض فضائل الصلاة، فحافظوا عليها؛ فإنها آخِرُ وصيةٍ أوصى بها النبيُّ - ﷺ - أمَّتَهُ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»[1] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - أنها قالت: كان آخِرُ وصيَّةِ رسولِ الله - ﷺ -: «الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانُكُمْ». حتى جعل نبيُّ اللهِ - ﷺ - يُجَلْجِلُها في صَدْرِهِ، وما يفِيضُ بها لسانُهُ.

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٠)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٧/ ٢٣٨).



الخطبة الثانية

حكم تارك الصلاة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديث معكم عن بعض أهميَّة الصلاةِ، مع ذكر شيءٍ من فضائلها، والآنَ حديثي معكم عن حكم تاركها.

أيها الناسُ، لا شكَّ أنَّ تَرْكَ الصلاة المفروضة كُفْرٌ، فمن تركها جاحداً لوجوبها كَفَرَ كُفْرًا أكبرَ بإجماعِ أهل العلمِ، ولو صلَّى[1]، أمّا من ترك الصلاة بالكُلِّيَّة -وهو معتقدٌ وجوبَها ولا يَجْحَدُها- فإنه يكفرُ، والصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ كُفْرَهُ أكبرُ، يُخرجُ من الإسلام لأدلَّةٍ منها:

أوَّلاً: الأدلَّة من الكتاب العزيز:

قال الله -سبحانه وتعالى-: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾** [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فوجه الدِّلالة من الآية: أنه -سبحانه- أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحُكمه، ثمَّ ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضدُّ المسلمين، فقال: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** وأنهم يُدْعون إلى السجود لربِّهم -تبارك وتعالى-، فيُحالُ بينَهم وبينَه، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبةً لهم على ترك السجود له مع المُصلِّين في دار الدنيا، وهذا يدلُّ على أنهم مع الكفار والمنافقين، الذين تبقى ظهورهم -إذا سجد المسلمون-

---

(١) انظر «تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بأركان الإسلام» لسماحة الشيخ ابن باز (ص٧٣).

كـميـامن من البـقـر، ولـو كـانـوا من المسلمين، لأُذِنَ لهم بالسجـودِ كـمـا أُذِنَ للمسلمين»(١).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «ووجه الدلالة أنَّ الله ـ سبحانه ـ جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة، واتَّبع الشهوات، ولو كان من عُصاة المسلمين، لكانوا في الطبقة العُليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو أسفلها، فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفَّار»(٢).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فلمَّا كان الإسلام تصديقَ الخبر، والانقيادَ للأمر، جعل ـ سبحانه ـ له ضدَّين: عدمَ التصديق، وعدمَ الصلاة، وقابل التصديقَ بالتكذيب، والصلاةَ بالتولِّي، فقال: ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فكما أنَّ المُكذِّبَ كافرٌ، فالمُتولِّي عن الصلاة كافر، فكما يزولُ الإسلامُ بالتكذيب، يزول بالتولِّي عن الصلاة»(٣).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

قال المَرْوَزِيُّ ـ رحمه الله ـ: «فبيَّن أنَّ علامَة أن يكونَ من المشركين تركُ الصلاة»(٤).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

---

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص٥٣).
(٢) المرجع السابق (ص٥٧ ـ ٥٨).
(٣) المرجع السابق (ص٥٨).
(٤) «الصلاة» لمحمد بن نصر المَرْوَزِي (٢/ ١٠٠٥، ١٠٠٦).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فعلَّق أُخوَّتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا، لم يكونوا إخوةً للمؤمنين، فلا يكونوا مؤمنين لقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]»[١].

ثانيًا ـ الأدلة من السنة النبوية:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**إنَّ بيْنَ الرَّجُلِ، وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ**».

وأخرج الإمام النَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ، وابْنُ ماجَهْ[٣] بسندٍ صحيحٍ، عن بُرَيْدَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصلاةُ، فمَنْ تَركَهَا فقدْ كَفَرَ**».

وهذا الحديث ـ أيُّها الناسُ ـ وما قبلهُ ظاهرُ الدلالة جدًّا علىٰ كُفرِ تاركِ الصلاةِ.

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يُغيرُ إذا طلع الفجرُ، وكان يَسْمَعُ الأذانَ، فإنْ سَمعَ أذانًا أَمْسَكَ، وإلاَّ أَغارَ».

ووجه الدلالة: أنَّ عدمَ الأذانِ دليلٌ علىٰ عدمِ الصلاةِ، وأنَّ عدمَ الصلاةِ دليلٌ علىٰ أنَّ القريةَ مشركةٌ بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وظاهر هذا في الإغارةِ علىٰ المُشْرِكينَ.

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث عُبادةَ بنِ الصَّامت قال: «دعانا النبيُّ ـ ﷺ ـ، فبايعْناهُ، فكان فيما أُخَذَ علينا: أَنْ بايعَنَا علىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ في مَنْشَطنا ومَكْرَهنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرَةٍ علينا، وألاَّ نُنازعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهانٌ».

---

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص٥٨).
(٢) أخرجه مسلم (٨٢).
(٣) أخرجه النسائي (٤٦٣)، والترمذي (٢٦٢٣)، وابن ماجَهْ (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٠)، ومسلم (٣٨٢).
(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أمِّ سَلَمةَ ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «ستكونُ أُمَراءُ، فَتَعْرِفُون، وتُنْكِرون، فمن عَرَفَ بَرِئَ، ومَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، ولكنْ مَنْ رضيَ وتابعَ». قالوا: أفلا نقاتلُهم؟. قال: «لا، ما صلَّوْا».

ووجه الدلالة: أنَّ حديث عُبادةَ حرَّم مُنازعةَ وُلاةِ الأمور، إلا إذا أَتَوْا بكُفْرٍ بَوَاحٍ، فيه بيِّنةٌ وبُرهْانٌ من عند الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ أنَّه كُفْرٌ بَوَاحٌ. وفي حديث أُمِّ سَلَمةَ حرَّمَ النبيُّ ـ ﷺ ـ مُقاتلةَ الأُمراءِ، إلاَّ إذا تركوا الصلاة لقوله: «لا، ما صلَّوا».

فدلَّ مجموع الحديثين علىٰ أنَّ تاركَ الصلاة وقع في الكُفرِ البَوَاحِ، الذي قامت الأدلةُ علىٰ أنَّه كفرٌ صريحٌ، وهذا من أقوىٰ الأدلَّة، واللهُ أعلمُ.

ثالثًا ـ إجماع الصحابة على كُفر تارك الصلاة:

وقد حكىٰ إجماعَ الصحابةِ علىٰ كُفرِ تاركِ الصلاةِ غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سننه»[٢] عن عبد الله بن شقيق ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان أصحابُ محمَّدٍ ـ ﷺ ـ لا يَرَوْنَ شيئًا مِنَ الأعمالِ تَرْكُهُ كُفرٌ إلاَّ الصلاةَ».

أيها الناسُ، ذكرتُ لكمُ القولَ الراجح من أقوال أهل العلم.

وأمَّا من قال بَعَدمِ كُفْرِ تارك الصلاة فقولُهُ إنَّما يلتقي مع القول الراجح في أنَّ تَرْكَها من أعظم الأسباب المُوصِلة إلىٰ الكفر، فقد قال الإمام ابن الخراط وهو ممَّن يُرجِّح عدم كفر تارك الصلاة: «واعلم ـ رحمك اللهُ ـ أنَّ تَرْكَ الصلاة ـ وإنْ لم يكن كُفرًا كما قال أولئك رضوانُ الله عليهم ـ فإنه أعظمُ الأسبابِ المُوصِلَةِ إلىٰ الكُفْرِ، الداعيةِ إلىٰ شُؤْمِ العاقبةِ، وسُوءِ الخاتمة»[٣].

وأخيراً أسألُ اللهَ العظيمَ الحليمَ العليمَ، أنْ يُفقِّهَنا في الدِّينِ، ويجعلَنا هُداةً مُهْتدين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١).

(٣) «الصلاة والتهجد» لابن الخراط (ص٩٦).




الخطبة الأولى

صلاة الجماعة

إنَّ الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ حديثي معكمُ اليومَ حولَ صلاةِ الجماعةِ في المساجد، التي هي أفضلُ البقاعِ وأطهرُها على وَجْهِ الأرضِ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ

حسابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

أيها الناسُ، إنَّ صلاة الجماعة فرض عينٍ، وهذا هو المنصوص عن أئمة السَّلف وعلماءِ الحديث، لكنها ليستْ بشرطٍ لصحة الصلاة، فلو تركها المسلم بدون عُذرٍ يأثمُ، وصلاتُهُ صحيحةٌ.

والأدلَّة على وجوب صلاة الجماعة كثيرةٌ، فمنها:

قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ووجه الدلالة ـ أيها الناس ـ: أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أمرهم بالصلاة مع الجماعة، ثمَّ أعاد الأمرَ ثانيةَ في حقِّ الطائفة الثانية بقوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ وفي هذا دليل علىٰ أنَّ الجماعةَ فرضٌ علىٰ الأعيان، إذ لم يُسقطها ـ سبحانه ـ عن الطائفة الثانيةِ بفعل الأولىٰ، وهذا في حال الحرب والخوف، فكيف بحال السِّلْم والأمن؟!

لا شكَّ أنه أولىٰ وآكد، ولو كان أحدٌ يُسامحُ في ترك الصلاة مع الجماعة، لكان المُصافُّون للعدوِّ، المُهَدَّدون بهجُومِهِ عليهم أولىٰ بأنْ يُسْمَح لهم في ترك الجماعة، فلمَّا لم يقعْ ذلك عُلِمَ أنَّ أداءَ الصلاةِ مع الجماعة من أهمِّ الواجبات، وأنه لا يجوز التخلُّفُ عن ذلك[1].

ومن الأدلَّة ـ أيضًا ـ قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

فهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

---

(١) انظر «وجوب الصلاة مع الجماعة» لمحمد الحربي (ص١٣، ١٤).

قال العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ: «وهذه الآية نصٌّ في وجوب الصلاة مع الجماعة، والمشاركة للمصلِّين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط، لم تظهر مناسبةٌ واضحةٌ في ختم الآية بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية»[1].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]، فالأمر يقتضي الوجوب.

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: «ووجه الاستدلال بها: أنه ـ سبحانه ـ عاقَبهم يومَ القيامة بأن حَالَ بَيْنَهم وبَيْنَ السجودِ، لما دعاهم إلىٰ السُّجودِ في الدنيا، فَأَبَوْا أن يُجيبوا الداعيَ، إذا ثبت هذا فإجابة الداعي إتيان المسجد بحضور الجماعة، لا فعلُها في بيته وَحْدَهُ، فهكذا فسَّر النبيُّ ـ ﷺ ـ الإجابةَ، وقد قال غير واحدٍ من السلف في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ قال: هو قول المؤذِّن: حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح، وحيَّ هنا اسم فعل أمرٍ، معناه: أَقْبِلْ وأَجِبْ، وهو صريح في أنَّ إجابةَ هذا الأمر بحضور الجماعة، وأنَّ المُتخلِّفَ عنها لم يُجِبْهُ»[2].

وأمَّا الأدلة من السُّنَّة ـ أيها الناسُ ـ فأكثرُ من أنْ تُحْصَرَ، فمنها:

ما رواه الشَّيخان في «صحيحهما»[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

---

(١) انظر «ثلاث رسائل في الصلاة» للشيخ ابن باز (ص١٦).
(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٤٦٠، ٤٧٥).
(٣) رواه البخاري (٦٤٤) ـ واللَّفظ له ـ، ومسلم (٦٥١).

قال رسول الله - ﷺ -: «**والذي نفسي بيده، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بحطب فيُحْطَبَ، ثمَّ آمُرَ بالصلاة فيُؤَذَّنَ لها، ثمَّ آمُرَ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالفَ إلى رجالٍ فأُحرِّقَ عليهم بيوتَهُمْ، والذي نفسي بيده، لو يعلمُ أحدُهُم أنَّه يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا - أو مَرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ - لشَهِدَ العشاءَ**».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في «الفتح»: «وأمَّا حديثُ الباب فظاهرٌ في كونها فرضَ عينٍ؛ لأنَّها لو كانت سنّةً، لم يُهدِّدْ تاركَها بالتحريق المذكور، ولا يمكنُ أنْ يقع في حقِّ تاركي فَرضِ الكفاية كمشروعة قتالِ تاركي فرض الكفاية، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ الذي قد يُفضي إلى القتلِ أخصُّ من المقاتلة، ولأنَّ المقاتلة إنّما تُشرعُ فيما إذا تمالأ الجميعُ على الترك»[1] .

وقال الإمام ابن دقيق العيد - رحمه الله -: «فمن قال بأنها واجبة علي الأعيان قد يحتج بهذا الحديث، فإنَّه إن قيل بأنها كفايةٌ، فقد كان هذا الفرضُ قائماً بفعل رسول الله - ﷺ - ومن معه، وإن قيل إنَّها سنَّةٌ فلا يُقتلُ تاركُ السنن؛ فتعيَّن كونُها فرضًا على الأعيان»[2] .

وقال الإمام ابن المنذر - رحمه الله -: «وفي اهتمامه - ﷺ - بأن يُحرِّقَ على قومٍ تخلَّفوا عن الصلاة في المساجد أَبْينُ البيان على وجوب فرضِ الجماعة؛ إذ غيرُ جائزٍ أنْ يتهدَّدَ رسولُ الله - ﷺ - من تخلَّفَ عن ندبٍ، وعمَّا ليس بفرضٍ - قال: - ويُؤيِّدُه حديثُ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً خرج من المسجد بَعدَما أذَّن المُؤذِّنُ، فقال: «أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم» رواه مسلمٌ في «صحيحه». ولو كان المرءُ مُخيَّراً في ترك الجماعة وإتيانها لم يجزْ أنْ يُعصَى مَن تخلَّف عمَّا لا يجب عليه أن يحضرَهُ، وإنما لمَّا أمر الله - جلَّ ذكرُهُ - بالجماعة في حال الخوف، دلَّ على أنَّ ذلك في حال الأَمْنِ أَوْجبُ، والأخبارُ المذكورةُ في أبوابِ الرُّخصة لأصحاب الأعذارِ تدلُّ

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ١٢٥).
(٢) «إحكام الأحكام» (١/ ١٦٤).

على فرضِ الجماعة على مَنْ لا عُذْرَ له». اهـ[١].

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى النبيَّ - ﷺ - رجلٌ أعمى، فقال: يا رسول الله، ليس لي قائدٌ يقُودني إلى المسجدِ، فسأل رسول الله - ﷺ - أن يُرخِّصَ له، فيُصلِّيَ في بَيْتِه، فرخَّصَ له، فلمَّا ولَّى دعاه، فقال: «هَلْ تسمعُ النِّداءَ بالصلاة؟» فقال: نَعَمْ. قال: «فَأَجِبْ».

قال الإمام ابن قُدامةَ - رحمه الله - في «المغني»:

«وإذا لم يُرخِّصْ للأعمى الذي لم يجدْ قائدًا، فغيرُهُ أَولى»[٣].

أيها الناسُ، إنَّ النبي - ﷺ - لم يُرخِّص للأعمى في ترك صلاة الجماعة في المسجد، مع ما أبداه من الأعذار: مِنْ كونِهِ كفيفَ البصر، وليس له قائدٌ يُلازِمُهُ، ومن كون دارِهِ بعيدةً، وأنَّ بَيْنَهُ وبين المسجد واديًا، ومنْ أنَّ المدينة كثيرةُ الهوامِّ والسِّباع، ورغم هذه الاعتباراتِ كُلِّها لم يُرَخِّصْ له النبيُّ - ﷺ -، بل قال: «هل تسمعُ النداءَ؟» قال: نعم. قال: «فَأَجِبْ»[٤].

أخرج الإمام أبو داودَ بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٥] من حديث ابن أمِّ مكتومٍ - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أنا ضريرٌ (أي: أعمى)، شاسعُ الدَّارِ (أي: بعيدُ الدار)، ولي قائد لا يلايمُني (أي: لا يُلازِمُني)، فهل تجدُ لي رخصةً أن أُصلِّيَ في بيتي؟ قال: «تسمعُ النِّداءَ؟». قال: نَعَمْ. قال: «ما أجدُ لك رُخْصةً».

---

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٨٦).
(٢) رواه مسلم (٦٥٣).
(٣) «المغني» (٢/ ١٣٠).
(٤) انظر «صلاة الجماعة» للسدلان (ص٦٣).
(٥) أخرجه أبو داودَ (١/ ١٥١)، والنسائيُّ (٢/ ١٠٩)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» بسند حسنٍ (٤٢٩).

قال ابن المنذر ـ رحمه الله ـ :

«ذِكْرُ حضور الجماعة على العُميان ـ وإن بَعدتْ منازلهم عن المسجد ـ يدلُّ ذلك على أنَّ شهودَ الجماعة فرضٌ لا ندبٌ، وإذا قال لابن أمِّ مكتوم ـ وهو ضريرٌ ـ: ـ «لا أجدُ لك رُخْصةً»، فالبصيرُ أولى ألاَّ تكونَ له رُخْصةٌ» [١] .

وقال الإمام الخطَّابي في «معالم السنن» [٢] :

«وفي هذا دليل على أنَّ حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبًا لكان أولى منْ يَسعُهُ التخلفُ عنها أهلُ العذرِ والضّعفِ، ومن كان في مثل حال ابن أمِّ مكتومٍ» .

قال الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «فهذا الدليل مبنيٌّ على مقدِّمتين:

إحداهما ـ أنَّ هذه الإجابة واجبة .

والثانية ـ لا تَحصُلُ إلاَّ بحضور الجماعة، وهذا هو الذي فهمه أعلم الأمَّة وأفقههم من الإجابة، وهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، فقال ابن المُنذر في كتابه «الأوسط»: روينا عن ابن مسعود وأبي موسى أنهما قالا: مَنْ سَمعَ النِّداء، ثمَّ لم يُجِبْ، فإنه لا تُجاوزُ صلاتُهُ رأسَهُ إلاَّ من عُذْرٍ» [٣] .

قال: ورُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالتْ: «مَن سمعَ النِّداءَ، فلم يُجِبْ، لم يُرِد خيرًا، ولم يُرَدْ بِهِ» [٤] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «لأَنْ تمتلئ أُذُنا ابنِ آدَمَ رصاصًا مُذابًا خيرٌ له من أنْ يسمعَ النِّداءَ، ثمَّ لا يُجيبَهُ» .

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (٤٦١) .
(٢) «معالم السنن» (١/ ١٦٠، ١٦١) .
(٣) «مجمع الزوائد» (٢/ ٤٢) .
(٤) «سنن البيهقي» (٣٦/ ٥٧) .

فهذا وغيره يدلُّ أنَّ الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة، وأنَّ المُتخلِّفَ عنها غيرُ مجيبٍ، فيكون عاصيًا»[١] .

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»، و«صحيح سنن أبي داود»[٢] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: **«مَنْ سَمِعَ النِّداء، فلم يُجِبْ، فلا صلاةَ له إلا مِنْ عُذْرٍ»**.

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث معدان بن أبي طلحةَ اليعمريِّ قال: قال لي أبو الدَّرداء: أين مسكنُك؟ فقلتُ: في قريةٍ دُونَ حِمْصَ. فقال أبو الدَّرداء - رضي الله عنه - سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: **«ما مِنْ ثلاثة في قرية ولا بَدْوٍ لا تُقامُ فيهمُ الصَّلاةُ - إلاَّ قد استَحْوَذَ عليهمُ الشيطانُ؛ فعليك بالجماعةِ، فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ القاصيةَ»**.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فوجه الاستدلال: أنه أخذ باستحواذ الشيطان عليهم بترك الجماعة، التي شعارها الأذانُ وإقامةُ الصلاةِ، ولو كانت الجماعةُ ندبًا - يُخيَّرُ الرجلُ بين فعلِها وتَرْكِها - لما استحوذ الشيطان على تاركها، وتارك شعارِها»[٤] .

فدلَّتْ هذه النصوصُ - السالفةُ الذِّكر من القرآن الكريم والسنة النبوية - على وجوب صلاة الجماعة، وأنه لا يجوز التخلُّفُ عنها إلا لعُذْرٍ: كالمرض، أو الخوف، وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو ظاهر مذهب الإمام

---

(١) «كتاب الصلاة» (ص٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

(٣) «المستدرك» (٢/ ٤٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

(٤) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص٤٦١).

أحمدَ، وبه قال الشافعيُّ، وقد أُثِرَ عنه أنه قال: «وأمَّا الجماعة فلا أُرَخِّصُ في تركها إلا من عُذْرٍ» نقل ذلك عنه المُزَنيُّ - رحمه الله -، ويتبيَّنُ ممَّا تقدَّم أنَّ الأئمَّة الأربعة - رحمهم الله - اتَّفقوا على وجوبِ صلاةِ الجماعةِ، وأنَّ تاركَها بدون عُذْرٍ آثمٌ، وإن اختلفت عباراتُهم، ويشهد لذلك كلامُ الله - سبحانه وتعالى -، وسنةُ رسولِه - ﷺ -، ولا كلامَ لأحدٍ مع كلامِ اللهِ، وسنَّة رسولِه - ﷺ - الثابتةِ عنه.

وأستغفرُ اللهَ.



الخطبة الثانية



فضل صلاة الجماعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ سبق الحديث معكم في وجوب صلاة الجماعة،

وفيما يأتي بيانُ فضلها.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**مَنْ غَدَا إلى المسجد - أو رَاحَ - أعدَّ اللهُ لهُ في الجنَّة نُزُلاً، كُلَّما غَدَا - أو رَاحَ -**».

والنُّزُلُ: هو ما يُهيَّأُ للضيف من كرامةٍ عند قُدُومِه.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**مَنْ تطهَّر في بَيْته، ثمَّ مَضى إلى بيت من بُيُوت الله؛ ليَقْضيَ فريضةً من فرائض الله - كانت خطواتُه إحْدَاها تحطُّ خطيئةً، والأخرى تَرفَعُ درجةً**».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أُبيِّ بن كَعْبٍ - رضي الله عنه - قال: «كان رجلٌ من الأنصار، لا أعلمُ أحداً أبعدَ من المسجد منهُ، وكانتْ لا تُخْطئُهُ صلاةٌ (أي: لا تَفُوتُهُ). فقيل له: لو اشتريتَ حِماراً تركَبُهُ في الظَّلماء وفي الرَّمْضَاء. قال: ما يَسُرُّني أنَّ منزلي إلى جَنْبِ المسجد؛ إنِّي أُريدُ أن يُكْتَبَ لي ممشايَ إلى المسجد، ورُجوعي إذا رَجعتُ إلى أهلي.

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٢٤)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) رواه مسلم (٦٦٦).

(٣) رواه مسلم (٦٦٣).

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: «خَلَتِ البِقاعُ حَوْلَ المسجدِ فأراد بنُو سلمةَ أن ينتقلوا إلى قُرْبِ المسجد، فبلغ ذلك النبيَّ - ﷺ - فقال لهم: «إنَّهُ بلَغني أنَّكُمُ تريدون أنْ تنْتقلُوا قُرْبَ المسجد؟! قالوا: نَعَمْ - يا رسولَ اللهِ - قد أردنا ذلك فقال: «يا بني سَلَمَةَ، دِيارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دياركم تُكْتَبْ آثارُكُم» فقالوا: ما كان يسرُّنا أنّا كنَّا تحوَّلْنا.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ أعظمَ النَّاسِ أجْرًا في الصلاةِ أبعدُهُمْ إليها مَمْشىً، فأبعَدُهُمْ».

وأخرج أبو داودَ، والتِّرمذيُّ بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «بَشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلَم إلى المساجدِ بالنُّورِ التامِّ يومَ القيامةِ».

وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «ألاَ أدُلُّكُمْ على ما يَمْحو اللهُ به الخطايَا، ويَرفعُ بِهِ الدَّرجاتِ؟». قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: «إسباغُ الوُضُوءِ على المَكَارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، فذلكُمُ الرِّباطُ، فذلكُمُ الرِّباطُ».

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «صلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفَذِّ (أي: الواحدِ) بسبْعٍ وعشرين درجةً».

---

(١) رواه مسلم (٦٦٥).
(٢) رواه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٦٦٢).
(٣) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣).
(٤) رواه مسلم (٢٥١).
(٥) رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦).

وفي «الصحيحين» - أيضًا -[(١)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**صلاةُ الرَّجلِ في جماعة تُضعَّفُ على صلاته في بيته، وفي سُوقه خَمْسةً وعشرين ضعفًا؛ وذلك أنَّه إذا توضَّأَ، فأحسَنَ الوُضُوءَ، ثمَّ خَرَجَ إلى المسجد، لا يُخْرِجُهُ إلاَّ الصَلاةُ - لم يَخْطُ خُطْوةً إلا رُفِعتْ له بها دَرَجةٌ، وحُطتْ عنه بها خطيئةٌ، فإذا صلَّى، لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليه، ما دام في مُصلاَّه، ما لم يُحْدِثْ، تقولُ: اللهمَّ صَلِّ عليه، اللهمَّ ارحمهُ، ولا يزالُ في صلاة، ما انتظرَ الصلاةَ**».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عُثْمانَ بْنِ عفَّانَ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «**مَنْ صلَّى العشاءَ في جماعة، فكأنَّما قام نصفَ الليلِ، ومن صلَّى الصُّبحَ في جماعة، فكأنَّما قام اللَّيلَ كُلَّهُ**».

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «**ولو يَعلَمونَ ما في العَتَمَة (أيِ: العِشاءِ) والصُّبحِ لأَتَوْهُما، ولو حَبْوًا**».

وأخرج الإمام أحمدُ في «مسنده» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٤)] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**إنَّ الله - تبارك وتعالى - ليعجبُ من الصلاة في الجمعِ**»

وروىٰ ابن خزيمة في «صحيحه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٥)] من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «**من توضَّأ، فأسبغ الوُضُوءَ، ثمَّ مشى إلى صلاةٍ مكتوبةٍ، فصلاَّها مع الإمام - غُفِرَ له ذنبُهُ**».

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١١٢)، ومسلم (٦٤٩).
(٢) رواه مسلم (٦٥٦).
(٣) رواه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٤٣٧).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ( )، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٦).
(٥) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» ( )، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٧).

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ صلى لله أربعين يومًا في جماعة، يُدْرِكُ التكبيرةَ الأُولى - كُتِبَ له براءتان: براءةٌ من النار، وبراءة من النِّفاق».

وأخرج الإمام الترمذي - أيضًا - في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - «أتاني اللَّيلةَ ربِّي (أي: في المنام) (وفي روايةٍ: رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورة) فقال لي: يا محمَّدُ. قلتُ: لبَّيكَ - ربِّ - وسَعْدَيْكَ. قال: هل تدري فيما يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أعلمُ. فوضعَ يَدَهُ بينَ كتفيَّ، حتى وجدتُ بَرَدَها بَيْنَ ثَدْيَيَّ - أو قال: في نحري - فعلمتُ ما في السموات وما في الأرض - أو قال: ما بين المشرق والمغرب - قال: يا محمَّدُ، أتدري فيم يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: نعم، في الدَّرجات، والكفَّارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوُضُوء في السَّبَرات (أي: الغَدَوَاتِ الباردات)، وانتظار الصلاة بَعْدَ الصلاة، ومن حافظ عليهنَّ عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولَدَتْهُ أُمُّهُ. قال: يا محمَّدُ قلت: لبَّيكَ وسَعْدَيْكَ. فقال: إذا صلَّيت قُلْ: اللهمَّ إني أسألُك فعْلَ الخَيْرات، وتَرْكَ المُنْكَرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادكَ فتنةً، فاقبضني إليك غيرَ مَفْتُون. قال: والدَّرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاةُ باللَّيلِ والناسُ نيام».

وأخيرًا أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يفقهنا في الدين، ويستعملَنا في طاعته.

---

(١) الترمذي (٢٤١)، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٩).
(٢) رواه الترمذي (   )، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٨).



الخطبة الأولى

من أخطاء الناس في الصَّلاة



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها النَّاسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن بعض أخطاءِ الناس في الصلاة.

أيها الناسُ، الصلاةُ أمرُها عظيمٌ، فهي عمود الدِّين، وأهمُّ الواجبات بعد التوحيد، بصلاحها يصلحُ عملُ المسلم كُلُّهُ، ومتى فسدَتْ فَسَدَ العملُ كُلُّهُ.

فعلينا الانتباه لبعض الأخطاء، وذلك بعرض صلاتنا كُلِّها على الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، فمن الأخطاء ما تكون سببًا لنقص أجرها، ومن الأخطاء ما تكون سببًا لعدم قَبُولِها، ومن الأخطاء ما تكون سببًا للوِزْرِ والإثم.

فمن الأخطاء ـ أيها الناسُ ـ أنْ يُصلِّيَ الرجلُ مُسبِلَ الإزار، وهذ خطأ، قد ورد النَّهيُ الشديدُ عن ذلك.

ففي «مسند أحمد»، وسنن النَّسائيِّ، وسنن أبي داود **بسند صحيح**[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بَيْنما رجلٌ يُصلِّي مسبلاً إزارَهُ، قال له رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**اذهبْ فتوضَّأْ**» فذهب فتوضَّأ، ثمَّ جاء، فقال: «**اذهبْ فتوضَّأْ**».

فقال له رجلٌ: يا رسولَ الله، مالك أمَرْتَهُ أنْ يتوضَّأ؟ ثمَّ سكتَ عنه، قال: «**إنَّه كان يُصَلِّي، وهو مسبلٌ إزارَهُ، وإنَّ اللهَ لا يقبلُ صلاةَ رجلٍ مُسْبلٍ إزارَهُ**».

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ووجه هذا الحديث ـ واللهُ أعلم ـ أنَّ إسبال الإزار معصيةٌ، وكلُّ من وقع في معصيةٍ فإنه يُؤمَرُ بالوضوءِ؛ فإنَّ الوُضُوءَ يُطفِئ حريق المعصية»[٢].

وأخرج أبو داودَ في «سننه» **بسند صحيح**، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ أسْبَلَ إزارهُ في صلاته خُيَلاءَ، فليس من اللهِ في حِلٍّ ولا حرامٍ**».

أي: لا ينفع للحلال، ولا للحرام، فهو ساقط من الأعين، ولا يُلتفتُ إليه، ولا عِبْرةَ به، ولا بأفعاله[٤].

وقد يسبقُ إلى الذِّهنِ ـ أيها الناسُ ـ أنَّ الإسبال يكونُ في الإزار فَقَط، وهذا غلط؛ **فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ:** «الإسبالُ يكون في السراويل

---

(١) «المسند» (٤/ ٦٧)، والنسائي «كتاب الزينة» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ١٨٨).
(٢) «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم (٦/ ٥٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٦٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠١٢).
(٤) «انظر فيض القدير» للمناوي (٦/ ٥٢).

[أي البنطلون]، والإزار، والقميص»[1] .

وقال ابن باز ـ رحمه الله ـ في الإسبال بالبنطلون: «الأحاديث الصحيحة المانعة من الإسبال تَعُمُّه بمنطوقها، وبمعناها، وبمقاصدها»[2] .

ومن أخطاء الناس في الصلاة تخصيص مكانٍ للصلاة في المسجد:

وهذا العمل مَنْهِيٌّ عنه، فقد أخرج أحمدُ في «مسنده»، والدَّارميُّ في «سننه»، وابن حِبَّانَ في «صحيحه»[3] بسندٍ صحيح من حديث عبد الرحمن بن شِبْلٍ قال: «نهىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ عن نقرةِ الغُرابِ، وافتراشِ السَّبُعِ، وأنْ يُوَطِّنَ الرجلُ المكانَ في المسجدِ، كما يُوَطِّنُ البَعيرُ».

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «لا ينبغي للرجل أنْ يتَّخذَ لنفسِهِ مكانًا خاصًّا في المسجد، لا يُصلي إلا فيه، كالبعير لا يَبْرُكُ إلاَّ في مَبْرَكٍ اعتاده»[4] .

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدمُ الصلاة إلى السُّترة:

والسُّتْرةُ واجبةٌ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلةٍ، منها:

ما رواه مسلم[5] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«لا تُصَلِّ إلاَّ إلى سُتْرةٍ، ولا تَدَعْ أحدًا يمرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فإنْ أبى فَلْتُقاتِلْهُ؛ فإنَّ معه القَرِينَ»**.

وفي «صحيح البخاري»[6] عن قُرَّةَ بْنِ إياسٍ قال: «رآني عُمَرُ، وأنا أُصلِّي بَيْنَ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٢٢/ ١٤٤).

(٢) «فتاوىٰ ابن باز» (ص٢١٩).

(٣) «المسند» (٣/ ٤٢٨، ٤٤٤)، و«سنن الدارمي» (١/ ٣٠٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦).

(٤) انظر «تهذيب سنن أبي داود» (١/ ٤٠٨) لابن القيم.

(٥) أخرجه مسلم (٥٠٦).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٥٧٧ مع الفتح).

أُسْطُوَانتين، فأخذ بقفائي، فأدناني إلىٰ سُتْرةٍ، فقال: صلِّ إليها».

قال الحافظ ابن حجر: «أراد عمر بذلك أن تكون صلاتُه إلىٰ سُتْرةٍ»[١].

وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: «لقد رأيتُ كِبارَ أَصْحابِ النَّبيِّ - ﷺ - يَبْتدِرونَ السَّواريَ عندَ المَغْربِ، حتَّىٰ يخرُجَ النبيُّ - ﷺ -».

وفي رواية عند البخاري[٣] - أيضًا -: «وهم كذلك يُصلُّون الرَّكعتينِ قَبْلَ المغربِ».

وطولُ السُّترةِ المُجْزئةِ - أيها الناسُ - طولُ مُؤَخَّرةِ الرَّحلِ: أي شِبْرانِ على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلةٍ، منها:

أخرج الإمام مسلم[٤] في «صحيحه» من حديث طَلْحَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إذا وضع أحدُكم بَيْنَ يدَيْه مِثْل مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ، ولا يُبَالِ مَنْ مَرَّ وراء ذلك**».

وأخرج الإمام مسلم[٥] في «صحيحه» من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: سُئِلَ رسولُ اللهِ - ﷺ - في غزْوَةِ تَبُوكَ عن سُتْرةِ المُصلِّي، فقال: «كمُؤْخِرةِ الرَّحلِ».

وهنا تنبيهٌ مُهمٌّ: وهو أنَّ حديث اتخاذ الخطِّ سُتْرةً ضعيفٌ، وعليه فلا يُجزئ الخطُّ عن السُّترة.

وهنا تنبيه آخَرُ: وهو أنَّ المأمومَ لا تجبُ عليه السُّترةُ، والسُّتْرةُ في صلاةِ الجماعة من مسئولية الإمام.

---

(١) «الفتح» (١/ ٥٧٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥).
(٤) أخرجه مسلم (٤٩٩).
(٥) أخرجه مسلم (٥٠٠).

ومن أخطاء الناس في الصلاة كَثْرةُ الحركة والعبث في الصلاة:

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن سَمُرةَ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - رأىٰ أقوامًا يعبثون بأيديهم في الصلاة، ويُحرِّكُونها من غيرِ حاجةٍ، فقال لَهُمْ: «مالي أراكم رافعي أَيْديكم، كأنَّها أَذْنابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟! اسْكُنوا في الصلاة».

ومعنىٰ شُمس: هي التي لا تستقرُّ، بل تضطرب وتتحرَّك بأذنابها وأرجلها، ففي هذا الحديث الأمر بالسكون في الصلاة، والخشوعِ فيها، والإقبالِ عليها.

ومن أخطاء الناس في الصلاة أكل الثُّوم والبَصَلِ، وكلٍّ ما يُؤذي المُصلِّين قبْلَ الحضور للجماعة، وقد ورد النَّهيُ الشديدُ عن ذلك:

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال في غَزْوَةِ خَيْبَرَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هذه الشَّجَرةِ - يعني الثُّومَ - فلا يَقْرَبَنَّ مسجدَنا».

وفي «صحيح البخاريِّ»[٣] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أو بَصلاً فَلْيَعتزِلْنا - أو قال: فَلْيَعْتَزِلْ مسجدَنا - وَلْيَقْعُدْ في بيتِه».

وفي روايةٍ عند مسلمٍ[٤]: «مَنْ أَكَلَ من هذه الشجرةِ المُنتنة، فلا يَقْرَبَنَّ مسجدَنا؛ فإنَّ الملائكةَ تأذَّى ممَّا يتأذَّى منْهُ الإنسُ».

ففي هذه الأحاديث وغيرها كراهيةُ أكلِ الثُّوم والبَصَلِ، فيلحقُ بذلك كُلُّ ما له رائحةٌ كريهةٌ من المأكولاتِ وغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).
(٢) أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٨٥٤).
(٤) أخرجه مسلم (٥٦٤).

قال العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ: «هذا الحديث ـ وما في معناه من الأحاديث الصحيحة ـ يدلُّ على أنَّ كراهةَ حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحةُ توجدُ منه ظاهرة، تُؤذي مَنْ حَولَهُ، سواء كان ذلك من أكل الثُّوم، أو البَصَل، أو الكُرَّاث، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة: كالدخان، حتى تذهبَ الرائحةُ... مع العلم بأنَّ الدُّخانَ ـ معَ قبح رائحته ـ هو مُحرَّم لأضرارِهِ الكثيرة، وخُبثه المعروف، وهو داخل في قوله ـ سبحانه ـ عن نبيِّه ـ ﷺ ـ في سورة الأعراف: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ويدلُّ على ذلك ـ أيضًا ـ قولهُ ـ سبحانه ـ في سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعُلِمَ بذلك أنه من المحرمات على الأُمَّة»[(١)].

قال الشيخ مشهور بن حسن ـ حفظه الله ـ: «والأقبح من جميع ما ذُكِرَ رائحةُ الجوارب، التي تنبعث من بعض المصلين، فهي أسوأ رائحةً من رائحة الثُّوم والبصلِ.

وإنَّ من قلَّة الذوق، ومن مخالفة قوله ـ ﷺ ـ: «فإنَّ اللهَ أحقُّ أنْ يُتزيَّنَ لهُ».أنْ يأتي المصلِّي، وثيابُهُ مُتَّسخةٌ، فلا يُنظِّفها قبل أن يدخلَ المسجدَ، ثمَّ يُزاحم الآخرين بهذه الثيابِ القَذِرةِ، التي رُبَّما تنبعث منها الرائحةُ الكريهةُ»[(٢)]

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم إتمام الصفوف:

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألا تَصفُّونَ كما تصفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟» فقلنا: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) «فتاوى ابن باز» (١/ ٨٢).
(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص٢٠٠).
(٣) أخرجه مسلم (٤٣٠).

وكيف تصفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال: «يُتمُّونَ الصفُوفَ الأوَّلَ فالأوَّلَ، ويتراصُّون في الصفُوفِ».

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث بُشَيْر بن يَسارٍ الأنصاريِّ عن أنسٍ: أنَّه قَدِمَ المدينةَ، فقيل له: ما أَنْكَرْتَ منَّا مُنْذُ يوم عَهِدْتَ رسولَ الله -ﷺ-؟

قال: «ما أنكرتُ شيئًا إلا أنكم لا تُقيمُون الصفُوفَ».

وأخرج أبو داود في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح[2] عن النُّعْمانِ بن بشيرٍ -رضي الله عنه- قال: أقْبلَ رسولُ الله -ﷺ- على النَّاس بوجهه فقال: «أقيموا الصفُوفَ -ثلاثًا- واللهِ، لتُقيمُنَّ صفُوفَكُمْ، أو ليُخالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُم».

قال النعمان: «فرأيتُ الرَّجُلَ يُلصقُ مَنكِبَهُ بمنكِبِ صاحبِهِ، ورُكْبَتَهُ بركبةِ صاحبِهِ، وكَعْبَهُ بكعبِهِ».

قال الألباني -رحمه الله-: «وفي هذين الحديثين فوائدُ هامةٌ:

الأولى - وجوبُ إقامةِ الصفُوف وتسويتها والتراصِّ فيها للأمر بذلك، والأصلُ فيه الوجوب»[3].

وقد جاء الترهيب من قطع الصفِّ،

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[4] من حديث ابن عُمر -رضي الله عنهما- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: **«أقيموا الصفُوف، وحاذُوا بيْنَ المناكبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، ولا تَذَرُوا فُرجاتٍ**

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٢)، وابن حبان (٣٩٦).
(٣) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٠، ٤١).
(٤) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).

للشيطان، منْ وصَلَ صفًّا وصَلَهُ اللهُ، ومن قطع صفًّا قطعهُ اللهُ».

والفُرجات: هي المكان الخالي بين الاثنين. والخَلَلُ: هو ما يكونُ بينَ الاثنين من اتساعٍ عندَ عدمِ التَّراصِّ.

ومن أخطاء الناس في الصلاة القُنُوتُ الراتبُ في صلاة الفجر، وتركُهُ عند النوازل:

وقد اعتمد القائلون بمشروعية القُنوت في صلاة الفجر على حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما زال رسول الله ـ ﷺ ـ يَقنتُ في الصبح، حتى فارق الدنيا».

وهذا الحديث ـ أيها الناسُ ـ لم يصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ؛ لأنَّ مدارهُ على أبي جَعْفَر الرازي، وأبوجعفر الرازي ضعيف الحديث عند أهل العلم، قال عنه المحدِّث ابن المَدينيِّ: «كان يَخْلِطُ». وقال أبو زُرْعَةَ: «كان يَهِمُ كثيراً». وقال ابن حبَّانَ: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير»[1].

أيها الناسُ، هذا الحديث جاء عن أنس بن مالكٍ، فهو يُناقضُ ما جاء في «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس بن مالكٍ ـ أيضًا ـ قال: قَنتَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ شهراً؛ يدعو على أَحْياءٍ من أَحياءِ العَرَبِ، ثمَّ تَرَكَهُ».

فانظر ـ يا عبد الله ـ إلى قوله في الحديث الصحيح: «ثمَّ تركه»، فعلامَ نترك الحديثَ الصحيحَ، ونعملُ بالحديث الذي لم يصحَّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ البتَّةَ؟!

ألاَ يَسَعُنا ما وَسِعَ ـ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ وأصحابَهُ؟!

---

(١) انظر «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٢٠)، و«الضعيفة» (١٢٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٤).

ومن أخطاء المصلين ـ أيها الناسُ ـ أن يكبِّرَ تكبيرةَ الإحرامِ وهو راكع: وهذا خطأ، فالأصل أنَّ تكبيرةَ الإحرام تُفعلُ من قيامٍ، ثمَّ يركع بعدها، وإذا جاء المصلِّي، ووجد الإمام راكعًا فإنه يكبِّر تكبيرةَ الإحرام قائمًا، ثمَّ يركعُ معه بتكبيرةٍ ثانيةٍ، وإن اقتصرَ على تكبيرة الإحرام، أجزأتهُ صلاتُهُ.

ومن أخطاء الناس في الصلاة إذا جاء المأموم والإمام ساجدٌ،فإنه ينتظره حتى يقومَ، أو يجلس: وهذا خطأ، والأصل إذا وجد المسبوقُ الإمامَ على أيِّ حالٍ من الصلاة دخل معه؛ لما في «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «الإرواء»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا جئتُم إلى الصلاة ـ ونحن سُجُودٌ ـ فاسجدوا، ولا تعدُّوها شيئًا**».

وأستغفر الله.

(١) رواه أبو داود (٨٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٩٦).




الخطبة الثانية

مِنْ أخطاءِ النَّاس في صلاةِ الجُمُعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ معكم عن بعض أخطاء الناسِ في الصلاة، وفيما يأتي ذِكْرُ بعض أخطاء الناس في صلاة الجُمُعة.

فمن أخطاء الناس في صلاة الجمعة التهاون عن الحضور للجُمُعة: وهذا أمر خطير، ألاَ يخشى هذا المُتخلِّفُ من أن يطبعَ اللهُ على قلبه.

فقد أخرج أبو يعلى في «التلخيص الحبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] من حديث محمّد بن عبد الرحمن بن زُرارةَ قال: سمعتُ عمِّي يقول: قال رسول الله - ﷺ -: **«من سمع النداء يومَ الجُمُعة، فلم يأتِها، ثمَّ سَمِعَهُ، فلم يأتِها، ثمَّ سَمِعَهُ، فلم يأتِها - طَبَعَ اللهُ على قلبه، وجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ منافقٍ»**.

أخرج الترمذي، وأبو داود، وابن ماجَهْ بسندٍ صحيح[2] من حديث أبي الجَعْدِ الضَّمْرِيِّ - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: **«مَنْ تركَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاونًا بها، طبعَ اللهُ على قلبِهِ»**.

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة تركُ التبكير لصلاةِ الجُمعة:

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود» بسندٍ صحيح[3] من حديث أَوْسِ بنِ

(١) رواه أبو يعلى في «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجه (١١٢٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٤)، وأبو داود في «سننه» (٣٤٥).

أوسٍ قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ غسَّل يومَ الجُمُعة واغتسلَ، وبكَّرَ وابْتَكَرَ، ومَشى ولم يركبْ، ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغُ - كان له بكُلِّ خُطْوةٍ أَجْرُ سنةٍ: صيامها وقيامها».

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «إذا كان يومُ الجُمُعة، وقفت الملائكةُ على بابِ المسجد، يكتبون الأوَّلَ فالأوّلَ، ومَثَلُ المُهَجِّرِ كمَثَلِ الذي يُهْدي بَدَنَةً، ثمَّ كالَّذي يُهدي بقَرَةً، ثمَّ كَبْشًا، ثمَّ دَجَاجةً، ثمَّ بَيْضةً، فإذا خرج الإمام طَوَوْا صُحُفَهُمْ، ويستمعون الذِّكْرَ».

ومن أخطاء المصلين في صلاة الجُمعة تركُ الاغتسالِ، والتزيُّنِ والتطيُّبِ، والتسوُّكِ لصلاة الجُمعة، وهذا مخالف لهديِ النبيِّ - ﷺ -:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدْريِّ عن أبيه، أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «غُسلُ يومِ الجُمُعةِ واجبٌ على كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وسواكٌ، ويَمَسُّ من الطِّيب ما قَدَرَ عليه».

وغُسْلُ يومِ الجُمعة - أيها الناس - واجبٌ على الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ - رحمه الله -: «ويُستحبُّ الغُسلُ في ذلك اليوم - أي: الجُمُعةِ - وعند جماعةٍ يجبُ، ودليلُ وجوبِهِ أقوى من دليلِ وجوبِ الوترِ»[٣].

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعة تركُ التزيُّنِ بأحسن ما يجدُ من الثياب:

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٤] من حديث عبد الله بن سَلاَمٍ - رضي الله عنه - أنه سمع النبيَّ - ﷺ - يقول على

---

(١) البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) رواه مسلم (٨٤٦).

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٣٧٦).

(٤) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٥).

المِنبر يومَ الجُمُعةِ: «ما على أحدِكم لو اشترى ثوبين ليومِ الجُمُعةِ سِوى ثوبي مِهْنته؟».

أيها الناس، علينا أن نحذر من اللِّباس الذي هو من خصائص الكفَّار.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - حينما رأىٰ رسولُ الله - ﷺ - عليه ثوبين مُعَصْفَرَينِ (أي: مَصْبُوغين بالعُصْفُر) قال: «إنَّ هذه من ثيابِ الكفَّارِ؛ فلا تَلْبَسْهَا».

ومن اللباس الذي هو من خصائص الكفار اليومَ وشعارِهمُ البنطلون.

قال الإمام الألباني - رحمه الله -: «والبنطلون فيه مُصيبتان:

المصيبة الأولى - هي أنَّ لابسَهُ يتشبَّهُ بالكفَّار؛ فما عَرَفَ المسلمون «البنطلون» إلاَّ حينما استُعمِروا، ثمَّ لَمَّا انسحب المُستعمرون، تركوا آثارهمُ السَّيِّئة، وتبنَّاها المسلمون بغباوتهم وجهالتهم.

والمصيبة الثانية - هي أنَّ «البنطلون» يُحجِّم العورة، وعورة الرَّجلِ من الركبة إلىٰ السُّرةِ، والمُصلِّي يُفْترضُ عليه أن يكون أبعد ما يكونُ عن أن يعصيَ الله، وهو له ساجدٌ، فترىٰ إليَتَيْهِ مُجسمتين، بل وترىٰ ما بَيْنهما مُجسَّمًا، فكيف يُصلِّي هذا الإنسان ويقف بين يدي ربِّ العالمين؟!»[2].

ومن التشبُّه ما يفعلهُ بعض الناس من التزيُّن بحلق اللِّحية، فهو معصية، ومخالفةٌ للأدلةِ التي أَمرَتْ بإطلاقها، كما أنَّ التزيُّن بحلقِ اللِّحية من خصائص الكفَّار الذي أمرنا نبيُّنا - ﷺ - بمخالفتهم.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «جُزُّوا الشَّوارِبَ، وأرخُوا اللِّحى؛ خالِفوا المجُوسَ».

---

(١) رواه مسلم (٢٠٧٧).
(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص٢٠، ٢١).
(٣) رواه مسلم (٢٦٠).

ومن أخطاء الناس في صلاة الجُمعةِ تخطِّي الرِّقاب:

ففي «سنن النسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[١] من حديث عبد الله بن بُسْرٍ: أنَّ رجلاً جاء إلىٰ النبيِّ -ﷺ- يتخطَّىٰ رقابَ الناسِ يومَ الجُمُعةِ، والنبيُّ -ﷺ- يَخْطُبُ، فقال: «اجلسْ؛ فقد آذيتَ وآنيْتَ»، ومعنىٰ آنيت: أي تأخَّرتَ.

فهذا الحديث دليل علىٰ حُرمة تخطِّي الرِّقاب يومَ الجُمُعةِ، وظاهر التقييد بيوم الجُمعةِ أنَّ الحُرمةَ مُختصَّةٌ به[٢].

ومن أخطاء الناس في الجمعة تركُ السنَّة القَبْليَّة:

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسند صحيح[٣] من حديث أبي هريرةَ وجابرٍ قالا: جاء سُلَيْكٌ الغَطَفَانيُّ، ورسول الله -ﷺ- يَخطبُ، فقال له النبيُّ -ﷺ-: «أصلَّيتَ ركعتين قبل أن تجيءَ؟». قال: لا. قال: «فصلِّ ركعتين، وتجوَّزْ فيهما».

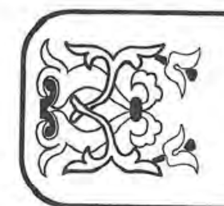
قال أبو شامة: «قال بعض من صنَّف في عصرِنا: قوله: «قبل أنْ تجيء» يدلُّ علىٰ أنَّ هاتين الركعتين سُنَّةٌ للجُمعةِ قبلها، وليستا تحيَّةً للمسجد»[٤].

ومن أخطاء الناس في سُنَّةِ الجُمعةِ البَعْديَّة تركُ السنَّة البَعديَّة: ولعلَّ الأفضل والأكمل صلاتُها في البيت، كما كان -ﷺ- يفعل، لما في «الصحيحين»[٥] من حديث عبد الله بن عُمَرَ -رضي الله عنهما- في وصف تطوُّعِ النبيِّ -ﷺ-، قال: «فكان لا يُصلِّي بعدَ الجُمُعةِ حتىٰ ينصرفَ، فيصلِّي ركعتين في بيتِهِ».

اللهمَّ إنَّا نسألك فِعلَ الخيرات، وتَرْكَ المُنكراتِ، وحُبَّ المساكين.

---

(١) النسائي (٢٠٧١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥).
(٢) «القول المبين» (ص٣٥٠).
(٣) «سنن ابن ماجه» (١١١٤).
(٤) «زاد المعاد» (١/ ٤٣٤).
(٥) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٨٨٢).

الخطبة الأولى

٣.الزكاة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن فريضةِ الزَّكاةِ، إحدىٰ فرائضِ الإسلام، وقواعده العِظامِ.

وهي الركن الثالثُ من أركان الإسلام وقد قُرِنَت بالصلاة في اثنين وثمانين آيةً من كتاب الله، وفرضيَّتُها ثابتةٌ بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماعِ الأمَّة.

فـفي الكتاب العزيز قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠].

وأمَّا الأدلة من السُّنَّة فأكثر من أنْ تُحصَرَ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[١] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**بُنِيَ الإسلام على خَمسةٍ: على أن يُوحَّدَ اللهُ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاة، وصيامِ رَمضَانَ، والحَجِّ**».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أُمرت أنْ أُقَاتلَ الناسَ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مني دِماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلام، وحِسابُهمُ على الله**».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «بايعتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ على إقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والنُّصْحِ لكُلِّ مسلمٍ».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخبرني أبو سُفْيانَ ـ رضي الله عنه ـ وذكر حديثه مع هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم، فقال له: «بمَ يأمرُكم؟» فقال أبو سُفْيانَ: «يأمُرُنا بالصلاةِ، والزَّكاةِ، والصِّلَةِ (أي: صلةِ الرَّحِمِ)، والعَفَافِ».

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ بَعَثَ مُعاذاً ـ رضي الله عنه ـ إلى اليَمنِ، فقال: «**ادعُهُم إلى شهادة أن لا إله إلا اللهُ وأنِّي رسولُ الله، فإن هُم أطاعُوا لذلك، فأعلمهُم أنَّ اللهَ افترض عليهم خمسَ**

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، واللفظ له.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه البخاري (١٤٠١)، ومسلم (٥٦).
(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ له.
(٥) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

صَلَوات في كُلِّ يومٍ وليلة، فإن هُم أطاعوا لذلك، فأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ افترضَ عليهم صَدَقَةً في أموالهم، تُؤْخَذُ من أغنيائهم، وتُرَدُّ على فُقرائِهِمْ».

أيها الناسُ، تلك منزلة الزكاة في الإسلام، ومَنْ مَنَعها إنكارًا وجُحودًا فهو كافر، خارجٌ عن الإسلام، ويُقتل كُفْرًا، ومن منعها بُخلاً - مع إقراره بوجوبها - فهو فاسقٌ بامتناعه، ولا يخرجه ذلك عن الإسلام، وتُؤخذُ منه قَهْرًا مع التعزير، ومتى أُخذتْ قهرًا فهي مقبولة، وإن قاتل دُونَها قُوتِلَ حتى يخضعَ لأمر الله، ويُؤدِّيَ الزكاة، ودليلُ ذلك قولُ الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله - ﷺ - واستُخلِفَ أبو بكرٍ بعدهُ، وكفر من كَفَرَ من العرب، قال عمر بن الخطَّاب لأبي بكرٍ: كيف نقاتلُ النَّاسَ، وقد قال رسولُ الله - ﷺ -: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ، حتى يقولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فمن قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ فقد عَصَمَ منِّي مالهُ ونَفْسَهُ إلا بحقِّه، وحسابُهُ على الله».

فقال أبو بَكْرٍ: والله، لأُقاتلَنَّ مَنْ فرَّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ، فإنَّ الزكاة حقُّ المالِ، والله، لو منعوني عَناقًا كانوا يُؤَدُّونَهُ إلى رسول الله - ﷺ - لقاتلتهم على مَنْعِهِ.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلاَّ أنْ رأيتُ اللهَ - سبحانه وتعالى - قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال، فعرفتُ أنَّه الحقُّ.

ومن مقاصد الزكاة - أيها الناس - أنها تطهير للمال، وتنميته، ووقايته من الآفات ببركة طاعة الله وتعظيم أمره - أنَّها تطهير للنفس البشرية من رذيلة البُخلِ والشحِّ والشَّرهِ والطَّمعِ مواساةً للفقراء، وسدَّ حاجة المُعْوِزين والبُؤساء والمَحْرُومين.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

أنها سببٌ لجمع القلوب المشتَّتة على الإيمان والإسلام، والانتقال بها من الشكوك وضعف الإيمان إلى الإيمان الراسخ واليقين التامِّ.

أنها سببٌ لإقامة المصالح العامة، التي تتوقف عليها حياةُ الأمَّة وسعادتها[١].

وتجب الزكاة ـ أيها الناسُ ـ على من توافرت فيه الشروط الآتية:

الأول ـ الإسلام.

الثاني ـ الحُرية.

الثالث ـ مَن ملكَ النِّصاب، وأن يكون هذا النِّصابُ فاضلاً عن الحاجات الضروريَّة؛ لأنه لا غنى للمرء عنها: كالمطعم، والملبس، والمسكن، والمركب، وآلات الحِرفةِ.

الرابع ـ مرور حول كامل على المال، أي أنواع المال الذي بلغ النِّصاب إلا في الزُّروع والثِّمار، فإنه لا يُشترطُ فيها مرور الحولِ لقول الله ـ سبحانه تعالى ـ: ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٤١].

الخامس ـ فراغ مالِ الزكاة من دينٍ يُحيطُ به كُلِّه أو مُعظمِه، ولم يكن وراءهُ منْ يطالبُهُ به من الناس[٢].

والأجناس التي تجب فيها الزكاةُ ـ أيها الناسُ ـ الذَّهب والفضَّةُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة: ٣٤].

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول

---

(١) «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص٩٨، ٩٩).
(٢) المرجع السابق (١٠٢).
(٣) رواه مسلم (٩٨٧).

الـلـه - ﷺ -: «ما مِنْ صاحبِ ذهب، ولا فضَّة لا يُؤدِّي منها حقَّها - إلاَّ إذا كان يومُ القيامة، صُفِّحتْ له صفائحُ من نار، فأُحْمِيَ عليها في نار جهنَّمَ، فيُكوى بها جَنْبُه، وجبينُه، وظَهْرُه، كُلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ، حتَّى يُقْضى بَيْنَ العبادِ».

ونصاب الذهب - أيها الناس - عشرون ديناراً، فإذا بلغ الذَّهبُ هذا المقدار، وحال عليه الحَولُ، ففيه رُبْعُ العُشْرِ - يعني نِصْفُ دينارٍ، وما زاد على ذلك فبحسابه، بأن يأخذَ من هذه الزيادة - أيضًا - ربعَ العُشْرِ.

وتُقدَّر العشرون مِثْقالاً من الذهب بخمسةٍ وثمانين جرامًا.

وأمَّا نصاب الفضَّة - أيها الناسُ - فهو مائتا درهمٍ، وقيمة الزكاة فيها ربع العُشر، والزِّيادة بحسابها.

وتُقدَّرُ المائتا درهم من الفضة بخَمْسمائةٍ وخمسةٍ وتسعين جِرامًا والأكملُ والأفضلُ - أيها الناس - أنْ تُقدَّرَ الأوراق البَنْكيَّة بنصاب الذهب أو الفضة، فإذا كان عندَهُ ما يُقدَّر قيمتُهُ بنصاب الذهب أو الفضة، فإنه يدفع ربع العُشرِ زكاةً لماله.

ويَرىٰ بعض أهل العلم أن تُقدّرَ الأوراق النَّقديَّةُ بنصاب الفضَّة، وكلُّ ذلك جائزٌ - إن شاء الله -.

أيها الناسُ، لقد اختلف أهل العلم في حُلِيِّ المرأةِ من الذهب أو الفضة، إذا كانت تلبسُهُ أو تُعيرُهُ، هل تجبُ فيه الزَّكاةُ أَو لا؟

والصواب مع العلماء الذين قالوا بوجوب الزكاة فيه لأدلة، منها:

ما جاء في «سنن أبي داود» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»(١) من حديث عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما -: أنَّ امرأةً أتتْ رسولَ الله - ﷺ -، ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسَكَتانِ (أي سِوارانِ) غليظتان من ذهبٍ،

(١) رواه أبو داود (١٥٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح «سنن أبي داود» (١٣٨٢).

فقال: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا قال: «أيسُرُّكِ أن يُسَوِّرَكِ اللهُ بهما يومَ القيامة سوارين من نار؟». قال: فخلعتْهُما، فألقتْهُما إلى النبيِّ - ﷺ - وقالتْ: هما لله - سبحانه وتعالى - ولرسوله.

وأخرج أبو داود في «سننه» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «سنن أبي داود»[1] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - قالت: كنتُ أَلبسُ أوضاحًا من ذهبٍ (أي خَلْخالاً)، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أَكَنْزٌ هُوَ؟. فقال: «ما بَلَغَ أنْ تُؤَدَّي زكاتَهُ فزكِّي، فليس بكنزٍ».

وأخرج أبو داود - أيضًا - في «سننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل عليَّ رسولُ الله - ﷺ - فرأى في يدي فَتَخَاتٍ من ورقٍ، فقال: «ما هذا يا عائشةُ؟».

فقلتُ: صنعتُهُنَّ أتزيَّنُ لك يا رسولَ اللهِ. قال: «أَتُؤدِّينَ زكاتَهُنَّ؟» قالتْ: لا - أو ما شاء اللهُ - قال: «هو حَسْبُكِ منَ النَّار».

أيها المسلمون، هذه الأحاديث تدلُّ على أنَّ هذا الحُليَّ كان للزِّينة، ومع هذا فقد أمرهُنَّ النبيُّ - ﷺ - بإخراج الزكاة، وليس مع المخالفين دليل صحيح يُعتمد عليه. وهناك - أيها الناس - أدلةٌ عامَّةٌ في وجوب زكاة الذهب والفضة، ولم يُفرِّقْ بين كونه نقودًا، أو سبائك، أو حُليًّا، أو أُعِدَّ للزينة، أو للادِّخار، أو غير ذلك.

ومتى حال الحولُ، ولم تجدِ المرأةُ مالاً تؤدِّي به زكاتَها، وجب عليها أن تبيع من حُلِيِّها بقدر زكاتها؛ لتُؤدِّي ما عليها، إلاَّ أن يُعينها أحدٌ في أداءِ الزكاةِ: كزوجٍ، أو قريبٍ[3].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٣).
(٢) رواه أبو داود (١٥٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٤).
(٣) انظر «كتاب الزكاة» لعادل يوسف العزازي (ص٢٤).

أيها الناس،لقد ذكر العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ خلاصة الزكاة، فقال ـ رحمه الله ـ: «إنَّ ممَّا تجبُ به الزكاةُ عُرُوض التجارة، وهو: ما أعدَّه الإنسان للبيع والاتِّجار به: من حيوانٍ، وعقارٍ، وأثاثٍ، ومتاعٍ، وأوانٍ، وغيرِ ذلك، كُلُّ شيءٍ عندك للتجارة، فهو عُرُوضُ تجارةٍ، إذا حال عليه الحولُ، فقوِّمْهُ كم يساوي؟ ثمَّ أخرج رُبعَ العُشْرِ قيمته، ومن عُروض التجارة ـ أيضًا ـ عند الفلاَّحين: من الإبل، والبقر، والغنم التي يُربُّونها للبيع، فأمَّا العَقاراتُ التي أعدَّها الإنسانُ له، ولا يُريدُ بيعَها، وإنَّما يُريدُ أنْ يسكنَها أو يُؤَجِّرَها، فهذه ليس فيها زكاةٌ، ولا زكاةَ فيما أعدَّه الإنسانُ لبيتِهِ من الأواني، والفراش، ونَحْوِها، ولا فيما أعدَّه الفلاَّحُ لحاجةِ الفِلاحة من المكائنِ، وآلاتِ الحَرْثِ، ونحوِهَا.

وخُلاصة ذلك:

أن كُلَّ شيءٍ تُعِدُّهُ لحاجتك، أو للاستغلال ـ سوىٰ الذَّهب والفضة ـ فلا زكاةَ فيه، وما أعددتهُ للاتِّجار والتكسُّب ففيه الزَّكاة، وأمَّا الديونُ التي عند الناس، فلا يجبُ عليك إخراجُ زكاتها حتىٰ تقبضها، فإذا قبضتها: فإن كان علىٰ مَلِيءٍ، وجب أن تُخرجَ عنه زكاةَ كُلِّ السنوات الماضيةِ، وإن كان علىٰ فقيرٍ، لم يجب أن تُخرجَ إلاَّ عن سنةٍ واحدةٍ فَقَطْ، وإنْ أخرجتَ زكاة الدَّينِ قَبْلَ قبضِهِ فلا بأْسَ»[١].

وأستغفر الله.

---

(٤) انظر «المجموع الثمين في خطب ابن عثيمين» (ص١٤٦).



الخطبة الثانية
زكاة الفطر



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيَّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حولَ الزكاة، والآن حديثي معكم حول زكاة الفطر.

وزكاةُ الفطر ـ أيها الناس ـ واجبةٌ على كلِّ فردٍ من المسلمين، صغيرًا كان أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى، حُرًّا أو عبدًا.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «فرضَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ زكاةَ الفطرِ صاعًا من تمرٍ، أو صاعًا من شعيرٍ، على العبد والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغيرِ والكبيرِ من المسلمين».

وشُرعتْ زكاة الفطر ـ أيها الناس ـ طهارةً للصائم من اللَّغوِ والرَّفَثِ، وطُعمةً للمساكين، ومواساةً لهم.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «فرض رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ زكاة الفطر طُهْرةً للصائم من اللَّغْوِ والرَّفثِ، وطُعمَةً للمساكين، فمن أدَّاها قَبْلَ الصلاة، فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَنْ أدَّاها بعدَ الصلاةِ، فهي صدقةٌ من الصَّدقاتِ».

---

(١) رواه البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

(٢) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٠).

وزكاةُ الفطْر - أيها الناس - لا يُشترط لها نصابٌ، وإنما اشترط لوجوبها جمهورُ أهل العلم الإسلامَ أوَّلاً، وثانيًا أنْ يكون مقدارُ هذه الزَّكاة الواجبةِ فاضلاً عن قُوتِهِ، وقُوتِ مَنْ تَلزمهُ نفقتهُ يوم العيد وليلتهِ، وحاجتِهِ الأصليةِ.

والواجب في زكاة الفطرِ صاعٌ من أقواتِ البلدِ.

لما في «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: «كُنَّا نُخْرِجُ في عَهْدِ رسولِ الله - ﷺ - يومَ الفِطْرِ صاعًا من طعامٍ». وقال أبو سعيدٍ: «وكان طعامَنا الشَّعيرُ، والزَّبيبُ، والأَقِطُ، والتَّمْرُ».

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ المُعتبر طعامُ أهل البلد المقتات عندهم: كالأرزِّ، والذُّرةِ، والقمحِ، وغيرِ ذلك، وإن لم ينصَّ عليها الحديثُ.

ومقدار الصَّاع - أيّها الناسُ - أربعةُ أمدادٍ بكفِّ الرجل المُعتدل، ويُقدَّرُ بالوزن كيلوان وأربعون جرامًا.

وإخراجُ القيمة لم يُجزْهُ الأئمَّةُ الثلاثة: مالك، والشافعيُّ، وأحمدُ.

وذهب أبو حنيفة إلى جواز إخراج القيمة، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنّ النصوصَ الواردة بأنها من طعامٍ، والزكاة عبادةٌ لا تبرأُ الذِّمةُ إلا بأدائها على الوجه المأمور به[٢].

وتجبُ زكاةُ الفطر بغروب شمسِ آخرِ يومٍ من رَمضان، وآخِرُ وقتُ الوجوب هو حلول وقت صلاة العيد لحديث ابن عباسٍ السابق: «فمن أدَّاها قبل الصلاة، فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعد الصلاةِ، فهي صدقةٌ من الصدقات»[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٥١٠).

(٢) انظر «كتاب الزكاة» للعزازي (ص٩٠).

(٣) تقدم تخريجه.

ويجوز تقديمُها بيومٍ أو يومين.

لما في «صحيح البخاري»[١] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كانوا يُعطونها قَبْلَ الفِطْرِ بيومٍ أو يومينِ».

ومصارفُ الزكاة ـ أيها الناس ـ سواء كانت الزكاةَ الواجبة أم زكاةَ الفطر في ثمانية أصناف، حصرها اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وإيضاح ذلك:

أولاً ـ الفقير: وهو مَنْ لم يكن لديه من المال ما يسدُّ حاجته، وحاجةَ منْ يعولُ.

ثانيًا ـ المسكين: وهو الذي لا يوجد عنده ما يكفيه للأكل، والشُّرب، والسَّكن.

ثالثًا ـ العاملون عليها: هم الذين يُوليهم الإمام ـ أو نائبُهُ ـ عملاً من أعمال الزكاة: من جَمْعٍ، أو حِفْظٍ، أو تفريقٍ.

رابعًا ـ المُؤلَّفة قُلوبُهُم: المؤلَّف هو الرجل المُسْلِمُ يُكون ضعيفَ الإيمان، وتكونُ له الكلمةُ النافذةُ في قومِهِ، فيُعطىٰ من الزكاة تأليفًا لقلبه.

خامسًا ـ الرِّقاب: والمراد من هذا المصرَفِ هو أنْ يكونَ المُسلمُ رقيقًا، فيُشْترىٰ من الزكاةِ ويُعتقُ.

سادسًا ـ الغارمون: والغارم: هو المَدِينُ الذي تحمَّل دينًا في غير معصيةِ الله.

سابعًا ـ في سبيل الله: والمراد هنا الغزوُ، فيُعطىٰ المتطوِّعون من الغُزاةِ الذين

---

(٢) رواه البخاري (١٥١١).

ليس لهم راتبٌ من الدَّولة، سواء كانوا أغنياءَ أَمْ فُقَرَاءَ.

ثامنًا ـ ابن السبيل: هو المُسافر المُنقطع عن بلدِهِ، وعرضَ له عارضُ فقر حالَ سفرِهِ وانقطاعِهِ، فيُعطىٰ من الزَّكاةِ ما يَسدُّ حاجتهُ في غُربتِهِ، ويوصلُهُ إلىٰ بلدهِ، وإن كان غنيًّا في بلده، وهذا إذا لم يجدْ مَنْ يُقْرِضُهُ في حالتِهِ هذه، فإذا وجَدَ مَنْ يُقرِضُهُ، وجب عليه أنْ يقترضَ(١).

اللهمَّ إنَّا نسأَلُك الهدىٰ، والتُّقىٰ، والعفاف، والغِنىٰ، اللهُمَّ إنا نعوذُ بك من زوالِ نعمتِك، وتَحَوُّلِ عافيتِكَ، وفُجَاءَةِ نقمتِكَ، وجميعِ سَخَطِكَ.

---

(١) انظر «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص١١٣، ١١٤).



الخطبة الأولى

٤. صيام رمضان

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعد، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليوم عن صومِ رمضانَ.

وصومُ رمضانَ - أيها الناس - هو الركن الرابع من أركانِ الإسلام، وأحدُ مبانيه العظامِ، لا يتمُّ إسلامُ المرء إلا به.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا

أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شَهادة أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجِّ، وصومِ رمضانَ».

أيها الناسُ، لقد أجمع المسلمون كافَّةً على وجوب صيام شهر رمضانَ، كما قال صاحب «المغني»(٢).

ومن أنكره جاحدًا لوجوبه فهو كافرٌ مرتدٌّ، إلا أن يكون جاهلاً، أو حديث عَهْدٍ بالإسلامِ، فحينئذ يُعلَّم ويُبيَّن له الحقُّ، فإن أصرَّ وكابرَ فهو كافرٌ، يُقتل رِدَّةً وكفرًا ـ والعياذ بالله! ـ لأنَّه مُكذِّبٌ للقرآن والأحاديث الصحيحة.

وفضائل صوم شهر رمضَانَ لا تكادُ تُحصرُ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: كلُّ عملِ ابْنِ آدمَ لهُ إلاَّ الصِّيامَ** (أي: لـه أجرٌ محدودٌ إلاَّ الصومَ، فأجرُهُ بغير حسابٍ)؛ **فإنَّهُ لي، وأنا أَجْزي بهِ، والصِّيامُ جُنَّةٌ** (أي: يقي صاحبَهُ ما يُؤذيه من الشَّهَواتِ)، **وإذا كان يومُ صومِ أحدِكم، فلا يَرْفُثْ،**

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «المغني» لابن قدامة (٤/ ٣٢٣).
(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

ولا يَصْخَبْ، فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتلَه فليقل: إني امْرُؤٌ صائم، والذي نَفْسُ محمَّد بيده، لَخَلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ منْ ريحِ المِسْكِ. للصائمِ فَرْحتانِ يَفرَحُهما: إذا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذا لقيَ ربَّهُ فرِحَ بصَومِه».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقول: «الصيامُ جُنَّةٌ، وحِصنٌ حَصينٌ مِنَ النَّارِ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ صامَ رمَضَانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذَنبِه، ومنْ قام ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّمَ منْ ذنبِه».

ولشهرِ رمَضَانَ من الفضائلِ ما ليستْ لغيرِه من الشهور.

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا جاء رمَضَانُ، فُتحتْ أبوابُ الجنَّة، وغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ، وصُفِّدتِ الشياطينُ».

وفي هذا الشهر المبارك - أيها الناس - ليلةٌ واحدةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، وألفُ شهرٍ إذا حُسبت بالسِّنين تزيدُ علىٰ ثمانين عامًا، فهذه اللَّيلةُ تعادلُ ثمانين عامًا وزيادةَ أشهرٍ، كُلها في طاعةِ الله، وهذا فضلٌ عظيمٌ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٠).
(٢) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومعنىٰ: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني: ابتدأ نزولهُ، ثمَّ تتابعَ بعد ذلك، ينزلُ علىٰ رسول الله - ﷺ - إلىٰ آخر حياته - عليه الصلاةُ والسلام -[١].

والصَّومُ - أيها الناسُ - له شروط:

فيُشتَرطُ في وجوب الصَّومِ علىٰ المسلم أن يكون عاقلاً بالغًا.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[٢] من حديث عليٍّ - رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة: عنِ النائمِ حتى يستيقظَ، وعنِ الصبيِّ حتى يَحْتَلِمَ، وعن المجنونِ حتى يَعْقِلَ**».

وأن يكون المسلمُ صحيحًا غيرَ مريضٍ، مُقيمًا غير مُسافرٍ، قادراً عليه من غير مشقَّةٍ بالغةٍ، ويجبُ أن تكون المرأةُ طاهرةً من الحيضِ والنِّفاسِ.

ففي «صحيح البخاري»[٣] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «**أليسَ إذا حاضتْ لم تُصلِّ ولم تَصُمْ؟ فذلك نُقْصانُ دِينِها**».

وللصيام - أيها الناس - ثلاثةُ أركانٍ:

الركن الأول - الإمساك: وهو الكفُّ عن المُفطراتِ: من أكلٍ، وشُربٍ، وجماعٍ، وغيرها.

---

(١) «مجالس شهر رمضان» للفوزان (ص١٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٧٠٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٥١).

الركن الثـاني ـ النِّيَّـةُ: وهي عزمُ القلبِ على الصَّومِ امتثالاً لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ القائل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللهِ ـ ﷺ ـ: **«الأعمالُ بالنِّيةِ، ولكلِّ امرئٍ ما نوى»**.

فإن كان الصومُ فرضًا، فالنِّيةُ تجبُ بليلٍ قبلَ الفجرِ

لما في «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[٢] من حديث حفصةَ بنتِ عمر ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قال: **«من لم يُجمعِ الصِّيامَ قبلَ الفَجْرِ فلا صيامَ لهُ»**.

وإن كان الصومُ نَفْلاً، صحَّتِ النِّيةُ ولو بعد طلوعِ الفَجْرِ وارتفاعِ النهارِ، بشرط ألاَّ يكون قد طَعِمَ شيئًا.

لما في «صحيح مسلم»[٣] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخل عليَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ذاتَ يومٍ، فقال: **«هل عندكُم شيءٌ؟»**. قُلنا: لا. قال: **«فإنِّي صائمٌ»**.

الركنُ الثالث ـ الزَّمانُ:

والزمانُ ـ أيها الناس ـ هو الركنُ الثالثُ من أركان الصيام، والمقصودُ بالزمانِ هو نهارُ رمضان من طلوع الفجرِ إلى غُروب الشمس لقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

---

(١) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) رواه أبو داود (٢٤٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٤٣).
(٣) رواه مسلم (١١٥٤).

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويُرخَّصُ الفطرُ للمريضِ والمُسافرِ مع وجوب القضاء، وخاصَّة المريضَ الذي يُرجىٰ بُرؤُه، فإنه يُباحُ له الفطرُ، ثمَّ يقضي بعد ذلكَ ما أفطر من أيَّامٍ، وإذا استطاع المريضُ الصِّيامَ بلا مشقَّةٍ صامَ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وأمَّا المسافر - إذا سافر المسلمُ مسافةً تُقصرُ فيها الصَّلاةُ - فيباحُ له الفِطرُ، ويقضي ما أفطره من أيَّامٍ عند حضوره، فإذا كان الصومُ في السفر لا يشُقُّ عليه فصام، كان ذلك حسنًا، وإن كان يشقُّ عليه فأفطر، كان ذلك حسنًا.

لما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: «كنَّا نغزو مَعَ رسولِ الله - ﷺ - في رمضَانَ، فمنَّا الصائمُ، ومنَّا المُفطِرُ، فلا يَجِدُ الصائمُ على المُفْطِرِ (أي: لا يعيبُ عليه)، ولا المُفْطِرُ على الصائمِ، يَرَوْنَ أنَّ مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فصام، فإنَّ ذلك حَسَنٌ، ويَرَوْنَ أنَّ منْ وجَدَ ضَعْفًا فأفْطَرَ، فإنَّ ذلك حَسَنٌ».

أيها الناس، اعلموا - علَّمني اللهُ وإيَّاكم - أنَّه يُباحُ الفطرُ للمرأة المُسلمة إذا كانتْ حاملاً أو مُرْضعًا، إذا خافت كُلٌّ منهما على نفسها، أو على ولدِها فَقَطْ، أو على نفسها وولدها

لما في «سنن أبي داود» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ اللهَ وَضعَ شَطْرَ الصلاةِ والصَّومَ عنِ المُسافرِ، وعنِ المُرضِعِ - أو الحُبلىٰ - الصَّومَ».

---

(١) رواه مسلم (١١١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٠٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٠٧).

وإذا كان خوفُ المرأةِ على الولد فَقَطْ، فإنها تزيدُ - على القضاءِ - الفِديةَ، والفِديةُ: أنْ تتصدَّق عن كُلِّ يومٍ تَصومُهُ بمدٍّ من طعامٍ.

وهناك - أيها الناس - من يُرخَّصُ لهم في الفِطرِ، ولا يجبُ عليهم القضاءُ، إنما تجبُ عليهم الفديةُ فَقَطْ، وهم:

الشيخ الكبير، والمرأةُ العجوز، والمريض الذي لا يُرجى بُرؤُه، ومن في حُكْمِ هؤلاءِ ممَّن يُجهِدُهُ الصَّومُ، ويشقُّ عليه مشقَّةً شديدةً، فهؤلاء جميعًا يُرخَّصُ لهم في الفطرِ، وأن يُطعموا عن كلِّ يومٍ مسكينًا مُدًّا من طعامٍ، ولا قضاءَ عليهم لقول ابن عبَّاسٍ - كما في «صحيح البخاريِّ»[1] - «الشيخ الكبير، والمرأةُ الكبيرةُ لا يستطيعانِ أن يَصُوما، فيُطعمانِ مكانَ كلِّ يومٍ مسكينًا»

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٤٥٠٥).



الخطبة الثانية

مبطلات الصيام



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدم الحديث عن الصيام، والآن حديثي معكم عن مُبطلات الصيام.

أيها الناسُ - هناك ما يُبطلُ الصومَ، ويُوجبُ القضاءَ فَقَطْ، وهناك ما يُبطِلُهُ، ويُوجبُ القضاءَ والكفَّارةَ.

فأمَّا ما يُبطِلُ الصَّومَ، ويُوجبُ القضاء فقط، فهو ما يأتي:

أولاً - الأكلُ والشُّربُ عَمْداً، أمَّا إذا كان ناسيًا أو مُكْرَهًا، فلا قضاءَ عليه.

لما في «الصحيحين»[1] من **حديث** أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ -: **«مَنْ نَسِيَ - وهو صائم - فأكلَ أو شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صومَهُ؛ فإنَّما أَطْعمهُ اللهُ وسقاهُ»**.

وهذا من لُطفِ اللهِ وتيسيرِهِ على عباده، فقوله: «فَلْيُتِمَّ صومَهُ» دليلٌ على أنَّ صيامَهُ صحيحٌ.

ثانيًا - من أكلَ، أو شربَ، أو جامعَ ظانًّا غُروبَ الشَّمْسِ، ثمَّ تبيَّن له خِلافَ ذلك، أي: بقاءَ النهار.

ثالثًا - ما وصلَ إلى الجوفِ بالمُبالغةِ في المضمضة والاستنشاق، إذا بالغ في ذلك

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

ذاكرًا لصومه، وأيضًا إيصال الأغذية إلى الجوف، ومن ذلك الإبرُ المُغذِّية، التي يحصلُ بها إنعاشٌ للبدن وتغذيته.

أمَّا إذا طار إلى حلقه غبارٌ أو ذُبابٌ، لم يُؤثِّرْ على صيامِه لعدمِ إمكان التحرُّزِ من ذلك.

رابعًا - إنزالُ المنيِّ في اليقظة باستمناءٍ، أو مباشرةٍ، أو تقبيلٍ، أو إدامةِ نظر، ونحو ذلك باختيارِه، وأمَّا الإنزال بالاحتلام فإنَّه لا يُفْطِرُ؛ لأنَّه بغير اختيار الصائم.

خامسًا - التقيُّؤُ عَمْدًا، والتقيُّؤُ: هو استخراج ما في المَعِدَةِ من طعامٍ أو شرابٍ عن طريق الفمِ مُتعمِّدًا، أمَّا منْ غَلَبَهُ القيءُ، فقاء بدونِ اختيارِه، فلا يَفْسُدُ صومُهُ.

لما في «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ - وهو صائم - فليس عليه قضاءٌ، وإنِ استقاء فَلْيقضِ**».

ومعنى ذَرَعَهُ القَيْءُ: أي غَلَبَهُ.

سادسًا - نقضُ ورفْضُ نيَّةِ الصَّومِ، فمن نوى الفِطْرَ - وهو صائمٌ - بطَلَ صومُهُ، وإن لم يتناولْ مُفْطِرًا، ولهذا قال أهلُ العِلْمِ: إذا غربتِ الشمسُ، وليس عندك ما تُفطِرُ عليه، فتكفيك النِّيَّةُ.

سابعًا - الرِّدَّةُ عن الإسلام، إن رجع إليه لقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: ٦٥].

الأمر الثاني - أيها الناس - ما يُبطِلُ الصوم، ويُوجبُ القضاءَ والكفَّارةَ، وهو الجماعُ العمد من غير إكراهٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٨٤).

لما في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: هلكتُ، يا رسولَ الله. قال: «وما أَهْلَكَكَ؟». قال: وقعتُ علىٰ امرأتي في رَمَضَانَ. فقال: «هل تجدُ ما تُعتقُ رقبةً؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيعُ أن تصومَ شهرين مُتَتَابعَيْن؟» قال: لا. قال: «فهل تجدُ ما تُطْعِمُ ستِّين مسكينًا؟». قال: لا. ثمَّ جلس، فأُتِيَ النبيُّ ـ ﷺ ـ بعَرَقٍ فيه تَمْرٌ (والعَرَقُ: هو مِكْيالٌ يَسَعُ خمسةَ عَشَرَ صاعًا) فقال: «خُذْ تصدَّقْ بهذا» قال: فهل علىٰ أفْقَرَ منَّا؟. فوالله، ما بين لابَتَيْها أهلُ بيتٍ أَحْوجُ إليه منَّا (أي: ما بين أطراف المدينة أفقرُ منّا) فَضَحِكَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ حتىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وقال: «اذهبْ فأَطْعِمْهُ أهلكَ».

أيها الناس، لابد أن يأتي بالكفارة على الترتيب وهي عِتقُ رقبةٍ مُؤمنةٍ، فإن عجز أطعم ستِّين مسكينًا من أوسط ما يُطْعِمُ منه أهلَهُ، كما لا يصحُّ الانتقالُ من حالةٍ إلىٰ حالةٍ إلا إذا عجز منها.

والإطعام ـ أيها الناسُ ـ يكونُ لكُلِّ مسكينٍ مُدٌّ مِنْ بُرٍّ، أو شعيرٍ، أو تمرٍ بحَسْبِ الاستطاعة.

وتتعدَّدُ الكفَّارةُ بتعدُّد المُخالفة، فمن جامع مُتعمِّدًا في يومٍ ولم يُكَفِّرْ، ثمَّ جامع في يومٍ آخَرَ من الشهرَ فقد ذهب بعض أهلِ العلم إلىٰ أنَّ عليه كفَّارتانِ، والصوابُ الاكتفاء بواحدةٍ.

أيها الناسُ، هنا تنبيهٌ مهمٌّ:

وهو هل على المرأة كفَّارة كالرَّجل تمامًا؟

ذهب أهلُ العلم إلىٰ أنَّه متىٰ كانت المرأةُ راضيةً، فعليها كفَّارةٌ، وإن كانتْ مُكرهةً، فعليها القضاءُ ولا كفارة عليها[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(٢) جمهور أهل العلم علىٰ أنه يلزمها الكفارة ـ «نيل الأوطار» (ج٣/ ١٨٩) ط. دار العربي وغير «نيل الأوطار».

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «مَن جامع في نهارِ شهر الصومِ، فإنه يلزمُهُ القضاءُ والكفَّارةُ، وامرأتُهُ مِثْلُهُ إن كانت مُطاوعةً له، سواء حصل الإنزال أم لم يحصلْ»[١] .

اللهمَّ إنَّا نسألك علمًا نافعًا، ورِزقًا طيِّبًا، وعمَلاً مُتقبَّلاً.

وسبحانك اللهُمَّ وبحَمْدِك، أشهد أن لا إلهَ إلا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

(١) «فقه العبادات» لابن عثيمين (ص١٩٤).

الخطبة الأولى

٢- فضل تلاوة القرآن

إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس: حديثي معكم اليوم عن فضل تلاوة القرآن العظيم.

أيها الناس: إن هذا القرآن الذي بين أيدينا نتلوه ونسمعه ونحفظه هو كلام ربنا -سبحانه وتعالى-، تكلم به حقيقةً على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، ووصفه -سبحانه وتعالى- بأوصاف عظيمة؛ لنعظمه في نفوسنا؛ وتحترمه قلوبنا:

فوصفه -سبحانه وتعالى- بأنه موعظة، وشفاء، وهدى:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

ووصفه بأنه روح تحيا به القلوب، وأنه هدى الله يهد به من يشاء:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الزمر:٢٣].

ووصفه بأنه يهدي للطريق المستقيم فقال -سبحانه وتعالى-:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء:٩، ١٠].

ووصفه أنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم فكل خير وعلم إنما يستفاد منه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥ ـ ٨٠].

وأخبر -سبحانه وتعالى- أن هذا القرآن -لكمال تأثيره في القلوب والنفوس- لو أنزله على جبل لرأيته خاشعًا: متصدعًا من خشية الله:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «الماهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُتَعْتِعُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

والأجران؛ أحدهما: على التلاوة، والثاني: على مشقتها على القارئ.

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ؛ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ».

---

(١) أخرجه البخاري، (٥٠٢٧).
(٢) أخرجه البخاري، (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٢).
(٣) أخرجه البخاري، (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا[2] من حديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

وفي« صحيح مسلم» أيضًا[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا».

وفي «الصحيحين»[5] أيضًا من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ».

تلك _ أيها الناس _: تلك بعض فضائل القرآن.

وقد رتب الله الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن تعلم القرآن وعلمه، وجعلهم خير هذه الأمة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩، ٣٠].

وفي «الصحيحين» من حديث عثمان -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «المشكاة»- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

وتلاوة كتاب الله أيها الناس: كما قال بعض أهل العلم على نوعين:

النوع الأول

تلاوة لفظية: وهي قراءته؛ وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها، إما في جميع القرآن وإما في سورٍ أو آياتٍ معينةٍ منه.

النوع الثاني:

تلاوة حكمية: وهي تصديقُ أخباره، وتنفيذ أحكامه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا النوع هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن كما قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص٢٩]. ولهذا درج السلف الصالحُ -رضي الله عنهم- على ذلك يتعلمون القرآن، ويصدِّقون به، ويطيعون أحكامه تطبيقًا إيجابيًّا عن عقيدة راسخةٍ.

قال أبو عبدالرحمن السُّلمي -رحمه الله-: حدثنا الذين كانوا يُقْرِئوننا القرآن -عثمانُ بن عفان وعبدالله بنُ مسعودٍ، وغيرُهما-، أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشْرَ آياتٍ لمْ يتجاوزوها حتَّى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلمَ والعملَ جميعًا.

وهذا النوعُ من التلاوة هو الذي عليه مَدار السعادةِ والشقاوة.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٧:١٢٣].

فبين الله في هذه الآيات الكريمة ثواب المتبعين لهداه الذي أوْحاهُ إلى رسله، وأعظمه هذا القرآن العظيم، وبين عقابَ المعرضينَ عنه، أما ثواب المتبعين له فلا يضلون، ولا يشقونَ، ونفي الضلالِ والشقاءِ عنهم يتضمنُ كمالَ الهدايةِ والسعادةِ في الدنيا والآخرةِ.

وأما عقابُ المعرضين عنه المتكبرين عن العمل به؛ فهو الشقاءُ والضلالُ في الدنيا والآخرة، فإن له معيشةً ضنكًا، فهو في دنياه في همٍّ وقلقِ نفسٍ، ليس له عقيدةٌ صحيحةٌ ولا عملٌ صالحٌ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وهو في قبره في ضيقٍ وضنكٍ، قد ضُيِّقَ عليه قبرُه حتَّى تختلفَ أضلاعُه، وهو في حشره أعمَى لا يبصرُ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

فهم كما عموا في الدنيا عن رؤية الحقِّ، وصمُّوا عن سماعهِ، وأمسكوا عن النطق به: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥].

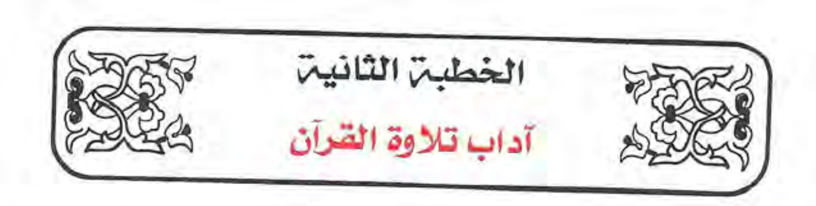
جازاهم الله في الآخرة بمثل ما كانوا عليه في الدنيا، وأضاعهم كما أضاعوا شريعته ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٥، ١٢٦].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**».

أيها الناس: علينا أن نجعل القرآن حجة لنا لا علينا؛ وذلك بتلاوته حق تلاوته، والعمل به، وذلك بتصديق أخباره، واتباع أحكامه، فعلاً للمأمورات وتركًا للمنهيات، ومن كان هذا حاله فإن القرآن يكرمه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة بإذن الله.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن من حديث بريدة -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ إِنْ كَانَ تَاجِرٌ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِه وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، ويُكْسَى وِلِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الجَنَّةِ وَغُرَفِهَا فَهُوَ صَعُودٌ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَزًّا أَوْ تَرْتِيلًا**».

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

آداب تلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس: تقدم الحديث عن فضل تلاوة القرآن العظيم، والآن حديثي معكم عن:

(آداب تلاوته)

وهي كثيرة وسوف أقتصر على بعض منها.

فمن آداب تلاوة القرآن الكريم: إخلاص النية لله تعالى فيها؛ لأن تلاوة القرآن عبادة عظيمة، والإخلاص شرط في قبولها، فتلاوة بلا إخلاص رَعْدٌ بلا مطرٍ.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح- صححه الألباني في «صحيح أبي داود»[1] - من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن، قال: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن نقرأ بقلبٍ حاضرٍ، نتدبر ما نقرأ ونتفهم معانيه، وتخشع عند ذلك قلوبنا، ونستحضر بأن الله -سبحانه وتعالى- يخاطبنا في هذا القرآن، فإنه خطاب من الله لنا على لسان رسوله ﷺ قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٣٠).

وعن الحسن -رحمه الله- قال: «إن مَن كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائلَ من ربِّهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يُقرأ على طهارةٍ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة؛ لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]؛ ولئلا يصُدَّه الشيطانُ عن القراءة أو كمالها.

وأما البسملة: فإن كان ابتداءُ قراءته من أثناء السورةِ فلا يُبَسْمِلُ، وإن كان من أول السورة فليبسمل إلا في سورة «التوبة» فإنه ليس في أولها بسملة؛ لأن الصحابة -رضي الله عنهم- أشكل عليهم حين كتابة المصحف: هل هي سورة مستقلةٌ أو بقية الأنفال؟ ففصلوا بينهما بدون بسملة.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يُقْرَأَ بتدبر وخشوع؛ لأن ذلك هو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يحَسِّنَ القارئُ صوته بالقرآن ويترنَّمَ به؛ ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ (أي: ما استمع لشيءٍ) كَمَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

وفي «الصحيحين»(٢) أيضًا من حديث جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: سمعتُ النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

لكن إن كان حَوْلَ القارئ أحدٌ يتأذى بجهره في قراءته كالنائم والمصلي ونحوهما؛ فإنه لا يجهر جهرًا يشوش عليه أو يؤذيه؛ لأن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون ويجهرون بالقراءة، فقال كما في «الموطأ» بسندٍ صحيح[1] من حديث البياض: أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم فقال: «**كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقُرْآنِ**».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يُرَتَّلَ القرآنُ ترتيلاً؛ لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

وفي «صحيح البخاري»[2] عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: كانتْ مدًّا ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» يمدُّ (بسم الله)، ويمدُّ (الرحمن)، ويمدُّ (الرحيم)».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الترمذي»[3]- من حديث أم سلمة- رضي الله عنها- أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فقالت: كان يُقطِّعُ قراءته آيةً آية، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

اللهم اجعل القرآن الكريم حجة لنا لا علينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، ووفقنا لتدبر معانيه وتطبيق أحكامه، وحفظ حدوده ورعاية حرمته.

---

(١) صحيح: أخرجه مالك في الموطأ (ص٩٠) رقم (١٧٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٤٥).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦ / ٣٠٢) والترمذي (٢٩٢٧) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣١٠٧).

الخطبة الأولى
من أخطاء الصائمين

إن الحمد لله..

أما بعد:

حديثي معكم أيها الناس عن أخطاء يقع فيها بعض الصائمين، وهي كثيرة، والقصد من بيان بعض أخطاء الصائمين هو إعانة من وقع في شيء منها على اجتنابها.

فمن أخطاء بعض الصائمين:

-التلفظ بالنية عند الإفطار وعند السحور:

والنية أيها الناس محلها القلب، والتلفظ بالنية لم يفعلها النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا الأئمة الأربعة؛ لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام ولا حج.

والعبادة تُقَدَّمُ على الإخلاص في المتابعة للنبي ﷺ، فأي عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ فهي مردودة على صاحبها. ففي «الصحيحين»[1] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»وفي لفظ مسلم[2]: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُو رَدٌّ**».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

- الصلاة في رمضان فقط أو من الجمعة إلى الجمعة:

وهذا غاية في الشَّيْنِ؛ فإن بعض أهل العلم يذهبون إلى بطلان صيام من يصوم ولا يصلي، وذلك لأن الصلاة عمود الدين، فهي الأساس الذي يقوم عليها البناء، فإذا لم يجد الأساس فالبناء آيلٌ للسقوط لا محالة.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الإرواء»[١]- من حديث معاذ -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذُرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَاد».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ».

وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ غيرَ الصلاةِ.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الترغيب»[٣]- من حديث عبدالله بن بريدة -رضي الله عنه- قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كُفْرٌ غيرَ الصَّلَاةِ.

بل قد نقل ابن حزم وغيره من أهل العلم إجماعَ الصحابة على كفر تارك الصلاة[٤].

ومن أخطاء بعض الصائمين:

-كثرة النوم في نهار رمضان:

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»[٥]- من حديث خِوات بن جبير - رضي الله عنه- قال: «نَوْمُ أَوَّلَ النَّهَارِ خَرْقٌ،وَ أَوْسَطُهُ خُلُقٌ، وَآخِرُهُ حُمْقٌ».

فقوله: (خُرْقٌ): أي جهل، فإن وقت أول النهار وقت غنيمة، فإنه القَسْمُ وحلول

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وحسنه الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٣٩).

(٢) رواه مسلم (٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٧٧٠)، وصححه الألباني في« الترغيب» (١/ ٢٧٧) (٦٤).

(٤) انظر المحلى (٢/ ٢٤٢)، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٦)، والشرح الممتع لابن عثيمين (٢/ ٢٨).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٤٥٦).

البركة في الأعمال والأرزاق.

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»[١] - من حديث صخر الغامدي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».

قال صخر: وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أولَ النهار، وكان صخرُ تاجرًا، وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار، فأُثْرِيَ وكثُر مالُه.

وليس مقصودنا أن النائم لا يُرزق، بل إن الله يرزق البَرَّ والفاجر، والمؤمن والكافر، لكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون في هذا الوقت المبارك.

وقوله: (خُلُقٌ): أي أن نوم وسط النهار خُلُق رسول الله ﷺ، وهو نومة الهاجرة؛ أي قبل صلاة الظهر بساعة، إلا يوم الجمعة؛ فإن النبي ﷺ كان ينام فيه بعد الظهر.

وقوله: (نوم وسط النهار): فيه إشارة إلى ما أخرجه أبو نعيم في «الطب» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الصحيحة»[٢]- من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «قِيلُوا؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ».

وقوله:(حمق): أي وضع الشيء في غير موضعه.

وأعدل النوم أيها الناس -كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله-: (نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات وهذا أعدل النوم عند الأطباء).

ومن أخطاء بعض الصائمين:

-الإكثار في المأكل والمشرب في رمضان:

وتكلُّف شراء بعض المأكولات التي لا يأخذها في غير رمضان، وكثرة الأكل يدعو إلى الغفلة، كما أن قلة الأكل توجب رقة القلب، وانكسار النفس، وضعف الهوى.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في «سننه» (١٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٣٦).

(٢) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الطب» (١٢ / ٨)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٤٧).

فينبغي التوسط في كل شيء؛ فلا يضيِّق الإنسان على نفسه ولا يفرِّط في الأكل، وخير الأمور أوسطها، والتوسط أيضًا من أعظم أسباب حفظ الصحة؛ فإن الله - سبحانه وتعالى- جمع الطب كله في نصف آية فقال- سبحانه وتعالى-: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١].

قال بعض العلماء: «جمع الله بهذه الكلمات الطبَّ كله»[١].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «الصحيحة»[٢]- من حديث المقدام بن معد يكرب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

وقد كان السلف -رضي الله عنهم- ينفرون ممن عُرف بكثرة الأكل؛ ففي «الصحيحين»[٣] من حديث نافع قال:رأى ابن عمر مسكينًا، فجعل يضع بين يديه، ويضع بين يديه، فجعل يأكل كثيرًا، قال: لا تدخلن هذا علي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعِيٍّ وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

- أكل الثوم، والبصل والكرات وكل ماله رائحة مؤذية:

كالفجل والدخان، وذلك عند الفطور وقبل الذهاب إلى المساجد. وقد نهى النبي ﷺ عن حضور المساجد لمن أكلها. ففي «الصحيحين»[٤] من حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ الثَّوْم، وَالبَصَلَ، والكُرَّاتَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٦).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥).
(٣) رواه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠).
(٤) رواه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: قال بعض العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكرات كلُّ ماله رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال القاضي: ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجشأ.

وقال ابن الرابط: ويلحق به من به بَخْرٌ في فيه، أو به جرح له رائحة.

قال القاضي: «وقاس العلماء على هذا مَجامعَ الصلاة غير المسجد؛ كمصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها، ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها»[1].

ومن أخطاء الصائمين:

-تتبع الصوت الحسن في المساجد عند القيام وغيره:

وقد نهى النبي ﷺ أن يتخطى الرجل مسجده إلى غيره من المساجد، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بإسنادٍ جيدٍ قاله الألباني في «الصحيحة» من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيُصَلِّ الرَّجُلُ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يَلِيهِ وَلَا يَتْبَعِ المَسَاجِدَ».

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وما ذاك إلا لأنه ذريعةٌ لهجر المسجد الذي يليه، وإيحاشُ صدر الإمام، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة، أو يرمى ببدعة، أو يعلن بفجور؛ فلا بأس بتخطِّيه إلى غيره»[2].

ومن أخطاء بعض الصائمين:

- الإفطار على سجائر:

وهذا مخالف لهدي نبينا ﷺ؛ فإن النبي ﷺ كان يفطر على الرُّطَب أو التَّمر -إن

(١) شرح النووي على مسلم (ص ٤٢٠).
(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٦٠).

تيسر- أو الماء، لما في «سنن أبي داود» بسندٍ حسن -حسنه الألباني في «الإرواء»[1]- من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رُطَبَاتٍ قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسواتٍ من الماء».

وهذا مع ما في السجائر من أضرار بالغة للصحة، فنقول لمن ابتلى بالدخان: يا أخي؛ اتق الله في نفسك؛ فإنها أمانة، وهي ملك لخالقها ورازقها، فلا تهلكها بالدخان، واجعل قصدك في تركها وجه الله يخلصك الله منها.

ومن أخطاء بعض الصائمين:

التخفيف المفرط في صلاة التراويح:

فإذا كان الإمام لا يتم الركوع ولا يتم السجود؛ فوجب على الناس أن ينصحوا له بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، فإن أبى فالصلاة وراءه لا تصح، ولا يصح الاقتداء به، ويجب إعادة الصلاة؛ لما في «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل يصلي، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام فقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ».

فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ- ثلاثًا» فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها، فعلمني، قال: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا».

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «فكل من لم يتم ركوعه أو سجوده أو غير ذلك مما هو مأمور فعليه بالإعادة»[3].

وأستغفر الله.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٩٢٢).

(٢) رواه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(٣) الفتح (١ / ٣٤٨).



الخطبة الثانية
من أخطاء بعض الصائمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس: تقدم الحديث معكم عن أخطاء بعض الصائمين، وحديثي معكم الآن هو تكمُلة لما سبق، فإن أخطاء بعض الصائمين أكثر من أن تحصر.

فمن أخطاء بعض الصائمين:

- سوء الخلق:

فبعض الصائمين يكون سيء الخلق؛ بسبب امتناعه عن الأكل والشرب؛ فتراه قاسيًا فظًّا غليظًا على أهله وعلى الناس الذين يعاملهم ويحتك بهم، وهذا خلاف ما يجب أن يكون عليه الصائم من حسن الخلق.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ؛ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»**.

ومعنى (جنة): أي وقاية وستر. ومعنى (فلا يرفث): المراد هنا الكلام الفاحش،

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

وهو يطلق على هذا كما يطلق على الجماع. كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

ومعنى (فلا يجهل):

أي لا يفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل؛ فإن سبَّه أحد أو قاتله أو شاتمه فلا يرد عليه بالمثل، بل يقول: إني صائم، إني صائم.

وفي هذا الحديث الحث على التمسك بالأخلاق الحسنة، فالصائم في عبادة طول يومه، فلا ينبغي أن يشين عبادته وينقص أجرها.

ولعل الدافعَ لسوء الخلق في رمضان الغضبُ:

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-[1]:

«والغضب وسوء الخلق في رمضان يكثر لضعف الإيمان، فمن الناس من تراه كثير الغضب سيء الخلق مع الناس، ومع أهله، ومع الجيران، وحجته أنه جوعان، وهذا ينافي آداب الصيام، فالصيام من أعظم العون على محاربة الهوى وقمع الشهوات وتزكية النفوس، فيحبس اللسان عن اللغو والسباب والهذيان، ولا يخفى أن سوء الخلق من نزغات الشيطان، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وكثرة الغضب لا تدل على القوة ولا على زرانة العقل؛ ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**».

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

ومن أخطاء بعض الصائمين:

الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور:

كل ذلك وغيرها تنقص أجر الصائم لا محالة؛ ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**».

وأخرج التبريزي في «مشكاة المصابيح» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[2]- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ**».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

استغلال شهر رمضان للمسألة.

فمن المعلوم أن شهر رمضان هو شهر الجود والإحسان.فعلى أهل الخير أن يتحرَّوْا بصدقاتهم المحتاجين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وينظروا للأراملَ والأيتامِ الذين لا عائل لهم.

ومن الخير لهم أن يعطوهم الصدقة يدًا بيد إن أمكن ذلك.

وأما الذين ينتقلون من مسجد إلى مسجد فلا يسلم الإمام إلا و هم في القبلة يسألون الناس لأنفسهم ولغيرهم؛ فهؤلاء منهم من يكون محتاجًا ومنهم أصحاب حِيَل.

فإلى هؤلاء جميعًا أذكرهم بما جاء في «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ من حديث حبيش

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٧).

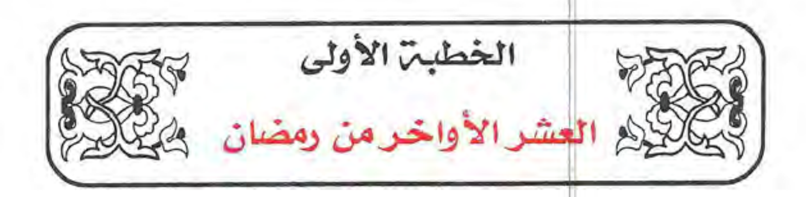
(٢) صحيح: أخرجه التبريزي في «المشكاة» (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

بن جناده -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الجَمْرَ».

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»- من حديث سهل بن حنظلية قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ» قالوا يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «يُغْذِيهِ أَوْ يُعْشِيهِ».

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَزْعَةُ لَحْمٍ».

وأسأل الله أن يفقهنا في الدين ولا يحوجنا إلى أحد من خلقه.



إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم اليوم -أيها الناس- عن العشر الأواخر من رمضان.

أيها الناس؛ إن العشر الأواخر من رمضان فيها من الأجر العظيم والمزايا ما ليس لغيرها من أيام رمضان ولياليها.

وقد كان النبي ﷺ يخصها بالاجتهاد في العبادات ويجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يَجْتَهِدُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ ما لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِه.

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وأَحْيَا لَيْلَهُ وأَيْقَظَ أَهْلَه.

وفي رواية: «أَحْيَا اللَّيْلَ، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ، وَشَدَّ المِئْزَرَ»؛ ومعنى شد المئزر هو كناية عن اعتزال النساء ليتفرغ للصلاة والذكر.

والمراد بـ «أحيا الليل»: إحياءُ غالبه، ويؤيده ما في «صحيح مسلم»[3] من حديث

---

(١) أخرجه مسلم (١١٧٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).
(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما أَعْلَمُهُ - ﷺ- قامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ».

ومما يدل على مَيْزَةِ العشر الأواخر على غيرها أن النبي ﷺ كان يعتكفُ فيها واعتكف أصحابُه معه وبعده، واعتكف أزواجه من بعده.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ اعتكف العُشْرَ الأَوَّلَ من رمضانَ، ثم اعتكف العُشْرَ الأوسطَ ثم قال: «**إِنِّي أَعْتَكِفُ العُشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثم أَعْتَكِفُ العُشْرَ الأَوسَط، فَقِيلَ لي: إنَّها في العُشْرِ الأَواخِرِ فَمَنْ أحبَّ أن يعتكفَ فلْيعْتكِفْ**».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يعتكفُ العَشْرَ الأواخرَ من رمضان حتى توفاه الله عزَّ وجلَّ ثم اعتكف أزواجُه من بعده.

أيها الناس؛ تقدم أن النبي ﷺ كان يعتكف في المسجد وخاصة في العَشرِ الأواخر وكذلك اعتكف أصحابُه معه ومن بعده، وكذلك نساؤه من بعده .

والاعتكاف -شرعًا-: هو الإقامةُ في المسجد بنية التَّقَرُّبِ إلى الله ـ عزَّ وجلَّ. وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع:

فأما الكتاب: فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

وأما السنة: ففي «الصحيحين»[٣] من حديث عائشة -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان يعتكف العَشْرَ الأواخرَ من رمضانَ حتَّى توفَّاه اللهُ، ثم اعتكف أزواجُه من بعدِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).
(٣) رواه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).

وأما الإجماع: فقد قال ابن المنذر في كتابه «الإجماع»: «وأجمعوا على أن الاعتكاف جائز»[(١)].

والاعتكاف أيها الناس سنة مستحبة في حق الرجال والنساء سواء، وهو واجب بالنذر:

قال النووي -رحمه الله-: «قد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب»[(٢)].

وقال أيضًا: الاعتكاف سنة بالإجماع، ولا يجب إلا بالنذر بالإجماع»[(٣)].

والاعتكاف_ أيها الناس _ يجوز في سائر أيام السنة، وهو في رمضان آكدُ، وفي العُشْرِ الأخير منه أفضلُ.

لما في «الصحيحين»[(٤)] من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يعتكفُ في العَشْرِ الأواخر من رمضانَ، فكنت أضرب له خباءً فيصلِّي الصبحَ ثم يَدخلُه، فاستأذنتْ حفصةُ عائشةَ أن تضرب خباءً، فأذنتْ لها فضربتْ خباءً، فلما رأتْه زينبُ بنتُ جحشٍ ضربت خباءً آخرَ، فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبيةَ، فقال: «ما هذا؟» فأخبر، فقال النبيُ ﷺ: «آلبِرَّ تَرَوْنَ بِهِنَّ؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرًا من شوال.

ويُبدأ وقتُ الاعتكاف:

من بعد صلاة الفجر؛لما في«الصحيحين»[(٥)] من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضانَ، فإذا صلى الغداةَ دخل مكانَه الذي

---

(١) الإجماع (١٣٦).
(٢) شرحه على مسلم (٨/ ٩٥).
(٣) المجموع (٦ / ٥٠١).
(٤) رواه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٢).
(٥) رواه البخاري (٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٢).

اعتكفَ فيه».

وبوب له النووي -رحمه الله- «باب: متى يدخلُ من أرادَ الاعتكافَ في مُعْتَكَفِه»[١].

وأما وقتُ خروج المعتكِف من معتكَفه:

فصبيحةَ يومِ العيدِ؛ لما في «صحيح البخاري»[٢] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: اعتكفْنا مع رسول الله ﷺ العشْرَ الأوسطَ، فلما كان صبيحةُ عشرين نقلْنا متاعَنا.

قال الحافظ: (اُستُدِلَّ بهذا على أن مبدأ الاعتكافِ من أولِ النهارِ).

وللاعتكاف- أيها الناس- شروط:

وشروطه ما ذكرته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[٣] عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: السُنَّةُ على المعتكِف ألا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يَمَسُّ امرأةً، ولا يباشرُها، ولا يخرجُ لحاجةٍ إلَّا لما لابدَّ منه، ولا اعتكافَ إلا بصومٍ، ولا اعتكافَ إلا في مسجد جامع.

فقولها: (لا يعود مريضًا):

أي لا يزوره، ولكن للمعتكف أن يسأل عن المريض؛ لما في «الموطأ» بسندٍ صحيح[٤] من حديث عَمْرَةَ بنت عبدالرحمن أن عائشة -رضي الله عنها- كانت إذا اعتكفت لا تسأل عن المريض إلا وهي تمشي لا تقف.

---

(١) شرحه على مسلم (٨ / ٩٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٠).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح أبي داود»(٢١٦٠).
(٤) الموطأ (١ / ٣١٢).

وقولها: (لا يمس المرأة ولا يباشرها):

وذلك لأن الوطء في الاعتكاف محرم بالإجماع؛ لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

وكذلك يحرم على المعتكف أن يُقبِّل زوجته بإجماع العلماء.

قال ابن عبدالبر -رحمه الله-:

«أجمع العلماء أن المعتكف لا يباشر ولا يُقبِّل».

وأمَّا إذا وقع المعتكف على امرأته فإن اعتكافه فسد ويستأنف[1].

وقولها: «**ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه**»: والحاجة التي لابد منها هي: الطعام والشراب إذا لم يجد من يحضرهما له، وكذلك البول والغائط، وكذلك غسل الجنابة والجمعة، وكذلك إقلاب الزوجة وغيرها.

قال الإمام ابن العربي -رحمه الله-:

(رُخِّصَ للمعتكف في حاجةِ الإنسان للضرورة الداعية وبقيَ سائرُ أفعال الاعتكاف كلُّها على أصل المنع).

وقولها: « **ولا اعتكاف إلا بصوم**» :

قال ابن حجر -رحمه الله-:

«ولم يُنقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطرًا قطُّ، ولم يَذكرِ اللهُ سبحانه الاعتكافَ إلا مع الصوم، ولا فعله رسولُ الله ﷺ إلا مع الصوم، فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ

---

(١) التمهيد (٨/ ٣٢).

الإسلام أبو العباس ابن تيمية»[1].

وقولها -رضي الله عنها-: «**ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع**» قولها إنما هو عام في أي مسجد، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

أيها الناس: ذلك بعضُ هَدْيِ النبي ﷺ في العشر الأواخر، فلا يفوتكم ذلك الخير، بل لعل بعضنا قد لا يدركه رمضانُ القادم.

والموت غيب ولا يدري أحدنا متى الموعد.

وأستغفر الله.

---

(١) فتح الباري (٤ / ٣٢٢).



الخطبة الثانية

ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس: تقدم الحديث معكم عن بعض هَدي النبي ﷺ في العَشر الأواخر من رمضان، وحديثي معكم الآن عن ليلة القدر التي شرفها الله على غيرها، ومَنَّ على هذه الأمةِ بجزيل فضلها، وعظيمِ خيرها، وعميم بركتها.

ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أنزل فيها:

قال الله -سبحانه وتعالى-:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ ـ ٥].

والقدر: بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء، لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: عبادٌ من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهارًا: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩، ٢٠]، يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة.

و ﴿ٱلرُّوحُ﴾: هو جبريل -عليه السلام-، خصه بالذكر لشرفه وفضله.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مَخُوفٍ. لكثير من يُعتق فيها من النار، ويَسلم من عذابها.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر؛ لانتهاء عمل الليل به[1].

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان:٣ ـ ٨] وصفها الله -سبحانه وتعالى- بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أُنزل فيها.

ووصفها -سبحانه وتعالى-: «بأنه يفرق كل أمر حكيم؛ يعني: يُفصَلُ من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبَةِ ما هو كائن من أمر الله -سبحانه وتعالى- في تلك السنة من الأرزاق والآجال، والخير والشرِّ، وغير ذلك من كل أمرٍ حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة التي ليس فيها خَلَلٌ ولا نقصٌ ولا شفَةٌ ولا باطلٌ، ذلك تقدير العزيز العليم»[2].

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه».

---

(١) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين (ص١٢٩).
(٢) المرجع السابق (ص١٢٩).
(٣) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

وليلة القدر أيها الناس تكون في العشر الأواخر من رمضان ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**».

وتكون في الأوتار من العشر الأواخر بالذات أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، ففي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى**».

وهي في السبع الأواخر أرجى: ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ** (يعني اتفقت) **فِي سَبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**».

وأَرْجَى ما تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين.

ففي «صحيح مسلم»، و«مسند أحمد»، و«سنن أبي داود»[(٤)]، من حديث أبي بن كعب، ومعاوية أن النبي ﷺ قال: «**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**».

أيها الناس: **قد ذكر أهل العلم أن ليلة القدر تكون في وتر العشر الأواخر وأنها تنتقل**

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).
(٢) رواه البخاري (٢٠٢١).
(٣) رواه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).
(٤) رواه مسلم (٧٦٢)، وأحمد (٥/ ١٣٢) عن أبي بن كعب موقوفًا، وأبو داود (١٣٨٦).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل».

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: «ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلاً، وفي عام آخر ليلة خمسٍ وعشرين، تبعًا لمشيئة الله وحكمته ويدُلُّ على ذلك قوله ﷺ: «**الْتَمِسُوهَا فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى**»[1].

أيها الناس: علينا أن نجتهد في تلك الأيام الفاضلة بالعبادة؛ كالصلاة، وقراءة القرآن، والإكثار من الدعاء ولاسيما الدعاء الذي علمه النبي ﷺ عائشة؛ ففي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح -صححه الألباني- في «صحيح سنن ابن ماجه» من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلتُ: يا رسول الله: أرأيت إن علمت أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر، ما أقول؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢١).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٥٠).



الخطبة الأولى

٥. الحجُّ والعُمرة



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الحجِّ أحدِ أركانِ الإسلامِ، ومبانيه العِظامِ، فهو الركنُ الخامسُ من أركانِ الإسلامِ، فهو ختامُ الأمرِ، وتمامُ الإسلامِ، وكمالُ الدِّينِ.

ومن أنكر فرضيَّةَ الحجِّ، فهو كافرٌ مرتدٌّ عن الإسلام، إلا أن يكون جاهلاً بذلك، كحديث عهدٍ بإسلامٍ، أو ناشئٍ في باديةٍ بعيدةٍ، لا يعرفُ من أحكام

الإسلام شيئًا، فهذا يُعذرُ بجهله، ويُعرفُ ويُبيَّنُ له الحكمُ، فإن أصرَّ على إنكاره فهو كافرٌ، وأمَّا مَنْ تركه تهاونًا مع اعترافه بفرضيَّتِه فهذا لا يُكفَّرُ، ولكنه على خطرٍ عظيمٍ، وقد قال بعض أهل العلم بكفره.

وأمَّا العُمرةُ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها واجبةٌ، لكنَّ وُجوبَها أدنى من وجُوب الحجِّ[١].

والحجُّ لا يجب إلا مرَّةً واحدةً في العُمرِ، وكذلك العُمرةُ.

ومن أدلَّة فرضيَّة الحجِّ - أيها الناس - ما يأتي:

قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: **«بُني الإسلام على خَمْسٍ: شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والحجِّ، وصوم رمضانَ»**.

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسولُ الله - ﷺ - فقال: **«أيها الناسُ، قدْ فَرَضَ اللهُ عليكمُ الحَجَّ؛ فحُجُّوا»**.

فقال رجلٌ: أكلَّ عامٍ يا رسولَ الله. فسكتَ حتى قالها ثلاثًا. فقال رسول الله - ﷺ -: **«لو قلتُ: نعم لوجبَتْ، ولما استطعتم»**.

ثمَّ قال: **«ذروني ما تركْتُكُم، فإنما هلكَ منْ كان قَبْلَكُم بكَثْرةِ سُؤالِهم، واختلافهم**

---

(١) انظر «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص١٦٤) بتصرُّفٍ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ له.

على أنبيائهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ، فأتوا مِنه ما استطعتم، وإن نهيتُكم عن شيءٍ فَدَعُوهُ».

وفضائل الحجِّ ـ أيها الناس ـ لا تكاد تُحْصرُ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سُئلَ رسول الله ـ ﷺ ـ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «**إيمانٌ باللهِ ورسولهِ**».

قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**حجٌّ مَبْرورٌ**».

والحَجُّ المَبْرور ـ أيها الناس ـ: هو الذي لا يرتكب صاحبُهُ فيه معصيةً.

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ حجَّ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ من ذُنُوبِهِ كيومِ ولدَتْهُ أُمُّهُ**».

والرَّفَثُ ـ أيّها الناس ـ: كلمةٌ جامعةٌ لكُلِّ ما يريدُهُ الرجلُ من المرأة.

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**العُمرةُ إلى العُمرةِ كفّارةٌ لما بَيْنَهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنةُ**».

وفي «صحيح البخاري»[4] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألا نغزوا أو نُجَاهِدُ معكم؟ قال: «**لَكِنْ أحسنُ الجِهَادِ وأجْمَلُهُ الحَجُّ، حَجٌّ مبرورٌ**» قالت عائشةُ: فلا أدعُ الحَجَّ بَعْدَ إذ سمعتُ هذا من رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ.

وفي «صحيح مسلم»[5] من حديث عَمْرِو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ فقلتُ: ابسُطْ يَمينَكَ فلأُبايعُكَ. فبسط يمينَهُ، فقبضتُ يدي، فقال:

---

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٢) رواه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).
(٣) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٤) رواه البخاري (١٨٦١). (٥) رواه مسلم (١٢١).

«ما لك يا عمرو؟». قلتُ: أردتُ أنْ أشترِطَ. قال: «تشترطُ بماذا؟». قلتُ: أن يُغفرَ لي. قال: «أَمَا عَلِمتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ، وأنَّ الهِجْرةَ تَهْدِمُ ما كان قَبْلَها، وأنَّ الحجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلهُ؟!».

وروى الطبراني في «جامعه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أمَّا خُروجك من بيتكَ تؤمُّ البيتَ الحرامَ، فإنَّ لك بُكلِّ وطأةٍ تَطَؤُها راحِلتُكَ، يكتُبُ اللهُ لك بها حسنةً، ويمحو عنك بها سيِّئةً.

وأمَّا وُقُوفُك بَعرفةَ، فإنَّ اللهَ - عز وجل - ينزلُ إلى السماء الدُّنيا، فيُباهي بهمُ الملائكةَ فيقولُ: هؤلاء عبادي، جاءُوني شُعْثًا غُبْرًا، مِنْ كُلِّ فجٍّ عميقٍ، يَرْجُونَ رحمتي، ويَخافون عذابي، ولم يَرَوْني، فكيف لو رَأَوْني؟!

فلو كان عليك مِثْلُ رَمْلِ عَالجٍ (أي: ما تراكم من الرَّمْلِ، ودخلَ بعضُه في بعضٍ) أو مثلُ أيَّامِ الدنيا، أو مِثْلُ قطرِ السماء ذُنوبًا - غسلَها اللهُ عنك.

وأمَّا رمْيُكَ الجمارَ، فإنَّه مَدْخُورٌ لك.

وأمَّا حَلْقُكَ رأسكَ، فإنَّ لك بكُلِّ شعرةٍ تسقطُ حسنةً، فإذا طُفْتَ بالبيتِ خَرجتَ من ذُنُوبكَ كيومِ ولدتْكَ أُمُّكَ».

ومن فضائل الحجِّ - أيها الناس - أنَّه طريقُ الغنى، وأَمانٌ من الفقرِ:

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ حسنٍ صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن الترمذيِّ»[(٢)] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «تابعوا بيْنَ الحَجِّ والعُمرة؛ فإنهما يَنْفيانِ الفَقْرَ، والذُّنُوبَ، كما يَنْفي الكيرُ خَبَثَ

---

(١) رواه الطبراني في «جامعه» (٥٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٦٥٠).

الحديدِ، والذهبِ والفضةِ، وليس للحَجَّةِ المبْرورة ثوابٌ إلاَّ الجَنَّةُ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ حَجَّ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُق غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه».

وللحجِّ - أيها الناس - شروطٌ، فمنها:

أولاً - الإسلام، فلا يصحُّ الحجُّ من كافرٍ.

ثانيًا - البُلُوغُ، فلا يجبُ الحجُّ على الصبيِّ.

ثالثًا - العقلُ، فلا يجبُ الحجُّ على مجنونٍ.

رابعًا - الحُريَّةُ، فلا يجب الحج على العبدِ.

خامسًا - الاستطاعة لقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

وللحجِّ - أيها الناس - أربعةُ أركانٍ، وهي:

أولاً - الإحرام: وهو نيّةُ الدُّخولِ في النُّسُكِ.

ثانيًا - الوُقُوفُ بعرفَةَ.

ثالثًا - طوافُ الإفاضة.

رابعًا - السَّعيُ بيْنَ الصفَّا والمَروةِ.

ومَن ترك شيئًا من هذه الأركانِ، لم يصحَّ حجُّه، حتَّى يأتيَ به.

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٥١).

وواجبات الحجِّ - أيها الناس - سبعةٌ، وهي:

أولاً - الإحرامُ من الميقاتِ.

ثانيًا - الوقوفُ بعَرفةَ إلى اللَّيل.

ثالثًا - المبيتُ بمُزْدَلفةَ ليلةَ النَّحْرِ.

رابعًا - المبيتُ بمنىً أيَّامَ التشريق.

خامسًا - رَمْيُ الجِمارِ.

سادسًا - الحلقُ أو التقصير.

سابعًا - طواف الوداع.

ومن ترك واجبًا من هذه الواجبات، فعليه بَدَلَهُ فِديةٌ، يذبحها في مكَّةَ، ويُوزِّعُها على مساكين الحرمِ، ولا يأكل منها شيئًا.

وأيَّام الحجِّ - أيها الناس - نُجملُها فيما يأتي:

أولاً - يومُ الثامن من ذي الحجَّة، ويُسمَّى يومَ التَّروِيَةِ.

يُستحبُّ له أن يغتسل، ويتطيبَ، ويلبسَ الإحرامَ، فيُحرم بالحجِّ، ويشترط إن كان خائفًا، ويبيت بمنى ليلةَ التاسع، ويُكْثر من التلبية، ويَقْصُر الصلاةَ الرُّباعيَّة.

ثانيًا - اليومُ التاسعُ، ويُسمّى يومَ عَرَفَةَ.

يسيرُ إليها بعد طُلوعِ الشمس، ويُصلِّي الظُّهْرَ والعَصر جَمْعًا وقصْرًا (جَمعَ تقديمٍ)، ويجتهدُ في الدعاء وقول: لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، له المُلكُ، وله الحمد، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير.

ثالثًا - ليلةُ مُزْدَلِفَةَ (ليلةُ العيد).

يدفعُ إليها بعد مغيب الشمسِ بسكينةٍ ووقارٍ، ويصلِّي بها المغرب والعشاء - متى وصلَ - جمعًا بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، قبلَ حطِّ رحالِه، وينام، ولا ينشغل بصلاةٍ سوى الوتْر، ويبقى ويُصلي الفجر بها، ويقصدُ المَشعَرَ الحرامَ إن تيسَّر، ويدعو اللهَ حتى يُسْفَر جدًّا.

رابعًا - يومُ العيد:

يُكثرُ من التلبية، حتى يرميَ جَمْرَةَ العَقَبةِ بسبعِ حصياتٍ، فيقطعُها، ويُكبِّرُ اللهَ مع كلِّ حصاةٍ، ويذبحُ هَدْيَهُ في هذا اليومِ، ويحلقُ شعرهُ أو يُقصِّرُهُ، والحَلْقُ أفضل لغيرِ النساءِ، بلِ المرأةُ تُقصِّرُ قدرَ أنملةٍ من كُلِّ ضفيرةٍ، ويطوفُ ويسعى حسب النسكِ، ويخلعُ إحرامَهُ بالتحلُّل الأوَّلِ.

خامسًا - أيام التشريق:

يرمي الجمراتِ الثلاثَ بعد الزَّوال، يبدأُ بالصُّغرى، ثمَّ الوسطى، ثمَّ العقبةِ الكُبرى بسبع حصياتٍ لكُلِ جَمرةٍ، يُكبِّرُ عند كلِّ حصاةٍ، ويُسنُّ له بَعدَ الرَّمي عند الصغرى والوسطى أن يدعُوَ عندَهما طويلاً حسب اللَّوحاتِ الإرشاديَّةِ هناك، رافعًا يَدَيْهِ، ويبيتُ بمنىً هناك وجوبًا؛ ليختمَ آخرَ أعمالِ الحجِّ بطوافِ الوداع، وبذلك يتمُّ حجُّه.

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

العُمرة



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الحجِّ، والآنَ حديثي معكم عن العُمرةِ.

والعُمرةُ ـ أيها الناسُ ـ واجبةٌ على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها: أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ قَرَنَ بينَ الحجِّ والعُمرةِ بقوله: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفي «صحيح البخاريِّ» مُعلَّقًا[١] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «إنَّها لقرينتها في كتاب الله: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾».

وأخرج البخاري ـ أيضًا ـ مُعلَّقًا[٢] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «ليس أحدٌ إلا وعليه حَجَّةٌ وعُمْرةٌ».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»[٣]، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: يا رسولَ الله، هل علىٰ النساء من جهادٍ؟ قال: «**عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه: الحجُّ والعُمرةُ**».

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٥٩٧ ـ الفتح)، ووصله الشافعي كما قال ابن حجر.

(٢) رواه البخاري بصيغة الجزم (٣/ ٥٩٧ ـ الفتح)، ووصله ابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم، كما قال ابن حجر.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٦٥)، وقال الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٥١): إسنادُه صحيح.

قال ابن خزيمة - رحمه الله - في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «**عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه**»: «وإعلامُهُ أنَّ الجهادَ الذي عليهنَّ الحجُّ والعُمرة بيانُ أنَّ العُمرةَ واجبةٌ كالحجِّ؛ إذ ظاهر قوله: «عليهنَّ» أنَّه واجبٌ، إذ غيرُ جائزٍ أنْ يُقال: على المرءِ ما هو تطوُّعٌ غير واجب»[1].

وأخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] من حديث الصُّبَيِّ بْنِ مَعْبَدٍ قال: «أتيت عُمَرَ - رضي الله عنه - فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إني أسلمتُ، وأنا حريصٌ على الجهاد، وإني وجدتُ الحجَّ والعُمرة مكتوبَيْنِ عليَّ، فأتيت رجلاً من قومي، فقال: اجمعهما واذبح ما استيسر من الهَدْيِ، وإنِّي أهللتُ بهما معًا. فقال عُمَرُ - رضي الله عنه -: هُديتَ لسُنَّةِ نبيِّك - ﷺ -».

وأخرج البخاري[3] من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: «**أتاني الليلةَ آتٍ مِنْ ربِّي - وهو بالعقيقِ -: أنْ صلِّ في هذا الوادي المُبارك، وقُل: عُمْرةٌ في حَجَّةٍ**».

قال النووي - رحمه الله -[4]: «وهي واجبةٌ على المذهب الصحيح، ولا تجبُ هي ولا الحجُّ في العُمر إلا مرَّةً واحدةً».

وفضائل العمرة - أيها الناس - كثيرةٌ، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[5] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**العُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةٌ لِمَا بيْنَهُما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنَّةُ**».

---

(١) انظر «صفة العمرة» لأشرف بن عبد المقصود (ص١٤).

(٢) رواه أبو داود (١٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٥٨٢).

(٣) رواه البخاري (٧٣٤٣).

(٤) «الإيجاز في المناسك» (ص٤٠).

(٥) تقدَّم تخريجه.

وفي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[1] من حديث عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: **«تابعُوا بَيْنَ الحجِّ والعُمْرة؛ فإنَّ المتابعة بيْنَهُما تَنفي الفَقْرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد»**.

وفي «الصحيحين»[2] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«عُمْرةٌ في رمضان تَعْدِلُ حَجَّةً معي»**.

قال الإمام ابن الأعرابيِّ - رحمه الله -: «حديث العُمرة هذا صحيح، وهو فضلٌ من الله ونعمةٌ، فقد أَدْرَكَتِ العُمرةُ منزلةَ الحجِّ بانضمام رَمَضَانَ إليها»[3].

والمُعتمرُ - أيها الناس - مِنْ وَفْدِ الله - سبحانه وتعالى -:

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[4] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبيِّ - ﷺ - قال: **«الغازي في سبيل الله - عزَّ وجلَّ -، والحاجُّ، والمُعْتَمِرُ وَفْدُ الله، دَعَاهم فأَجَابُوهُ، وسألُوهُ فأعطَاهُم»**.

اللهمَّ اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسررنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلمُ به منَّا، إنك أنت المُقدِّمُ والمُوخِّرُ، لا إله إلا أنت.

---

(١) أخرجه ابن ماجَهْ في «سننه» (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٣) نقله عنه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣/ ٦٨).

(٤) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٣٣٩).

أركـــان الإيمـــان



الخطبة الأولى

١ـ الإيمانُ بالله



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّـا بعـدُ، أيها الناسُ، حديثي معكم حول أصلٍ من أصولِ الإيمان، بل أصلُ الأصول، والطريقُ للوصول، ألا وهو الإيمان بالله.

والإيمانُ بالله ـ أيها الناسُ ـ يتضمَّنُ أربعة أمورٍ:

١ ـ الإيمان بوجود الله.

٢- الإيمان بربوبيّته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأول - الإيمان بوجود الله:

وقد دلَّ على وجُوده - سبحانه وتعالى - الفِطْرةُ، والعَقْلُ، والشَّرعُ، والحِسُّ.

أمَّا الفطرةُ: فإن كلَّ مخلوقٍ قد فُطِرَ على الإيمان بخالقِه،

ففي «صحيح البخاري»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**ما مِنْ مولودٍ إلاَّ ويُولَدُ على الفِطرةِ، فأَبَواهُ يُهَوِّدانهِ، أو يُنَصِّرانهِ، أو يُمَجِّسَانه**».

وأمَّا العقلُ: فإنَّ هذه المخلوقاتِ - سابقها ولاحقها - لابُدَّ لها من خالقٍ أوجدها؛ إذ لا يُمكنُ أن تُوجِدَ نَفْسَها بنفسها.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ [الطور: ٣٥].

يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خَلَقُوا أنفسهم، فتعيَّن أن يكونَ خالقُهم هو اللهَ(*) - سبحانه وتعالى -(٢).

وفي «صحيح البخاري»(٣) من حديث جُبَيْر بن مُطْعِمٍ - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقرأ سُورةَ الطور، فبلغ هذه الآياتِ: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ**

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٥).

(٢) «شرح أصول الإيمان» (ص١٥، ١٦).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٤).

(*) يجوز في لفظ الجلالة في الجملة السابقة الأمران: النصب والرفع والنصب أحسن فالنصب باعتبار ضمير الفصل (هو) حَرْفًا أو اسمًا مُهْملاً (أي: لا يعمل ولا محلَّ له من الإعراب) فلفظ الجلالة بعده خبر للفعل الناسخ (يكون) والرفع باعتبار ضمير الفصل مبتدأ مبنيًا على الفتح في محلِّ رفعٍ وخبره لفظ الجلالة، والجملة من المبتدأ والخبر في محلِّ نصب خبرٍ لـ (يكون).

رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]. وكان جُبيرٌ يومَئذ مشركًا، قال: «كاد قلبي أن يطيرَ، وذلك أولُ ما وقر الإيمانُ في قلبي».

وأمَّا أدلة الشرع على وجود الله: فإنَّ الكُتب السماوية كُلها تنطقُ بذلك.

وأمَّا أدلة الحِسِّ: فذلك واضحٌ من إجابة الداعين، وغوثِ المكروبين، ما يدلُّ دلالةً قاطعةً على وجود الله - سبحانه وتعالى -، ومن ذلك مُعجزات الأنبياء التي شاهدها الناسُ، ونُقِلَتْ إلينا نقلاً صحيحًا.

الثاني - الإيمان بربوبيته - سبحانه وتعالى -: أي أنه وَحْدَهُ الربُّ لا شريكَ له ولا مُعِينَ، والرَّبُّ: مَنْ له الخلقُ، والمُلكُ، والأمرُ، فلا خالقَ إلاَّ اللهُ، ولا مَلِكَ إلاَّ هو، ولا أَمْرَ إلاَّ له.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

أيها الناس، إنَّ ربوبيةَ اللهِ لخلقِهِ **على نوعين:**

النوعُ الأولُ - ربوبية عامَّة، شاملة لجميع المخلوقات، وهي أنَّ الله - سبحانه وتعالى - هو المتفرِّدُ بخلقِها، ورزقِها، وتدبيرها.

النوع الثاني - ربوبية خاصَّة، وهي خاصَّة بأولياء اللهِ وأصفيائِهِ، وهي تربيته لهم بهدايتهم للدِّين والإيمانِ.

قال ابن سَعْدِيٍّ - رحمه الله - في تفسيره:

«وتربيتُهُ - تعالى - لخلقه نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

فالعامَّة: هي خَلْقُهُ للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتُهم لما فيه مصالِحُهم، التي فيها بقاؤُهم في الدُّنيا.

والخاصَّةُ: تربيتُهُ لأوليائِهِ، فيربّيهم بالإيمان، ويُوفِّقُهم له، ويُكمِّلُهُ لهم، ويدفعُ عنهمُ الصَّوارفَ والعوائق الحائلة بينهم وبينهُ.

وحقيقتُها: تربيةُ التوفيق لكُلِّ خيرٍ، والعِصمةِ من كُلِّ شرٍّ.

ولعلَّ هذا المعنى هو السرُّ في كونِ أكثرِ أدعيةِ الأنبياء بلفظ الربِّ، فإنَّ مطالبَهُم كُلُّها داخلةٌ تحت ربوبيَّتِهِ الخاصَّةِ»[1].

أيها الناسُ، هنا سؤال يفرضُ نفسهُ هو:

هل توحيدُ الرُّبوبية يكفي العبد في حصول الإسلام؟

الجواب: لا، فهذا التوحيدُ لا يكفي العَبدَ في حصول الإسلام، بلْ لابُدَّ أنْ يأتي مع ذلك بلازمِهِ من توحيد الألوهيَّة؛ لأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر في كتابه الكريم عن المشركين أنهم مُقرُّون بهذا التوحيد وحدهُ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٣١].

ومع هذا كلِّه من إقرار المشركين بأنَّ الله هو الخالقُ الرزاق المُدبِّرُ، لم ينفعهم

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٣٩).

ذلك، ولم يُدخلهم في الإسلام؛ لأنَّهم اتخذوا من دون الله آلهةً أُخرىٰ، وزعَموا أنَّها تُقرِّبهم إلىٰ الله زُلفىٰ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]

فتبيَّن لكم - أيها الناس - أنَّ الكفار يعرفون اللهَ ويعرفون ربُوبيَّتَهُ، ويعرفون مُلكهُ ويعرفون قَهْرَهُ، ولم تُدخِلْهُم تلك المعرفةُ في الإسلام.

أيها الناس، لابُدَّ أنَّكم قد عرفتُم توحيد الربوبيَّةِ، وأنَّه لا يكفي العبدَ في حصول الإسلام؛ لأنَّه لابد أنْ يأتيَ بلازِمهِ، وهو توحيد الأُلوهيةِ.

وفيما يأتي الحديث عن توحيد الألوهية:

وتوحيد الأُلوهية - أيها الناس - هو إفراد الله - سبحانه وتعالىٰ - بالعبادة كُلِّها، فلا يُعبَدُ غَيرُهُ، ولا يُدْعَىٰ سِواهُ، ولا يُستغاثُ ولا يُستعانُ إلا به، ولا يُنْذَرُ ولا يُنْحَرُ إلا له.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

أيها الناسُ، إنَّ توحيد الأُلوهيَّةِ هوالذي أنكره المُشركون، واستعظموه؛ لأن مِنْ لوازمه بُطلان عبادةِ آلهتهم ووسائطهم.

فهو أوَّل الدين وآخرهُ، وباطنهُ وظاهرهُ، وهو أوَّلُ دعوةِ الرُّسل وآخرها، وهومعنىٰ قوله: لا إله إلاَّ اللهُ؛ ولأجل هذا التوحيد خُلقتِ الخليقةُ، وأُرسلتِ

الرسلُ، وأُنزلتِ الكتبُ، وفيه افترق الناسُ إلىٰ مؤمنين وكفَّارٍ، وسُعداءَ أهل جنَّةٍ وأشقياءَ أهل النار[1].

وأدلة توحيد الألوهية كثيرةٌ، لا تكاد تُحصرُ، منها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

«وكُلُّ ما اتُّخذَ إلهًا مع الله، يُعبدُ من دونه، فألوهيَّتُهُ باطلةٌ. قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وتسميتُها آلهةً لا يُعطيها حقَّ الأُلُوهيَّة. قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في اللاَّتِ، والعُزَّىٰ، ومَنَاةَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]. وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عن يُوسُفَ أنه قال لصاحبي السِّجنِ: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

ولذلك كانت الرسلُ ـ عليهم السلام ـ يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]. ولكن أبىٰ ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهةً، يعبدونهم مع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ويَستنصرون بهم، ويستغيثون.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٦).

وقد أبطل اللهُ - سبحانه وتعالى - اتِّخاذ المُشركين هذه الألهة ببرهانين عَقليَّين:

الأول - أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيءٌ من خصائص الأُلوهية، فهي مخلوقةٌ، لا تَخْلُقُ، ولا تجلبُ نَفْعًا لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملكُ لهم حياةً ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات، ولا يُشاركون فيه.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا من دُونه آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإنَّ اتِّخاذها آلهة من أَسْفَهِ السَّفَهِ، وأبطل الباطل.

والثاني - أنَّ هؤلاء المُشركين كانوا يُقِرُّون بأنَّ اللهَ - تعالىٰ - وَحْدَهُ الربُّ الخالق الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه، وهذا يستلزمُ أن يُوحِّدوه بالأُلوهية، كما وحَّدوه بالرُّبوبية، كما قال تعالىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال الله تعالىٰ ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]»[1].

وأستغفر الله.

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (٢١، ٢٣).



الخطبة الثانية

الإيمان بأسماء الله وصفاته



الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلي وأُسلم علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد، أيها الناسُ، تقدَّم الحديث معكم عن الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيَّته، والإيمانِ بأُلوهيَّتِهِ، والآن حديثي معكم حولَ الإيمانِ بأسمائِهِ وصفاتِهِ.

أيها الناسُ، إنَّ الإيمان بأسماء الله وصفاته: هو إثباتُ ما أثبَتَهُ اللهُ لنفسه في كتابه، وسنَّةِ رسوله ـ ﷺ ـ من الأسماء والصفاتِ علىٰ الوجهِ اللائقِ به، من غير تحريفٍ (أي: تفسير النصوص بالمعاني الباطلة)، ولا تعطيلٍ (أي نفيٍ للمعنىٰ الحقِّ الذي دلَّ عليه الكتاب والسنَّةُ)، ولا تكييفٍ (أي: أنْ يُعتقدَ أنَّ صفة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ كيفية كذا، أو يُسْألَ عنها بكيف؟)، ولا تمثيلٍ (أي: اعتقاد أنَّ صفات الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مثلُ صفات المخلوقين).

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن سَعديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره هذه الآية: «هذا بيانٌ لعظيم جلاله، وسَعَة أوصافِهِ، بأنَّ له الأسماء الحسنىٰ: أي له كُلُّ اسم حسنٍ، وضابطُهُ: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٍّ علىٰ صفة كمالٍ عظيمةٍ، وبذلك كانتْ حُسنىٰ، فإنَّها لو دلَّتْ علىٰ غير صفةٍ، بل كانتْ علمًا مَحْضًا، لم تكن حُسنىٰ، وكذلك لو دلتْ علىٰ صفةٍ ليستْ بصفة كمالٍ، بل إمَّا صفة نقصٍ، أو صفة منقسمة إلىٰ المدحِ والقدحِ لم تكن حسنىٰ،

فكلُّ اسمٍ من أسمائه دالٌّ على جميع الصِّفة التي اشتُقَّ منها، مُسْتغرقٌ لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدالِّ على أنَّ له عِلمًا مُحيطًا عامًّا لجميع الأشياء، فلا يخرجُ عن علمِهِ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرض ولا في السماء.

وكـ «الرحيم» الدالِّ على أنَّ له رحمةً عظيمةً واسعةً لكُلِّ شيء.

وكـ «القدير» الدالِّ على أنَّ له قُدرةً عامَّةً، لا يُعجِزُها شيءٌ، ونحو ذلك.

ومن تمام كونِها «حُسنى» أنَّه لا يُدعىٰ إلا بها؛ ولذلك قال: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾.

وهذا شاملٌ لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيُدْعىٰ في كلِّ مطلوبٍ بما يُناسِبُ ذلك المطلوب، فيقول الداعي - مثلاً -: اللهمَّ اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتُبْ عليَّ يا توَّابُ، وارزُقني يا رزَّاقُ، والْطُفْ بي يا لطيفُ، ونحو ذلك.

وقوله - تعالىٰ -: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]:

أي عقوبةً وعذابًا على إلحادهم في أسمائه، وحقيقةُ الإلحاد: المَيلُ بها عمَّا جُعِلَتْ له: إمَّا بأنْ يُسمَّىٰ بها مَنْ لا يستحقُّها - كتسمية المشركين بها لآلهتهم -، وإمَّا بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنىٰ ما أراده اللهُ ولا رسولُهُ، وإمَّا أنْ يشبَّهَ بها غيرُها، فالواجب أن يُحذر الإلحادُ فيها، ويُحذَّرَ المُلحدون فيها»[1].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال ابن سعديٍّ - رحمه الله -: «أي: ليس يُشْبِهُه - تعالىٰ - ولا يُماثله شيءٌ من

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٣٠٩).

مخلوقاته: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأنَّ أسماءهُ كُلها حُسنىٰ، وصفاتَهُ صفاتُ كمالٍ وعَظَمةٍ، وأفعالهُ ـ تعالىٰ ـ أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشاركٍ، فليس كمثلِهِ شيءٌ لانفرادِهِ وتوحُّدِهِ بالكمال من كُلِّ وجهٍ. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، علىٰ تفنُّن الحاجات ﴿الْبَصِيرُ﴾ يرىٰ دَبيبَ النَّملةِ السَّوداءِ، في اللَّيلةِ الظَّلْماءِ، علىٰ الصَّخرةِ الصمّاءِ، ويرىٰ سَرَيانَ القُوتِ في أعضاء الحيوانات الصغيرةِ جداً، وسَرَيانَ الماءِ في الأغصانِ الدقيقةِ.

وهذه الآيةُ ـ ونحوُها ـ دليلٌ لمذهب أهل السنَّة والجماعةِ في إثبات الصِّفاتِ، ونفيِ مماثلةِ المخلوقاتِ، وفيها ردٌّ علىٰ المُشبِّهةِ في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وعلىٰ المُعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا ـ مائةً إلا واحداً ـ مَنْ أحْصاها دَخل الجنَّةَ**».

ومعنىٰ أحصاها ـ أيها الناس ـ: أي حفِظَها، وفَهِمَ معانيها ومدلوها، وأثنىٰ علىٰ الله بها، وسأله بها، واعتقدها.

والجنَّةُ ـ أيها الناسُ ـ لا يَدخلها إلا المؤمنون، فَعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ يَنبُوعٍ ومادَّةٍ لحصول الإيمان وقوتِهِ وثباتِهِ، ومعرفةُ الأسماء الحسنىٰ بمراتبها الثلاث: إحصاءِ ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله بها دعاء الثناء والعبادة ودعاء المسألة ـ هي أصلُ الإيمان، والإيمانُ يرجعُ إليها؛ لأن معرفتها تتضمَّنُ أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيدَ الأُلوهية، وتوحيد الأسماء والصِّفات.

---

(١) المرجع السابق (ص٧٥٤).

(٢) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٣).

وهذه الأنواع هي روحُ الإيمان وأصلُهُ وغايتُهُ، فكلما ازداد العبدُ معرفةً بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانُهُ، وقَوِيَ يقينُهُ، فينبغي للمؤمن أن يَبْذُلَ مقدوره ومستطاعهُ في معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله من غير تعطيلٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تحريفٍ، ولا تكييفٍ، بل تكونُ المعرفةُ مُتلقَّاةً من الكتاب والسُّنة، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ، فهذه هي المعرفةُ النافعةُ التي لا يزال صاحبها في زيادةٍ في إيمانه وقوَّة يقينه، وطُمَأْنينةٍ في أحواله، ومحبَّةٍ لربِّه، فمن عرفَ اللهَ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبَّه لا مَحالةَ[1] .

فنسألُ اللهَ الذي لا إلهَ إلاَّ هو بأسمائه الحُسنىٰ، وصفاته العُلىٰ - أنْ يُفقِّهَنا في الدِّين، ويُثبِّتَنا علىٰ الحقِّ المبين، ويجعلنا هُداةً مهتدين .

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (٣/١٧١)، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» لابن سَعْديٍّ (ص٣٩)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٤)، و«شرح أسماء الله الحسنىٰ» للقحطانيِّ (٤، ٥).





الخطبة الأولى

٢. الإيمان بالملائكة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعـد، أيها الناس، إنَّ الإيمانَ بالملائكةِ أصلٌ من أصول الإيمان، لا يتم إيمانُ العبد إلا به[1]

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

(١) انظر «عالم الملائكة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد أكثرتُ النقل عنه في هذه الخطبة.

آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديث جبْريلَ الطويلِ، وفيه يقول النبيُّ - ﷺ - مُجيبًا لجبريلَ حينَ سألهُ عن الإيمان: «**أن تُؤمنَ بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورسُله، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشرِّه**».

والملائكةُ - أيها الناسُ - عالمٌ غَيْبيٌّ، مخلوقون عابدون لله - تعالىٰ -، وليس لهم من خصائص الرُّبوبيَّة والأُلوهية شيءٌ، خلقهمُ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - من نورٍ.

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**خُلِقَت الملائكةُ مِنْ نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارِجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكُم**».

أيها الناسُ، إنَّ مِن الإيمان بالملائكة الإيمانَ بما علِمنا من صفاتهم،

وفيما يأتي ذكرُ بَعضِ صفاتهم:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ - في ملائكة النَّار: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

وممَّا جاء في صفة جبريلَ:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير: ١٩، ٢١]. والمُرادُ بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذي العرش: ربُّ العزَّةِ والجلالِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٠) و(٤٧٧٧)، ومسلم (٩) و(١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٦).

وروىٰ الإمام أحمد بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث عبد الله بن مسعود قال: «رأىٰ رسولُ الله ـ ﷺ ـ جبريلَ في صُورتِهِ، وله ستُّمائة جَنَاحٍ».

ومَّما جاء في وصف حَمَلةِ العَرْش:

روىٰ الإمام أبو داود بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «تخريج المشكاة»، و«السلسلة الصحيحة»[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «**أُذِنَ لي أنْ أَتحدَّثَ عن أَحَدِ حَمَلَةِ العَرْشِ، ما بَيْنَ شَحمةِ أُذُنِهِ وعاتقِهِ مَسيرةُ سَبْعِمائةِ عامٍ**».

وللملائكة أجنحةٌ، كما أخبرنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، فمنهم مَنْ له جَناحانِ، ومنهم من له ثلاثةٌ أو أربعة، ومنهم مَنْ له أكثرُ من ذلك.

قال اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

قال ابن سَعديٍّ ـ رحمه الله ـ في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**أُوْلِي أَجْنِحَةٍ**﴾: «تطير بها، فتسرعُ تنفيذ ما أُمِرَتْ به. ﴿**مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ أي: منهم مَنْ له جَناحان، وثلاثةٌ، وأربعةٌ بحسب ما اقتضتهُ حكمتُهُ»[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٢١)، و«الصحيحة» (١/ ٧٢).

(٣) «تفسير ابن سعدي» (ص٦٨٤).

وممَّا جاء في وَصْف جمالهم أنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ خَلَقَهُم علىٰ صورٍ جميلةٍ كريمةٍ، كما قال ـ تعالىٰ ـ في جبريلَ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥، ٦].

قال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ ـ: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: «أي: قوة، وخُلُقٍ حسنٍ، وجمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ»(١).

وقد استقر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقُبح، ولذلك تراهُم يُشبِّهون الجميل مِنَ البشرِ بالمَلَك.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ حاكيًا عن بعض النِّسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وممَّا جاء في تفاوت الملائكة في الخلق والمقدار:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

وفي «صحيح البخاري»(٢) من حديث رِفاعةَ بن رافعٍ أنَّ جبريلَ جاء إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: «ما تعدُّون منْ شَهِدَ بدراً فيكم؟» قال: «خيارَنا». قال: «وكذلك مَنْ شَهِدَ بدراً مِنَ الملائكةِ، هُم عِندنا خيارُ الملائكةِ».

والملائكة ـ أيها الناس ـ لا يُوصفون بالذكورة حيث أنه لم يرد نص في ذلك، ولا بالأُنُوثة، حيث ورد الذم على ذلك كما أنهم لا يأكلون، ولا يشربون. قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وأخبرنا اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّ الملائكة جاءوا إبراهيم في صورة بشر، فقدَّم لهم الطعام، فلم تمتدَّ إيديهم إليه، فأوجَسَ منهم خِيفة، فلمَّا كشفوا عن

---

(١) المرجع السابق (ص٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٩٩٥).

حقيقتهم، زال خوفُه.

قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ـ٢٨].

ومِمَّا جاء في وصف عدد الملائكة:

الملائكةُ - أيها الناس - خلقٌ كثيرٌ، لا يعلمُ عددهم إلاَّ اللهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يَدْخُلُهُ في كُلِّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ، لا يَعُودُونَ إليه آخِرَ ما عَلَيهِمْ».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يُؤتى بجهنَّمَ يَوْمَئذٍ، لها سَبْعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها».

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[٣] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أَطَّتِ السماءُ، ويُحَقُّ لها أنْ تَئِطَّ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، ما فيها مَوضعُ شِبْرٍ إلاَّ وفيها جَبْهَةُ مَلَكٍ ساجدٍ، يُسبِّح اللهَ بحمْدِه».

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤). (٢) رواه مسلم(٢٨٤٢).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠).

أيها الناس، لقد أعطى اللهُ الملائكة القُدرة على أن ليتشكَّلوا بغير أشكالهم، فقد أرسل اللهُ جبريلَ إلىٰ مَرْيَمَ في صورةِ بشرٍ، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦-١٩].

وإبراهيم جاءتهُ الملائكة في صورة بشرٍ، وجاءوا إلىٰ لُوطٍ في صورة شباب حِسانِ الوُجُوهِ.

وكان جبريلُ ـ عليه السلام ـ يأتي الرسولَ ـ ﷺ ـ في صفات مُتعددة، فتارةً يأتي في صورةِ دِحْيَةَ بن خَلِيفَةَ الكَلْبيِّ، وهو صحابيٌّ، كان جميلَ الصُّورةِ، وتارةً في صورةِ أعرابيٍّ، وقد شاهده كثيرٌ من الصحابة.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: بَيْنَمَا نحنُ جُلُوسٌ عندَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، إذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لا يُرىٰ عليه أثرُ السَّفرِ، ولا يَعْرِفُهُ منَّا أحدٌ حتىٰ جلس إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ، فأسندَ رُكْبَتَيْهِ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ...».

وقد أخبر الرسولُ ـ ﷺ ـ فيما بعدُ أنَّ السائلَ جبريلُ، جاء يُعلِّمُ الصحابةَ دينَهُم.

والملائكة ـ أيها الناس ـ مَطْبُوعون على طاعة الله، ليس لديهم القُدرة على العِصيان.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) رواه مسلم (٨).

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

أيها الناسُ، لقد اختلف العلماءُ حولَ أيهما أفضل الملائكةُ أمْ صالحو البشر؟

وتحقيق القول: ما ذكره ابن تيمية من أنَّ صالحي البشر أفضلُ باعتبار كمال النِّهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنَّةَ، ونالوا الزُّلْفَىٰ، وسكنوا الدَّرجاتِ العُلىٰ، وحَيَّاهُمُ الرحمنُ، وخَصَّهم بمزيدِ قُربِهِ، وتجلَّىٰ لهم، يستمتعون بالنظرِ إلىٰ وجهِهِ الكريم، وقامتِ الملائكةُ في خدمتهم بإذْنِ ربِّهم.

والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإنَّ الملائكة الآنَ في الرَّفيقِ الأعلىٰ، مُنزَّهُون عمَّا يُلابسُهُ بنُو آدَمَ، مُسْتَغْرقون في عبادةِ الرَّبِّ، ولا ريبَ أنَّ هذه الأحوال الآنَ أكملُ من أحوالِ البَشَر.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وبهذا التفصيل يتبيَّنُ سِرُّ التفضيلِ، وتتَّفقُ أدلةُ الفريقين كُلٌّ منهم علىٰ حقِّهِ»[1].

وأستغفر الله.

---

(١) انظر «الفتاوىٰ» (١١/ ٣٥٠)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٣٦٨)، و«شرح الطحاوية» (ص٣٣٨).



الخطبة الثانية

علاقة الملائكة بذرية آدم



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، سبق الحديثُ معكم عن الإيمانِ بالملائكة، وذِكْرِ الصِّفاتِ الخَلْقيةِ للملائكةِ، وما يتعلَّقُ بها، والآن حديثي معكم عن علاقة الملائكة بذُرِّيَّةِ آدَمَ.

أيها الناسُ، لا شكَّ أنَّ علاقة الملائكة بذُرية آدم علاقةٌ وثيقةٌ، فهم يقومون عليه عندَ خَلْقِه، ويكلفون بحفظِه بَعدَ خُرُوجه إلى الحياة، ويأتُونَهُ بالوَحْي من الله، ويُراقبون أعمالَهُ وتصرُّفاتِه، ويَنْزِعُونَ روحهُ إذا جاء أَجَلُهُ.

فمن أعمالهم حراستُهم لابن آدمَ:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

وقد ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ المُعَقِّباتِ من الله: همُ الملائكةُ، جَعَلَهُمُ اللهُ؛ ليحفظوا الإنسان من أمامِه، ومِنْ ورائِه، فإذا جاء قَدَرُ اللهِ الذي قدَّر أن يصل إليه - خَلوا عنه.

ومن أعمالهم أنهم يُبلِّغون وَحْيَ اللهِ إلى رُسُلِه وأنبيائه:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

ومن أعمالهم حِفظُ أعمال بني آدم:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ـ١٢].

أيها الناسُ، لقد وكَّلَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بكلِّ إنسان ملكين حاضرين، لا يُفارقانه، يُحصيانِ عليه أعمالَهُ وأقوالَهُ. قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑯ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑰ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ـ١٨].

وصاحب اليمين يكتبُ الحسناتِ، والآخرُ السيئاتِ،

ففي «معجم الطبراني الكبير» بإسنادٍ حَسَنٍ[1]، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» من حديث أبي أُمامة أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ صاحبَ الشِّمالِ لَيرفَعُ القَلَمَ ستَّ ساعاتٍ عَنِ العَبْدِ المُسلمِ المُخطئِ، فإنْ نَدِمَ، واستغفر اللهَ منها أَلقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدة».

والملائكة ـ أيها الناسُ ـ يُحِبُّون المُؤمنين

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللهَ ـ تباركَ وتعالى ـ إذا أحبَّ عَبْدًا نادى جِبْريلَ: إنَّ اللهَ قدْ أحبَّ فُلانًا فأحِبَّهُ، فيحبُّهُ جبْريلُ، ثمَّ يُنادي جبريلُ في السماء: إنَّ اللهَ قد أحبَّ فُلانًا فأَحِبُّوه، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ويُوضعُ له القَبُولُ في أهل الأرض».

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٧).
(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

والملائكة تُصلِّي على المؤمنين:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والصلاةُ من الله ـ تعالىٰ ـ ثناؤُه علىٰ العبدِ عند الملائكة، وأمَّا الصلاةُ من الملائكة فبمعنىٰ الدُّعاء للناسِ، والاستغفارِ لهم وتصلي عليهم بعد كل صلاة كما في الحديث: «ما لم يؤذ ما لم يحدث» في «الصحيحين».

وهُم ـ أي الملائكةُ ـ يستغفرون للمؤمنين، ويَحْضُرون مجالسَ العِلْمِ، ويَشْهدون جَنَازةَ الصَّالحين، ويُبلِّغون الرَّسولَ ـ ﷺ ـ عَنْ أُمَّتِه السَّلامَ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ من فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٥]. وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧: ٩]. وممَّا يدل علىٰ حُضورهم مجالس العِلْمِ.

ما جاء في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بُيُوت الله، يَتْلون كتابَ الله، ويتدارسُونَهُ بَيْنَهُم ـ إلا نَزَلَتْ عليهِمُ السكينةُ، وَغَشِيَتهُم الرَّحمةُ، وحَفَّتْهُمْ الملائكةُ، وذكرهُم اللهُ فيمن عندَهُ». وممَّا يدلُّ علىٰ شهودهم جَنَازة الصَّالحين، ما روىٰ الطبراني في «جامعه» بإسنادٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[2] من

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) روىٰ الطبراني في «جامعه» (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).

حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - في سعد بن معاذ: «هذا الذي تحرَّك لهُ العَرْشُ، وفُتحَتْ له أبوابُ السَّماءِ، وشَهِدَهُ سَبْعون ألفًا من الملائكة، ولقدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثمَّ فُرِّجَ عَنهُ».

ومِمَّا يدل على أنَّهم يُبلِّغون الرسولَ - ﷺ - عن أُمَّتِه السَّلام.

ما رواه الإمام أحمدُ في «مسنده»، والنسائي في «سننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[1] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين في الأرض، يُبلِّغوني عن أُمتي السَّلام».

أيها الناسُ، قبل أنْ أُودِّعَ مقامي هذا، أُحب أنْ أُذكِّركم أنَّ الملائكة عبادُ الله، اختارهم واصطفاهم، ولهم مكانةٌ عند ربِّهم، ويجبُ علينا أنْ نُحبَّ جميعَ الملائكةِ، فلا نُفَرِّق في ذلك بَيْنَ مَلَكٍ ومَلَكٍ؛ لأنهم جميعًا عبادُ الله، عاملون بأمره، تاركون لنَهيِه.

ويجب علينا - أيها الناسُ - أن نعلمَ أنَّ أعظمَ ما يُؤذي الملائكة الذُّنوبُ والمعاصي، والكُفرُ والشِّرك، وأنَّ أعظم ما يُرضيهم أن يُخلِصَ المَرْءُ دينَهُ لربِّه، ويتجنَّبَ كُلَّ ما يُغضِبُهُ.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) تقدم تخريجه.



الخطبة الأولى

الإيمانُ بكتبِ الله



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعـدُ، أيها الناسُ، إنَّ الإيمان بكتبِ الله رُكْنٌ مِـن أَرْكانِ الإيمان، لا يتمُّ إيمانُ العبدِ إلا بِهِ.

والمُرادُ بكتبِ اللهِ الكتبُ التي أَنْزَلَها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على بَعْضِ رُسُلِهِ رحمةً للخلق، وهدايةً لهم.

والإيمانُ بالكتب ـ أيها الناسُ ـ يتضمَّنُ أربعة أمورٍ:

الأوَّل ـ الإيمانُ بأنَّ نزولَها من عندِ الله حقًّا.

الثاني ـ الإيمانُ بما عَلِمنا اسْمَهُ منها باسمِهِ: كالقُرآنِ الذي نزل على نبينا محمَّدٍ ـ ﷺ ـ، والتوراةِ التي أُنزلتْ على مُوسى ـ ﷺ ـ، والإنجيلِ الذي أُنزل على عيسى ـ ﷺ ـ، والزَّبورِ الذي أُوتيه داود ـ ﷺ ـ، وأمَّا ما لم نعلمِ اسمهُ، فنؤمنُ به إجمالاً.

الثالث ـ تصديق ما صحَّ من أخبارها: كأخبار القُرآنِ، وأخبارِ ما لم يُحرَّفْ أو يُبَدَّلْ من الكتبِ السابقة.

الرابع ـ العمل بأحكام ما لم يُنْسَخْ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمتَهُ أم لم نفهمها، وجميعُ الكتبِ السابقة منسوخة بالقرآنِ العظيم. قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

أي: حاكمًا عليه، وعلى هذا فلا يجوزُ العملُ بأيِّ حُكْمٍ من أحكامِ الكتبِ السابقةِ، إلاَّ ما صحَّ منها، وأقرَّهُ القُرآنُ»[1]

وأدلَّةُ الإيمانِ بكتبِ الله ـ أيها الناس ـ أكثرُ من أنْ تُحصرَ، فمنها:

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٢ ـ ٤].

(١) انظر «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص ٣٠، ٣١).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث عبد الله بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّما بقاؤُكُمْ فيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كما بَيْنَ صلاةِ العَصْرِ إلى غُروبِ الشَّمس، أُوتيَ أهلُ التَّوراةِ التَّوْراةَ، فعملوا بها، حتى انتصف النَّهارُ، ثمَّ عَجَزُوا، فأُعْطُوا قِيْراطًا قِيْراطًا، ثمَّ أُوتيَ أهلُ الإنْجيلِ الإنجيلَ، فعملوا به، حتى صُلِّيت العَصْرُ، ثمَّ عجزوا، فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثمَّ أُوتيتُمُ القُرآنَ، فعملْتُمْ به، حتى غربت الشمسُ، فأُعْطِيْتُم قيراطين قيراطَيْنِ.

فقال أهلُ الكتابِ: هؤلاء أَقَلُّ منَّا عَمَلاً، وأكثرُ أَجراً؟!.

قال اللهُ: هَلْ ظلمتُكُمْ مِنْ حقِّكُمْ شيئًا؟. قالوا: لا. قال: فهو فَضْلي، أُوْتيه مَنْ أشاءُ».

وفي «صحيح البخاري» ـ أيضًا ـ[2] من حديث أبي ـ هريرة رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «خُفِّفَ على داود ـ عليه السلامُ ـ القُرآنُ، (أي: القراءةُ)، فكان يأمُرُ بدوابِّهِ فَتُسْرَجُ، فيقرأ القُرآنَ قبْلَ أنْ تُسْرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِه».

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٦٧) و(٧٥٣٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤١٧).

والقرآن الكريم ـ أيها الناس ـ أطولُ الكتبِ السماويَّة وأشملها.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث واثلة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أُعْطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبْعَ الطِّوالَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئِينَ،وأُعْطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المَثانيَ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**».

والكتب السماويَّةُ ـ أيها الناسُ ـ كُلُّها أُنزلتْ في شَهْر رمضانَ.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث واثلة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أُنزلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ أوَّلَ ليلة منْ شهر رَمَضَانَ، وأُنزلت التَّوراةُ لستٍّ مَضَتْ منْ رَمَضَانَ، وأُنزلَ الإنجيلُ لثلاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ منْ رمَضَانَ،وأُنزلَ الزَّبورُ لثمانِ عَشْرَةَ خَلَتْ من رَمَضَانَ، وأُنزلَ القرآنُ لأربعٍ وعِشرين خَلَتْ منْ رَمَضَانَ**».

أيها الناسُ، كما يجب علينا الإيمان بالكتبِ السابقةِ، فإنَّه يجب علينا ألا نُصدِّق أهل الكتابِ ولا نُكذِّبَهُم.

ففي «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أهلُ الكتاب يَقْرَءُونَ التَّوراة بالعِبْرانيَّة، ويُفَسِّرُونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تُصدِّقوا أهل الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾** [العنكبوت: ٤٦].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «تخريج الترغيب» (٢/ ٢١٧)، و«الصحيحة» (١٥٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٩).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٧)، و«الصحيح» (١٥٧٥).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٣٦٢).

أيها الناس، نحن لا نُصدِّق أهل الكتاب؛ لأنّهم حرَّفوا وبدَّلوا، ولا نُكَذِّبهم؛ حتىٰ لا يُخبِرونا بحقٍّ فنكذِّبَهم، أو بباطلٍ فنصدِّقهم.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»[1] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنَّ عمر بن الخطاب أتىٰ النبيَّ - ﷺ - بكتابٍ، أَصَابهُ من بعضِ أهلِ الكُتُبِ، فقرأهُ للنبيِّ - ﷺ -، فَغَضِبَ، فقال: **«أَمُتَهَوِّكُون فيها يابْنَ الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتُكُم بها بيضاء نقيَّة، لا تسألوهم عن شيءٍ، فيخبروكم بحقٍّ، فتكذِّبوا به، أو بباطلٍ فتُصدِّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى - ﷺ - كان حيًّا، ما وسِعَهُ إلاَّ أنْ يتَّبعني»**. ومعنىٰ مُتَهوِّكون: أي مُتَحيِّرون.

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: «يا مَعْشَرَ المسلمين، كيف تسألون أهلَ الكتابِ، وكتابُكمُ الذي أُنزل علىٰ نبيِّه - ﷺ - أَحدثُ الأخبارِ باللهِ، تَقْرَءُونهُ لم يُشَبْ؟! وقد حدَّثكُمُ اللهُ أنَّ أهلَ الكتابِ بدَّلوا ما كتب اللهُ، وغيَّروا بأيديهمُ الكتابَ، فقالوا: هو من عِندِ اللهِ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً.

أفلا ينهاكم ما جاءكم مِنَ العلمِ عنْ (مُسَاْلَتِهِمْ)؟!، ولا - واللهِ - ما رأينا منهم رجلاً - قطُّ - يسألُكُم عَنِ الذي أُنزِلَ عليكم».

وأستغفر الله.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٥).



الخطبة الثانية

القــــرآن الكــــريم



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف المرسلين.

أمَّا بعدُ،

أيها الناسُ، سبق الحديث معكم حول الإيمان بكتبِ الله، وأنَّ نزولها من عند الله حــقًّــا، وأنه لا يجوزُ أنْ نُصدِّقَ أهلَ الكتابِ أو نكُذِّبَهم؛ لئلاَّ نكُذِّبَهم بحقٍّ، أو نصدِّقهم بباطل، ولأن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أخبرنا عن أهل الكتاب أنهم غيَّروا وبدَّلوا في كتب الله، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

والآن حديثي معكم ـ أيها الناسُ ـ عن القُرآنِ الكريم كتاب الله الذي أنزله علىٰ خيرِ خلقِهِ محمَّدٍ ـ ﷺ ـ، كما أَنْزَلَ غيرَهُ من الكتب علىٰ مَنْ سبق مِنَ الرُّسُلِ.

فالقرآنُ الكريم ـ أيها الناس ـ نَسَخَ بأحكامِهِ سائرَ الأحكامِ في الكتبِ السماويَّةِ السابِقةِ، كما خَتَمَ برسالةِ صاحِبِهِ كُلَّ رسالةٍ سابقةٍ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكمًا عليه، ومشتملاً علىٰ ما اشتملت عليه الكُتبُ السابقة.

والقرآنُ الكريم ـ أيها الناس ـ هو الكتابُ الوحيدُ الذي ضمنَ اللهُ سلامتَهُ من النَّقْصِ والزِّيادة، ومِن التبديلِ والتغيير، وبقاءَهُ حتى يرفَعَهُ إليه.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال ابن سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ «أي: القرآنَ الذي فيه ذكرىٰ لكلِّ شيءٍ من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر مَنْ أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: في حالِ إنزاله، وبعدَ إنزاله، ففي حالِ إنزاله حافظون له مِن استراق كُلِّ شيطانٍ رجيمٍ، وبعدَ إنزاله، أودَعَهُ اللهُ في قلبِ رسولِه، واستودعه فيه، ثمَّ في قلوبِ أُمَّتِهِ، وحفظَ اللهُ ألفاظه من التغيير فيها، والزِّيادةِ، والنّقص، ومعانِيَهُ مِن التبديل، فلا يُحرِّفُ مُحَرِّفٌ معنىً من معانيه، إلاَّ وقيَّض اللهُ له مَنْ يُبيِّنُ الحقَّ المُبينَ، وهذا مِنْ أعظمِ آياتِ اللهِ ونعمِهِ علىٰ عبادِه المُؤمنين، ومِنْ حِفْظِهِ أنَّ الله يحفظُ أَهْلَهُ مِنْ أعدائهم، ولا يُسلِّطُ عليهم عدُوًّا يجتاحهُم»[1].

وفضائل القرآن ـ أيها الناس ـ أكثر من أن تُحْصَرَ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٤٢٩).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّا أنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١].

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «اقْرءوا القُرآنَ؛ فإنَّه يأتي يومَ القيامَةِ شفيعًا لأصحابه».

وفي «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ[(٢)] من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «يُؤْتى يومَ القيامةِ بالقُرآنِ، وأهله الذين كانوا يعملُون به في الدُّنيا، تَقْدُمُهُ (أي تتقدَّمُهُ) سُورةُ البَقَرةِ وآلُ عِمْرانَ، تُحاجَّانِ عَنْ صاحبِهمَا».

وفي «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث عُثمانَ بن عفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللهِ ـ ﷺ ـ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعلَّمَ القُرآنَ، وَعَلَّمهُ».

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الذي يقرأ القُرآنَ، وهو ماهِرٌ به (أي: مُجيدٌ لَفْظَهُ على ما ينبغي،

(١) «صحيح مسلم» (٨٠٤).
(٢) «صحيح مسلم» (٨٠٥).
(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧).
(٤) رواه البخاري (٨/ ٥٣٢)، ومسلم (٧٩٨)، واللفظ له.

بحيث لا يتشابَهُ ولا يقفُ في قراءتِهِ) مع السَّفَرةِ الكِرامِ البَرَرةِ،والذي يقرأُ القُرآنَ، ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ ـ لهُ أجران».

والسَّفرةُ الكِرامُ: هُمُ الملائكةُ الرسُلُ إلى الرسُلِ ـ صلواتُ الله وسلامه عليهم ـ .

ومعنى البَرَرةِ : أي المُطيعين، فهم معهم في منازلهم في الآخرة. وقوله: «يتتعتع فيه»: أي يتردَّدُ في قراءته، ويتبلَّدُ فيها لسانهُ.

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عمر بن الخطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الله يَرْفَعُ بهذا الكتابِ أقوامًا، ويَضَعُ بهِ آخَرِيْنَ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عبد اللهِ بن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لا حَسَدَ (أي: لا غِبْطَةَ) إلاَّ في اثْنَتينِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ القُرآنَ، فهو يقومُ به آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً، فهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النهارِ». والآناءُ: السَّاعاتُ.

وأخرج الترمذي بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قرأَ حَرْفًا مِنْ كتابِ اللهِ فله به حَسَنَةٌ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لا أقولُ: ﴿ألم﴾ حرفٌ، ولكنْ: ألف حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ».

وأخرج الترمذي بسندٍ حسنٍ[(٤)] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).
(٢) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).
(٤) أخرجه الترمذي (٧٩١٥).

عن النبي - ﷺ - قال: «يُقالُ لصاحبِ القُرآن: اقرأ وارتقِ (أي في درج الجنَّة بقدرِ ما حَفِظَتَهُ من آي القُرآنِ) ورتِّلْ، كما كُنتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آية تَقْرَؤُها».

﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].




الخطبة الأولى

٤. الإيمان برسل الله

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، إنَّ الإيمان بالأنبياءِ والرُّسُلِ أَصْلٌ من أُصول الإيمان، لا يتمُّ إيمانُ المُسلمِ إلا به.

فنحن نؤمنُ بأنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ اصطفىٰ من النَّاس رُسُلاً، وأوحىٰ إليهم بشرعه، وعَهِدَ إليهم بإبلاغه لقطعِ حُجَّة الناس عليه يومَ القيامة، أرسلهم

بالبينات، وأيَّدهم بالُمعجزات، ابتدأهم بنبيِّه نُوحٍ، وخَتَمهُمْ بمحمَّدٍ ـ ﷺ ـ[(١)] .

والأدلة على أنَّ الإيمان بالرُّسُل أصلٌ من أُصول الإيمان ـ أكثرُ من أنْ تُحْصَرَ، فمنها:[(٢)]

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١٣٦].

ومدحَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ رسولهُ محمداً ـ ﷺ ـ، والمؤمنين الذين تابعوه لإيمانهم، ولعدم تفريقهم بينَ الرُّسُل.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّ الإيمان ببعض الرسُل، والكُفر ببعضٍ كُفرٌ بهم جميعًا؛ لأنَّ الرسُل حَمَلَةُ رسالةٍ واحدة، ومُرسِلُهُم واحدٌ، ودُعاةُ دينٍ واحدٍ، يُبشِّرُ المُتقدِّمُ منهم بالمتأخِّر، ويصدقُ المُتأخِّرُ المُتقدِّمَ[(٣)] .

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ

---

(١) انظر «منهاج المسلم» للجزائري (ص٢٥).

(٢) انظر «الرُّسل والرسالات» للأشقر، فقد استفدت منه كثيراً.

(٣) المرجع السابق (ص٢٤، ٢٥).

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

وذمَّ اللهُ - سبحانه وتعالى - أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرُّسُل، وكُفرهم ببعض، فقال - سبحانه وتعالى -:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

وأدلة السُّنَّة ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في جواب جِبْريلَ حيثُ سَأَلَهُ عن الإيمان، فقال له: «أَنْ تُؤمِنَ بالله، ومَلائكتِه، وكُتُبِه ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه».

أيها الناسُ، بعدَ أن عَلمنا أنَّ الإيمانَ بالرُّسُلِ أصلٌ من أُصولِ الإيمان، علينا أنْ نعرف شيئًا من صفاتِ الرسُلِ، ووظائفهم، ومُهمَّاتِهم.

فمن صفاتهم - أيها الناسُ - أنّهم بشرٌ مِثْلُنا، يأكلون الطعام، ويمشُون في الأسواقِ، لكنَّ اللهَ اختارهم تكريمًا وتفضيلاً.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان: ٢٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن صفاتهم أنَّهم يتعرضون للبلاء، بل إنهم أشدُّ الناسِ بلاءً.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وأخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ، وحسَّن إسنادَهُ الألباني في «صحيح سنن الترمذي»[(١)] من حديث سعد بن أبي وقَّاصٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟. قال: «الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، فَيُبْتَلى الرَّجلُ على حسبِ دينه، فإن كان دينُهُ صُلْبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كان في دينِهِ رقةٌ ابتُلي على حَسَبِ دينِهِ، فما يبْرحُ البلاءُ بالعبدِ، حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرضِ، وما عليه خطيئةٌ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ عليه الوَجَعُ مِنْ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ».

ومن صفاتهم ـ أيها الناس ـ أنه ليس لهم من خصائصِ الأُلُوهيةِ والملائكيةِ شيءٌ، فهم لا يدَّعون شيئًا من صفاتِ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولكنَّهم يُمثِّلون الكمال الإنسانيَّ؛ لأنَّ الله اختارهم، واصطفاهم لنفسه.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ومن صفاتهمُ الكمالُ في الخِلقةِ الظاهرةِ، وفي الأخلاق.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «إنَّ الأنبياء في خَلقِهم وخُلُقِهم على غاية

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجَهْ (٤٠٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا قال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٨٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

الكمالِ، وإنَّ مَنْ نَسَبَ نبيًّا إلىٰ نقصٍ في خلقٍ، فقد آذاهُ، ويُخشىٰ علىٰ فاعلِه الكُفْرُ»(١)

وأيضًا الأنبياء خيرُ الناسِ نسبًا.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ومن صفاتِهمُ الذُّكورةُ، فلم يبعَثِ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ رسُولاً من النساء.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

والأنبياء والرُّسُلُ ـ أيها الناسُ ـ جمٌّ غفيرٌ، فقد كَثُرَ الأنبياء والرُّسُلُ في تاريخ البشريةِ كثْرةً هائلةً، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألبانيُّ في «مشكاة المصابيح»(٢) من حديث أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ كَمِ المُرسلونَ؟ قال: «ثَلثُمائة وبِضْعةَ عَشَرَ جمًّا غفيرًا» وفي رواية أبي أُمامة قال أبو ذرٍّ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، كم وفاء عِدَّةِ الأنبياء؟. قال: «مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرُّسلُ من ذلك ثَلثُمائة وخمسةَ عَشَرَ جَمًّا غفيرًا».

وهذا العدد الكبير للأنبياءِ والرُّسُلِ ـ أيها الناسُ ـ يَدُلُّنا علىٰ أنَّ الذين نعرفُ أسماءهم من الرُّسلِ والأنبياءِ قليلٌ، وأنَّ هناك أعدادًا كثيرةً لا نعرفها.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٣٨).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/ ١٢٢).

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم خمسةً وعشرين نبيًّا ورسولاً، فذكر في مواضع متفرِّقةٍ آدمَ، وهوداً، وشُعيبًا، وإسماعيلَ، وإدريسَ، وذا الكِفلِ، ومحمَّداً ـ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين ـ.

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ [هود: ٥٠].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ثمانيةَ عَشَرَ نبيًّا في موضعٍ واحدٍ في سُورة الأنعام، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

ولقد أخبرنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: أنَّه فضَّل بَعْضَ النبيِّين علىٰ بَعْضٍ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضلُ الرُّسُلِ والأنبياء خمسةٌ: مُحمَّدٌ، ونُوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسى، وعيسى ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم ـ، وهؤلاءِ هُم أُولو العزمِ من الرُّسُلِ وأفضل أولي العزم محمد ـ ﷺ ـ، وقد ذكرهمُ اللهُ في كتابه، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

ولنعلم ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّه قد جاءت أدلةٌ تنهى عنِ التفضيل بينَ الأنبياء.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا تُخيِّروا بينَ الأنبياء**».

قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «هذه الأحاديث لا تُعارضُ النُّصوص القُرآنية التي تدلُّ على أنَّ اللهَ فضَّلَ بَعْضَ الأنبياء على بعضٍ، وبعضَ المرسلين على بَعْضٍ، وينبغي أن يُحْملَ النّهيُ الذي ورد في الأحاديث على النَّهي عن التفضيل، إذا كان على وجهِ الحميَّةِ والعصبيةِ والانتقاص، إذا كان هذا التفضيلُ يؤدِّي إلى خُصومةٍ أو فتنةٍ»[(٢)] وممَّا يدل على ما ذهب إليه الطحاوي: ما جاء في «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من

(١) رواه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤).
(٢) «شرح الطحاوية» (ص١٧٠).
(٣) رواه البخاري (٣٤٠٨) و (٦٥١٧).

اليهود، فقال المُسلم: والذي اصطفىٰ محمَّدًا - ﷺ - علىٰ العالمين - في قسمٍ يُقْسَمُ به.

فقال اليهوديُّ: والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ العالمين، فرفعَ المسلمُ عند ذلك يدهُ، فَلَطمَ اليهوديَّ، فذهب اليهوديُّ إلىٰ النبيِّ - ﷺ -، فأخبره الذي كان مِن أمْرِهِ وأمرِ المُسلمِ، فقال: «**لا تُخيِّروني على مُوسى؛ فإنَّ الناسَ يَصْعَقُونَ، فأكونُ أوَّلَ مَنْ يفُيقُ، فإذا أنا بموسى باطشٌ بجانبِ العَرْشِ، فلا أَدْري أكان فيمن صَعِقَ، فأفاق قبلي، أو كان ممَّنِ استثنى اللهُ**». وفي روايةٍ عند البخاريِّ: «**لا تُفضِّلُوني على الأنبياءِ**». وفي روايةٍ: «**لا تُخيِّروني على الأنبياءِ**».

قال ابن حجر عن بعض أهل العلم أنَّه قال: «الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب، وتفضيل بعض الأنبياء علىٰ بعضٍ بالمخايرة؛ لأنَّ المخايرة إذا وقعتْ بين أهل دينين، لا يأمنُ أن يخرجَ أحدهما إلىٰ الازدراء بالآخر، فيُفضي إلىٰ الكُفر، فأمَّا إذا كان التمييز مستندًا إلىٰ مقابلةِ الفضائلِ لتحصيلِ الرُّجحانِ، فلا يدخلُ في النهي»[1].

وأستغفر الله.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).



الخطبة الثانية

وظائف الرُّسل ـ عليهم السَّلام ـ



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المُرسلين، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ، تقدَّم الحديثُ معكم حولَ الإيمان بالرُّسُلِ، مع ذكر شيءٍ من صفاتهم، والآن حديثي معكم حول وظائفِ بالرُّسلِ ومُهمَّاتِهم.

فمن وظائفهم ـ أيّها الناسُ ـ البلاغ المبين، فهم سُفراءُ الله إلى عبادِه، وحَملةُ وحيِه، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ومن وظائفهم الدَّعوةُ إلى الله.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن وظائفهم التبشير والإنذار.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

ومن وظائفهم إصلاحُ النفوس وتزكيتُها.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ومن وظائفهم إقامةُ الحُجة.

لا أحد أحبُّ العُذرِ إليه من الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ لذلك أرسلَ الرُّسُل، وأنزلَ الكتب؛ كي لا يبقىٰ للناسِ حُجَّة في يوم القيامة.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

ومن وظائفهم سياسةُ الأُمَّة.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كانت بنو إسرائيل تَسوسُهم الأنبياءُ، كلما هَلَكَ نبيٌّ خلفهُ نبيٌّ، وإنه لا نبي بعدي، وسيكونُ خُلفاءُ،

فيكثُرونَ» قالوا: فما تأمُرنا؟ قال: «فُوا ببيعة الأوَّل فالأوَّل، وأعطوهم حقَّهم الذي جعلَهُ الله لهُمْ، فإنَّ الله سائلهم عمَّا استرعاهم»(١).

أيها الناسُ، قبل أنْ أُودِّعَ مقامي هذا، أُحبُّ أنْ أُذكِّركُم أنْ الدِّين الذي دَعَتْ إليه الرُّسُلُ جميعًا واحدٌ، هو الإسلامُ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا نوحٌ يقول لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

والإسلام: هو الدين الذي أَمَرَ اللهُ به أبا الأنبياءِ إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويُوصي كلٌّ من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وأبناء يعقوب يُجيبون أباهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وموسى يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

والحواريُّون يقولون لعيسى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وحين سمع فريقٌ من أهل الكتاب القرآنَ: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧١)، ومسلم (٦/ ١٧).

٥. الإيمانُ باليومِ الآخرِ:



الخطبة الأولى

أ. القبرُ أوّلُ منازلِ الآخرةِ



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْي هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعد، أيها الناسُ، لا شكَّ أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ أصلٌ من أُصولِ الإيمانِ، لا يتمُّ إيمانُ المسلم إلاَّ به لأدلة كثيرة، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ١٦٢].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في حديث جبريل الطويل، وسؤالِه النبيَّ ـ ﷺ ـ عن الإيمانِ، بَعدَ أن سألهُ عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أنْ تُؤمنَ باللهِ، وملائكتهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه».

أيها الناسُ، إنَّ الإيمانَ باليومِ الآخِرِ لا يقتصرُ على يومِ القيامةِ، بل يدخلُ في ذلك الإيمان بعذاب القبر ونعيمِه.

قال شيخُ الإسلام ـ ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ:

«من الإيمان باليومِ الآخرِ الإيمان بكُلِّ ما أخبر به النبيُّ ـ ﷺ ـ ممَّا يكونُ بَعْدَ المَوتِ»(٢).

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ عذابَ القبْرِ ونعيمَهُ يدخلُ في الإيمانِ باليومِ الآخرِ قولُ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣١، ٣٢].

قال العلامة محمدُ بن صالح العُثيمين ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ﴾ حالَ توفيهم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تعليقات على العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (ص٥).

﴿الْجَنَّةَ﴾، وهم وإن لم يدخلوا الجنَّة التي عَرضُها السَّموات والأرضُ، لكنْ دخلوا القَبْرَ الذي فيه نعيم الجنة.

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩].

وهذا يكون إذا بلغتِ الرُّوح الحُلْقُومَ، وهذا هو نعيمُ القبْرِ، بل إنَّ الإنسانَ يُبشَّرُ بالنعيم قبلَ أن تخرجَ روحُهُ، يُقال لروحه: اخرجُي أيَّتها النَّفس المُطمئنَّةُ، اخرجي إلىٰ مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، فتفرحُ الروحُ بذلك، فتخرجُ خُروجًا سهلاً ميسَّرًا»[1].

وعذابُ القبرِ ونعيمُهُ - أيها الناس - ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّة:

فمن القرآن قولُ الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال العلامة ابن سعديٍّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: شدائده، وأهوالِه الفظيعة، وكُربِه الشَّنيعة - لرأيتَ أمرًا هائلاً، وحالةً لا يَقْدِرُ الواصفُ أنْ يَصِفَها.

﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ إلىٰ أولئك الظالمين المحتضَرين بالضَّربِ والعذابِ، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم، وتعصِّيها للخروج من الأبدان:

---

(١) «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص٢٢٣، ٢٢٤).

﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديدَ الذي يُهينكم ويُذلُّكُم، والجزاءُ مِنْ جنس العمل؛ فإنَّ هذا العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من كذبكم، وردِّكُم للحقِّ الذي جاءت به الرُّسُلُ، ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: ترفَّعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليلٌ على عذاب البرزخ ونعيمه، فإنَّ هذا الخطابَ والعذابَ المُوَجَّهَ إليهم إنما هو عند الاحتضارِ، وقُبيلَ الموتِ وبَعْدَهُ»(١).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال الحسنُ البَصْريُّ ـ رحمه الله ـ ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: «عذاب الدُّنيا، وعذاب القبر»(٢).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «الجمهور على أنَّ هذا العرض يكون في البَرْزَخ، وهو حُجَّةٌ في تثبيت عذاب القبر»(٣).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وفي «صحيح البخاري»(٤) من حديث البراء بن عازبٍ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «إذا أُقْعِدَ المُؤْمن في قَبْرِهِ أُتِيَ، ثمَّ شهِدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، فذلك

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٢٦٥).
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣٦٩).

قوله: ﴿يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾. وفي روايةٍ أخرىٰ: «﴿يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلتْ في عذابِ القَبْرِ».

وأمَّا أدلَّة عذاب القبرِ ونعيمه من السُّنَّة المُطهرة - أيها الناسُ - فأكثرُ من أنْ تُحْصرَ، فمنها:

روىٰ أحمدُ في «مسنده»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز»[1] من حديث البراء بن عازبٍ - رضي الله عنه - قال: «خَرَجْنَا مع النبيِّ - ﷺ - في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ، فانتهينا إلىٰ القبرِ، ولَمَّا يُلحدْ، فجَلَسَ رسولُ الله - ﷺ - [مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ]، وجَلَسْنا حولَهُ، وكأنَّ علىٰ رءُوسنا الطَّيرَ، وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ في الأرض، [فجعلَ ينظُرُ إلىٰ السَّماءِ، وينظُرُ إلىٰ الأرضِ، وجَعلَ يرفعُ بَصَرَهُ، ويَخْفِضُهُ ثلاثًا]، فقال: «استعيذوا بالله منْ عَذابِ القَبْرِ» مرَّتين أو ثلاثًا [ثمَّ قال: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بك من عذابِ القَبْرِ - ثلاثًا -]، ثمَّ قال: «إنَّ العَبْدَ المُؤمنَ إذا كان في انْقطَاعٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة - نَزَلَ إليه ملائكةٌ من السَّماء بيضُ الوُجوه، كأنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمسُ، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنَّة، وحَنُوطٌ من حَنُوط الجنة،حتى يجلسوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموتِ - عليه السلام -، حتى يجلسَ عندَ رأسِه، فيقولُ: أيَّتها النَّفسُ الطَّيِّبةُ (وفي

---

[1] أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٢/ ٢٨١)، والحاكم (١/ ٣٧، ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧، ٣٧٠)، وروىٰ النسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجَهْ (١/ ٤٦٩، ٤٧٠) القسم الأول منه إلىٰ قوله: «وكأن علىٰ رؤسنا الطير»، وهو رواية أبي داود، وثمة رواية لأبي داود (٢/ ٧٠) بأخصر منه، وكذا أحمد (٤/ ٢٩٧)، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي، وهو كما قال، وصححه ابن القيم في «أعلام الموقعين» (١/ ٢١٤)، و«تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧).

وهنا تنبيه مهمٌّ: وهو أن العلامة المحدث الألباني - رحمه الله - هو الذي جمع رواية هذا الحديث، وساقه سياقًا واحدًا، ضامًّا إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في جميع طرقه الثابتة في كتابه «أحكام الجنائز» (ص١٩٨ - ٢٠٢).

رواية : المُطْمَئِنَّةُ)، اخْرُجي إلى مَغْفرة منَ الله ورضوان. قال : فتَخْرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطْرة منْ فِيِّ السِّقاء، فيأخذُها، (وفي رواية : حتى إذا خرجتْ روحُهُ، صلَّى عليه كُلُّ مَلَك بَيْنَ السمـاء والأرض، وكُلُّ مَلَك في السَّمـاء، وفُتحتْ له أبوابُ السَّـماء، ليس منْ أهلِ باب إلا وهُم يدْعون اللهَ أنْ يُعرَجَ بروحه منْ قِبَلِهم)، فإذا أَخَذَها لم يَدَعُوها في يَده طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يأخُذُوها، فَيجْعلُوها في ذلك الكَفَنِ،وفي ذلك الحَنُوط، [فذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] . ويَخْرُجُ منها كأطيب نَفَحْة مسك وُجدَتْ على وَجْه الأرض. قال: فَيَصعدونَ بها، فلا يمرون بها يعني على ملإٍ من الملائكة، إلاَّ قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلان ـ بأحسنِ أسمائه التي كانوا يُسَمُّونه بها في الدُّنيا ـ حتى يَنْتَهُوا بها إلى السماء الدُّنيا، فَيَسْتَفْتِحون له، فيُفْتَح لهم، فَيُشيعُهُ منْ كُلِّ سماء مُقَرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتبوا كتابَ عبْدي في علِّيِّين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩ - ٢١] . فيُكْتَبُ كتابُهُ في عِلِّيِّين]، ثمَّ يُقالُ: أعيدُوهُ إلى الأرض؛ فإنِّي [وعدتهم أنِّي] منها خلقتهم،وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى، قال: فـ[يُرَدُّ إلى الأرض، و] تعاد روحه في جَسَده، [قال: فإنَّهُ يسمعُ خَفْقَ نعال أصحابه، إذا ولَّوا عنه] [مُدْبرين]، فيأتيه مَلَكان [شديدا الانتهار]، فـ [يَنْتَهرانه، و] يُجْلسانه، فيقولان له: مَنْ ربُّكَ؟ . فيقول: ربِّيَ اللهُ. فيقولان له: ما دينُكَ؟ . فيقولُ: دينيَ الإسلامُ. فيقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعثَ فيكم؟ . فيقولُ: هو رسولُ الله ـ ﷺ ـ.

فيقولان له، وما عَمَلُكَ؟ . فيقولُ: قرأتُ كتابَ الله، فآمنتُ به، وصدَّقتُ.

فينتهرهُ فيقولُ: مَنْ ربُّك؟،وما دينُك، مَنْ نبيُّكَ؟ وهي آخر فتنة تُعرضُ على المُؤمن، فذلك حينَ يقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فيقولُ: ربِّيَ اللهُ، ودينيَ الإسلامُ،ونبيِّي محمَّدٌ ـ صلى الله عليه

وسلم ـ فينادي مُنادٍ في السماء: أنْ صَدَقَ عبْدي، فأفرشُوه من الجنة،وألبسوهُ من الجنَّة،وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بَصَرِه. قال: ويأتيه [وفي رواية: يُمثلُ له] رجلٌ حسنُ الوجه،حسنُ الثِّياب، طيِّبُ الرِّيحِ، فيقول: أبشرْ بالذي يَسُرُّكَ، [أَبشر برضوان من الله وجنَّات فيها نعيمٌ مُقيمٌ]، هذا يومُك الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: [وأنتَ فَبَشَّركَ اللهُ بخير] مَنْ أنتَ؟، فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالخير! فيقولُ أنا عملُك الصَّالحُ، [فوالله، ما عَلمتُكَ إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاكَ اللهُ خيرًا]، ثمَّ يُفْتَحُ له بابٌ من الجنَّة،وبابٌ من النَّار، فيقالُ: كذا هذا منزلُك لو عَصَيْتَ اللهَ، أبْدلكَ اللهُ به هذا، فإذا رأى ما في الجنَّة، قال: ربِّ، عجِّلْ قيامَ السَّاعةِ؛ أرجعُ إلى أهلي ومالي، [فيقال له: اسكُن].

قال: وإنَّ العَبْدَ الكافر [وفي رواية: الفاجرَ] إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا، وإقبالٍ من الآخرة ـ نزلَ إليه من السماء ملائكةٌ [غِلاظٌ شدادٌ]، سُودُ الوُجُوه، معهمُ المسُوحُ [من النَّار]، فَيَجْلسون منه مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيء مَلَكُ الموت، حتى يجلسَ عند رأسه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلى سخط من الله وغَضَب. قال: فتغرَّقُ في جَسَدِه، فينتزعها كما ينتزعُ السَّفُّودُ [الكثير الشعبِ] من الصُّوف المبلول، [فتُقطعُ معها العروقُ والعصَبُ]،[فيلعنهُ كلُّ مَلَك بينَ السماء والأرض، وكلُّ ملك في السماء، وتُغلقُ أبواب السماء، ليس من أهلِ بابٍ إلا وهم يَدْعُون الله ألاَّ تَعرُجَ روحُهُ منْ قبَلهم]، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفةَ عَين، حتى يَجْعَلُوها في تلك المُسُوحِ،ويَخرج منها، كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجِدتْ على وجه الأرض، فيصعدُون بها، فلا يمرُّون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ بْنُ فلان ـ بأقبح أسمائه التي كانَ يُسمَّى بها في الدنيا ـ حتى ينتهى به إلى السماء الدُّنيا، فَيُستفتحُ له، فلا يُفتَحُ له، ثمَّ قرأ رسولُ الله ـ ﷺ ـ : ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سجِّين، في الأرضِ السُّفلَى، [ثمَّ يُقالُ: أعيدوا عبْدي إلى الأرض؛ فإنِّي وعدتُهُم أنِّي منها خَلَقْتهُم، وفيها أُعيدُهم، ومن أُخرجُهم تارةً أُخرى]، فَتُطْرحُ رُوحُهُ [منَ السماءِ] طَرْحًا، [حتى تقعَ في جَسَدِه].

ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتُعادُ روحُهُ في جَسَدِه. [قال: فإنَّهُ لَيَسْمع خَفْقَ نعَالِ أصحَابه، إذا ولَّوا عَنه]، يأتيه مَلَكانِ [شديدا الانتهار، فَيَنْتَهِرانه، و] يُجلسانه، فيقولانِ له: مَنْ ربُّك؟.

[فيقول: هَاه هَاه، لا أدري. فَيَقُولانِ لهُ: ما دينُك؟ فيقولُ: هاه هاه، لا أدري].

فيقولان: فما تقولُ في هذا الرَّجُلِ الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيُقالُ: مُحمَّدٌ، فيقولُ: هاه هَاه، لا أدري، [سمعتُ الناسَ يقولون ذاك قال: فيُقالُ: لا دَرَيْتَ]، ولا تَلَوْتَ!]، فيُنادي مُنادٍ من السماء: أن كَذَبَ، فأفرشُوا له منَ النَّار، وافْتَحُوا له بابًا إلى النار، فيَأتيه منْ حرِّها وسَمُومِها، ويُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ، حتَّى تَخْتلفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه (وفي رواية: ويُمثلُ له) رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثِّياب، مُنْتنُ الرِّيح، فيقولُ: أَبْشرَ بالذي يَسُوءُك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوْعَدُ فيقولُ: [وأنتَ فَبَشَّرك اللهُ بالشَّرِّ] مَنْ أنتَ؟، فوجهُك الوجْهُ يجيءُ بالشَّرِّ! فيقولُ: أنا عملُك الخبيثُ، [فوالله، ما عَلمتُك إلا كُنتَ بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله]، فجزاك اللهُ شرًّا، ثمَّ يُقيَّضُ له أعمى أصمُّ أبْكَمُ، في يده مرْزَبَّةٌ، لو ضُربَ بها جَبلٌ كان تُرابًا، فيضربُهُ ضَرْبةً، حتى يَصير بها تُرابًا، ثمَّ يُعيدُهُ اللهُ كما كان، فيضربُهُ ضَربةً أُخرى، فيصيحُ صيحةً، يسمعُهُ كلُّ شيءٍ إلا الثَّقَلَين، ثمَّ يُفْتَحُ له بابٌ من النار، ويُمَهَّدُ مَن فُرُشِ النارِ]، فيقولُ: ربِّ، لا تُقمِ السَّاعةَ»

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

القبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ عذابَ القبرِ، ونعيمَهُ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنةِ، فيجبُ علينا الإيمانُ بذلك.

قال شارح الطَّحاوية[1]: «قد تواترت الأخبارُ عَنْ رسولِ - ﷺ - في ثُبوتِ عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا تتكَّلمْ في كيفيَّتِه؛ إذ ليس للعَقْلِ وقوفٌ علىٰ كيفيَّتِهِ؛ لكونِه لا عَهْدَ له به في هذه الدَّارِ، والشَّرْعُ لا يأتي بما تُحيلُهُ العُقولُ، ولكنّه قد يأتي بما تُحارُ فيه العقولُ، فإنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إلىٰ الجَسدِ ليس علىٰ الوَجْهِ المَعْهُودِ في الدُّنيا، بل تُعادُ الرُّوحُ إليه إعادةً غيرَ الإعادةِ المألوفةِ في الدُّنيا».

أيُّها الناسُ، ألا ما أفظعَ عَذابَ القَبْرِ!، فقد أخرج ابن ماجَهْ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح» سنن ابن ماجَهْ[2] من حديث هانئ مولىٰ عُثمان قال: كان عُثمانُ بن عفَّانَ - رضي الله عنه - إذا وقفَ علىٰ قبرٍ بكىٰ، حتىٰ يُبلَّ لحيتَهُ، فقيل له: تذكرُ الجنَّة والنَّارَ فلا تبكي، وتذكرُ القبرَ فتبكي؟!. فقال: إني سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: **«القَبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرة، فإنْ نَجَا منْهُ فما بَعْدَهُ أيْسَرُ منه، وإنْ لم يَنْجُ منه فما بَعْدَهُ أشَدُّ منه»**.

قال: وسمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: **«ما رأيتُ مَنظَرًا - قطُّ - إلاَّ والقبرُ أفظعُ منهُ»**.

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص ٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٣٤٤٢)، و«المشكاة» (١/ ٤٨).

أيُّهـا الناسُ، لقد ضجَّ الصـحابةُ بـالبكاء ـ وهم خيـرُ القرونِ ـ حين قـام رسولُ الله ـ ﷺ ـ فيهم خطيبًا مذكِّرًا لهم بفتنة القبر.

ففي «صحيح البخاري»، و«سنن النسائي»[١] من حديث أسماء بنتِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنهما ـ قالت: «قام رسولُ الله ـ ﷺ ـ خطيبًا، فذكر فتنةَ القَبْرِ، التي يَفْتتِنُ فيها المَرْءُ، فلمَّا ذَكَرَ ذلك ضجَّ المسلمون ضجَّةً» وزاد النَّسائيُّ: «حَالتْ بَيْني وبَينَ أنْ أَفْهَمَ كلامَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، فلمَّا سكنتْ ضَجَّتُهم، قلتُ لرجلٍ قريبٍ مني: أَيْ بارك اللهُ لك، ماذا قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ آخرَ قَوْلِه؟ قال: «**قَدْ أُوحيَ إليَّ أنَّكم تُفتنون في القُبُورِ قريبًا مِنْ فِتْنةِ الدَّجَّال**».

أيُّها الناسُ، استعيذوا بالله من عذابِ القبرِ، فإنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ كان يستعيذُ باللهِ مِنْ عذابِ القبرِ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ.

ففي «صحيح البخاري»[٢] من حديث أُمِّ المُؤمنين عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ: أنَّ يَهُوديَّةً دخلتْ عليها، فذكرتْ عذابَ القبرِ، فقالتْ لها: أعاذكِ اللهُ مِنْ عذابِ القبرِ! . فسألتْ عائشةُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ عَنْ عذابِ القَبْرِ، فقال: «**نعم، عذابُ القبرِ حَقٌّ**» قالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: «فما رأيتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ بَعْدُ صلَّىٰ صلاةً إلا تعوَّذَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ».

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذابِ القَبْرِ.

اللهمَ إنَّا نعوذُ بك من العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبنِ، والهَرَمِ، والبُخلِ، ونعوذُ بك من عذابِ القبْرِ، ومِنْ فِتنةِ المحيا والممات.

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٣)، وسنن النَّسائيُّ (٢٠٦٢).
(٢) «صحيح البخاري» (١٣٧٢).




الخطبة الأولى

ب.القيامة

إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيَّها الناسُ، إنَّ الإيمانَ بيومِ القيامةِ من أُصولِ الإيمان، فيومُ القيامةِ هو اليوم الآخرُ، الذي لا يتمُّ إيمان المَرءِ المُسلمِ إلاَّ به[1].

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) انظر «اليوم الآخر القيامة الكبرى» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد استفدت منه كثيرًا.

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديثِ جبريلَ الطَّويلِ، وسُؤالِهِ النَّبيَّ - ﷺ - عن الإيمان، بَعدَ أنْ سألهُ عن الإسلامِ، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه».

أيها الناسُ، إنَّ الساعةَ آتيةٌ لا مَحَالةَ، وذلك يومَ يُنْفخُ في الصُّورِ، فَتَنْهي هذه النَّفْخةُ الحياةَ في الأرضِ والسماءِ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وهي - أيها الناسُ - نفخةٌ هائلةٌ مُدَمِّرةٌ يسمعُها المَرْءُ، فلا يستطيع أن يُوصيَ بشيءٍ، ولا يقدرُ علىٰ العودةِ إلىٰ أهلِهِ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠].

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «ولَتَقُومَنَّ الساعةُ، وقد نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بَيْنَهما، فلا يَتَبايَعَانه، ولا يطويانه، ولَتَقُومنَّ الساعةُ، وقد انصرفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِه، فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقُومنَّ الساعةُ، وهو يُلِيطُ حَوْضَهُ، فلا يَسْقِي فيه، ولَتَقُومنَّ الساعةُ، وقدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فِيه، فلا يَطْعَمُها».

إنَّ هذا الحديثَ - أيها الناسُ - ليُبيِّنُ لنا بجلاءٍ سُرْعَةَ هلاكِ النَّاسِ، حينَ تقومُ الساعةُ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٧١٢١)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٤).

والصُّورُ ـ أيها الناسُ ـ: قرنٌ يُنْفَخُ فيه، كما أخبرنا بذلك النَّبيُّ ـ ﷺ ـ.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، وحسنه الألباني[1] من حديث عبد الله ابن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: ما الصُّورُ؟. قال: «**الصُّورُ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيْه**».

وقد أخبرنا الرَّسولُ ـ ﷺ ـ أنَّ صاحبَ الصُّورِ مُسْتعدٌّ دائمًا للنفخِ فيه منذُ أن خَلَقَهُ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ.

فقد أخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيح، ووافقه عليه الذهبيّ، والألباني في «الصحيحة»[2] من حديث أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إنَّ طَرْفَ صاحبِ الصُّورِ ـ مُنذُ وُكِّلَ به ـ مُستعدٌّ، ينظرُ نَحْوَ العَرْشِ مخافةَ أن يُؤمرَ قبلَ أن يَرْتَدَّ إليه طَرْفُهُ، كأنَّ عَيْنَيْه كوكبانِ دُرِّيَّان**».

وفي هذا الزَّمان ـ أيها الناسُ ـ أصبح إسْرافيلُ أكثرَ استعداداً للنَّفخِ في الصُّورِ.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة» لشواهده[3] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**كيف أَنْعَمُ، وقد التقَمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ، حَنَى جَبْهَتَهُ، وأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظرُ أنْ يُؤمَرَ أنْ يَنْفُخَ، فَيَنْفُخ**».

قال المسلمون: فكيف نقولُ يا رسول اللهِ؟. قال: «**قولوا: حسْبُنا اللهُ، ونِعْمَ الوكيلُ، وتوكَّلنا على اللهِ ربِّنا**».

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠): حسن صحيح.
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٧).
(٣) أخرجه الترمذي (١/ ٧٠/ ٣١٦)، وصححه الألباني لشواهده في «الصحيحة» (١٠٧٩).

اليومُ الذي تكونُ فيه النَّفْخةُ ـ أيها الناسُ ـ هو يومُ الجُمُعة.

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجُمُعة: فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ السَّاعةُ إلاَّ في يومِ الجُمُعة**».

وفي كُلِّ يومِ جُمُعةٍ تكونُ المَخلوقات كُلُّها خائفةً مُشْفِقة إلاَّ الجنَّ والإنس

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»(٢)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**خَيْرُ يومٍ طَلَعَتْ فيه الشَّمسُ يومُ الجُمُعة: فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه هَبَطَ، وفيه تيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقومُ السَّاعةُ، وما منْ دابَّة إلاَّ وهي مُصيْخَةٌ (أي مُنتظرة قيامَ الساعة) يومَ الجُمُعةِ، منْ حِيْنِ تُصْبِحُ، حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ شفقًا من السَّاعة إلاَّ الجنَّ والإنسَ**».

والذي يظهرُ ـ أيها الناس ـ أنَّ إسرافيل يَنْفخ في الصُّورِ مرَّتين: الأولى يحصلُ بها الصَّعقُ، والثانيةُ يَحصُلُ بها البَعْثُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨].

وسمَّى اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ النَّفخةَ الأولى بالرَّاجفة، والنَّفخة الثانية بالرَّادفة

قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾ [النازعات: ٦، ٧].

---

(١) رواه مسلم (٨٥٤).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٢٤)، وقال الألباني في «المشكاة» (١٣٥٩): حسن صحيح.

وبعدَ النَّفخةِ الثانيةِ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث عبد الله بن عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثمَّ يُنْفَخُ في الصُّور، فلا يَسْمَعُهُ أحَدٌ إلاَّ أصغى ليتًا، ورَفَعَ ليتًا، ـ قال: ـ وأوَّلُ مَنْ يسمعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوضَ إبله ـ قال: ـ فَيَصْعَقُ، ويَصْعَقُ الناسُ، ثمَّ يُرسلُ اللهُ ـ أو قال: يُنْزِلُ اللهُ ـ مَطَرًا، كأنَّه الطَّلُّ أو الظِّلُّ، (نعمان أحدُ رواةِ الحديثِ هو الشاكُّ) فَتَنْبُت منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنْفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قيامٌ يَنْظَرون».

والإنسانُ ـ أيَّها الناسُ ـ يَتَكَوَّنُ من عظْمٍ صغيرٍ، عندما يُصيبهُ الماءُ ينمُو نُمُوَّ البَقْلِ، والعظمُ هوعَجْبُ الذَّنَبِ، وهو عظْمُ الصُّلْبِ المُستديرُ الذي في أصلِ العَجُزِ، وأصلِ الذَّنَبِ.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، ثمَّ يَنْزِلُ اللهُ من السماء ماءً، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، وليس منَ الإنسانِ شيءٌ إلاَّ يَبْلَى إلاَّ عظمًا واحدًا، وهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة».

وفي لفظ مسلمٍ: «إنَّ في الإنسان عَظْمًا، لا تَأكُلُهُ الأرضُ أبدًا، فيه يُرَكَّبُ يومَ القيامة» قالوا: أيُّ عظمٍ هو يا رسولَ اللهِ؟ قال: «عَجْبُ الذَّنَبِ».

وأول من يُبْعَثُ وتنشقُّ عنه الأرض ـ أيَّها الناس ـ هو نبيُّنا محمَّدٌ ـ ﷺ ـ

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).
(٢) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).
(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨).

رسـول الله ـ ﷺ ـ: «أنا سيِّدُ ولَدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنهُ القَبْرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ».

ويُحْشَرُ العبادُ ـ أيها الناسُ ـ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً (أي: غَيْرَ مختونين).

ففي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: خَطَبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ فقال: «**يأيُّها الناسُ، إنكُمْ مَحْشُورون إلى الله حُفَاةً عُراةً غُرْلاً**» ثم قرأ: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال ابن عُثيمين ـ رحمه الله ـ: «وما يدخلُ في الإيمان باليومِ الآخرِ البَعْثُ، فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يَبْعثُ الأجسادَ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً.

حُفاةً: ليس عليهم نِعالٌ ولا خِفاف (أي: ليس عليهم لِباسُ رِجْلٍ).

عُراةً: ليس عليهم لباسُ بَدَنٍ. غُرْلاً: أي غيرَ مختونين.

وفي بعض الأحاديث: (بُهْمًا) أي: ليس معهم مالٌ، بل كُلٌّ واحدٍ وَعَمَلُهُ

والبعثُ ـ أيها الناسُ ـ هُنا إعادةٌ، وليس تجديدًا،

كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ولأنه لو كان خلقًا جديدًا، لكان الجسدُ الذي يعملُ السِّيئات في الدُّنيا سالمًا من العذابِ، ويُؤْتىٰ بجسدٍ جديدٍ فَيُعَذَّبُ، وهذا خلافُ العدْلِ، فالنَّصُّ والعَقْلُ قدْ دلاَّ علىٰ أنَّ البَعْثَ ليس تجديدًا، ولكنَّه إعادةٌ.

ولكنْ يبقى النظرُ، كيف تكونُ إعادته، والإنسان ربَّما يموتُ، فتأكلُهُ السِّباعُ،

---

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

ويتحوَّلُ من اللَّحم إلىٰ الدَّمِ في الحيوانِ الآكلِ، ورَوثٍ، وما أشبَهَ ذلك؟!

فيُقالُ: إنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ، يقولُ للشيء: كُنْ، فيكونُ، فيأمرُ اللهُ هذهِ الأجسادَ، التي تفرَّقتْ، وأُكِلتْ، وطارتْ بها الرِّياحُ - أنْ تعودَ فتعودُ»[1].

والأرضُ التي يُحْشَرُ عليها الناسُ يومَ القيامة أرضٌ أُخرى غيرُ هذه الأرض.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث سَهْلِ بن سَعْدٍ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول اللهِ - ﷺ - يقولُ «**يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ، كقُرْصةِ النَّقيِّ** - قال سَهْلٌ أو غيرُهُ: - **ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ**»

ومعنىٰ عَفْراءَ: أي خالصةُ البَياضِ ومعنىٰ النَّقيِّ: أي الدّقيقُ.

ومعنىٰ المَعْلَم: أي العلامةُ التي يُهتَدَىٰ بها إلىٰ الطريق.

وأفادنا الرَّسولُ - ﷺ - أنَّ الوقتَ الذي يتمُّ منه هذا التبديلُ هو وقتُ مُرورِ الناسِ علىٰ الصراطِ، أوقَبلَ ذلك بقليلٍ.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: سألتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - عن قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فأين يكونُ الناسُ يا رسولَ اللهِ؟. قال: «**على الصِّراط**».

---

(١) «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكِّيِّ» لابن عثيمين (ص٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٩١).

وفي «صحيح مسلم» - أيضًا -[1] من حديث ثوْبانَ أنَّ حِبْرًا من أحبار اليهودِ سأل رسولَ اللهِ - ﷺ - فقال: أين يكونُ الناسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ؟. فقال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «هُمْ في الظُّلمَةِ دُوْنَ الجِسرِ». والمرادُ بالجِسْرِ: الصِّراطُ.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه مسلم (٣١٥).



الخطبة الثانية

أهوال يوم القيامة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلينَ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيَّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حولَ النَّفخِ في الصُّورِ، والبَعْثِ والنُّشُورِ، والآنَ حديثي معكم عن بَعْضِ أهوالِ يوم القيامةِ.

أيها الناسُ، يومُ القيامةِ يومٌ عظيمٌ أَمْرُهُ، شديدٌ هَوْلُهُ، لا يُلاقي العبادُ مثْلَهُ، فالمُرْضعةُ تَذْهلُ عن وليدِها، والحامل تضعُ حَمْلَهَا، وحالُ الناسِ كحالِ السكارىٰ الذين فقدوا عُقُولَهُم.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ [الحج: ١، ٢].

وأخبرنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أنَّ أرضنا الثابتةَ، وما عليها من جبالٍ صُمٍّ راسيات ـ تُحْمَلُ يومَ القيامةِ، عندما يُنْفَخُ في الصُّورِ، فتُدكُّ دَكَّةً واحدةً.

قال ـ سبحانه ـ: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾ [الحاقة: ١٣، ١٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا**﴾ [الفجر: ٢١].

وعندَ ذلك ـ أيها الناسُ ـ تتحولُ هذه الجبالُ الصلبةُ القاسية إلى رَمْلٍ ناعمٍ، كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

وفي يوم القيامة تُزالُ الجبالُ من مواضعِها، وتُسَوى الأرضُ، حتىٰ لا يكونَ مُوضعٌ مرتفعٌ، ولا مُنْخَفِضٌ

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

ومعنىٰ بارزة: أي ظاهرة، لا ارتفاع فيها، ولا انخفاضَ

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وأمَّا البحارُ ـ أيَّها الناسُ ـ فإنَّها تُفجَّرُ في ذلك اليوم، فإذا فُجِّرتْ تُسْجَرُ، وتشتعلُ ناراً.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وأمَّا السماءُ الجميلةُ ـ أيها الناسُ ـ فإنَّها تَنفطرُ وتتشقَّقُ،وتَمُورُ مَوَرَانًا ليس من مصادر الفعل خطأ (مار) مَوْرًا طبقًا للآية.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١، ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

وأمَّا الشمسُ ـ أيها الناسُ ـ فإنَّها تُجْمعُ وتُكَوَّرُ، ويذْهبُ ضَوْءُها.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

وأمَّا القمرُ فإنَّه يَخْسِفُ، ويَذهَبُ ضَوْءُهُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧، ٨].

وأمَّا النجوم فإنَّ عِقْدَها يَنفَرِطُ، فتتناثرُ وتنكدرُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].

أيُّها الناسُ ذلك بعضٌ مِمّا جاء في وَصفِ القيامةِ.

ومِمَّا قيل في وَصْفِ ذلك اليوم العظيم مِنَ الشِّعْرِ:

مَـــثِّلْ لنفــسِـكَ أيُّهـــا المَغْـــرورُ ... يومَ القــيـامــةِ، والســمــاءُ تَمُــورُ

إذ كُــوِّرَتْ شــمسُ النَّهــارِ وأُدْنِيَتْ ... حــتى عَلَى رَأسِ العــبــادِ تَـسِــيــرُ

وإذا النـجـومُ تـســاقطتْ وتنـاثرتْ ... وتبــدَّلتْ بَعْــدَ الضِّـيــاءِ كُـدُورُ

وإذا البِـحـارُ تَفَــجَّرتْ مِنْ خـوفِـهـا ... ورأَيْتَــهـــا مِــثْلَ الجـحــيـمِ تَفُــورُ

وإذا الجِـبــالُ تَقَلَّعـتْ بأُصُــولِـهــا ... فــرأيتَـهــا مِثْلَ الـسـحــابِ تسيــرُ

وإذا العِـــشَــارُ تَعَـطَّلتْ وتخــرَّبَتْ ... خَلَتِ الدِّيـارُ، فـمــا بهـا مَـعْـمُــورُ

وإذا الوُحُـوشُ لَدَى القيـامةِ أُحشِرَتْ ... وتقـــولُ لـلأمــلاكِ: أَيْـنَ نَســـيـــرُ

وإذا تُـقــــــاةُ المُسـلـمين تَزَوَّجـتْ ... مِنْ حُـــورِ عِـــيْنٍ، زانَـهُنَّ شُــعُـــورُ

وإذا المَوْءُودةُ سُــئِلتْ عَـنْ شَـأنِهـــا ... وبأيِّ ذَنْـبٍ قـــتْلُهــا مــيــسُـــورُ

وإذا الجليلُ طَـوَى السَّـمــاءَ بيَـمِـيْنِه ... طيَّ الـسِّـــجِلِّ كـــتَــابَهُ المَنْشُـــورُ

وإذا الصَّـحـائفُ نُشِــرَتْ، فـتطايرتْ ... وتَهَـــتَّكَتْ للمُـــؤْمـنين سُـــتُـــورُ

وإذا الـسَّـــمــاءُ تَكَشَّطَـتْ عَنْ أهْلِهـــا ... ورأيتَ أفْـــلاكَ الـسَّـــمــــاءِ تَدُورُ

وإذا الجحيمُ تَسَعَّرتْ نيْرانُها ... فَلَها على أهلِ الذُّنوبِ زَفيرُ
وإذا الجِنانُ تَزَخْرَفَتْ وتَطَيَّبتْ ... لفتىً على طُولِ البلاءِ صَبُورُ
وإذا الجَنينُ بأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ ... يَخْشَى القِصاصَ، وقَلْبُهُ مَذْعُورُ
هذا بلا ذَنْبٍ يَخَافُ جنينَهُ ... كيف المُصِرُّ على الذُّنوبِ دُهُورُ؟!

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهمَّ أصلحْ لنا دينَنا الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِنا، وأصلحْ لنا دنْيانا التي فيها مَعَاشُنا، وأصلحْ لنا آخِرَتَنا التي فيها مَعَادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ المَوْتَ راحةً لنا من كُلِّ شرٍّ.



الخطبة الأولى

ج. حالُ العُصاةِ يَوْمَ القيامةِ



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليوم عَنْ حالِ عُصاةِ المُؤمنين يومَ القيامةِ،

وقبل الحديث أُنَبِّهُ إلى ما قَرَّرَهُ أهلُ السُّنَّة والجماعة أنَّه لا يجوزُ تكفيرُ أَحَدٍ منْ أهلِ القِبْلَةِ بذنبٍ يرتكبُهُ، إلا مَنْ جاءَ تكفيرُهُ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وقامتْ عليه الحُجَّةُ، وانتفتْ في حقِّهِ عوارضُ الإكراهِ، أو الجَهْلِ، أو التّأويل، ممّا يَسُوغُ فيه

ذلك، كما أنه لا يجوزُ الشَّكُّ في كُفْرِ مَنْ حَكَمَ اللهُ - سبحانه وتعالى -، أو رسولُهُ - ﷺ - بكُفْرِهِ من المشركين، واليَهُودِ، والنَّصارىٰ، وغيرهم.

ومن هُنا يُعْلَمُ - أيها الناسُ - أنَّ أَهَلَ التوحيدِ الذين لم يُشركوا بالله شيئًا، ولم يأتُوا بناقضٍ من نواقض الإسلام، ولكن اقترفوا ما اقترفوه من الذُّنوبِ والمعاصي - هم بذلك تحتَ مشيئةِ الله: إنْ شاءَ عذَّبهم، وإن شَاءَ غَفَرَ لهم.

كما قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

أيُّها الناسُ، إنَّ من الناسِ مَنْ قارف ذُنوبًا، تُوقِعُهُ في أهوالٍ ومشقَّاتٍ يومَ القيامةِ، لكنَّها لم تُوجِبْ لهمُ الخُلُود في النَّارِ، إنْ دَخَلُوها.

أيُّها الناسُ، لقد دلَّتْ نُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّ عُصاةَ المُؤمنين الذين لم يتوبوا من تلك المعاصي - مُدْرِكُهُمُ البلاءُ في ذلك اليومِ العظيمِ، فمن ذلك: [١]

حال المُتكاسل عَنِ الصَّلاةِ والمُتَهاونِ بها:

أيُّها الناسُ، ليس مقصودنا الحديث عَنْ تاركِ الصَّلاةِ، فذلك قد كفَّره جمْعٌ من أهل العلمِ - وهو الصحيح -

لما في «سنن التِّرمذي، والنسائي» بسند صحيح[٢] من حديث بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**العَهْدُ الذي بيْنَنا وبينَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَركَها فَقَدْ كَفَرَ**».

ولما في «صحيح مسلم»[٣] من حديث جابرٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله

---

(١) انظر «من أحوال الناس بعد الموت» للشايع (ص٢٧، ٢٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه مسلم (٨٢).

ـ ﷺ ـ: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ».

وإنما حديثُنا معكم ـ أيُّها الناسُ ـ عن حالِ المُتهاونِ بالصَّلاةِ بتأخيرها عَنْ وقتِها، أو النوم عنها، أو التقصير في أدائِها على الوَجْهِ المأمور به، فذلك مُتَوَعَّدٌ بالعقاب؛

لما في «صحيح البخاري»[1] من حديث سَمُرَةَ بن جُندبٍ ـ رضي الله عنه ـ في حديثِ المنامِ الطَّويلِ، وفيه قولُهُ ـ ﷺ ـ: «وإنَّا أَتَينا على رَجُلٍ مُضْطَجعٍ، وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بصَخْرة، وإذا هو يَهْوي بالصَّخْرة لرأسه، فَيَثْلَغُ رَأسَهُ (أي يَشْدَخُهُ ويَشُقُّهُ)، فَيَتَهَدْهَدُ (أي يَتَدَحْرَجُ) الحجرُ هَاهُنا، فيَتْبَعُ الحَجَرَ، فيأخذُهُ، فلا يَرْجِعُ إليه، حتَّى يَصِحَّ رَأسُهُ كما كان، ثم يعُودُ عليه، فيَفْعَلُ به مِثْلَما ما فَعَلَ به المرَّةَ الأولى»

وجاء في تفسيرِهِ أنَّه: «الرَّجُلُ يأخذُ القرآنَ، فيرفُضُهُ، وينامُ عَنِ الصلاة المكتوبة»

وأمَّا حالُ مانعِ الزَّكاة:

فإنَّه يُعذَّبُ بمالِهِ يوم القيامةِ، فإنْ كان مالُهُ من الذَّهبِ والفِضَّةِ؛ جُعِلَ صَفائحَ من نارٍ، ثمَّ عُذِّب به صاحبُهُ، وإن كان المالُ حَيوانًا، أُرسِلَ على صاحبِهِ، فعُذِّبَ به.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ آتاه اللهُ مالاً، فلم يُؤَدِّ زكاتَهُ، مُثِّلَ لهُ يَوْمَ القيامة شُجاعًا أَقْرعَ

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣).

(أي: الحيَّةَ الذَّكَرَ المُتساقِط شَعْرُ رأسِه لكثرةِ سُمِّه)، له زَبيبتان (أي نُقْطتانِ سَوْداوان فوقَ عَيْنَيه)، يُطَوَّقُه يومَ القيامة، ثمَّ يأخذُ بلهزَمَيه - يعني شِدْقَيْه -، ثمَّ يقولُ: أنا مالُكَ، أنَا كَنْزُكَ، ثمَّ تلاَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها - إلاَّ إذا كانَ يومُ القيامة، صُفِّحَتْ له صفائحُ من نار، فأُحْمِيَ عليها في نار جهنَّمَ، فيُكْوى بها جَنْبُهُ، وجَبِينُهُ، وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرَدَتْ أُعيدَتْ له، في يوم كان مقْدارُهُ خمسين أَلْفَ سنة، حتى يُقضَى بَيْنَ العباد، فَيُرَى سبيلُهُ: إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار».

قيل: يا رسول الله، فالإبلُ؟

قال: «ولا صاحبُ إبلٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها - ومِنْ حقِّها حَلْبُها يومَ وِرْدها - إلاَّ إذا كان يومُ القيامة، بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقرٍ (أي: بُسطَ لها بصَحْراءَ مُستويةٍ) أوفَرَ ما كانتْ، لا يَفْقدُ منها فَصيلاً واحدًا (والفصيلُ: ولدُ النَّاقة، إذا فُصِلَ عن أُمِّه)، تطؤُهُ بأَخْفَافِها، وتَعَضُّهُ بأفواهها، كُلَّما مرَّ عليه أُولاَها، رُدَّ عليه أُخْرَاها، في يوم كان مقدارُهُ خمسين أَلفَ سنة، حتى يُقضى بينَ العباد، فيُرى سبيلُهُ: إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار».

قيل: يا رسولَ الله، فالبقرُ والغَنَمُ؟

قال: «ولا صاحبُ بَقرٍ، ولا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها، إلاَّ إذا كان يومُ القيامة، بُطِحَ لها بقاعٍ قرْقرٍ، لا يَفقدُ منها شيئًا، ليس فيها عَقْصَاءُ (أي: مُلْتويةُ القَرنين)، ولا جَلْحَاءُ (أي التي لا قَرنَ لها)، ولا عَضْبَاءُ (أي مكسُورةُ القَرْنِ)، تَنْطحُهُ بقُرونها،

(١) تقدم تخريجه.

وتَطؤُهُ بأظْلافِها، كُلَّما مرَّ عليه أولاها، ردَّ عليه أخراها، في يوم كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ، حتى يُقضى بَيْنَ العبادِ، فيرى سبيلهُ: إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار».

وأمَّا حالُ أكَلَةِ الرِّبا: فقد وصفَ اللهُ - سبحانه وتعالى - حالهُمْ بأنَّهم يُبعثون يومَ القيامةِ في حالٍ مُنكرةٍ:

فقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أي: إنهم لا يقومون من قبورهم - يومَ القيامة - إلا كما يقومُ المَصروعُ حالَ صَرعِهِ، وتخبُّطِ الشيطانِ له، وذلك أنه يقومُ قياماً مُنْكَراً.

وفي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث سمرةَ بن جُندبٍ - رضي الله عنه - في حديث المنام الطويل، وفيه قولهُ - ﷺ -: «**فأتينا على نَهَرٍ - حسبت أنه كان يقول: - أَحمرَ مثلِ الدَّمِ وإذا في النَّهرِ رجلٌ سابحٌ يسبحُ، وإذا على شطِّ النهرِ رجلٌ، قد جمَعَ عندَهُ حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السَّابحُ يسْبحُ ما يَسْبَحُ، ثمَّ يأتي ذلك الذي قد جَمَعَ عندهُ الحجارةَ، فَيَفغَرُ له فَاهُ، فَيُلْقِمهُ حجرًا، فينطلقُ يَسْبحُ، ثمَّ يَرجعُ إليه، كُلَّما رجعَ إليه، فَغَرَ لهُ فاهُ، فألْقَمهُ حَجرًا**».

وذكر في تفسيره أنّه: «**آكلُ الرِّبا**».

قال ابن هُبَيْرَةَ - رحمه الله - كما في «فتح الباري»[(٢)]: «إنَّما عُوقِبَ آكلُ الرِّبا بسباحتهِ في النَّهرِ الأحمرِ، وإلقامهِ الحجارةَ؛ لأنَّ أصل الرِّبا يجري في الذَّهب، والذَّهب أحمرُ، وأمَّا إلقامُ المَلكِ له الحَجرَ، فإنَّه إشارةٌ إلى أنَّه لا يُغني عنه

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٥).

شيئًا، وكذلك الرِّبا، فإنَّ صاحبَهُ يتخيَّلُ أنَّ مالَهُ يزْدَادُ، واللهُ مِنْ ورائِهِ يَمحقُهُ».

وأمَّا حالُ الزُّناةِ والزَّواني: فحالهم أشنعُ،

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث سمرةَ بن جُندبٍ ـ رضي الله عنه ـ في حديث المنامِ الطويلِ، إذ يقولُ ـ ﷺ ـ: «**فأتَيْنا على مِثْلِ التَّنُّورِ** (وفي روايةٍ له: **أعلاه ضيِّقٌ، وأَسْفَلُهُ واسعٌ يَتوَقدُ تحتَهُ نارًا**) ـ قال: وأحسبُ أنَّه كان يقولُ: **فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ فاطَّلعنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ مِنْ أسفَلَ منهم، فإذا أتاهُم ذلك اللَّهبُ ضَوْضَوا** (أي: صاحوا)...» وجاء في تفسيرِهِ أنَّهم: «**الزُّناة والزُّواني**».

قال الحافظ ابن حجرٍ ـ رحمه الله ـ كما في «الفتح»[(٢)]: «مُناسبةُ العُرْيِ لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأنَّ عادتَهُم أن يستتروا في الخلوَةِ، فعُوقِبوا بالهَتكِ، والحكمةُ في إتيانِ العذابِ مِنْ تَحتِهِمْ كَونُ جِنايتهمْ مِنْ أعضائهِمُ السُّفْلى».

ـ وممَّا جاء في حال المُغتابين، والنمَّامين:

ما أخرج الإمام أحمدُ في «مُسندِه»، وأبو داود في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لَمَّا عُرِجَ بي، مَررتُ بقومٍ لهم أَظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ، يَخْمِشُونَ** (أي: يَجْرحون) **وُجُوهَهُم وصُدُورَهُم، فقلتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبْرِيلُ؟**

قال: هؤلاء الذين يأكُلونَ لُحومَ الناسِ، ويَقَعُونَ في أعْراضِهِمْ»

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٣).
(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢١٣)

ومما جاء في حال الكذّابِ يوم القيامة:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»[(١)] من حديث سمُرة بن جُندبٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ في حديث المنامِ الطويل، قال: «فأتينا على رجلٍ مُسْتَلق لقَفَاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلُّوبٍ منْ حديد (أي: حديدة مُعْوَجَّة الرَّأسِ)، وإذا هو يأتي أحدَ شِقَّيْ وَجْهِه، فيُشَرشِرُ (أي: يُقطِّعُ) شدْقَهُ (أي: زاوية فمِهِ) إلى قفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلى قَفاهُ، وعَيْنَهُ إلى قَفَاهُ ـ قال: ـ ثمَّ يتحوَّل إلى الجانبِ الآخرِ، فيَفعلُ به مثلَما فَعلَ بالجانبِ الأوَّل، فما يَفرُغُ من ذلك الجانبِ، حتى يَصِحَّ ذلك الجانبُ كما كان، ثمَّ يعودُ عليه فيفعل مثلَما فعل المرَّةَ الأُولى». وجاء في تفسيره أنَّه: «الرَّجلُ يَغدو مِن بيتهِ، فيكذبُ الكَذْبةَ، تبْلغُ الآفاقَ».

ومَّا جاء في حالِ مَن يتجسَّسُ على الناسِ، ويستمعُ إليهم، وهم له كارهون:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «مَن استمعَ إلى حديث قومٍ ـ وهُم له كارهونَ، أو يَفرُّون منه ـ صبَّ في أُذُنِه الآنُكُ (أي: الرصاصُ المذابُ) يوم القيامةِ».

ومما جاء في حالِ المصوِّرين يوم القيامة:

ما في «الصحيحين»[(٣)] من حديث عبد الله بن عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول اللهِ ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الذين يصنعونَ هذه الصُّورَ يُعَذَّبونَ يَوْمَ القيامة، يُقالُ لهم:

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).
(٢) رواه البخاري (٧٠٤٢).
(٣) رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٣/١٦٦٨).

أَحْيُوا ما خَلَقْتُم».

وفي «الصحيحين» - أيضًا - [١] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول اللهِ - ﷺ - يقولُ: «إنّ أشدَّ الناسِ عذابًا عندَ اللهِ يومَ القيامةِ المُصوِّرونَ».

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).



الخطبة الثانية

حالُ العصاةِ يومَ القيامة



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسَلينَ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديث عن بعضِ أحْوالِ عُصاةِ المُؤمنين يومَ القيامةِ، وفيما يأتي ذِكرُ بعضِ أحوالهم، **فمن ذلك:**

ـ حال من يسألُ الناسَ وعندهُ ما يُغنيه:

ففي «سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني [1] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«مَنْ سَأَلَ ـ وله ما يُغْنيْهِ ـ جاءتْ مسألتُهُ يومَ القيامةِ خُدُوشًا ـ أوْ خُمُوشًا، أو كُدُوحًا ـ في وجْهِهِ»** قيل: يا رسول الله، ما يُغْنِيهِ؟. قال: **«خَمْسونَ دِرْهمًا، أو قيمتُها منَ الذَّهَبِ»**.

ـ وممَّا جاء في حالِ المتكبِّرين:

أخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «المشكاة» [2] من حديث عمرو بن شُعيبٍ عن أبيه عن جدِّهِ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: **«يُحْشرُ المتكبِّرون أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامة، في صُورِ الرِّجالِ، يَغْشاهُمُ الذُّلُّ منْ كُلِّ مكان، يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّم، يُسمّى بُولَسَ، تعلوهم نارُ الأنيارِ، يُسْقَوْنَ منْ عُصارةِ**

---

(١) رواه أبو داود (١٦٢٦) والترمذي (٦٥٠) والنسائي (٥/ ٩٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وصححه الألباني في «المشكاة» (٥١١٢).

أهلِ النّار، طينة الخَبال».

والذَّرُّ ـ أيُّها الناسُ ـ: هي صغارُ النمل التي لا يعَبأُ بها أحدٌ، فتوطأُ مِن غيرِ شُعورٍ.

ـ ومِمَّا جاء في حالِ الحاكمِ أو المَسْئُولِ الذي يَحْتَجِبُ عنِ الرَّعيةِ:

ما أخرج الإمامُ أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة»[١] من حديث مُعاذ بن جبلٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مَن ولِيَ مِنْ أمرِ المُسلمين شيئًا، فاحتجَبَ عَنْ أولِي الضَّعفةِ والحاجةِ ـ احتجبَ اللهُ عنهُ يومَ القيامةِ**».

ـ ومِمَّا جاء في حالِ مَنْ يتناولُ المُسكراتِ: كالخمرِ وغَيرِه:

ما أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ، إنَّ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عهداً لمنْ يَشْربُ المُسكرَ أن يَسْقيهُ من طينة الخَبَال**». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما طينةُ الخَبالِ؟ قال: «**عَرقُ أهْلِ النَّارِ ـ أو عُصارةُ أهل النَّارِ ـ**».

ـ ومما جاء في حالِ الذين يغتصبون حقوق النَّاسِ من أرضٍ، أو غيرها:

ما جاء في «الصحيحين»[٣] من حديث سعيد بن زيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأرضِ شيئًا، طُوِّقهُ من سبْع أرضينَ**».

وأخرج البخاريُّ[٤] من حديث ابن عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مَنْ أخذَ مِنَ الأرضِ شيئًا بغيرِ حقِّهِ، خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سبْعِ أرضِينَ**».

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٨)، وانظر «الصحيحة» (٢/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

(٤) رواه البخاري (٢٤٥٤).

ـ ومما جاء في حال المُنْتَحِرِ (قاتلِ نفسه):

ما في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ تردَّى (أي: ألقىٰ بنفسه) من جبلٍ، فقتلَ نفسهُ، فهو في نارِ جهنَّمَ، يتردَّى فيه خالداً مخلَّداً فيها أبداً، ومَنْ تحسَّى سُمّاً (أي: يشربُهُ ويتجرَّعهُ في تَمهُّلٍ)، فقتل نفسهُ، فسُمُّهُ في يده يتحسَّاهُ في نارِ جهنَّمَ خالداً مُخلَّداً فيها أبداً، ومَنْ قتلَ نفسَهُ بحديدة، فحديدتهُ في يدِه، يَجَأُ بها في بطْنِه (أي: يطعُنُ) في نارِ جهنَّم خالداً مخلَّداً فيها أبداً».

وروىٰ البخاري في «صحيحه»[(٢)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «الذي يَخْنقُ نفسهُ، يَخنقُها في النَّارِ، والذي يَطعنُها يَطْعنُها في النَّارِ».

تلك بعض أحوال عُصاة المؤمنين يومَ القيامةِ.

وهناك أناسٌ لا يُكلِّمهمُ اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكيهم، ولهم عذابٌ أليم.

فمن هؤلاء: الذين يَنقُضُونَ ما عاهدوا الله عليه، ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلاً، فيحلفون الأيمان الكاذبة لمصلحةٍ عاجلةٍ:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

ومن هؤلاء: المُسبلُ إزارهُ: أي الذي يُطيلُ ملابسَهُ، سواء كانتْ إزاراً، أو بنطلونًا، أو ما أشبه ذلك، ويجعلُها تُجاوزُ كعْبيه نحو الأرضِ.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٥).

والمنَّانُ، والذي يَحْلِفُ كذبًا؛ ليجعلَ لسلعَتِه -أو ما يبيعُهُ- رَواجًا وقبولاً.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ**». قال: فقرأها رسولُ الله -ﷺ- ثلاثَ مرارٍ.

قال أبو ذرٍّ: خابوا وخسروا!، مَنْ همْ يا رسولَ اللهِ؟. قال: «**المُسبلُ، والمنَّانُ، والمُنْفِقُ سلعتَهُ بالحِلفِ الكاذبِ**».

ومن هؤلاء: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ التي تُقلِّدُ الرجالَ، وتتشبَّهُ بهم في لباسٍ -كالبنطلون الذي هو من خصائصِ الرِّجالِ، أو غيره- أو هيئةٍ، والدَّيوثُ: هو الذي لا غَيْرةَ له على أهلِه، أو يَرى الخبثَ فيهم ويُقِرُّهُ.

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن النسائي» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحية»[2] من حديث عبد الله بن عمروٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**ثلاثةٌ لا يَنظُرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المُترجِّلةُ المُتشبِّهةُ بالرِّجالِ، والديوثُ. وثلاثةٌ لا يَدْخلُون الجنَّةَ: العاقُّ لوالديه، والمُدْمِنُ الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى**»

أيُّها الناسُ، تلك بعضُ أحوالِ عُصاةِ المُؤمنين يوم القيامةِ، فعلينا بالابتعادُ عَنْ كلِّ ما يكونُ سببًا لذِلتِنا وهَوَانِنا، وأنْ نتوبَ إلى اللهِ توبةً صادقةً مِنْ كُلِّ ما يُغضِبُ اللهَ وسبحانك اللهمَّ وبحمدِكَ، أشهدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٣٤)، والنسائي (٥/ ٨٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٤).



الخطبة الأولى

د. وصف الجنة



إن الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عنْ وَصْفِ الجنَّة، بل عن شيءٍ من وصفِ الجنَّةِ، فالجنَّةُ ـ أيُّها الناسُ ـ فوقَ ما يَخْطرُ بالبالِ، أو يَدُورُ في الخيالِ، وإنَّ مَوْضعَ سَوطٍ منها لهو خيرٌ من الدُّنيا وما فيها.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولَ الله

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠)، ومسلم (١٣/ ٢٦).

- ﷺ -: «لقابُ قَوْسِ أحدِكُم في الجنَّة خيرٌ ممَّا طلعتْ عليه الشمسُ أو تغرُبُ».

والقابُ: قَدْرُ ما بَيْنَ المَقْبِضِ والسِّيَةِ مِنَ القَوْسِ.

عباد الله، يقول ربُّنا - جلَّ في علاه -: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «قال الله - تبارك وتعالى -: أعددْتُ لعباديَ الصالحين مالا عَينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ».

عباد الله، مهما قلنا في جنَّةِ النعيم، ودار المتقين، والفوز العظيم - فلا يزال وصفنا لها قاصراً، فحسبُنا وصفُ اللهِ لها؛ فهو الذي خَلقها بيدِهِ، وجعلها مقرًّا لأحبابِهِ، وطهَّرها مِن كُلِّ عيبٍ، وضرب بنعيمها المَثَلَ،

فقال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

عبادَ الله، هل أتاكم خبرُ أبوابِ الجنَّة، ودرجاتِها، وأبنيتِها، وطعامِ أهلِها وشرابِهِم، وما فيها من النعيم المقيم، وفوق ذلك النظر إلىٰ وجه الله الكريم - سبحانه وتعالىٰ -؟!

عباد الله، **إن للجنَّة ثمانيةَ أبوابٍ، كما جاء في «الصحيحين»(٢)** من حديث

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٧/ ١٦٦).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٢٠)، ومسلم (١٣/ ٢٦).

سهل بن سعدٍ - رضي الله عنه - عن النَّبي - ﷺ - قال: «في الجنَّةِ ثمانيةُ أبوابٍ، فيها بابٌ يُسمَّى الريَّانَ، لا يدخلُهُ إلاَّ الصائمون».

وفي «الصحيحين»[1] - أيضًا - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من أنفقَ زوجينِ منْ ماله في سبيل الله، دُعيَ من أبواب الجنَّة كلِّها، وللجنة ثمانيةُ أبوابٍ: فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الصيامِ، دُعي من بابِ الصِّيامِ، ومنْ كان من أهل الصَّدقة، دُعي من بابِ الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعِيَ من باب الجهاد». فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: «والله، ما على أحدٍ من ضرورةٍ من أيِّها دُعيَ، فهل يُدعى أحدٌ منها كلِّها؟».
قال: «نعم، وأرجو أن تكونَ منهم».

عباد الله، إن للجنَّة درَجات، ما بينَ الدَّرجة والدَّرجة كما بينَ السماء والأرض، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥]

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ في الجنَّة مائةَ دَرجة، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله، ما بينَ الدَّرجتينِ كما بينَ السماء والأرضِ، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوه الفِرْدَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجنَّة، وأعلى الجنَّة - أُراهُ قال: - وفوقَهُ عَرشُ الرحمنِ، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنة»

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي سعيد الخُدريِّ - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إنَّ أهل الجنَّة لَيَتَراءَونَ أهل الغُرَفِ من فوقهمْ، كما تراءَونَ الكوكبَ

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٨)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٥١).
(٣) رواه البخاري في «الفتح» (٧/ ١٣٧)، ومسلم (٢٨٣١).

الدُّرِّيَّ الغـابِرَ في الأفُقِ - أي الذاهب في السماء - من المشرقِ أو المغربِ لتفاضلِ مابَيْنَهُمْ».

والجنَّة عبادَ الله - مبنيَّة بناءَ حقيقةٍ، فلا يتوهَّمْ متوهِّمٌ أنَّ ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي موسىٰ الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن للمؤمن في الجنَّة لَخَيْمةً من لُؤلُؤَة واحدة مُجَوَّفة، طُولُها في السماء سِتُّونَ ميلاً، للمؤمن فيها أَهْلُونَ، يَطُوفُ عليهمُ المؤمنُ فلا يَرى بعضُهم بعضًا».

وفي الصحيحين (٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتىٰ جبْريلُ النبيَّ - ﷺ - فقال: «يا رسولَ الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناءٌ فيه إدامٌ أوطعامٌ أو شرابٌ فإذا هي أتتكَ فاقرأْ عليها السَّلام من ربِّها ومنّي، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنة منْ قصبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصَبَ».

والمقصود ها هنا قصب اللُّؤلؤِ المجَوَّف، كما قال بعضُ أهل العلم.

والمراد بالصَّخَبِ: الصوت المختلط المرتفع.

والمراد بالنَّصبِ: المشقَّة والتعب.

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث أنس بنِ مالك - رضي الله عنه - أن النبيَّ - ﷺ -

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٧/ ١٧٥).
(٢) رواه البخاري (٧/ ١٣٣)، ومسلم (١٥/ ١٩٩).
(٣) رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٥/ ١٦٣).

قال: «أُدْخلتُ الجنَّة، فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟. قالوا: لشابٍّ من قُرَيْشٍ. فظننتُ أنِّي أنا هو، فقلتُ: ومَنْ هوَ؟ قالوا: لعمرَ بنِ الخطَّاب».

عباد الله، إنَّ النفوسَ لتحبُّ أن تعرف طعامَ أهل الجنَّة، فطعامهم من كلِّ ما لذَّ وطاب، ألا إنَّه كما قال ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: «ليس في الدنيا شيءٌ ممَّا في الجنَّة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل، وليس الخمرُ كالخمر، وليس العنبُ كالعنب».

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠ـ٢١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ـ٣٣].

أي لا تكون في وقتٍ دونَ وقتٍ، ولا تمنعُ ممَّن أرادها

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: «إذا همَّ أن يتناول من ثمرها، تدلَّتْ له، حتى يتناول ما يُريدُ».

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يأكلُ أهلُ الجنة فيها، ويشربونَ، ولا يتغوَّطونَ ولا يمتخطونَ، ولا يبولون، ولكنْ طعامُهم ذلك جُشَاءٌ ـ أي: يخرجُ منهم بالتجشِّي ـ كرَشْحِ المِسْك، يُلْهَمُونَ التسبيح والتكبيرَ، كما يلْهمونَ النَّفَسَ».

(١) مسلم (٢٨٣٥).

ذلك طعام أهل الجنَّة،

وأمَّا شرابهم فكما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨: ٧٢].

عباد الله، ذلك طعامهم وشرابهم،

فماذا عن ثيابهم؟

يقول ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

وفي «صحيح البخاري»[١] من حديث البراء بن عازبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: أُهديَ لرسول الله ـ ﷺ ـ ثوبُ حريرٍ، فجعلوا يعجبون منْ لِينِهِ!، فقال رسولُ الله ـ

(١) البخاري (٦/ ٣١٩).

ﷺ -: «تعجبون مِنْ هذا؟! لمناديلُ سعد بن مُعاذٍ في الجنَّة أحسنُ منْ هذا».

فانظر - يا عبد الله - المِنديلُ الذي يمسَحُ به يديه في الجنَّةِ أحسنُ من حُللِ المُلُوكِ!.

أيُّها الناسُ، ذلك بعض نعيم الجنَّة،

وأهل الجنَّة بين أصناف هذه النعم يترددون، وهم من زوالها آمنون،

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي سعيدٍ، وأبي هريرةَ - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «يُنادى مُناد: يأهلَ الجنَّة، إنَّ لكم أن تَصحوا، فلا تسقمُوا أبدًا، وإن لكم أن تَحْيوا، فلا تموتُوا أبداً، وإن لكم أنْ تشبُّوا، فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإن لكم أن تَنْعَمُوا، فلا تبْأسُوا أبدًا، فذلك قول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] - أيضًا - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ يدخلِ الجنَّة يَنعَمُ، ولا يَبْأسُ، ولا تَبْلَى ثِيابُهُ، ولا يَفنَى شَبابُهُ»

ذلك بعض نعيمهم، لكن ماذا عن صفة أهل الجنة؟

روى الترمذي في «سننه»[(٣)] بسندٍ حسنه الألباني - من حديث معاذ بن جبلٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «يدخلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا، كأنَّهم مُكْحلون، أبناء ثلاث وثلاثينَ».

ومعنى «جُرْدًا»: أي بدون شعرٍ على أجسادهم. ومعنى «مُرْدًا»: بدون لِحَى.

وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال

(١) مسلم (١٧/ ١٧٥).
(٢) مسلم (٣/ ١٤٠).
(٣) الترمذي (١٠/ ١٤) في صفة الجنة.
(٤) البخاري (٦/ ٣١٩)، ومسلم (١٧/ ١٧٢).

رسـول اللـه ـ ﷺ ـ: «إنَّ أوَّلَ زُمرة يدخلُونَ الجنَّة على صُورة القمرِ ليلةَ البَدْر، والذين يَلُونهم على صُورةِ أشـدِّ كوْكبٍ دُرِّيٍّ في السمـاءِ إضاءةً، لا يَبُولونَ، ولا يتـغوَّطون، ولا يَمْتـخطُونَ، ولا يتفلونَ، أمشاطُهُـمُ الذهبُ، ورَشْحُهمُ المِسْكُ، ومَجَـامِرُهُمُ الأُلوَّةُ (أي: عُـودُ الطِّيب)، وأزواجهمُ الحـورُ العـيْنُ، أخلاقُـهُمْ على خَلْقِ رجلٍ واحـدٍ على صورةِ أبيهم آدمَ، ستُّونَ ذِراعًا في السماء».

ووصف الرسول ـ ﷺ ـ أخلاقهم بقوله ـ كما في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ: «لا اختلافَ بينهم، ولا تباغضَ، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحد، يُسبِّحونَ اللهَ بُكْرةً وعَشِيًّا».

وذلك مِصْداقُ قولهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وأستغفر الله.

(١) البخاري (٦/ ١٣٨)، ومسلم (١٧/ ١٧٣).



الخطبة الثانية
وصف الحور العين



الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلِّم على رسوله الأمين، وعلى آله وصَحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناس، سبق أن تحدَّثنا معكم عن شيءٍ من وصف الجنَّة، نعم، عن شيءٍ من وصف الجنَّة، فلو خطبنا في وصف الجنة السنةَ بعدَ السنةِ، ما استطعنا أن نصفها لكم، وحديثي معكم الآن عن شيء من وصف الحُور العِينِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

والحُور: جمعُ حَوراء، وهي المرأة بيِّنةُ الحور، والحورُ: شِدَّة بياضِ العين في شدَّة سوادها، ولا تُسمَّى المرأة حَوْراءَ حتى يكون مع حَورِ عينها بياضُ الجلدِ ورِقَّته، فيُحارُ فيها الطَّرْفُ.

والعِينُ جمعُ عَيْنَاءَ، وهي الضَّخْمةُ العَيْنِ من النساءِ مع حُسنٍ وملاحةٍ.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨ ـ ٤٩].

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ: «قَصَرنَ أبصارهُنَّ، وقلوبَهُنَّ، وأنفسهُنَّ على أزواجهِنَّ، فلا يُرِدْنَ غيرَهُم»[1].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

---

(١) «حادي الأرواح» (ص٢٨٧).

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ في معنىٰ «مُطَهَّرة»: «أي: لا يَبُلْنَ، ولا يَتَغوَّطْنَ، ولا يَمْذِينَ، ولا يَمنِينَ، ولا يَحِضْنَ، ولا يَبْصُقْنَ، ولا يتَنَخَّمْنَ، ولا يَلِدْنَ»[1].

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لَرَوحةٌ في سبيلِ الله أو غَدْوَةٌ ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنَّة أو موضعُ قيد ـ يَعني سَوطَهُ ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها،ولو أن امرأةً من أهلِ الجنَّة اطَّلعتْ إلى أهلِ الأرضِ، لأضاءتْ ما بَيْنَهُما، ولَمَلأتْهُ رِيحًا، ولَنَصيفُها ـ يعني خِمارَها ـ على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ أول زُمرة تدخلُ الجنَّةَ على صُورةِ القمرِ ليلةَ البدْر، والتي تليها على أضواءِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء، لكُلِّ امرىءٍ منهم زوجتانِ اثْنَتانِ، يُرى مُخُّ سُوقِهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزبُ».

عباد الله، تلك بعض صفات أهل الجنة، لكن هناك في الجنة ما هو أعظم من ذلك، إنها لذةُ النظر إلىٰ وجه الله الكريم، فما أُعطيَ أهلُ الجنَّة شيئًا أعظمَ منهُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ـ٢٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وهذه الزيادة: هي النظر إلىٰ وجه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، والحُسنىٰ: هي الجنَّة،

---

(١) المرجع السابق (ص٢٨٤).
(٢) البخاري (٢/ ١٣٦)، ومسلم (١٥٠٠).
(٣) البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث صُهيب بن سنانٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ: ﴿للذينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّة الجنة، وأهلُ النَّارِ النارَ، نادى مُنادٍ: يأهلَ الجنَّة، إنَّ لكم عند الله موعداً، يُريدُ أن يُنْجِزَكُمُوه. قالوا: ما هذا المَوعدُ؟ ألمْ يُثقلْ موَازِيننَا، ويُبيِّضْ وُجُوهَنا، ويُدخلنا الجنَّة، ويُجِرنا من النَّارِ؟! قال: فَيرْفَعُ الحجابَ، ويَنْظرون إلى وجْهِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم منَ النَّظَرِ إليهِ».

وهذا ـ عباد الله ـ نهايةُ النعمة وغاية الحسنى، وتلك النعم كُلُّها عند هذه النِّعمة ـ أي عند نعمةِ النظر إلى وجْهِ ربِّنا سبحانه وتعالى ـ تُنْسى؛ فلذَّةُ النظرِ إلى وجهِ ربِّنا فوقَ كُلِّ لذَّةٍ.

عباد الله، تلك بعض صفات الجنَّةِ، وهي لا تُنالُ بالتشهِّي والأملِ، ولكنْ بالجدِّ والعملِ، فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ فإنكم إليه راجعون.

اللهمَّ إنَّا نسألُك مُوجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مَغْفرتِك، والسلامة من كلِّ إثمٍ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والفوزَ بالجنَّةِ، والنَّجاةَ من النَّارِ.

اللهمَّ إنَّا نسألك لذَّة النَّظرِ إلى وجهك، والشَّوق إلى لقائِكَ في غيرِ ضرَّاءَ مُضرةٍ، ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ.

---

(١) مسلم (٣/ ١٧).



الخطبة الأولى

هـ ـ وَصفُ النار



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ علاجَ ضعفِ الإيمانِ يتضمَّنُ التذكيرَ بالجنَّةِ والنَّارِ، فإنَّ النُّفوسَ قد تصلحُ بالتبشيرِ والتحذيرِ.

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً،**

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٥٠).

ولبكيتمْ كثيرًا». قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ الله؟!. قال: «رأيتُ الجنّةَ والنَّارَ».

وقد أنذر اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بالنار، وأمرَ المؤمنين بأخذِ الوقايةِ من التعرُّضِ لها، وبيَّنَ خَطَرَها، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٢ـ٣٧].

وقال الحسنُ البصْريُّ ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآيات: «واللهِ، ما أُنذرَ العبادُ بشيءٍ أَدْهىٰ منها».

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].

وفي «الصحيحين»[1] من حديث عديٍّ بن حاتمٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اتقوا النارَ» قال: وأشاح، ثمَّ قال: «اتَّقوا النَّارَ». ثمَّ أعرضَ وأشاحَ ثلاثًا، حتىٰ ظننا أنه ينظرُ إليها، ثمَّ قال: «اتَّقوا النار ولو بشقِّ تَمْرة، فمَنْ لم يجدْ فبكلمة طيِّبة».

أيُّها الناس، النارُ مَوردُ الناسِ كُلِّهم أجمعين، كما قال ربُّنا ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ـ٧٢].

عبادَ الله، نحن من الوُرود على يقين، ومن النجاة في شَكٍّ، فهلاَّ استعددنا للنجاة، كما كان سَلَفُنا الصالحُ في غايةِ الخَوفِ والإشفاقِ والحذرِ منَ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وعظيم عقابِهِ، وأليم عذابِهِ؟!

عباد الله، هل أتاكم خبرٌ عن عذاب الله لمن عصاه؟!، هل أتاكم خبرُ نارِ الله المُوقدة؟!، هل أتاكم خبرُ عُمقِ جهنَّمَ وشدَّةِ حرِّها؟!.

(١) رواه البخاري (١١/ ٤٠٠)، ومسلم (١٠١٦).

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنَّا مع رسول - ﷺ - إذْ سمعَ وَجْبةً - أي: صوتَ سقطةٍ - فقال النبيُّ - ﷺ -: «تدرونَ ما هذا؟». قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «هذا حجرٌ رُمِيَ به في النارِ مُنذُ سبعين خريفًا - أي: عامًا - فهو يَهْوِي في النارِ الآنَ،حتَّى انتهى إلى قَعْرِها، فسمعْتم وَجبتَها».

وفي «مسندِ أحمد»، و«سننِ الترمذيِّ»[٢] من حديثِ عتبةَ بن غزوان قال: قال رسول الله - ﷺ -: « إنَّ الصَّخْرَةَ العظيمةَ لتُلقى في شَفيرِ جهنَّمَ - أي طَرَفِها -، فتَهْوِي فيها سبْعِينَ عامًا، ما تُفْضي إلى قَرارِها».

عبادَ اللهِ، قد يُتخيَّل لأحدنا أنَّ نارَ اللهِ المُوقدة كنار الدُّنيا، كلاَّ.

فما نار الدنيا إلا جُزْءٌ من سبعين جُزءًا من نار جهنَّم،

كما في «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ناركُم جُزءٌ من سبْعِينَ جُزْءًا من نار جهنَّم» قيلَ: يا رسولَ اللهِ، إنْ كانتْ لكافيةً!. قال: «فُضِّلَتْ عليهنَّ بتسْعةٍ وستِّين جُزْءًا، كلُّهنَّ مثْلُ حَرِّها».

وجهنم سبعة أبواب، كما قال ربُّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

قال بعض أهل العلم: ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعيرُ، ثمَّ سقرُ، ثمَّ الجحيمُ، ثمَّ الهاويةُ.

عباد اللهِ، تلك أبوابُ النارِ.

لكن كيف طعامهم، وشرابهم،وملابسهم؟

أمَّا طعامهم- عبادَ اللهِ - فكما قال ربُّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).
(٢) «مسند أحمد» (٤/ ١٧٤)، والترمذي (١٠/ ٤٥).
(٣) رواه البخاري مع الفتح (٧/ ١٤٣)، ومسلم (٢١٨٤).

مِن ضَرِيعٍ ۝ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية ٦-٧] .

والضَّرِيع: نَبْتٌ ذو شوكٍ، لا تأكله الدَّوابُّ لخباثته، وهو سمٌّ قاتلٌ .

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣] .

قال ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: «شوكٌ يأخذ بالحَلق، لا يَدْخُلُ، ولا يَخْرُجُ» .

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦] .

وقد وصف الله - سبحانه وتعالى - شجرة الزقوم، فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٨]

والشَّوبُ: هو الخلط والمزج، أي: يُخلط الزَّقُّومُ المتناهي في القذارة والمرارةِ والحميم المتناهي في اللَّهب والحرارةِ.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، و«ابن ماجَهْ»(1) من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أن النبيَّ - ﷺ - قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

---

(1) رواه أحمد (١/ ٣٠١، ٣٣٨)، والترمذي (١٠/ ٥٤)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٢٦).

فقال الرسول ـ ﷺ ـ: «لو أنَّ قطْرةً من الزَّقُّوم قَطَرتْ في دارِ الدُّنيا، لأفْسدتْ على أهلِ الدُّنيا معايشَهُم، فكيف بمنَ يكونُ طعامَهُ؟!».

أرأيتم ـ عبادَ الله ـ كيف أنَّ قطْرةً واحدةً من الزَّقُّوم تُفْسِدُ على أهل الأرض معايشهم؟!، والرسول ـ ﷺ ـ يأتي بالاستفهام؛ لنعقلَ عنه، فيقول: «فكيفَ بمنْ يكونُ طعامهُ؟!»، فهل من مُعتبرٍ؟!

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الغِسلينُ: الدَّمُ والماءُ والصديدُ الذي يَسيلُ مِنْ لُحومِهم».

عبادَ الله، عَرَفنا شيئًا من طعام أهل النار،

وسوف نذكرُ بَعضَ شرابهم ـ أعاذنا اللهُ وإيَّاكم من ذلك !ـ

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧].

أي يُسقى من ماءٍ صديدٍ شديدِ النَّتانة والكثافة، فيتكرَّهه ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته، ويستشعر الموت من كُلِّ مكانٍ وهيهاتَ، فإنه لو مات لاستراح من العذاب، وما هو بميتٍ، فكلَّما نضج جلدُهُ أبدله الله غيره؛ ليذوق العذاب.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

والحميم: هو الماء الحارُّ المغليُّ بنار جهنَّم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم،

كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٠ـ٢٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

عباد الله، بعد أن عرفنا طعام أهل النار وشرابهم،

تعالوْا بنا نقف على ملابسهم.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩ـ٥٠].

فقوله تعالىٰ ـ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي: قمصانهم من قَطِران، تُطْلىٰ به جلودهم، حتىٰ يعود ذلك الطِّلاء كالسرابيل، وخُصَّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نَتْنِ رائحته، ووحشة لونه، والقَطِران: قيل فيه: ما يُطْلَىٰ به الجَمَلُ الأجرَبُ.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي مالك الأشعريِّ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «النائحةُ إذا لم تَتُبْ قبلَ موتها، تُقامُ يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قطِرانٍ، ودرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

فقوله: ﴿قُطِّعَتْ﴾ أي: قُدِّرتْ لهم علىٰ قدر جُثَثِهم؛ لأنَّ الثياب تُقطَّع علىٰ قدر من يلبسها. وقيل: إنها من نحاسٍ قد أُذيب، فصار كالنار. والحقُّ إجراء الآية علىٰ ظاهرها.

تلك ـ عباد الله ـ ملابسهم، لكن ماذا عنِ فراشهم ـ عياذًا بالله من حالهم!؟.

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٢٣٥).

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

أي فراش من النار، ويَلتحفون بأَلحفةٍ من النار.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

انظر ـ يا عبد الله ـ كيف أطلق القرآن الكريم الظُّلَل عليهم تهكُّمًا؟! وإلاَّ فهي مُحرقة، والظُّلَّة تقي من النار،

كما قال ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ المرسلات: ٣٠ـ٣١].

عبادَ اللهِ، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، واتقوا النار دار الذُّلِّ والهَوانِ.

وأستغفر الله.



الخطبة الثانية

وصف النار



الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلِّي وأسلم علىٰ عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصَحبه، والتابعين بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ الحديث عنِ النَّارِ يطولُ ويطولُ، وما سبق أنْ ذكرتُهُ لكم إنما هو رُءوسُ أقلام، وكما تقولُ العامَّةُ: «قطرةٌ مِنْ مَطْرةٍ».

عباد اللهِ، كيف بنا لو عرفنا **عِظَمَ أهلِ النارِ وبشاعةِ مَنظرهِم؟!:**

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «**ما بينَ مَنكبيِ الكافرِ مَسيرةُ ثلاثة أيامٍ للراكبِ المُسرعِ**».

والمَنْكِبُ: هو مَجْمَع عَظمِ العَضُدِ والكتِفِ.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**ضِرْسُ الكافرِ - أي: نابُهُ - مثلُ أُحُدٍ، وغِلظُ جلده مسيرةُ ثلاثٍ**».

وروىٰ الترمذي - في «سننه»[3] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إنَّ غلظَ جِلد الكافرِ اثنانِ وأربعون ذِراعًا، وإنَّ ضِرْسهُ مثلُ أُحدٍ، وإنَّ مجلِسهُ من جهنَّمَ كما بينَ مكَّةَ والمدينة**».

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (١٧/ ١٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥١).

(٣) رواه الترمذي (٢٧١٩)، وحسن إسناده الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٦٧٥).

أيها الناسُ، **إنَّ أهل النَّارِ لا يَمُوتون؛** إذ لو ماتوا لاستراحوا من العذاب.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عبد الله بن عمرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**يُؤتى بالموت يومَ القيامة كأنه كبشٌ أمْلحُ** (أي: أَسْوَدُ يعلو شَعَرَهُ بياضٌ) **فيُذبَحُ بينَ الجنَّة والنار، ويقالُ: يأهل الجنَّة، خلُودٌ بلا موت،ويأهلَ النارِ، خلودٌ بلا موت، فيزدادُ أهلُ الجَنَّة فرحًا، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزنًا إلى حُزْنِهم**».

أيُّها الناسُ، تلك بعض صفات النار.

فاتقوا النار، فإنها أقربُ إلى أحدنا من شراك نَعْله،

كما في «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**الجنَّةُ أقربُ إلى أحدِكم منْ شراكِ نَعلِه، والنَّارُ مثلُ ذلك**». والشِّراكُ: هو سَيْرُ النَّعْلِ.

أيُّها الناسُ، اتقوا النار، واتقوا الأسباب المُوصلة إلى النار، فإنها - والعياذُ بالله! - كثيرة جدًّا، وجامعُها معصيةُ الله ورسولِه - ﷺ -.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤].

عبادَ الله، لابُد أن نقيَ أنفسنا وأهلنا من النارِ، كما أمر الله - سبحانه وتعالى - فقال - عزَّ من قائلٍ -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦]

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

قال العلامة ابن سعديٍّ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «أي: يا مَنْ منَّ الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه فـ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ موصوفه بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عمَّا يُسخط الله، ويُوجب العذابَ، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات، والأولاد، وغيرهم ممَّن هو تحت ولايته وتصرُّفه، ووصف الله النار بهذه الأوصاف؛ ليزجر عبادَهُ عن التهاون بأمرِهِ»(١).

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من فتنةِ النار، وعذاب النار، وما يُقرِّبُ إليها من قولٍ أو عملٍ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٧٤).



الخطبة الأولى

٦. الإيمان بالقضاء والقدر



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّـا بـعـدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليوم عن الإيمان بالقَدَرِ، قُطْبِ رَحَى التوحيدِ ونِظامِهِ، ومَبْدإِ الدِّينِ القويمِ وختامِهِ، فهو أحدُ أركانِ الإيمانِ، وقاعدةُ أساسِ الإحسان (١).

---

(١) انظر «شفاء العليل» لابن القيم، و«الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت من هذين الكتابين، وأكثرت من النقل عنهما في هذه الخطبة.

وقد دلَّ على هذا الركنِ العظيمِ مِنْ أركانِ الإيمانِ الكتابُ، والسُّنَّةُ، والإجماعُ.

أمَّا أدلَّةُ القُرآنِ فهي كثيرةٌ جداًّ، منها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٢، ٢٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤].

أيُّها الناس، تلك بعضُ الأدلة من كتاب الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ القدرِ،

وأمَّا من السُّنَّة ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في سُؤال جِبْريلَ ـ عليه السلام ـ الرسولَ ـ ﷺ ـ عن الإيمان، قال: «أن تؤمنَ بالله،

---

(١) تقدم تخريجه.

وملائكته، وكُتُبِه، وتؤمِنَ بالقدرِ خيرِه وشرِّه» فقال ـ أي: جبريلُ ـ: «صدقْتَ».

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[1] عن طاوسٍ قال: «أدركتُ ناسًا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يقولون: كُلُّ شيءٍ بقدرٍ». قال: «وسمعتُ عبد الله بنَ عُمرَ يقولُ: كُلُّ شيءٍ بقدَرٍ، حتَّىٰ العَجْزُ والكيسُ ـ أو الكيْسُ والعَجْزُ ـ».

وأخرج الإمام مسلم[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء مُشْركو قُريشٍ، يُخاصمون رسولَ الله ـ ﷺ ـ في القدرِ، فنزلتْ: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٨ـ٤٩].

وأخرج الإمام مسلم[3] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**وإن أَصَابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكانَ كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَرُ الله، وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطانِ**».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في حاشية «مشكاة المصابيح»[4] من حديث الوليد ابنِ الصَّحابيِّ الجليل عُبادةَ بنِ الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «دخلتُ علىٰ عُبادةَ، وهو مريضٌ، أَتَخايلُ فيه الموتَ، فقلتُ: يا أَبَتَاهُ، أَوْصِني، واجتهد لي.

فقال: أَجْلِسوني. فلمَّا أجْلَسُوهُ قال: يا بُنيَّ، إنَّك لن تجِدَ طَعمَ الإيمانِ، ولَنْ تَبْلُغَ حقيقةَ العِلمِ بالله ـ تبارك وتعالىٰ ـ حتىٰ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشرِّهِ.

قلت: يا أَبَتَاهُ، وكيف لي أنْ أَعلمَ ما خيرُ القدرِ وشرُّهُ؟

قال: تعلم أنَّ ما أخطأكَ لم يَكُنْ ليُصيبَك، وما أَصَابَكَ لم يكنْ ليُخْطِئَكَ. يا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣١٧)، وصححه الألباني في «حاشية مشكاة المصابيح» (١/ ٣٤).

بُنيَّ، إنِّي سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «إنَّ أوَّل ما خلقَ اللهُ ـ تعالى ـ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، فَجرَى في تلك الساعةِ بما هو كائنٌ إلى يوْم القيامةِ».

يا بُنيَّ، إنْ مُتَّ ـ ولستَ علىٰ ذلك ـ دخلتَ النَّار».

وأخرج البخاريُّ في كتابه «خلق أفعال العباد»[1] عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: «كلُّ شيءٍ بقدَرٍ، حتىٰ وضْعُكَ يدكَ علىٰ خَدِّكَ».

أيُّها الناس، لقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشرِّه من الله. قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «وقد تظاهرت الأدلَّةُ القطعياتُ من الكتابِ، والسُّنَّةِ، وإجماع الصحابةِ وأهلِ الحلِّ والعقدِ ـ من السَّلفِ والخلفِ ـ علىٰ إثباتِ قدَرِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ»[2].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «القدرُ نظامُ التوحيدِ؛ فمَنْ وحَّدَ الله، وآمَنَ بالقَدرِ، تمَّ توحيدُهُ، ومَنْ وحَّدَ اللهَ، وكذَّبَ بالقَدرِ، نَقَضَ توحيدَهُ»[3].

وقال الحسنُ البصريُّ ـ رحمه الله ـ: «إنَّ اللهَ خلقَ خلقًا، فخلقهم بقدرٍ، وقسم الآجالَ بقدرٍ، وقسم أرزاقهم بقدرٍ، والبلاء والعافية بقدرٍ»[4].

وقال ـ أيضًا ـ: «مَنْ كذَّب بالقدرِ، فقدْ كذَّب بالإسلام»[5].

وقال في مرضه الذي مات فيه: «إنَّ اللهَ قدَّرَ أجلاً، وقدَّرَ معَهُ مرضًا، وقدَّر

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص٢٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٢١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٦٨١).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٤/ ٦٨٢).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

معه مُعافاةً، فمن كذَّب بالقدرِ، فقدْ كذَّبَ بالقُرآنِ، ومن كذَّب بالقُرآنِ، فقد كذَّب بالحقِّ»(١).

أيُّها الناسُ، الإيمانُ بالقَدرِ أمرٌ معلومٌ بالفطرة قديمًا وحديثًا، ولم يقع الخطأُ في نَفْي القدرِ وإنكارِه عندَ المشركين من الأمم، وإنَّما وقَعَ في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا قال اللهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنَّهمُ احتجُّوا بها على الشِّركِ، ثمَّ بيَّن الله - سبحانه وتعالى - أنَّ هذا هو شأنُ مَنْ كان قبْلهم، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

أيُّها الناسُ، الإيمانُ بالقدرِ يقومُ على أربعةِ أركانٍ، مَن أقرَّ بها جميعًا، فإنَّ إيمانَهُ بالقَدَرِ يكونُ مُكْتملاً، ومنِ انتقص واحدًا، فقد اختلَّ إيمانُهُ، وهذه الأركانُ الأربعةُ هي:

١ـ العلمُ. ٢ـ الكتابةُ.

٣ـ المشيئةُ. ٤ـ الخَلْقُ.

وفيما يأتي شرحُ ذلك:

أولاً ـ العلمُ:

والعلمُ - أيُّها الناسُ -: هُو الإيمانُ بأنَّ اللهَ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، يَعْلمُ ما كان، وما سيكونُ، وما لم يكنْ لو كان كيف يكونُ، ويعلمُ الموجودَ، والمَعدُومَ، والممكنَ

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٦٨٢).

والمستحيل، وهو - سبحانه وتعالىٰ - عالمٌ بالعباد، وآجالهم، وأرزاقِهم، وحَرَكاتِهم، وسكناتِهم، وشقاوتِهم، وسعادتِهم، ومَنْ منهم مِنْ أهلِ الجنَّةِ، ومَنْ منهم مِنْ أهلِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَخلقَهم، ويخلُقَ السَّمواتِ والأرضَ.

وهذا مُقتضىٰ اتِّصافِهِ - سبحانه وتعالىٰ - بالعلم، ومقتضىٰ كونِهِ - سبحانه وتعالىٰ - هو العليمَ الخبيرَ السَّميعَ البَصيرَ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: **﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** [الطلاق: ١٢].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: **﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** [سبأ: ٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** [الأنعام: ٥٩].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: سُئِلَ النبي - ﷺ - عن أبناءِ المشركين، فقال: **«اللهُ - إذ خَلَقَهُمْ - أعلمُ بما كانوا عاملين»**.

أي اللهُ أعلمُ بمَنْ يؤمنُ منهم ومَنْ يكفُر، لو بلغوا وعاشوا.

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: دُعي رسولُ الله - ﷺ - إلىٰ جنازةِ صبيٍّ من الأنصارِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، طُوبىٰ لهذا، عُصفورٌ من عصافيرِ الجنَّةِ؛ لم يَعْمل السُّوء ولم يُدركْهُ. قال: **«أو غيرَ ذلك، يا عائشةُ، إنَّ اللهَ**

(١) رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٢).

خلقَ للجنَّةِ أهْلاً، خلقهُم لها وهُم في أصْلابِ آبائِهم، وخَلَقَ للنَّارِ أهلاً، خلقهُم لها وهُم في أصلابِ آبائهم».

ثانيًا ـ الكتابة:

والكتابةُ ـ أيُّها الناسُ ـ هي الرُّكنُ الثاني من أركانِ القدرِ، وهي: الإيمانُ بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ كَتَبَ ما سَبقَ بهِ علمُهُ مِنْ مقادير الخلائقِ إلىٰ يومِ القيامةِ في اللَّوحِ المحفوظ.

قال الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «وقد أجمع الصحابةُ، والتَّابعون، وجميعُ أهلِ السُّنَّةِ والحديث ـ علىٰ أنَّ كلَّ كائنٍ إلىٰ يومِ القيامةِ فهو مكتوبٌ في أُمِّ الكتابِ، التي هي اللوحُ المحفوظُ، والذِّكْرُ، والإمامُ المُبينُ، والكتابُ المُبينُ»[1].

والأدلةُ على هذه المرتبةِ كثيرةٌ من الكتابِ والسُّنَّةِ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ حاكيًا دُعاء موسىٰ ـ عليه السلامُ ـ: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم

---

(١) «شفاء العليل» (ص٨٩).

بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن مُحاجَّة موسى ـ عليه السلام ـ لفرعونَ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢].

وأخرج الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه»[1] من حديث عبد الله بن عمرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «كَتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّموات والأرضَ بخمسين ألفَ سنة ـ قال: ـ وعرشُهُ على الماء».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسةٍ إلاَّ وَقَدْ كَتبَ اللهُ مكانَها مِنَ الجنَّةِ أو النَّارِ، إلاَّ وقدْ كُتِبَتْ شقيَّةً، أو سعيدةً».

وأستغفرُ الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).



الخطبة الثانية

الإيمان بالقضاء والقدر



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين، وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، سبق الحديث معكم عن القَدرِ، وذكرتُ رُكنيْنِ من أركانِه، هما: العلمُ، والكتابةُ، والآنَ حديثي معكم عن باقي الأركان، **وهما: المشيئةُ، والخلقُ.**

والمشيئةُ - أيُّها الناسُ -: هي الركنُ الثالثُ من أركانِ القدرِ، ويَقْتضي هذا الرُّكنُ الإيمانَ بمشيئة الله النافذة، وقُدرته الشاملة، فما شاء كانَ، وما لم يشأْ لم يكنْ، وأنَّه لا حركةَ، ولا سُكونَ، ولاهدايةَ، ولا إضلالَ - إلا بمشيئتِهِ - سبحانه وتعالىٰ -.

قال العلامةُ ابنُ القيِّم - رحمه الله -: «وهذه المرتبةُ (أي: الرُّكْنُ) قد دلَّ عليها إجماعُ الرُّسُلِ مِنْ أوَّلِهم إلىٰ آخرِهم، وجميعُ الكُتُبِ المُنزلةِ مِنْ عندِ اللهِ، والفِطرةُ التي فَطَرَ الله عليها خلْقَهُ، وأدلَّةُ العقْلِ والبَيَانِ»(1).

والأدلة على هذا الركنِ من الكتاب والسُّنَّة كثيرةٌ جدًّا، فمنها:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القصص: ٦٨].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(1) «شفاء العليل» (ص٩٢).

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله ﷺ -: «إنَّ قُلُوبَ بني آدمَ كُلَّها بَيْنَ إصبعيْنِ منْ أصابعِ الرَّحمنِ، كقلبٍ واحدٍ، يُصرِّفُه حيثُ يشاء».

أيها الناسُ، إنَّ مشيئةَ اللهِ النافذةَ، وقدرتُه الشاملة يجتمعانِ فيما كان، وما سيكون، ويفترقانِ فيما لم يكُن، ولا هو كائن، فما شاء اللهُ كَوْنَهُ فهو كائنٌ بقُدرتِهِ لا مَحالةَ، وما لم يشأْ لا يكونُ لعدمِ مشيئتِهِ له، لا لعدمِ قُدْرتِهِ عليه.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فعدمُ اقتتالهم ليس لعدمِ قُدرةِ اللهِ، ولكنْ لعدمِ مشيئتِهِ ذلك، ومِثْلُهُ قولُه - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩](١).

أيُّها الناسُ، ذلك ما تيسَّر الوُقوفُ عليه، وفيما يأتي ذِكْرُ الرُّكْنِ الرابعِ والأخير من أركان القدرِ، وهو الخلقُ:

وهذا الرُّكْنُ يقتَضي الإيمانَ بأنَّ جميعَ الكائناتِ مخلوقاتٌ لله بذواتِها، وصفاتِها، وحركاتِها، وبأنَّ كُلَّ مَنْ سِوىٰ اللهِ مخلوقٌ مُوجَدٌ مِنَ العَدَمِ، كائنٌ بعدَ أنْ لم يكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهذه المرتبةُ (أي الرُّكنُ) دلَّتْ عليها الكُتُبُ السَّماويَّةُ، وأجمعَ عليها الرُّسُلُ ـ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ـ، واتَّفقت عليها الفِطَرُ القَويمةُ، والعُقُول السليمةُ».

والأدلةُ على هذه المرتبة لا تكادُ تُحْصَرُ، منها:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١، ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

(١) «شفاء العليل» (ص١٠٨).

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وأخرج الإمام البخاريُّ في كتابه «خلق أفعال العباد» بسند صحيح، صححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[١] من حديث حذيفةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللهَ يصنعُ كُلَّ صانعٍ وصَنْعَتَهُ».

أيُّها الناسُ، تلك هي أركانُ القدرِ ـ أو مراتبُ القدرِ الأربعُ ـ التي لا يتمُّ الإيمانُ بالقدرِ إلاَّ بها، وهأنذا أُعيدُها علىٰ مسامِعكم؛ لِتَعِيَهَا قُلوبُكم:

الركن الأول ـ الإيمانُ بعلم الله الشاملِ المُحيط.

الركنُ الثاني ـ الإيمانُ بكتابةِ اللهِ في اللَّوحِ المحفوظِ.

الركنُ الثالثُ ـ الإيمانُ بمشيئةِ الله النافذةِ، وقُدْرتهِ التامَّة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكنْ.

الركنُ الرابعُ ـ الإيمانُ بخلقهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لكلِّ موجودٍ، لا شريكَ له في خلقهِ.

وأسألُ الله أنْ يرزُقَنا علِماً نافعًا، وعملاً مُتَقَبَّلاً، وصلىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمدٍ، وعلىٰ آلهِ وصحبهِ، وسلَّم تسليمًا كثيراً.

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٧).



الخطبة الأولى

أخطاء في باب القدر



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بعدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ حولَ أخطاءٍ، يقعُ فيها كثيرٌ من الناس في بابِ القدرِ، وهذهِ الأخطاء منها ما في الأقوالِ، ومنها ما في الأفعالِ، ومنها ما هو في الاعتقاداتِ، ومنها ما هو في ذلك كُلِّه[1].

---

(١) انظر «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت منه في هذه الخطبة وغيرها.

فمن الأخطاء في باب القدر تركُ الأخذ بالأسباب اتّكالاً على المكتوبِ المَقْدورِ، وهذا خطأٌ وضلالٌ؛ لأنَّ الأخذَ بالأسبابِ مِنْ تمامِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ، ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّة حافلةٌ بالأمرِ باتِّخاذِ الأسبابِ المشروعةِ في مُختلفِ شئونِ الحياةِ، فقدْ أَمَرتْ بالعملِ، والسَّعيِ في طَلَبِ الرِّزْقِ، واتخاذِ العُدَّةِ لمواجهةِ الأعداءِ، والتزوُّدِ للأسفارِ، وغَيرِ ذلك.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [الجُمُعة: ١٠].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [المُلك: ١٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأَمرَ المُسافرين للحجِّ بالتَّزَوُّد، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأمرَ بالدُّعاءِ والاستعانةِ، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**احْرِص على ما يَنْفعُكَ، واستعنْ بالله، ولا تَعْجزَنْ، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ الله، وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَملَ الشَّيطانِ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

وقد شرح شيخ الإسلام هذا الحديث، فقال: «فأمَرَهُ بالحِرصِ علىٰ ما يَنفعُهُ، والاستعانةِ باللهِ، ونَهاهُ عنِ العجزِ: الذي هو الاتكالُ علىٰ القدرِ، ثمَّ أمرهُ - إذا أصابَه شيءٌ - ألاَّ ييأسَ علىٰ ما فاتهُ، بل ينظرُ إلىٰ القدرِ، ويُسلِّمُ لأمرِ اللهِ، فإنَّه هُنا لا يقدرُ علىٰ غيرِ ذلك، كما قال بعضُ العقلاءِ: الأُمورُ أمرانِ: أمرٌ فيه حِيلةٌ، وأمرٌ لا حِيْلةَ فيه، فما فيه حِيلةٌ لا يُعجزُ عنهُ، وما لا حِيلةَ فيه لا يُجزعُ منهُ»(١).

ومن الأخطاء في بابِ القدرِ - أيُّها الناسُ - الاحتجاجُ بالقدرِ على فِعلِ المعاصي، أو تَرْكِ الواجباتِ، وهذا العملُ تصحيحٌ لمذهب الكُفَّارِ الذين قال الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهؤلاءِ المُشركون احتجُّوا علىٰ شِركِهم بالقدرِ، فلو كان احتجاجُهم مَقبولاً صحيحًا، ما أذاقهمُ اللهُ بأسَهُ، بل لو كان الاحتجاجُ بالقدرِ سائغًا، ما كان هُناك داعٍ لإرسالِ الرُّسُلِ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

أيُّها الناس، إنَّ الاحتجاج بالقَدرِ علىٰ فِعلِ المعاصي - أو تركِ الطَّاعاتِ - احتجاجٌ باطلٌ في الشَّرعِ، والعَقلِ، والواقعِ، فلو كان القدرُ حُجَّةً علىٰ المصائبِ والذُّنوبِ، لتعطَّلتْ مصالحُ الناسِ، ولعمَّتِ الفوْضىٰ، ولما كان هُناك داعٍ للحُدودِ، والتَّعزيراتِ، والجزاءاتِ؛ لأنَّ المُسيء سيحتجُّ بالقدرِ، ولما احتجنا لوضعِ عُقوباتٍ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

للظَّلمةِ وقُطَّاعِ الطريقِ، ولا إلىٰ فتحِ المحاكمِ، ونَصْبِ القُضاةِ؛ بحجةِ أنَّ كلَّ ما وقع إنَّما وقع بقدرِ اللهِ، وهذا لا يقولُهُ عاقلٌ.

أيُّها الناسُ، إنَّ المُؤمنَ الحقَّ بقضاء اللهِ وقدَرِه إنَّما يحتجُّ بالقدرِ علىٰ المصائبِ، والشَّقيَّ يحتجُّ بالقدرِ علىٰ المعائبِ.

ولهذا قال شيخُ الإسلام: «يَسُوغُ الاحتجاجُ بالقدرِ عند المصائبِ التي تحِلُّ بالإنسان: كالفقرِ، والمَرضِ، وفقد القريبِ، وخَسارةِ المالِ، وقَتلِ الخَطَإِ، ونحوِ ذلك، فهذا مِنْ تمامِ الرِّضا باللهِ ربًّا، فالاحتجاجُ إنَّما يكونُ علىٰ المصائبِ لا المعائبِ، فالسَّعيدُ يستغفرُ مِن المعائبِ، ويصبرُ علىٰ المصائبِ،

كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

والشَّقيُّ يجزعُ عندَ المصائبِ، ويحتجُّ بالقدرِ علىٰ المعائبِ»[١].

ومَمَّنْ يسوغُ له الاحتجاجُ بالقدرِ التائبُ مِنَ الذَّنْبِ، فَلو لاَمَهُ أحدٌ علىٰ ذَنبٍ تاب منه، لساغَ له أنْ يحتجَّ بالقدرِ، فلو قيل لأحدِ التائبين: لمَ فعلتَ كذا وكذا؟، ثمَّ قال: هذا بقضاءِ اللهِ وقَدرِه، وأنا تُبتُ واستغفرتُ ـ لقبِلَ منه ذلك الاحتجاجُ، كما ذكر ذلك ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ[٢].

والدليلُ على أنَّه يجوزُ للتائبِ أنْ يحتجَّ بالقَدرِ ما في «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «احتجَّ آدمُ ومُوسى،

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٥٤).
(٢) انظر «شفاء العليل» لابن القيم (ص٣٥).
(٣) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

فقال له موسى: يا آدمُ، أنت أبُونا، خيَّبْتَنَا، وأخرجْتنا من الجنَّة!. قال له آدَمُ: أنتَ مُوسى، اصطفاكَ اللهُ بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلُومُني على أمر قدَّرَهُ اللهُ عليَّ، قبلَ أن يَخْلُقَني بأربعينَ سنةً؟!» فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «فَحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ مُوسى ـ ثلاثًا ـ».

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا الحديث: «فآدمُ ـ عليه السلام ـ لم يحتجَّ بالقدرِ على الذَّنب ـ كما يظنُّ ذلك بعضُ الطَّوائف ـ وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلُمْ آدمَ على الذَّنبِ؛ لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ آدمَ استغفر ربَّهُ فتاب، فاجتباه ربُّه، وتاب عليه، وهَداهُ، والتائبُ مِنْ الذَّنبِ كمَنْ لا ذَنبَ لهُ، ولو أنَّ مُوسى لامَ آدمَ على الذَّنبِ لأجابَهُ: إنني أذنَبتُ، فتُبتُ، فتابَ اللهُ عليَّ، ولقال له: أنت يا مُوسى ـ أيضًا قتلتَ نفسًا، وألقيت الألواحَ، إلى غيرِ ذلك، إنما احتجَّ مُوسى بالمُصيبةِ، فحجَّهُ آدمُ بالقدرِ»[1].

أيُّها الناسُ، على ضوءِ هذا الحديث العظيم فقدْ قال أهلُ العلمِ: إنَّهُ لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يلومَ التائبَ من الذَّنبِ، فالعِبرةُ بكمالِ النِّهايةِ، لا بنقصِ البدايةِ.

ومن الأخطاء في باب القدر ـ أيُّها الناسُ ـ التَّخلِّي عن مُساعدة المُحتاجين والمَنْكُوبين؛ بُحجَّة أنَّ ما حلَّ بهم إنَّما هو بمشيئةِ اللهِ، وهذا القولُ خطأٌ عظيمٌ، وضلالةٌ كُبرى، وقائلوه فيهم شَبهٌ ممَّن قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

فهذه الآية تدلُّ على أنَّ المشيئةَ ليستْ حُجَّةً لفِعلِ المعاصي، أو تركِ الطَّاعاتِ

(١) انظر «الفتاوى» (٨/ ١٧٨)، و«منهاج السنة» (٣/ ٧٨ ـ ٨١)، و«الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية (ص١٨ ـ ٢٢).

أبدًا. قال العلامةُ ابن سَعْدِيٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ جَهْلِهِمُ العظيم ـ أو تَجاهُلِهِمُ الوَخيم ؛ فإنَّ المشيئةَ ليستْ حُجةً لعاصٍ أبدًا، فإنَّه ـ وإن كان ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكنْ ـ فإنه ـ تعالىٰ ـ مكَّن العبادَ، وأعطاهُم من القوَّةِ ما يَقْدِرون علىٰ فِعْلِ الأمرِ، واجتنابِ النَّهي، فإذا تركوا ما أُمِرُوا به، كان ذلك اختيارًا منهم، لا جَبرًا لهم وقَهرًا»[1].

ومن الخطإ في بابِ القَدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ تركُ الدُّعاء، بحجَّةِ أنَّ اللهَ يعلمُ حاجةَ العبدِ، قبلَ أنْ يسألَهُ، وأنَّه لو شاء لأعطاه مسألتَهُ بغير سُؤالٍ، وأنَّه لن يُصيبَهُ إلا ما كُتِبَ له، وهذا القولُ قولٌ باطلٌ؛ لأنَّه مُنافٍ للإيمانِ بالقَدرِ، وتعطيلٌ للأسبابِ، والدُّعاءُ شَأْنُهُ عظيمٌ؛ فبه يُرَدُّ القدرُ، وبه يُرفَعُ البَلاءُ؛ فهو ينفعُ ممَّا نَزلَ، وممَّا لم يَنزِلْ.

فقد أخرج الإمامُ أحمدُ في «مسندِهِ» بسندٍ حسن، حسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث سَلمانَ الفارسيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يَردُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعاءُ».

وأخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «الدُّعاءُ ينفعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم يَنْزِلْ؛ فعليكم ـ عبادَ اللهِ ـ بالدُّعاءِ».

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن السعدي (ص٦٩٧).

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٢٧٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧)، وانظر «الصحيحة» (١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

وأخرج الحاكمُ في «مُستدركه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسولُ الله - ﷺ -: **«لا يُغني حَذرٌ منْ قدرٍ، والدُّعاءُ يَنْفعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم يَنزلْ، وإنَّ البلاءَ لينزل، فيَتَلقَّاهُ الدُّعاءُ، فيَعْتَلِجانِ إلى يومِ القيامة»**. ومعنى يَعْتَلِجانِ: يتصارعانِ ويتقاتلانِ.

أيُّها الناسُ، إنَّ الأخذَ بالأسبابِ مِنْ تمامِ الإيمانِ بالقدرِ، والدُّعاء مِنَ الأسبابِ التي بها يردُّ القضاء.

قال العلامة ابنُ عُثيمين - رحمه الله -: «الدُّعاءُ من الأسبابِ التي يَحصُلُ بها المدْعُوُّ، وهو - في الواقع - يَرُدُّ القضاءَ، ولا يرُدُّ القضاءَ - يَعني له وجهانِ - فمثلاً: هذا المريضُ، قدْ يَدْعُو الله - تعالى - بالشفاءِ، فيشفَى، فهُنا لولا هذا الدعاءُ لبقي مريضًا، لكن بالدُّعاءِ شُفي، إلاَّ أنَّنا نقولُ: إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - قد قضى بأنَّ هذا المرضَ يشفى منهُ المريض بواسطةِ الدُّعاءِ، فهذا هو المكتوبُ، فصار الدُّعاء يرُدُّ القدرَ ظاهريًّا، حيثُ إنَّ الإنسانَ يَظُنُّ أنَّه لولا الدُّعاءُ لبقي المَرضُ، ولكنَّه في الحقيقة لا يردُّ القضاءَ؛ لأنَّ الأصلَ أن الدُّعاءَ مكتوبٌ، وأن الشِّفاءَ سيكونُ بهذا الدُّعاءِ، هذا هو القدرُ الأصليُّ الذي كُتبَ في الأزلِ، وهكذا كلُّ شيءٍ مَقرونٌ بسببٍ، فإنَّ هذا السببَ جعلهُ اللهُ - تعالى - سببًا يحصُلُ به الشيء، وقدْ كتبَ ذلك في الأزَلِ قبلَ أن يحدُثَ». اهـ[(٢)].

ومن الأخطاء في باب القدر - أيُّها الناسُ - **الاعتراضُ على الأقْدارِ**، كقولِ بَعْضِهم - إذا أُصيبَ بمصيبةٍ -: ماذا فعلتُ يا ربِّ؟، أو أنا لا أستحقُّ ذلك. وكذلك ما

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

(٢) «المجموع الثمين» (١/ ١٥٧).

يُقالُ - إذا أُصيبَ شخصٌ بمصيبةٍ -: فُلانٌ مسكينٌ، لا يستحقُّ ما جرىٰ له، لقدْ ظلمتْهُ الأقدارُ، إلىٰ غير ذلك من الاعتراضِ علىٰ قدرِ اللهِ، ومِنَ الجهلِ بحكمتِهِ - سبحانه وتعالىٰ -، فلا يجوزُ إطلاقُها؛ لأنَّ للهِ ما أَخذَ، وله ما أعطىٰ، وله الحكمة البالغة في شَرْعِهِ، وخَلْقِهِ، وفعْلِه.

قال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن الأخطاء في بابِ القدر - أيُّها الناسُ - **الدُّعاءُ بـ**«اللهمَّ إنِّي لا أسْأَلُك ردَّ القَضاءِ، ولكنْ أسأَلُك اللُّطفَ فيه» فهذا الدُّعاء يجْري كثيراً علىٰ الألسنةِ، وهو دُعاءٌ لا ينبغي؛ لأنَّهُ شُرِعَ لنا أن نسأل اللهَ ردَّ القضاءِ، إذا كان فيه سُوءٌ.

وقد بوَّبَ البُخاريُّ - رحمه الله - بابًا في «صحيحه»، قال فيه: «باب: مَن تعوَّذَ باللهِ مِن دَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القضاءِ، وقولِهِ - تعالىٰ -: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢].

ثمَّ ساق حديث أبي هُريرةَ[1] - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «**تَعوَّذُوا باللهِ مِنْ جَهدِ البلاء، ودَرَكِ الشَّقاء، وسُوءِ القضاء، وشماتَةِ الأعْداء**».

وفي روايةٍ قال سُفيانُ: «الحديثُ ثلاثٌ، زِدْتُ أنا واحدةً، لا أدري أيَّتُهُنَّ هيَ؟».

وأستغفر الله.

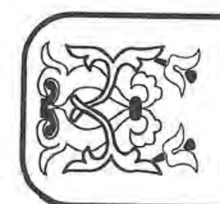
---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٧) و (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).



الخطبة الثانية

أخطاءٌ في بابِ القدر



إنَّ الحمد لله نحمدُهُ، ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسُنا، ومِنْ سيِّئات أعمالِنا مَنْ يَهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ مسائلَ القدرِ مِن الأمورِ المُهمَّةِ، التي يجبُ علىٰ العبدِ أن يُحقِّقَها تمامًا، حتىٰ يَصِلَ فيها إلىٰ درجةِ اليقين.(١) ومعرفةُ الأخطاءِ في بابِ القدرِ يَقُودُ إلىٰ فَهم القدرِ علىٰ الوجهِ الصحيح، وقد سبق ذكرُ بعضِ الأخطاءِ في بابِ القَدرِ، وفيما يأتي ذِكْرُ بعضِها:

فمن الأخطاء في باب القدر ـ أيُّها الناسُ ـ قولُ كلمة (لو) عندما تحِلُّ مُصيبةٌ، وذلك إذا كان الحاملَ عليها الحُزنُ، والضَّجرُ، والجزعُ، وضعفُ الإيمانِ بالقَدرِ، كحالِ مَنْ يقولُ إذا نزلتْ به مُصيبةٌ: كخسارةِ مالٍ، أو تَلفِ زَرْعٍ، أو فقْدِ أنفُسٍ، أو غير ذلك ـ يقول: لو أنِّي فعلتُ كذا وكذا، ما كان كذا وكذا، أو لكان كذا وكذا.

فهذه المقولةُ خطأٌ؛ وذلك أنَّ العبدَ مأمورٌ عند المصائبِ بالصَّبرِ، والاسترجاع، والتوبةِ، وقولُ (لو) لا يُجدي عليه إلاَّ الحُزنَ والتَّحسُّرَ، مع ما يُخافُ علىٰ توحيدِهِ مِنْ نوعِ المُعاندةِ للقدرِ، الذي لا يكادُ يَسْلَمُ منها مَنْ وقعَ منه هذا، إلاَّ ما شاءَ اللهُ(٢).

---

(١) انظر «المجموع الثمين من فتاوىٰ ابن عثيمين» (١/ ١٥٢).

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٦١).

ولهذا نعى اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ على المنافقين مقولتَهُمْ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومقولتهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].

فردَّ اللهُ عليهم ـ وعلى أمثالِهم ـ بقولِهِ: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وأرشدنا نبيُّنا ـ ﷺ ـ إلى الأخذ بالأسباب، وأنْ نَحرِصَ على ما يَنفعُنا، ومتى أتتِ الأُمورُ على خِلافِ ما نُريدُ، أرشدنا إلى التسليم لله، والإيمان به، والتَّعزِّي بقَدرِهِ، مع حُسنِ الظَّنِّ بهِ، والرَّغبةِ في ثوابِهِ، فذلك عين الفلاح في الدُّنيا والآخرةِ[١].

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، لكان كذا وكذا، ولكنْ قُل: قَدرُ اللهِ، وما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لَوْ) تفتحُ عَملَ الشَّيطانِ».

ومن الأخطاء في باب القدرِ ـ أيُّها الناسُ ـ قولُ كلمةِ (ليْتَ) وهي مِنْ جِنسِ كلمةِ (لو)، فهما لا يُجديانِ في حُصُولِ الأمرِ المَقْدورِ.

ومن الأخطاء في باب القدرِ أيُّها الناسُ ـ الحسدُ، فالحَسَدُ في حقيقتِهِ إنَّما هو اعتراضٌ على قَدَرِ الله؛ لأنَّ الحاسدَ لم يَرْضَ بقضاءِ اللهِ، ولم يُسلِّمْ لقدرِهِ، فلسانُ حالِ الحاسدِ يقولُ: إنَّ فلانًا أُعطِيَ، وهو لا يَستحقُّ، وفُلانًا مُنِعَ، وهو يستحقُّ العطاءَ.

فكأنَّه بحَسَدِهِ هذا يقْسمُ رحمةَ ربِّه بَيْنَ العبادِ، وكأنَّه يَقْترحُ على ربِّه ما يَراهُ مُلائمًا

---

(١) انظر المرجع السابق (ص٦٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

في نَظرِه، فهو - بصنيعِهِ هذا - يَقْدحُ في حِكمةِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -، ووضْعِهِ الأشياءَ في مواضِعِها اللائقةِ بها؛ فمِنْ تمامِ الإيمانِ بالقدرِ تركُ الحسدِ، والتسليمُ للهِ في جميعِ الأُمورِ، فالمؤمنُ الحقُّ لا يَحْسُدُ الناسَ علىٰ ما آتاهمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ لإيمانِهِ بأنَّ اللهَ هو الذي رَزَقَهُم، وقدَّر لهم معايشَهُم، فأعطىٰ مَنْ شاءَ لحكمةٍ، ومَنَعَ من شاء لحكمةٍ، وأنه - حينَ يَحْسُدُ غيرَهُ - إنَّما يَعترضُ علىٰ قدرِ اللهِ، ويَقْدَحُ في حِكْمتِهِ.

ولهذا قيل: «مَنْ رضيَ بقضاءِ اللهِ لم يُسْخِطْهُ أحدٌ، ومَنْ قَنعَ بعطائِهِ لم يدخلهُ حسَدٌ»[1].

ومن الأخطاءِ في بابِ القَدرِ التَّسَخطُ بالبنات، فبعضُ المسلمين - هَدَاهُ اللهُ - إذا رزقَهُ اللهُ بنْتًا تسخطَ بها، وهذا فيه تشبُّهٌ بأهلِ الجاهليَّةِ، الذين قصَّ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - علينا خَبَرهُمْ، وأنَّهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ الإقدامُ على قتلِ النَّفسِ - الانتحارِ -،

فهذا الصَّنيعُ مُنافٍ للإيمانِ بالقدرِ، والتسليم لله - سبحانه وتعالىٰ - في كُلِّ أمرٍ، وهو من الأمور التي حرَّمها اللهُ، وحذَّر من فعلِها، وتوعَّد مُرتكبَها بالوعيدِ الشديدِ،

قال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

ومن الأخطاءِ في بابِ القدرِ تمنِّي الموت، وهذا - أيضًا - مُنافٍ للإيمانِ بالقدرِ، والتسليمِ للهِ، فإنْ كان المَرْءُ - لابُدَّ - متمنِّيًا، فليدعُ بهذا الدعاءِ المأثورِ، الذي في

---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٢٦٩).

«الصحيحين»[١] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَهُ، فإن كان لابدَّ فاعلاً، فَليقُلْ: اللهمَّ أحيني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي».

ومن الأخطاء في باب القدر - أيُّها الناسُ - ترديد هذا السُّؤال: هل الإنسانُ مُسيَّرٌ أو مُخيَّرٌ؟، وكأنَّ بابَ القدرِ لا يُفهمُ إلا بالإجابةِ عن هذا السُّؤالِ.

والجواب: أنَّ الحقَّ وسطٌ بَينَ القولينِ، وهو أنَّ الإنسانَ مُخيرٌ باعتبارٍ، ومُسيَّرٌ باعتبارٍ، فهو مُخيَّرٌ باعتبارِ أنَّه لهُ مشيئةٌ يَختارُ بها، وقُدرةٌ يَفعلُ بها لقول الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولقوله - ﷺ - كما في «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «احْرِص على ما يَنْفعُكَ، واستعنْ بالله، ولا تعجزَنْ».

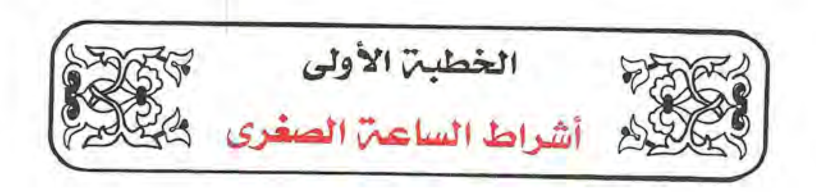
وهو مُسيرٌ باعتبارِ أنَّه في جميع أفعالِه داخلٌ في القَدرِ، راجعٌ إليه لكونِه لا يَخرجُ عمَّا قدَّر اللهُ لقولِ الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وقد جمعَ اللهُ بينَ هذين الأمرين - أي: كونِ الإنسانِ مُسيرًا باعتبارٍ، ومُخيرًا باعتبارٍ - في هذه الآية الكريمة: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. فأثبت اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - أنْ للعبدِ مشيئةً، وبيَّنَ أنَّ مَشيئةَ العبدِ تابعةٌ لمشيئةِ الله، واقعةٌ بها.

وأخيرًا نسألُ اللهَ أنْ يَرْزُقنا علمًا نافعًا، وعملاً مُتقبَّلاً، ويَجعلَنا هُداةً مُهْتدين، وصلىٰ اللهُ وسلم علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِهِ، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠). (٢) سبق تخريجه.



الخطبة الأولى

أشراط الساعة الصغرى

إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس؛ حديثي معكم اليوم عن أشراط الساعة الصغرى، وسميت بالصغرى لأنها معتادة الوقوع وتتقدم الساعة بأزمان، خلافًا لأشراط الساعة الكبرى؛ فهي غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجال، ونزول عيسى -عليه السلام، وخروج يأجوجَ ومأجوجَ، وطلوع الشمس من مغربها.

أيها الناس؛ قد جاء في «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عمر -رضي الله عنه- أن جبريل -عليه السلام- قال لرسول الله ﷺ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». فإذا كان أعلى الملائكة منزلة -وهو جبريل-، وأعلى البشر منزلة -وهو محمد ﷺ- لا يعلمان متى تكون الساعة فأحرى بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

إذن فعلم الساعة من خصائص علم الله لا يعلم وقت قوعها، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلاً قال الله سبحانه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ففي هذه الآية الكريمة أخبر الله -سبحانه وتعالى- أنه لا أحد يعرف وقت الساعة غيره- سبحانه وتعالى- وأنها تأتي بغتة، وأن رسول الله ﷺ لا يدري متى

---

(١) رواه مسلم (٨).

هي، فهي إحدى مفاتح الغيب الخمسة التي هي من مكنونات علم الله، قال الله- سبحانه وتعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

وفي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**» ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

أيها الناس؛ إن الله سبحانه وتعالى قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده، لكنه -سبحانه وتعالى- أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها، وهذه الأمارات والعلامات هي أشراط الساعة.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد:١٨].

والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[(٢)]

وهذه العلامات منها ما قد وقعت، ومنها ما قد وقعت ولا تزال مستمرة، ومنها ما لم تقع:

فمن أشراط الساعة التي قد وقعت:

-**بعثة الرسول ﷺ**:

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثتُ أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما على الأخرى**- وضم

---

(١) رواه البخاري (٤٩٦٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

السبابة والوسطى».

فدل هذا الحديث على أن أول علامة الساعة أيها الناس بعثة رسول الله ﷺ، فهو النبي الأخير، فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابةَ الوسطى ليس بينهما إصبع، أو كما يفضل إحداهما أخرى»[١].

ومن أشراط الساعة التي قد وقعت انشقاق القمر:

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١، ٢].

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُرِيهُم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وفي «صحيح مسلم»[٣] أيضًا من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» وفي رواية أخرى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

ومن أشراط الساعة: موت رسول الله ﷺ:

ففي «صحيح البخاري»[٤] من حديث عوف بن مالك -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة أدم، فقال: «**اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مَوتان يأخذ فيكم كقُعَاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب**

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٣٤٩)، وتحفة الأحوذي شرح الترمذي (٦/ ٤٦٠) والتذكرة (ص ٦٢٥-٦٢٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨٠٠).

(٤) رواه البخاري (٣١٧٦).

إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألف».

وهذه العلامات منها ما قد وقعت كفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، والمقصود بالموتان الذي يأخذ الناس كقعاص الغنم: هو طاعون عمواس كما قال العلماء، وقد وقع ذلك في عهد عمر بن الخطاب ومات فيه خيار الصحابة كأبي عبيدة بن الجراح.

وأما استفاضة المال: فمن العلامات التي لا تزال مستمرة، وقد فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله وسيكثر المال في آخر الزمان: حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: «لا أرب لي به».

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يهمَّ ربَّ المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه»**.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي موسي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، قال: **«ليأتين على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه»**.

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله ﷺ: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة»**، قال: **«فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يدي. ثم يَدَعُونَه فلا**

---

(١) رواه البخاري (١٤١٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١٢).

(٣) رواه مسلم (١٠١٣).

يأخذون منه شيئًا».

ومن أشراط الساعة التي قد وقعت: ظهور نار الحجاز:

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز؛ تضيءُ أعناقَ الإبل ببصرى**»، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارًا عظيمة، أفاض العلماء ممَّن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.

ومن العلماء الكبار الذين كانوا أحياء عند خروج هذه النار الإمام النووي -رحمه الله- وقد ذكرها في شرحه «صحيحَ مسلم»[2] فقال: (وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة).

وذكر ابن كثير -رحمه الله- في كتابه «النهاية»[3]: (أن غير واحدٍ من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز). وبصري - أيها الناس - مدينة معروفة بالشام ويقال لها (حوران) بينها وبين دمشق ثلاث مراحل.

أيها الناس **تلك علامات للساعة قد مضت.**

وهناك علامات قد وقعت، وهي مستمرة فمنها:

-ضياعُ الأمانة:

(١) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٨).
(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٤).

ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيعت الأمانة، فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أُسْنِد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة**».

ففي إسناد الأمر إلى غير أهله دليلٌ واضحٌ على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم يولون أمرهم من لا يهتم بدينه، فيكون ذلك سببًا في تضييع الأمانة، فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة -والناس تبعٌ لمن يتولى أمرهم- ؛ كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاحُ حال الولاة صلاحٌ لحال الرعية، وفساده فساد لهم.

ومن أشراط الساعة: قبض العلم وظهور الجهل والفتن، ويلقى الشحُّ:

ويكثر القتل ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويثبت الجهل**».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان، ويُقبض العلم، وتظهر الفتن، ويُلْقَى الشحُّ، ويكثر الهَرْج**» قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ كما في «فتح الباري»[٤]: جميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي الشحُّ في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل» وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٦).
(٢) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).
(٣) روا مسلم (١٥٧).
(٤) فتح الباري (١٣/ ١٦).



الخطبة الثانية
أشراط الساعة الصغرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها الناس؛ إن أشراط الساعة الصغرى الحديث عنها ذو شجون، فهي أكثر مِن أن تحصر: وقد تقدم الحديث عن بعضها، وفيما يأتي ذكر شيء منها:

فمن أشراط الساعة أيها الناس: انتشار الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساءُ:

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأةً القيم الواحد»**.

ومن أشراط الساعة انتشار الربا:

حتى إن الرجل لا يبالي بما أخذ المال؛ أمن حلالٍ أم من حرامٍ؟ ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليأتين على الناس زمانٌ، لا يبالي المرء بما أخذ المال؛ أمنْ حلالٍ أمْ منْ حرام؟»**.

ومن أشراط الساعة أيها الناس ظهور المعازف واستحلالها:

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3]-

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٩).

من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خَسفٌ، وقَذفٌ، ومَسخٌ**» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقيناتُ**».

والمعازف أيها الناس هي: آلات الملاهي، كالعود، والطنبور، والدف، وكل لُعَبِ عزف، وقد وقع شيءٌ كبيرٌ في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهورًا، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان، وانتشرت انتشارًا عظيمًا، وكثر المغنون والمغنيات، وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ(القينات)[1].

وأعظم من ذلك استحلالُ كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسخ، والقذف، والخسف كما في الحديث السابق.

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازف**».

ومن أشراط الساعة: شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3]- من حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتستحِلَّنَّ طائفةٌ من أمتي الخمر باسمٍ يسمونها إياه**».

ومن أشراط الساعة: زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيح -صححه الألباني في «صحيح الجامع»[4]- من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله

---

(١) أشراط الساعة ليوسف الوابل (ص١٤١).

(٢) رواه البخاري.

(٣) أخرجه أحمد(٥/ ٣١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤٥).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١).

ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**».

قال البخاري: (قال أنسٌ: يتباهون بها، ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، فالتباهي بها: العناية بزخرفتها. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى)[١].

ومن أشراط الساعة: التطاول في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأَمَة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**».

ومن أشراط الساعة: أن يكون السَّلام للمعرفة:

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح[٣] من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يُسَلِّم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة**».

وفي رواية له: «**إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة**»[٤].

وهذا أمرٌ مشاهدٌ في هذا الزمن، فكثيرٌ من الناس لا يسلِّمون إلا على من يعرفون، وهذا خلاف السنة؛ فإن النبي ﷺ حثَّ على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبَّة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة؛ ففي «صحيح مسلم»[٥] من حديث أبي

---

(١) صحيح البخاري (١ / ٥٣٩).
(٢) رواه مسلم (٨).
(٣) مسند أحمد (٥ / ٣٢٦).
(٤) مسند أحمد (٥ / ٣٣٣)، وهو في «الصحيحة» (٦٤٧)، ومسلم (٢ / ٥).
(٥) رواه مسلم (٢٩٤٠).

هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» .

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



الخطبة الأولى
المهدي

إن الحمد لله....

أما بعد:

أيها الناس حديثي معكم اليوم عن المهدي عليه السلام.

وهو رجل يخرج في آخر الزمان من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قطّ؛ تخرجُ الأرض نباتها، وتمطرُ السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد[1].

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم[2].

ولابد أن نعرف أيها الناس شيئًا من صفاته ونسبه.

فهو رجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ ويكون اسمه محمد بن عبدالله، ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو لمْ يبق من الدنيا إلا يومٌ تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني**» أو «**من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئتْ ظلمًا وجورًا لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل**

---

(١) انظر: «أشراط الساعة» للوابل (ص٢٤٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ / ٣١).

(٣) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٤).

بيتي، يواطئ اسمه اسمي».

وروى أبو نعيم في «أخبار أصبهان» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»[(١)] من حديث معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتملأن الأرض جورًا وظلمًا، فإذا ملئت جورًا وظلمًا بعث الله رجلاً اسمه اسمي، فيملؤها قسطًا وعدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا».**

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جورًا».**

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح[(٣)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: **«المَهْدِي من عترتي، من ولد فاطمة».**

قال صاحب عون المعبود:[(٤)] (واعلم أن المشهور بين كافة أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته).

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٥)] من

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢ / ١٦٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٦).

(٤) عون المعبود (١١ / ٣٦١).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١١).

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**».

قال الحافظ ابن كثير: (أي: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك)[1]، وفي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن حسنه الألباني في المشكاة[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، يملك سبع سنين**».

وفي «الحاوي» للسيوطي بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»[3] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**منا الذي يصلِّي عيسى بن مريم خلفه**».

ففي هذا الحديث أيها الناس لدليل على أن المهدي هو من يصلي بعيسى بن مريم وهو دليل على صلاح أمر المهدي رضي الله عنه.

ومما يدل أيضًا على أن المهدي هو من يصلي بعيسى ابن مريم عليه السلام ما جاء في «الصحيحين»[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!**».

وفي «صحيح مسلم»[5] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**».

قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن**

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٩).
(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٨٥): وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٤٥٤).
(٣) صحيح: أخرجه السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).
(٤) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٧٥٥).
(٥) رواه مسلم (١٥٦).

بعضكم على بعضٍ إمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة».

أيها الناس: لقد نصَّ أهل العلم على صحة أحاديث المهدي وأنها متواترة تواترًا معنويًّا.

قال الإمام الحافظ أبو الحسن الآجري رحمه الله: (قد تواترت الأخبارُ واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه) [1].

وقال العلامة محمد السفاريني: (وقد كثرت بخروجه أي: المهدي الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عدَّ من معتقداتهم) .

ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي، وأسماء بعض الصحابة من رواها، ثم قال: (وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة) [2].

وفي عهد المهدي أيها الناس يكثر الخير وتعظم الأمة.

ففي «مستدرك» الحاكم بسندٍ صحيح صححه الألباني في «الصحيحة» [3]، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرجُ الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا،**

(١) تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١١٩٤).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).
(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٥٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١١).

وتكثر الماشيةُ، وتعظم الأمةُ، يعيش سبعًا أو ثمانيا، يعني حجةٌ»

وأستغفر الله



الخطبة الثانية

ماذا يجب علينا قبل خروج المهدي؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس تقدم الحديث عن خروج المهدي وبسطنا الأدلة على ذلك وسوف أتحدث معكم الآن عما يجب علينا قبل خروج المهدي.

أنه يجب علينا أيها الناس أن نجتهد في العمل الصالح والسعي لتوطيد دعائم هذا الدين ورفعة شأنه.

فإن وقت خروج المهدي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولا يعلم الناس بذلك إلا بعد ظهوره ظهورًا مستحكمًا.

ولنعلم أن النبي ﷺ بشر أمته بالنصر لكن من غير تحديد ولا تقريب فلو علم الناس أنهم منتصرون على عدوهم في وقت ما لسمعتم بعجائب الأخبار في تاريخ الخاملين.

وما أمر الله به النبي ﷺ من الصبر وما بشَّرَ به من النصر قد جمعه في غير ما سورة، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:٧٧].

فانظروا أيها الناس كيف كان التبشير بالنصر غير محدد الأجل حتى لا تركن إلى مجرد الأمل.

فنحن أيها الناس مأمورون بأن نشغل أنفسنا بالتمسك بالحق من غير أن نتعلق

بالنتائج قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤١: ٤٣].

وقد خرج رسول الله ﷺ من بلده مكة، ثم أراه الله سبحانه وتعالى أنه دخلها وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة من غير أن يحدِّد لهم وقتًا لفتح مكة، فلما ساروا عام الحديبة لم يشك جماعةٌ منهم أن الرؤيا تتفسر هذا العام وذلك هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

أيها الناس لقد أخبر الله سبحانه وتعالى: أن الرسول ﷺ وأصحابه سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت ووعده سبحانه وتعالى حق فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجع المسلمون من غير دخول مكة، كثر في ذلك الكلام منهم حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «**أخبرتكم أنه العام؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ستأتون وتطوفون به**».

فقد روي في «صحيح البخاري»[1] في قصة صلح الحديبية، وكان من نتائجه أن المسلمين يرجعون ولا يدخلون مكة عامهم ذاك، وفيها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: ألست نبي الله حقًّا؟ قال: «**بلى!**» قلتُ: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «**بلى!**» قلتُ: فلم نعطي الدَّنية في ديننا إذن؟ قال: «**إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري**»، قلتُ: أوليس كنت تحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوفُ به؟

قال: «**بلى! فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قال: قلت: لا! قال: «**فإنك آتيه ومطوِّفٌ**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

به» قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلتُ: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى! قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدُّنا على الباطل؟ قال: بلى! قلتُ: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجلُ! إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحقِّ.

قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قال: بلى! أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلتُ: لا! قال: فإنك آتيه ومطوِّفٌ به.

قال الزهري: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً.

أيها الناس الذي أريد أخلص إليه هو أن نصر الله قريب لكن كل ذلك من غير تحديد سابق والمهدي سوف يخرج لا محالة لكن لا نعلم وقت خروجه.

قال الإمام الألباني رحمه الله:[1] (خروج المهدي لا يستلزم التوكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيا من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثًا وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا وعلماؤهم إلا القليل منهم اتخذهم الناس رءوسًا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صفٍ واحدٍ، وتحت راية واحدةٍ، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلى أن يقودهم إلى النصر.

وإن لم يخرج فقد قاموا بواجبهم والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

وفقنا الله جميعًا إلى ما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

---

(١) الصحيحة (٤ / ٤٢، ٤٣).



الخطبة الأولى

الدجـال



إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس حديثي معكم اليوم عن أعظم فتنة في حياة البشر إنها فتنة الدجال وما من نبي بعثه الله إلا حذر أمته من الدجال وهو خارج في هذه الأمة وخروجه من أشراط الساعة الكبرى.

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» [1] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عزَّ وجل لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة**».

وفي «صحيح مسلم» [2] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**» وفي رواية: «**أمر أكبر من الدجال**».

ولقد أشفق الصحابة رضي الله عنهم من أن يخرج الدجال عليهم.

ففي «صحيح مسلم» [3] من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة

---

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٣) رواه مسلم (٢١٣٧).

النخل فلما رحنا عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبدالعزي بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينًا وشمالاً يا عبادالله فاثبتوا**».

قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**».

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا**» قلنا: يا رسول الله! وما أسرعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر**

أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب بنبي الله عيسي وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف أي يكون في أنوف الإبل والغنم في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط بنبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي كالروضة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها (أي بقشرها) ويبارك في الرسل حتى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك) فعليهم تقوم الساعة.

وللدجال أيها الناس صفات أخبرنا بها نبينا ﷺ لنحذره ونبتعد عنه.

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح صححه الألباني في «المشكاة» [(١)] من حديث عبادة بن الصامت أنه حدثهم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا حجراء فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

وفي «مسند أحمد بسندٍ» صحيح[(١)] من حديث أبي أمية أنه قال: أتيتُ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلتُ له: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثني عن غيرك وإن كان عندك مصدقًا فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبي إلا أنذر قومه أوأمته، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى وأنه يمطر ولا ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الأقصى، وإن شُكِلَ عليكم أو شبه فإن الله عز وجل ليس بأعور»**.

وفي «صحيح مسلم» [(٢)] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدجال أعور العين اليسرى جفاف الشعر معه جنَّة ونار فناره جنة، وجنته نار»**.

ومن صفات الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم.

ففي الصحيحين[(٣)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، إلا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر»**.

وفي رواية **«يقرؤه كل مسلم»**.

وفي «صحيح مسلم» [(٤)] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأي العين، ماءٌ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٣٤).
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤).
(٣) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).
(٤) رواه مسلم (٢٩٣٤).

أبيض، والآخر: رأي العين نارٌ تأجج، فإما أدركن أحدًا فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منها فإنه ماءٌ باردٌ وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوب بين عينيه كافرٌ يقرؤه كل مؤمنٍ كاتب وغير كاتب».

وأما أتباع الدجال _ أيها الناس _ فهم كثير لشدة ما يبعث فيهم من الشبه وما يجريه الله على يديه من الخوارق.

وأكثر أتباع الدجال من النساء.

لما في «مسند أحمد» بسندٍ صحيح لغيره[1] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم هذا يهودي تحتي فاقتله»**.

واليهود _ أيضًا _ من أتباع الدجال ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة»**.

وأما مكان خروج الدجال _ أيها الناس _ فهو يخرج من المشرق حيث مصدر الفتن ومقرها.

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٦٧).
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).
(٣) رواه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢).

ﷺ: «رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والعدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «إن الدجال يخرج من أرض بالشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة».

ويكون ظهوره عندما يكون بين الشام والعراق، لما في «صحيح مسلم»[2] من حديث النواس بن سمعان يرفعه: «أنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا».

وأستغفر الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس، تقدم الحديث معكم عن الدجال وفيما يأتي ذكر الوقاية من فتنة الدجال.

أيها الناس، لقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرًا إلا دلَّ أمته عليه، ولا شرًّا إلا حذرها إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، واختص نبينا محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرًا من صفات الدجال؛ ليحذر أمته؛ فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ومحمدٌ ﷺ خاتم النبيين.

وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة بإذن الله.

ومن هذه الإرشادات:

التمسك بالإسلام والتسلُّح بالعلم النافع والعمل الصالح، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحدٌ فنعلم أن الدجال بشرٌ يأكل ويشرب، وأن الله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم

وكافرهم[١].

ومن هذه الإرشادات :

التعوذ بالله من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ففي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال:«**إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**» وكان الإمام طاوس يأمر ابنه بإعادة الصلاة إذا لم يقرأ بهذا الدعاء في صلاته وهذا دليل على حرص السلف على تعليم أولادهم هذا الدعاء العظيم.

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح[٤] من حديث أبي قلابة رضي الله عنه قال: رأيت رجلاً بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول: قال رسول الله ﷺ: فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: فسمعته وهو يقول: «**إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك (أي شعر رأسه متكسر من الجعوده) ثلاث مرات، وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن قال: لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا**

(١) انظر أشراط الساعة للوابل (ص٢٣٥) وقد استفدت منه كثيرًا.

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) رواه مسلم (٥٩٠).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥ / ٣٧٢).

وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك لم يكن عليه سلطان». وفي رواية[(١)]: «ونعوذ بالله منك» قال: «فلا سبيل له عليه».

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي ﷺ أُمته: حفظ عشر آيات من أول «سورة الكهف» وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو أخرها.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث النَّواس بن سمعان الطويل وفيه قوله ﷺ: **«من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»**.

وفي «صحيح مسلم» أيضًا[(٣)] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**».

قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام من أول الكهف كما قال هشام[(٤)]، وأرشد النبي ﷺ أمته إلى الابتعاد عن الدجال غاية البعد وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فيأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح صححه، الألباني في «صحيح الجامع»[(٥)] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه (أي فليبتعد عنه) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث من الشبهات- أو لما يبعث به من الشبهات»**.

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٠).
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).
(٣) رواه مسلم (٨٠٩).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٩٢).
(٥) الفتح الرباني (٢٤/ ٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٧٧).

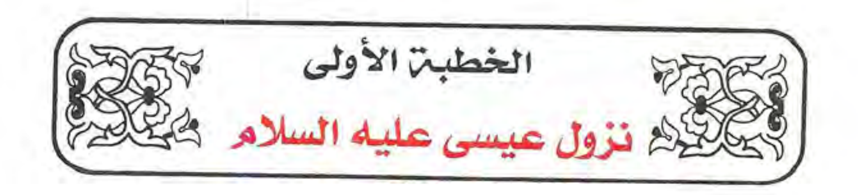
ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي ﷺ:

الترغيب في سكنى مكة والمدينة فإن الدجال لا يدخل مكة والمدينة حتى يدخل الجمل في سم الخياط وهيهات.

ففي «الصحيحين» [1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيُخرِجُ الله كلَّ كافر ومنافق**».

ولعل في هذا القدر كفاية، فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعافينا ويعيذنا من فتنة الدجال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).



الخطبة الأولى

نزول عيسى عليه السلام

إن الحمد لله....

أما بعد:

حديثي معكم ـ أيها الناس ـ عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ونزوله إحدى أشراط الساعة الكبرى.

ونزوله ثابتٌ في الكتاب والسنة فمنها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٥٧- ٦١] ففي هذه الآيات دليل أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة.

لما في «مسند أحمد» بسندٍ صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ قال: «هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»[1].

---

(١) مسند أحمد (٤ / ٣٢٩) وسنده صحيح.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الصحيح: أنه _أي: الضمير _ عائد على عيسى؛ فإن السياق في ذكره[1].

ومما يدل على نزول عيسى بن مريم عليه السلام قول الله سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٩].

فهذه الآيات؛ كما أنها تدلُ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

فإنها تدلُ على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته وهذا الذي عليه أهل العلم.

فقد أخرج ابن جرير بسنده[2] إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم.

قال ابن كثير: وهذا إسنادٌ صحيحٌ[3].

وروى ابن جرير بسنده[4] إلى الحسن البصري رحمه الله أنه قال: قبل موت

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٢).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٨).
(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٣١).
(٤) تفسير الطبري (١/ ١٨).

عيسى، والله إنه الآن حيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدُّنيا وما فيها**».

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتمُ إذا أنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**».

ففي هذا الحديث دليل على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في هذه الأمة وإمامهم منهم وهو المهدي عليه السلام.

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة**»؛ قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعا لى لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**».

وفي «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء (هو بين مكة**

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه مسلم (١٥٦).

(٤) رواه مسلم (١٢٥٢).

والمدينة) حاجًّا أو معتمرًا أو ليثنينهما» (أي ليقرن بينهما).

أيها الناس، إن الأدلة على نزول عيسى عليه السلام أشهر من نار على علم وهي صحيحة وهو نازل في هذه الأمة ونزوله علامة من علامات الساعة فهو صحابي ونبي ولم يأت بدين جديد وإنما يجدد الله به دين الإسلام فهو واحد من هذه الأمة، وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه: «تجريد أسماء الصحابة»[1] فقال: (عيسى ابن مريم عليه السلام صحابي، ونبي؛ فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء، وسلم عليه، فهو آخر الصحابة موتًا).

أيها الناس، بعد أن استوفيت الحديث عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام أذكركم بصفته كما دلت عليه الأدلة الصحيحة.

أيها الناس، إن الأدلة تدل على أنه رجلٌ مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس (أي حمام) له لمة (واللمة هو شعر الرأس متى جاوز شحمة الأذنين فهو لمة ومتى زاد عن ذلك فهو: جمة) قد رجلها تملأ ما بين منكبيه[2].

ومن الأدلة على صفة عيسى عليه السلام:

ما جاء في «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيت موسى (فنعته، إلى أن قال): ولقيت عيسى (فنعته فقال): ربعةٌ، أحمر، كأنما خرج من ديماس» (يعني: الحمام).

وفي «صحيح البخاري»[4] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم؛ فأما عيسى؛ فأحمر جعدٌ عريضُ

---

(١) تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١ / ٤٣٢).
(٢) أشراط الساعة للوابل (ص٣٣٧).
(٣) رواه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨).
(٤) رواه البخاري (٣٤٣٨).

الصدر».

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني» (فذكر الحديث، وفيه) «وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي».

وفي «الصحيحين» [2] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم (أي أسمر شديد السمرة) كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لَمَّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ من اللَّمم، قد رجلها، فهي تقطر ماء، متكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألتُ: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حسن وصححه الألباني في «الصحيحة» [3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا أريتموه فاعرفوه رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران (أي فيه صفرة خفيفة) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة (أي الأمن) على الأرض حتى ترتع الأُسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وأستغفر الله

---

(1) رواه مسلم (١٧٢).

(2) رواه البخاري (٣٤٤١)، ومسلم (١٦٩).

(3) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).



الخطبة الثانية

بعض أعمال عيسى عليه السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس تقدم الحديث عن نزول عيسى عليه السلام وشيء من صفاته فحديثي معكم الآن عن بعض أعماله.

أيها الناس إن عيسى عليه السلام سوف ينزل في هذه الأمة ولن ينزل بشرع جديد إنما يحكم بالشريعة الإسلامية؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباقٍ إلى قيام الساعة لا ينسخ فيكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجدِّدًا لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمدٍ ﷺ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

خلاصة القول: أن عيسى عليه السلام من أتباع محمد ﷺ ومعدود من الصحابة لأنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمامهم للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالبًا من عيسى عليه السلام أن يتقدم فيؤمهم فيأبى.

كما جاء في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

(١) رواه مسلم (١٥٦).

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

وبعد فراغ عيسى عليه السلام من الصلاة يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصرًا عصابة المسلمين، فيقول لهم عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربًا، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللدّ الشرقي فيقتله».

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته».

أما كيف يذوب الدجال؟ فيجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى أعطى لنفس عيسى رائحة خاصة إذا وجدها الكافر مات منها ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه: «فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذ طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيثُ ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة».وأيضًا تكون

---

(١) رواه مسلم (٢٨٩٧).

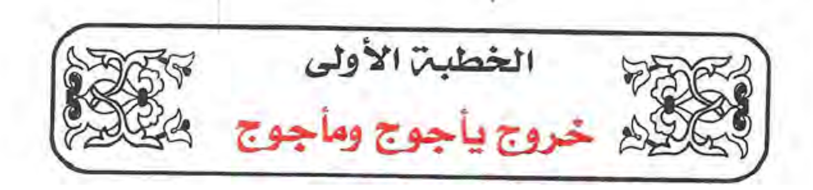
(٢) رواه مسلم (٢١٣٧).

نهاية يأجوج ومأجوج ، وهلاكهم على يد عيسى عليه السلام وببركة دعائه.

أيها الناس قبل أن أدع مقامي هذا أذكركم بوصية من رسول الله ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام.،

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:: «**إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام**» وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٢٩٨) وسنده صحيح.



الخطبة الأولى
خروج يأجوج ومأجوج

إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس، حديثي معكم اليوم عن يأجوج ومأجوج وخروجهم في آخر الزمان وذلك بعد نزول عيسى بن مريم عليه السلام وهزيمة الدجال، وخروجهم إحدى أشراط الساعة الكبرى.

والأدلة على خروجهم آخر الزمان كثيرة معلومة فمنها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٩٦، ٩٧].

قال الإمام السعدي رحمه الله: في تفسير هذه الآيات: (هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر زمان يفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع، وهو الحدب، ينسلون: أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليه الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا

يدان لأحد بقتالهم.

وقال الله سبحانه وتعالى في سياقه لقصة قال ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف:٩٢-٩٩].

فهذه الآيات تدلُّ على أن الله سبحانه وتعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السدِّ العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندك هذا السدُّ، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحدٌ من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادًا، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة)[1].

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات[2]: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال المفسرون: ذهب متوجهًا من المشرق، قاصدًا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في

(١) تفسير ابن سعدي (ص٥٣١).
(٢) انظر تفسير ابن سعدي (ص٤٨٦)، (٤٨٧)

ذلك الزمان سدًّا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس: وجد من دون السدين قومًا لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم فقالواك ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: جعلاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبذلوا له أجره ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الراعية، بل كان قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلبهم ما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينة واقتداره، فقال لهم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم».

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي الجبلين اللذين بني بينهما السد.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ النار أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا كذلك مذابًا، فأفرغ عليه القطر،: فاستحكم السد استحكامًا هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ أي: فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولاعلى نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ أي من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ألكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا كما قال قارون لما آتاه الله -ن الكنوز ما -ن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ أي لخروج يأجوج ومأجوج ﴿ جَعَلَهُۥ﴾ أي ذلك السد المحكم المتقن ﴿دَكَّآءَۖ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض».

أيها الناس، تقدم ذكر بعض الآيات التي تدل على خروج يأجوج ومأجوج وسأذكر بعضَ الأحادث الدالة على ظهورهم وهي كثيرة فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردْم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)**»، قالت زينب بنت جحش: فقلتُ: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(١) رواه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).
(٢) رواه البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١).

«**يفتح الردم _ردم يأجوج ومأجوج_ مثل هذه، وعقد وهيب تسعين**».

ومما دل على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله: ﷺ:«**يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**».

فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أيّنا ذلك الرجل؟

قال: «**أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنّة**» قال: فحمدنا الله وكبرنا، قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار**».

وأستغفر الله



الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف المرسلين.

أما بعد:

أيها الناس، تقدم الحديث عن الأدلة الدالة على خروج يأجوج ومأجوج وسوف أتحدث معكم الآن عن طريقة خروجهم.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارْجِعُوا مستحِفرُهُ غدًا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا. حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي أحفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها».

قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم»**.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٥١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٥).

وفي «صحيح مسلم» [(١)] من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: «إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه(أي الدجال) فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان (أي لا قدرة) لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم.

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه (أي يدعون الله) فيرسل الله عليهم النغف (هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي كالروضة) ثم يقال للأرض. أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويتظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتَّى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

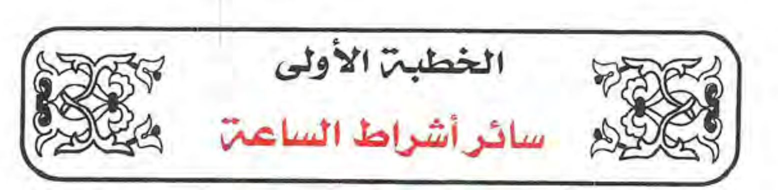
تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير) **فعليهم تقوم الساعة».**

ويأجوج ومأجوج أيها الناس لا قدرة لأحد بقتالهم كما دل ؛ ليه الحديث والسبب في أنه لا يستطيع أحد الوقوف في وجوههم لكثرتهم يدل على ذلك أن المسلمين يوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين.

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»[1] من حديث النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«سيوقدُ المسلمون، من قيسِّ يأجوج ومأجوج ونشابهمْ وأترستهم، سبع سنينْ»**.

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٧٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٠).



إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم أيها الناس عن سائر أشراط الساعة الكبرى.

أيها الناس؛ اعلموا -علمني الله وإياكم- أنه بعد موت عيسى بن مريم -عليه السلام- تعود البشرية إلى جاهليتها الأولى أو أشد.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- في حديثه الطويل وفيه: «ثم يرسل الله ريحًا باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور».

ومن الأوثان التي تعبد أيها الناس: (ذو الخلصة) طاغية دوس، واللات والعزى، ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»[2] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم (٢٩٠٦).

ذي الخلصة» وذو الخلصة: الصنم الذي كانت تعبده دوس في الجاهلية.

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، فقالت عائشة: يا رسول الله؛ إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

أن ذلك تامًّا، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبةً، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**».

ومن أشراط الساعة الكبرى: تخرب الكعبة:

ثم لا تعمر بعد ذلك أبدًا، ثم لا يحج البيت بعد ذلك، ويكون خرابها على يد رجل من الحبشة؛ ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»(٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «الصحيحة»(٣)- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبايع الرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، أوهم الذين يستخرجون كنزه**».

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ٢٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٩).

وفي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**».

تابعه أبان وعمران عن قتادة، وقال عبدالرحمن، عن شعبة: قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيت**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: الخسوفات الثلاث التي ذكرها النبي ﷺ:

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات (فذكر منها:) وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: ظهور الدخان في آخر الزمان:

ومن أدلة ظهوره:

-قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١]، وهذا الدخان أيها الناس لا محالة واقع قبل قيام الساعة؛ فقد روى الطبري وابن أبي حاتم عن عبدالله بن أبي ملكية، قال: غدوت على ابن عباس -رضي الله عنهما- ذات يوم، فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحتُ. قلتُ: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيتُ أن يكون الدخان قد طرق، فما نمتُ حتى أصبحتُ»[(٣)].

قال ابن كثير:[(٤)] (وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيره، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٣).
(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٥ / ١١٣)، وتفسير ابن كثير (٧ / ٢٣٥).
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٥).

الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾؛ أي بين واضح يراه كل أحد) .

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: الدجال، والدخان**».

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ ونحن أسفل منه، فاطلع فقال: «**ماتذكرون؟**»، قلنا: الساعة، قال: «**إن الساعة لا تكونُ حتى تكون عشر آياتٍ: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابةُ الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: طلوع الشمس من مغربها:

وذلك ثابت بالكتاب والسنة قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس؛ آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**».

وفي «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها».

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٣) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٧).

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-: قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها**».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي ذر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال يومًا: «**أتدرون أين تذهب الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرِّها تحت العرش، فتخرُّ ساجدةً، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئتِ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها**». فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا تنفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**».

وأما عن استقرار الشمس تحت العرش وكيفية سجودها فقد أجاب على ذلك الإمام الخطابي -رحمه الله- فقال: (مستقرها تحت العرش؛ لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش؛ من حيث لا ندركه، ولا نشاهده، وإنما أُخْبِرَنا عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به).

ثم قال عن سجودها تحت العرش: (وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والتعرف لما سُخِّرت له. وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف:٨٦]؛ فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة

(١) رواه مسلم (٢٩٤١).
(٢) رواه مسلم (١٥٩).

الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب)[١].

وقال النووي -رحمه الله-: (وأما سجود الشمس؛ فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها)[٢].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (يسجد لعظمته كل شيءٍ طوعًا وكرهًا، وسجود كل شيءٍ مما يختصُّ به)[٣].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (وظاهر الحديث: أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبَّر عنه بالجري. والله أعلم)[٤].

أيها الناس؛ علينا أن نبادر بالتوبة إلى الله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل تغرب شمس حياتنا، ولا يدري أحد منا متى تغرب شمسه ويأفل نجمه.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسنٍ[٥] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: **«إن الهجرة خصلتان: إحداهما: أن يهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبِع على كل قلبٍ بما فيه وكفى الناس العمل»**. وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»**. **وأستغفر الله**

(١) شرح السنة للبغوي (١٥/ ٩٥، ٩٦) تحقيق: شعيب الأناؤوط.
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٩٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٨).
(٤) فتح الباري (٨/ ٥٤٢).
(٥) (حسن) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٢)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٥).



الخطبة الثانية
سائر أشراط الساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

أيها الناس؛ تقدم الحديث عن سائر أشراط الساعة، وحديثي معكم الآن إنما هو تكملة لما سبق بيانه.

أيها الناس؛ بعد أن تطلع الشمس من مغربها يكون ظهور الدابَّة، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها.

ومما يدل على ظهور الدابة: قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢].

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر الدخان والدجال والدابة إلى آخر الحديث وقد سبق ذكره.

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).
(٢) رواه مسلم (٢٩٤١).

أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ -صححه الألباني في «الصحيحة»[(١)]- من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين**».

ومن أشراط الساعة الكبرى أيها الناس: خروج نار عظيمة من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم:

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- في ذكر أشراط الساعة وفيه: «**وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**».

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسَوْا**».

وعند قيام الساعة **أيها الناس** يبعث الله -سبحانه وتعالى- ريحًا لينة فتقبض روح كل مؤمن:

ففي «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث ريحًا من اليمن أَلْيَنَ من الحرير فلا تدع أحدًا في**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٦٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٤) رواه مسلم (١١٧).

قلبه» قال أبو علقمة: (مثقال حبة)، وقال عبدالعزيز: (مثقال ذرة) من إيمان إلا قبضته».

والساعة أيها الناس لا تقوم إلا على شرار الناس، حتى لا يقال في الأرض: الله الله. ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبدالله عن النبي ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»**.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»**.

وتكون قيام الساعة أيها الناس بغتة كما أخبر بذلك نبينا ﷺ:

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يبلغ به النبي ﷺ قال: **«تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم»**.

أيها الناس قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بالحث على العمل وإن قربت الساعة فإلى هذا أرشدنا نبينا ﷺ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»**.

وفقنا الله جميعًا للعلم النافع والعمل الصالح وجعلنا هداة مهتدين.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٩).
(٢) رواه مسلم (١٤٨).
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٤).



فهرست الموضوعات



فهرست موضوعات الجزء الأول



الخطبة الأولى
نواقـض الإســلام



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، حَديثي مَعَكُمُ اليومَ حَوْلَ نَواقِضِ الإِسْلاَمِ.

وَهِيَ عَشَرَةَ نَوَاقِضَ، أَجْمَعَ المُسلمون عليها في الجُمْلَةِ، وهي:

الأَوَّل - الشِّرْك فِي عِبادَةِ اللَّه.

الثَّـانِي - من جَعلَ بينه وبين اللَّه وسائط، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكَّل عليهم - كفر إجماعًا.

الثالث - من لم يُكفِّر المشركين، أو شكَّ في كُفرهم، أو صحَّحَ مَذْهَبَهُم - كفر.

الـرَّابـع - مَن اعتَقَدَ أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ: كالذي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ - فهو كافر.

الخـامس - من أبغضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ ولو عمل به - كفر باتِّفَاقِ العلماءِ.

السادس - مَنِ استهزأ بشيء من دين الرسول - ﷺ -، أو ثوابه، أو عقابه - كفر إجماعًا.

السابع - السِّحْرُ، ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ، فمن فعلهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كفر.

الثامن: مظاهرةُ المُشْرِكِين، ومعاونتهم علىٰ المسلمين.

التاسع - مَنِ اعتقدَ أنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عن شريعة محَمَّدٍ - ﷺ - كَمَا وَسعَ الخَضِرَ الخُروجُ عن شريعة مُوسىٰ - عليه السلام - فهو كافر.

العاشر - الإعراض عن دين اللَّه - تعالىٰ -: لا يتعلَّمه، ولا يعملُ به.

أيُّها الناس، تلك عَشَرةُ نواقضَ، لخَّصها الإمامُ محمَّدُ بن عبد الوَهَّابِ - رحمه اللَّه - من كلام أهل العلم، وقد أجاد وأفاد، ومن المعلوم أنَّ نواقضَ الإسلام أكثر من ذلك، لكن كُلّ النواقضِ مرجعُها إلىٰ هذه العشرة.

ونواقضُ الإسلامِ: هي مُفْسِدَاتُهُ التي متىٰ طَرأت عليه أفسدته، وأحبطتْ عمَلَ صاحِبِهِ، وصار من الخالدين في النار.

أيُّها الناسُ، سوف أشرحُ لكم هذه النواقضَ بشيءٍ من التفصيل، فأعيروني أسماعَكُمْ.

النَّاقضُ الأوَّلُ من نواقض الإسلام ـ هو الشِّركُ في عبادة اللَّه، وهو أعظم ذنبٍ عُصِيَ اللَّهُ به، وكيف لا يكون كذلك، وقد جعل للَّهِ شريكًا في عبادته، وقد أوجده من العدم، وغَذَّاه بالنعم؟!

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والشِّرْكُ ـ أيها الناسُ ـ ينقسم إلى قسمين:

١ ـ شرك أكبر.

٢ ـ شرك أصغر.

القسم الأول ـ الشرك الأكبر: لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة، وصاحبُه إن لقي اللَّه به، فهو خالدٌ في النار.

وهو على أربعة أنواعٍ:

النوعُ الأوَّل ـ شرك الدعوة، دليله قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا

(١) انظر البيان شرح نواقض الإسلام لسليمان العلوان

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

النوع الثاني ـ شِرْكُ النِّيَّة، والدليل قول اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وهذا ـ أي شِرْكُ النِّيَّة ـ إنَّما جُعِلَ شِرْكًا أَكْبَر محمولاً علىٰ من كانت جميعُ أعماله مُرادًا بها غَيْرُ وَجْهِ اللَّه، أَمَّا مَنْ طرأ عليه الرِّياء، فهو شرك أصغر.

النوع الثالث من أنواع الشِّرْك ـ شِرْكُ الطاعة، وهي طاعةُ الأحبار والرُّهبان في معصية اللَّه، ويدخلُ في ذلك مَن اتَّبع غَيْرَهُ من المسلمين في خلافِ الدِّين مع علمه بذلك، واعتقد ذلك، والدليل قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [براءة: ٣١].

النوع الرابع من أنواع الشرك ـ شِرْكُ المحبَّة، والدليل علىٰ ذلك قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالإنسان ـ لجهله بربِّه ـ تجدُهُ يحبُّ الآلهة من الأصنام وغيرها كحبِّ اللَّه، ويغضبُ لها أشدَّ من غضبه للَّه.

بل ومن الناس من يكون حُبُّهُ للوالي كحبِّه للَّه، ويستبشرُ بذكره ما لا يستبشر للَّه، وهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخرجٌ من الإسلام، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٥].

ومــن الشرك الأكبر - أيُّها الناسُ - الذَّبْحُ لغير اللَّه؛ لأنَّ الذَّبْحَ للَّه عبادة، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فمن ذبح للأولياء أو للجنِّ فقد خرج عن الإسلام.

القسم الثاني من أقسام الشِّرك - الشِّرْك الأصغر، وصاحبه إن لقي اللَّه به، فهو تحت المشيئة، إن شاء اللَّه عفا عنه، وأدخله الجَنَّة، وإن شاء عذَّبه، ولكن مآله إلىٰ الجَنَّة، لأنَّ الشِّرْك الأصْغَر لا يُخْلِدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ.

ومن أنواع الشِّرْك الأصغر: الحَلفُ بغير اللَّه، ومنه يسير الرِّياء والتصنع للخلق، وهذا القسم - أيُّهَا النَّاس - بَحْرٌ لا ساحِلَ له، فيجبُ علينا التفقُّهُ في هذا الباب.

أيُّها الناس، لقد أطلتُ فِي ذكر الناقض الأوَّل من نواقض الإسلام، وما ذاك إلاَّ لعظيم خطره علىٰ الأُمَّة.

والآن مع الناقض الثاني - وهو من جعل بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وسائطَ، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكَّل عليهم - كفر إجماعًا.

وهذا - أيُّها الناسُ - من أعظم النواقض وقوعًا، فكم من الناسِ مَنْ يَتَّخذون وسائطَ، يدعونهم للمُلِمَّات، وإغاثة اللَّهفَان، وتفريج الكُرُبات، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين. والقرآن يدعو إلىٰ إخلاص العبادة للَّه وَحْدَهُ، وعَدَمِ جَعْلِ الوسائط بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقه، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم

يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أيُّهَا النَّاسُ، لعل في هذا القدر كفايةٌ لِمن كان له قلبٌ.

والآن مع الناقض الثالث من نواقض الإسلام ـ وهو من لم يُكَفِّر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّحَ مذهبهم.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الإسلام لا يكتفي بعصمة دَم المسلم أن يقول: لا إله إلاَّ اللَّه، بل لا بُدَّ أنْ يُضيفَ إليه الكُفْرَ بما يُعْبَدُ من دون اللَّه، فإن لم يَكْفُرْ بما يُعْبَدُ من دُونِ اللَّهِ، لم يَحْرُمْ دَمُهُ ومالُهُ، والسيفُ مسلول عليه.

ففي صحيح مسلمٍ[1] من حديث معد بن طارقٍ عن أبيه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقول: «مَنْ قالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ـ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وحسابُهُ علَى اللَّه».

ورَبُّنَا ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

أيُّهَا الناسُ، هذه هي مِلَّة إبراهيمَ التي مَنْ رغب عنها، فقد سَفِهَ نَفْسَهُ.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال أحد العلماء: ووصفه بالطاغوت: أنْ تعتقد بُطلانَ عبادةِ غير اللَّه، وتتركها، وتبغضها، وتكفِّرَ أهلَها، وتُعادِيَهُمْ.

(١) رواه مسلم (٢٣).

الناقض الرابع من نواقض الإسلام - مَن اعتَقَدَ أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبيِّ - ﷺ - أَكْمَلُ من هَدْيِه، أَوْ أَنَّ حكمَ غَيْرِه أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِه: كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطواغيتَ عَلَىٰ حكمه.

وما من شكٍّ - أَيُّهَا الناسُ - أنَّ هَدْيَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - أَكْمَلُ الهَدْيِ ؛ لأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَىٰ إليه ؛ كما قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

فمن اعتقد أنَّ هَدْيَ غَيْرِ النبي ﷺ أكملُ من هديه فقد كفر إجماعًا.

وكذلك مَنِ اعْتقد أنَّ حكمَ غَيْرِهِ أَحسن من حكمه، فقد كفر بإجماع أهل العلم.

فعلىٰ المسلم أنْ يعتقدَ اعتقادًا جازمًا أنَّ حكمَ اللَّهِ ورسولِهِ مُقَدَّمٌ علىٰ كُلِّ حكمٍ، فذلك مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ٦٠].

وأقسم اللَّهُ - سبحانه وتعالى - بنفسه أنهم لا يؤمنون، حتى يستكملوا ثلاثةَ أشياء:

١ - أن يحكموا الرسولَ ﷺ في جميع الأمورِ.

٢ - ألاَّ يجدوا في أنفسهم حَرَجًا مِمَّا قضىٰ به.

٣ - أنْ يُسلِّموا تسليمًا كاملاً لحكمه.

فقال - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الناقض الخامس من نواقض الإسلام ـ من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ ولو عمل به ـ كفر باتفاق العلماء.

أَيُّهَا النَّاسُ، ما فائدة الإيمان بما أُنزل على الرسول، والقلبُ يَكْرَهُ ذلك؟!، أليس هذا هو غايةُ الكفر والضلال؟!

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ حاكمًا بكفر من كره ما أنزل على رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمَّد: ٨، ٩].

وكُلُّ من كره ما أنزل اللَّه، مثل: حكم السارق، وحكم الزاني، وغير ذلك من الأحكام ـ فعمله حابط، وإن عمل بما كره، كما قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وأستغفرُ اللَّهَ.



الخطبة الثانية

نواقض الإسلام

إنَّ الحمد للَّه، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُهُ، ونَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرورِ أنفسِنَا، ومنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ، فَلا مُضلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَه، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَد ذكرتُ في الخُطْبة الأولىٰ خَمْسَةَ نواقِض من نواقضِ الإسلامِ، وفي هذه الخُطْبة أستكملُ ما بدأتُ به، راجيًا من اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - العون والسَّدَادَ، فهو - وَحْدَهُ - الهَادي إلَىٰ سَبيل الرَّشادِ.

الناقضُ السادسُ من نواقض الإسلام - مَنِ استهزأ بشيء من دين الرَّسُول - ﷺ -، أو ثوابه، أو عقابه - كفرَ بإجماع المُسلمين، ولو لم يقصدْ قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

فمن استهزأ بشيءٍ مِمَّا جاء به الرسولُ ﷺ: كالاستهزاء بالعلم الشرعيِّ، وأهلِهِ لأجلِهِ؛ وكالاستهزاءِ بثواب اللَّه وعقابِهِ، والاستهزاء بالآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكرِ من أَجْلِ أمرِهِمْ بِهِ، أو نهيهم عَنْه كَفَرَ بالإجماع.

وقد نُقِلَ عَنْ بعضِ أَهْلِ العِلْمِ أنَّه من قال لمنْ يأمرُ بالمعروفِ: يا فضولي - من أجل أمره - فقد كفر.

ويدخل في ذلك من استهزأ بالصلاةِ، سواء كانتْ نافلَةً أو فريضة، وكذلك

الاستهزاءُ بالمُصلِّين لأجل صلاتهم، وكذلك الاستهزاء بِمَنْ أعْفَىٰ لِحيَتَهُ لأجل إعفائها، أو بتاركِ الرِّبا لأَجلِ تركِهِ - فهو كافر.

الناقض السابع من نواقض الإسلام - السِّحْرُ، ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ، فمن فعله - أو رضي به - كفر، والدليل: قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد ذهب جمهورُ أهل العلم إلىٰ كُفْرِ السَّاحِرِ، وذهبوا إلىٰ قَتْلِهِ حَدًّا.

قال العلاَّمة حافظ حكمي - رحمه اللَّه -: «كُلُّ مَنْ تَعلَّم السِّحْرَ أو علَّمه، أَوْ عَمِلَ بِهِ - يَكفُرُ، كَكُفْرِ الشَّيَاطِينِ الَّذين علَّموه النَّاسَ؛ إذْ لا فَرْقَ بيْنَهُ وبيْنَهُمْ، بل هو تلميذُ الشيطانِ وخرِّيجُهُ، عنه روىٰ، وبه تخرَّج، وإيَّاه اتَّبَعَ».

الناقض الثامنُ من نواقضِ الإسلام - مُظاهرة المشركين، ومعاونتُهم على المسلمين، والدليل قول اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].

وهذا الأمر - أيُّهَا النَّاسُ - ممَّا عمَّتْ به البَلْوَىٰ، وما ذاك إلاَّ بسبب الإعراضِ عَنْ تَعلُّم العُلُومِ الشَّرعيَّةِ، فإلىٰ اللَّهِ نشكو غُرْبَةَ الإسلامِ وأَهْلِهِ.

الناقض التاسعُ من نواقض الإسلام - مَن اعْتَقَدَ أَنَّ بعْضَ الناسِ يَسَعُهُ الخُروجُ عَنْ شريعة محمَّد - ﷺ - كما وَسعَ الخَضِرَ الخروجُ عَنْ شَريعةِ موسىٰ - عليه السلام - فهو كافرٌ، ومَنْ ظنَّ الاستغناءَ عنها، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ لتضمُّنه تكذيب قولِ اللَّهِ - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه»، وحسَّنه الألباني في تخريج السُّنَّة[١] من حديث عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: خَطَّ لنا رسولُ اللَّه - ﷺ - خَطًّا، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللَّه». ثم خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يمينِهِ، وعَنْ يَسَارِهِ، وقال: «هذه سُبُلٌ، على كُلِّ سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه» ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

فدل هذا الحديثُ على أنَّ الطريق واحدٌ.

قال الإمام ابن القيم - رحمه اللَّه - في كتابه «التفسير القيم»[٢]: «وهذا لأنَّ الطريق الُموصلَ إلَى اللَّه واحدٌ، وهو ما بَعَثَ به رُسُلَهُ، وأَنْزَلَ كُتُبَهُ، ولا يقبلُ إليه أحدٌ إلاَّ مِنْ هذا الطريق، ولو أتَى مِنْ كُلِّ طريقٍ، واستفتحوا مِنْ كُلِّ بابٍ، فالطريقُ عليهم مسدودةٌ، والأبوابُ عليهم مُغْلقةٌ إلا مِنْ هذا الطريق الواحدِ؛ فإنَّه مُتَّصلٌ باللَّهِ، مُوْصِلٌ إلى اللَّه».

وَأَخْرجَ الإمام أحمدُ فِي «مسنده»[٣] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ ﷺ أنه رأى في يَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ - رضي اللَّه عنه - وَرَقَةَ مِنَ التَّوراةِ، فقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يابْنَ الخَطَّابِ؟!، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بها بيضاءَ نقيَّةً، ولو كان مُوسى حَيًّا، واتَّبعتُمُوهُ، وتَرَكْتُمُوني - لَضَلَلْتُمْ».

وفي رواية: «ولو كان موسى حَيًّا، ما وَسِعَهُ إلاَّ اتِّبَاعِي». ومعنى مُتَهوِّكون: أي مُتَحيِّرون.

فنصَّ هذا الحديثُ وغيره على أنه لا يَسَعُ أحدًا الخروجُ عن شريعة محمدٍ - ﷺ -.

---

(١) رواه الحاكم، وهو في تخريج السنة للألباني برقم (ص١٧).

(٢) التفسير القيم (ص١٤، ١٥).

(٣) أخرجه أحمدُ في مسنده برقم (١٢٢).

(٣) المسند (٣/ ٣٨٧)، وحسَّنه الألباني لشواهده في الإرواء (١٥٨٩).

النَّاقِضُ العاشرُ منْ نـواقضِ الإسلام ـ الإعراضُ عَنْ دين اللَّه: لا يَتَعَلَّمُهُ، ولا يَعْمَلُ به، والدليلُ قولُهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السَّجدة: ٢٢].

والمُرَادُ بالإعْـراضِ هُنَا: الإعـراضُ عَنْ تَعلُّمِ أَصْلِ الدِّين، الذي به يكونُ المَرْءُ مُسلمًا حقًّا.

قالَ العـلاَّمة ابن القيم ـ رحـمه اللَّه ـ : «وأما الإعراضُ فأنْ يُعرِضَ بسمعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ: لا يُصَدِّقُهُ، ولا يُكَذِّبُهُ، ولا يُوالِيهِ، ولا يُعادِيهِ، ولا يُصْغِي إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ أَلبَتَّةَ».

ومِنْ هُنا يتبيَّن لكُلِّ ذي عَقْلٍ حُكْمُ كثيرٍ مِنْ عُبَّادِ القُبُورِ، فإنهم مُعْرِضُون عَمَّا جاء به الرَّسُولُ ـ ﷺ ـ إعراضًا كُلِّيًّا بأسماعهم وقلوبهم، فإذا ذهبتَ تُقيمُ عليهمُ الحُجَّة علىٰ فسـادِ عبـادتهم، قـالوا عنك: أنتَ تُعَادي الأَوْليـاءَ. فـمِثْلُ هؤلاءِ كُفَّـارٌ لإعراضهم. قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السَّجْدة: ٢٢].

أيُّهَا النَّاسُ، تلك هي نواقضُ الإسلامِ، فمن أتى بواحـدة منها، فقدْ حَبِطَ عَـمَلُهُ، وصار من الخـالدين في النار، ولذلك يجبُ علىٰ كُلِّ مسلم ومُسلمة أن يتعلَّمَ هذه النواقضَ، ويُعلِّمَها أَهْلَهُ وأَوْلادَهُ، حتَّىٰ لا يقعَ في واحدةٍ منها، وهو لا يشعرُ.

وممَّا ينبغي التنبيهُ عليه أنَّهُ لا فَرْقَ في جميعِ هذهِ النواقضِ بَيْنَ الهـازلِ، والجادِّ، والخائفِ، إلاَّ المُكْرَهَ، كمـا قـال بذلك أهلُ العلم، ودليل العُذْرِ بالإكْراه قولُ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النَّحل: ١٠٦].

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨].



الخطبة الأولى

التوكل(*)

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بعد، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليومَ عَنِ التَّوكُّلِ على اللَّهِ، الذي هو جِماعُ الخيرِ، وهو - كما وَصَفَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - الثِّقَةُ بِاللَّهِ(١).

ووَصَفَهُ الجُرْجَانِيُّ - رحمه اللَّه - بقوله: «هُو الثِّقَةُ بما عِندَ اللَّهِ، وَاليَأسُ عمَّا

(*) انظر كتاب التوكل على الله، وعلاقته بالأسباب د. عبد الله بن عمر الدميجي

(١) زاد المسير لابن الجَوْزيِّ (٢/ ٢٤).

فِي أَيدي الناسِ»(١) .

والتوكُّلُ على اللَّه ـ أيُّهـا الناسُ ـ منْ أُصول الإيمان، فالتوكل مـن أعمال القلوب، كما قال الإمامُ أحمدُ ـ رحمهَ اللَّه ـ: «اَلتوكُّلُ عَمَلُ القَلْبِ»(٢) .

وَنَقَلَ شيخُ الإسلامِ عَنِ الجُنَيْدِ أَنَّهُ قال: «التوحيدُ قَوْلُ القَلبِ، والتوْكُّل عَمَلُ القَلْبِ»(٣) .

وأعمالُ القُلوبِ ـ أيُّها النـاسُ ـ هو صُلْبُ قضية الإيمان، وقُطْبُ رَحَـاهَا، وعليه مَدَارُها، وحَجَرُ زاوية هذا الدِّين، الذي بَعَثَ اللَّهُ به الأنبياءَ والمُرسلين.

قالَ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢]. فجعلَ اللَّهُ كتابة الإيمانِ في القلوب.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مُمْتنًا على المؤمنين: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾ [الحجرات: ٧].

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث النُّعْمان بن بشيرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**...ألا وإنَّ فِي الجَسَد مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِي القَلْبُ**».

فهذا الحديث دَلَّ علىٰ تَعلُّقِ جميعِ الأَعْمَالِ بِالقَلْبِ.

وأعمالُ القُلوبِ ـ أيُّها الناسُ ـ مِن الأَهمِّيَّة بمكانٍ.

---

(١) التعريفات (٧٤).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص٢٣٩).

(٣) الإيمان لابن تيمية (١٧٦).

(٤) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قَالَ شَيخُ الإسلام في أَهمِّيَّة أعمال القلوب: «هي مِنْ أُصُولِ الإيمانِ، وَقَواعد الدِّينِ، مِثْلُ: مَحَبَّةِ اللَّه ورسولِهِ، والتوكُّلِ علىٰ اللَّهِ، وإخلاصِ الدِّينِ للَّهِ، والشكْرِ لَهُ، والصَّبْرِ علَىٰ حُكْمِهِ، والخَوفِ مِنْهُ، والرَّجَاءِ لَهُ، وهذهِ الأعمالُ - جميعُها - واجبَةٌ علىٰ جميعِ الخَلْقِ باتِّفَاقِ أئمةِ الدِّينِ»(١) .

وقال العلاَّمة ابن القيِّم - رحمه اللَّه - : «أعْمَالُ القلوب هي الأَصْلُ، وأعمالُ الجوارحِ تَبَعٌ ومُكمِّلةٌ، وإنَّ النِّيَّة بمنزلةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بمنزلةِ الجَسَدِ للأعضاءِ، الذي إذا فارقَ الرُّوحَ فَمَوَاتٌ؛ فمعرفةُ أحكامِ القلوبِ أهمُّ من معرفةِ أحكامِ الجَوارحِ»(٢) .

أيُّها الناسُ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا أَهميَّةَ أعمالِ القُلُوبِ، وأَنَّ التوكُّلَ علىٰ اللَّهِ مِنْ أعمالِ القُلوبِ، كما قالَ الإمامُ المُبَجَّلُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ: «التوكُّلُ عَمَلُ القَلْبِ»(٣) .

فهأَنَذَا أَنتقلُ معكمْ إلى أهميَّةِ التَّوَكُّلِ على اللَّهِ.

أَيُّها النـاسُ، لقد جعـل اللَّه - سبحانه وتعالى - التـوكُّل عليه شَرْطًا من شُروط تحقيق أصل الإيمان، فقال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونُس: ٨٤، ٨٥] .

ففي هذه الآية جعله شَرْطًا لتحقيقِ الإيمانِ .

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] .

---

(١) الفتاوىٰ (١٠/ ٥)، وانظر الفتاوىٰ (٢٠/ ٧٠) .

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤) .

(٣) طريق الهجرتين (ص٢٣٩) .

قال الإمامُ ابنُ القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية: «فَجَعَلَ التوكُّلَ شَرْطًا فِي الإيمانِ؛ فدلَّ على انتفاءِ الإيمانِ عندَ انتفاءِ التوكُّلِ»[1] .

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فربط الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية بين الإيمان والتوكل

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّغَابُن: ١٣].

قال الإمامُ ابن القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية ـ: «فذكْرُ اسْمِ الإيمانِ ـ دُونَ سائرِ أَسمائهم ـ دليل على استدعاءِ الإيمانِ التوكُّلَ، وأنَّ قوَّةَ التَّوكُّلِ وَضعْفَهُ بحَسَبِ قوَّةِ الإيمانِ وضعفِه، وكُلَّمَا قَوِيَ إيمانُ العَبْد كانَ توكُّلُهُ أَقْوى، وإذا ضَعُفَ الإيمانُ ضَعُفَ التوكُّلُ، وإذا كان التوكُّلُ ضعيفًا، فهو دليل على ضعفِ الإيمانِ، ولابُدَّ»[2] .

أيُّها النَّاسُ، كما جعل اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ التوكُّلَ شَرْطًا فِي تحقيقِ أصلِ الإيمانِ، فقد جعله شَرْطًا للإسلام، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يُونُس: ٨٤، ٨٥].

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «فَجَعَلَ دليلَ صِحَّةِ الإسلامِ التوكُّلَ»[3] .

قال سليمان بن عبد اللَّه: «ومفهومُ ذلِكَ انتفاءُ الإيمانِ والإسلامِ عِندَ انتفائِه»[4] .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٣٧).
(٢) المرجع السابق (٢٣٨) وانظر البدائع (٢/ ٢٦٨).
(٣) طريق الهجرتين (ص٢٣٨).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٩٦).

وقال القُرْطُبيُّ - رحمه اللَّه -: «وَكَرَّرَ الشَّرْطَ تأكِيداً»(١)

أيُّها النَّاسُ، التوكُّلُ ينقسمُ إلى قسمين:

- توكُّل على اللَّه.

- توكُّل على غير اللَّه.

وهذا ينقسم إلى قسمين: فمنه شِرْكٌ أكْبَر، ومنه شِرْكٌ أَصْغَرُ.

فيكونُ شِرْكًا أكْبرَ، متىٰ توكَّلَ العَبْدُ عَلَىٰ غَيرِ اللَّهِ فِي الأُمُورِ التي لا يَقْدِرُ عليها إلاَّ اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ -: كمن يتوكَّلُ علَىٰ الأموات فِي رجاءِ مطالبِهِ مِنَ النَّصْرِ، والحِفْظِ، والشَّفَاعَةِ، فهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ، كما نبَّهَ إلَيه العَلاَّمةُ سُلَيمَانُ بْنُ عبد اللَّه(٢).

والتوكُّلُ علىٰ غَيْرِ اللَّهِ فِي الأُمُورِ التي يَقْدِرُ عليها - فيما يظنُّ المُتوكِّلُ - شِرْكٌ أصْغَرُ(٣).

قال سُلَيمانُ بْنُ عبد اللَّه - رحمه اللَّه -: «التوكُّلُ فِي الأسبابِ الظاهرة العاديَّةِ - كَمَنْ يَتَوكَّلُ علَىٰ أميرٍ أو سُلْطَانٍ فِيما جَعَلَهُ اللَّهُ بيدِهِ مِن الرِّزْقِ، أو دَفْع الأَذَىٰ، ونَحْوِ ذلكَ - فَهَذَا شِرْكٌ خَفِيٌّ»(٤).

ولذلك قيل: «الالتفاتُ إلىٰ الأسباب شِرْكٌ فِي التوحيدِ؛ لِقوَّةِ تَعلُّقِ القَلْبِ به والاعتماد عليه».

وقدْ شَرَحَ هذه العبارةَ شَيْخُ الإسلام - رحمه اللَّه - فقال: «لأنَّ القلبَ لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٠).
(٢) تيسير العزيز الحميد (٤٩٧، ٤٩٨).
(٣) فتاوىٰ ورسائل ابن عُثيمين (٦/ ٥٤).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٠).

يتوكَّلُ إلاَّ علَىٰ مَنْ يَرْجُوه، فَمَنْ رجا قُوَّتَهُ، أو عَمَلَهُ، أو عِلْمَهُ، أو حالَهُ، أو صديقَهُ، أو قرَابَتَهُ، أو شَيْخَهُ أو مَلِكَهُ، أو مَالَهُ - غَيْرَ نَاظِرٍ إلَىٰ اللَّه - كان فيه نَوْعُ تَوكُّلٍ عَلَىٰ ذلك السببِ، وما رجا أحدٌ مخلوقًا - أو توكَّل عليه - إلاَّ خَابَ ظَنُّهُ فيه؛ فَإنَّهُ شِرْكٌ»[1].

وأخرج الإمامُ البَيْهَقِيُّ فِي كِتابه «شُعَبِ الإيمانِ»[2] عن الإمام شقيق البَلْخيِّ - رحمه اللَّه - أنه قال: «لِكُلِّ واحدٍ مقامٌ: فمتوكِّلٌ علىٰ ماله، ومتوكِّلٌ علىٰ نَفْسِهِ، ومُتَوكِّلٌ عَلَىٰ لِسَانِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ سيفِهِ، ومتوكِّلٌ عَلَىٰ سَلْطَنَتِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

فَأَمَّا المُتوكِّلُ عَلَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَدْ وجد الاسترواحَ، نوّه اللَّهُ به، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

أَمَّا مَنْ كانَ مستروحًا إلىٰ غَيْره، يُوشِكُ أَنْ يَنقطعَ به، فيشقىٰ».

أيُّهَا الناسُ، التوكُّلُ كُلُّهُ عِبادَةٌ؛ فلا يجوزُ - قَطْعًا - أَنْ يقول الرَّجُلُ: أَنا متوكِّلٌ علىٰ اللَّهِ، ثُمَّ عَلَيْكَ.

قال العلاَّمَةُ بكر أبو زيد - حفظه اللَّه -: «لا يجوزُ أَنْ يُقالَ: أَنا متوكِّلٌ علىٰ اللَّهِ، ثُمَّ عليك، كما يَجُوزُ فِي المشيئةِ؛ لأنَّ التوكُّلَ كُلَّهُ عِبادَةٌ»[3].

أيها الناس، لقد ذكر بعض أهل العلم أنه متىٰ توكل الرجل علىٰ غير الله باعتبار أنه سبب، وأن الله - سبحانه وتعالىٰ - هو الذي قدر ذلك علىٰ يده، فإن ذلك لا بأس به، بشرط أن يكون في شيء يقدر عليه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٧).

(٢) رقم (١٢٩٧).

(٣) مُعْجَم المناهي اللَّفظية لبكر بن عبد اللَّه أبو زيد (ص٨٣).

أَيُّها الناسُ، إنّ التوكُّل على اللَّه لا يُنافي الأَخْذَ بالأَسْبَابِ، بلِ التـوكُّلُ هو قيامُ الجوارحِ بالأسبابِ، واعتمادُ القلبِ على مُسبِّبِ الأَسْبَابِ ـ سبحانه وتعالى ـ.

وهذا هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في هذهِ المسألةِ.

والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ، فمن ذلك قولُ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الحليميُّ ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية: «أي: فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ ما عادَ على صاحبهِ بالتَّقْوىٰ، وهو ألاَّ يتكلوا على أزواد الناس، ويُضيِّقُون عليهم، ومَنْ دخلَ الباديةَ بلا زادٍ، فإنَّما يرجو أنْ يُقيِّضَ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ له مَنْ يُواسيه مِنْ زادهِ، وهذا عَيْنُ ما أشارت الآيةُ إلىٰ المَنعِ منه، فبان أنَّهُ لا معنىٰ لاستحبابِهِ، وإنما المُسْتحبُّ هو التزوُّدُ»[١].

وفي «صحيح البخاريِّ»[٢] من حديثِ المِقْدامِ بْنِ مَعْدِ يكرِبَ عَنِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طعامًا ـ قَطُّ ـ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نبيَّ اللَّهِ دَاوُدَ ـ عليه السَّلامُ ـ كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

قال الحافظ ـ رحمه اللَّه ـ: «وفي الحديثِ أنَّ التكسُّبَ لا يَقْدَحُ في التَّوكُّلِ»[٣].

وأخرج أحمدُ في مُسنده بسندٍ صحيحٍ[٤] من حديثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**لو أَنَّكُم تتوكَّلُونَ على اللَّهِ ـ حَقَّ تَوَكُّلِه ـ لَرَزَقَكُمْ كما**

---

(١) المنهاج (٢/ ٧)، وانظر شعب الإيمان (٢/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٣) فتح الباري (٤/ ٣٥٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٢٤)، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح (١/ ٣٤٣).

يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خماصًا، وتَروح بِطانًا» أي: تذهبُ أوَّلَ النَّهار ضامرَةَ البُطُونِ مِنَ الجوعِ، وتعودُ آخِرَهُ مُمْتلئةَ البطونِ.

قال الإمامُ أحمدُ ـ رحمه اللَّه ـ: «ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأنَّ الطَّيْرَ إذا غَدَتْ، فَإِنَّمَا تَغْدُو لطلَبِ الرِّزْقِ»(١).

وقال الإمام أبو حاتم: «وهذا الحديثُ أَصْلٌ فِي التَّوكُّلِ، وإنَّهُ من أعظمِ الأسبابِ التي يُسْتَجلبُ بِهَا الرِّزْقُ»(٢).

وقال الحليميُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «فالطَّيرُ إذا غَدَتْ إنَّمَا تَغْدُو بطلبِ الرِّزْقِ، ومعروفٌ من عادتِها أنَّها لا تقعُ إلاَّ حيث تُبْصِرُ لَقَطًا، وأنَّهَا لا تزالُ تسبحُ فِي الهَواءِ، حتى ترى الماءَ، فتنزل عليه، وكُلُّ ذلك ابتغاء فِي الرِّزْقِ»(٣).

أَيُّهَا الناسُ، لقد نهى النَّبيُّ ـ ﷺ ـ عَنْ مسأَلة النَّاسِ؛ لأَنَّ فيها نوع استعانةٍ وتوكُّلٍ على غَيْرِ اللَّهِ.

ففي «الصحيحين»(٤) من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: **«لا تزالُ المسأَلَةُ بأَحَدِكُمْ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وليس فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»**.

وأصلُ الطَّلَبِ من المخلوقِ لا يجوزُ إلاَّ لضرورةٍ.

---

(١) شُعب الإيمان (٢/ ٦٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٤٠٩).

(٣) المنهاج للحليميِّ (٢/ ٩).

(٤) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٣٣).

قال شيخُ الإسلام: «وَسُؤالُ الخَلْقِ في الأَصْلِ محرَّم، لكنَّهُ أُبيحَ للضَّرورةِ، وتركُهُ ـ توكُّلاً على اللَّهِ ـ أفْضَلُ»(١) .

وإليكم تفصيل أصحاب الضَّرورة:

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث قَبيصةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ : «إنَّ المسألة لا تَحلُّ إلاَّ لأَحَد ثلاثة: رجلٌ تَحَمَّلَ حَمَالةً(٣)، فَحَلَّتْ لـه المسألةُ، حتى يُصيبَها، ثمَّ يُمْسكُ، ورجلٌ أَصابتْهُ جائحةٌ(٤) اجتاحتْ مـالَهُ، فَحَلَّتْ له المسألةُ، حتَّى يُصيبَ قَوَامًا(٥) منْ عَيْش ـ أو قال: سدادًا منْ عَيْش(٦) ـ، ورجلٌ أصابتْهُ فاقةٌ(٧)، حتَّى يقولَ ثلاثةٌ منْ ذَوِي الحِجَى(٨) منْ قَوْمه: لَقَدْ أَصابتْ فُلانًا فاقةٌ، فَحَلَّتْ له المسألةُ، حَتَّى يُصيبَ قَـوامًا من عَيْشٍ ـ أو قـال: سدادًا من عَيْشٍ ـ، فمـا سواهُنَّ من المسألة ـ يَاقَبِيْصَةُ ـ سُحْت، يأكلُها صاحبُها سُحْتًا» .

وأستغفرُ اللَّهَ .

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٨١) .

(٢) رواه مسلم (١٠٤٤) .

(٣) الحمالة ـ بفتح الحاء ـ: أن يقعَ قتالٌ ونَحْوُهُ بين فريقين، فَيُصْلحُ إنسانٌ بينهم على مالٍ، فيتحمَّلُهُ، ويلتزمُهُ على نفسه .

(٤) الجائحة: الآفة تُصيب مالَ الإنسان .

(٥) القوام ـ بفتح القاف وكسرها ـ: هو ما يقوم به أمرُ الإنسان من مالٍ ونَحْوِهِ .

(٦) السِّداد ـ بكسر السين ـ: ما يَسُدُّ حاجةَ الُمعْوِزِ ويكفيه .

(٧) الفاقة: الفَقْرُ .

(٨) والحِجَى: العَقْل .



الخطبة الثانية

ثمـــرات التوكــل



الحَمْدُ للَّه رَبِّ العالمين، والصلاة والسَّلامُ علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أَجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَىٰ يوم الدِّين.

أَمَّـا بَـعْـدُ، أَيُّهَا الناسُ، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَا منزلةَ التوكُّلِ وأَهمِّيَّتَهُ، نُحِبُّ أَنْ نُشيرَ إلَىٰ بَعْضِ الثَّمَراتِ العظيمةِ، التي يجنيها المتوكِّلُ بَعْدَ تحقيقِهِ هذا المقامَ الرَّفيعَ.

ومن أهمِّها:

١ ـ تحقيقُ الإيمانِ، حيثُ لا إيمانَ إلاَّ بتوكُّلٍ، كما لا توكُّلَ إلاَّ بالإيمانِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

أي: فلا تحقيق للإيمان إلاَّ بتحقيقِ التوكُّلِ.

٢ ـ طُمَأْنينةُ النَّفْسِ، وارتياحُ القلبِ، فالعبدُ حينما يُسلِّم قيادَه لخالقِهِ، ويَرْضَىٰ بما قسم له، ويُفَوِّضُ أَمْرَهُ إليه ـ سيجدُ راحةً فِي قلبه، وطُمأْنِينةً فِي نَفْسِهِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

٣ ـ ومنها كفايةُ اللَّهِ للمتوكِّلِ في جميعِ شئُونِهِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلاق: ٣] أي: كافيه.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم: «مِنْ كُلِّ ما ضاق على الناسِ»[١] .

٤ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه من أَقْوى الأسبابِ في جَلْبِ المنافعِ، وَدَفْعِ المضارِّ، والواقعُ خَيْرُ شاهدٍ على ذلك .

ففي «صحيح البخاري»[٢] من حديث عبد اللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيمُ ـ عليه السلامُ ـ حينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وقالها مُحمَّدٌ ـ ﷺ ـ حينَ قالوا : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عِمْرَانَ : ١٧٣] .

ولكن لننظر ماذا كانت النتيجةُ؟

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ في حَقِّ إبراهيم : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء : ٦٩ ـ ٧٠] .

وقال في حَقِّ محمد ـ ﷺ ـ : ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عِمْرَانَ : ١٧٤] .

وَمِنْهَا أنَّ التوكُّل على اللَّه يُورِثُ محبَّةَ اللَّه للعبد، وما أَعْظَمَ أَنْ يَحْظَى العَبْدُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ ـ سُبحانه وتعالى ـ ! ، وقَدْ وَعَدَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ المتوكِّلين عليه بالمحبَّةِ ، وَوَعْدُ اللَّهِ وَاقِعٌ ـ لاَ مَحَالَةَ ـ لِمَنْ حَقَّقَ التوكلَ .

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ مخاطبًا نبيَّه ـ ﷺ ـ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

(١) رواه البخاري تعليقًا في الرقائق، باب : «ومن يتوكل على اللَّه فهو حسبه» الفتح (١١/ ٣١١) .

(٢) رواه البخاريُّ (٤٥٦٣) .

لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على الله يُورِثُ قُوَّةَ القَلْبِ، وشجاعتَهُ، وثباتَهُ، وتحدِّيَهُ الأَعْداءَ مهما عَظُمُوا، فالقُوَّةُ ـ كُلُّ القُوَّةِ ـ في التوكُّلِ على اللَّهِ، ولهذا جاء الأَمْرُ بالتوكُّلِ مقرونًا بالإعراضِ عَنِ الأعداءِ، وعَدَمِ الاهتمامِ بهم، أو الخوفِ منهم.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٨].

٧ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ عَلَى اللَّهِ يُورِثُ الصَّبْرَ والتَمهُّلَ، فقد قَرَنَ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بَيْنَ الصَّبْرِ والتوكُّلِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١ ـ ٤٢].

٨ ـ ومنها أن التوكُّلَ على اللَّهِ يُورِثُ النَّصْرَ والتمكين؛ فقد قَرَنَ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بَيْنَهُ وبَيْنَ التوكُّلِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٩ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه يُقَوِّي العزيمة والثباتَ على الأمر، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ مخاطبًا نبيَّه ـ ﷺ ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

١٠ ـ ومنها أنَّ التَّوَكُّلَ على اللَّه يقي من تسلُّطِ الشَّيطانِ، قال اللَّه ـ سبحانه

وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النَّحل: ٩٨ـ١٠٠].

١١ ـ ومنها أنَّ التَّوكُّلَ على اللَّه من أسبابِ دَفْعِ السِّحْرِ، والحَسَدِ، والعَيْنِ، فالتوكُّلُ من أقوىٰ الأسباب التي يَدْفَعُ بها العَبْدُ ما لا يُطيقُ، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ على لسان نبيِّه يعقوبَ : ﴿يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يُوسُف: ٦٧].

١٢ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه يُوْرِثُ الرِّزْقَ، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣].

أيُّهَا الناس، تلك بَعْضُ ثَمَراتِ التوكُّلِ على اللَّهِ، نسأل اللَّهَ أنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ التوكُّلِ عليه، ويُفَقِّهَنا في دينِنا.



الخطبة الأولى

علام يقتل أحدكم أخاه؟!



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناسُ، حديثي إليكم اليومَ حول العَيْن، وخطورتها وتأثيرها على الفرد والمجتمع، فكم في المقابر من قبور بسبب العين، فالعين أمرها عظيم، وخطرها جسيم، لا يسلم منها إلاّ من سلَّمَهُ اللَّه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ حاكيًا عن نبيِّه يعقوب؛ وقد خَشِيَ العَيْنَ على أبنائه ـ :

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾

[يوسف: ٦٧-٦٨].

قال القُرطبيُّ - رحمه اللَّه - في تفسير هذه الآية: «لمَّا عزموا على الخروج خَشِيَ عليهمُ العَيْنَ فأمرهم ألاَّ يدخلوا مِصْرَ من بابٍ واحدٍ، وكانت مِصْرُ لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين، لكونهم أَحَدَ عَشَرَ رجلاً لرجلٍ واحدٍ، وكانوا أهل جَمَالٍ وكَمَالٍ وبَسْطَةٍ، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحاك، وقتادة، وغيرهم»[(١)].

ونقل الفخر الرازي في «تفسيره» قوله: «هو قول جمهور المفسرين: إنَّه خاف من العين عليهم»[(٢)].

والعَيْنُ قَلَّ أن يسلم منها أحدٌ، حتى إنَّ الرسول - ﷺ - يتعرَّض للإصابة بالعين.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

قال العلاَّمة ابن كثير - رحمه اللَّه -[(٣)]: «قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: لَيُنْفِذُونك بأبصارهم، أي: يَعِينُونك بأبصارهم بمعنى:

---

(١) تفسير القُرْطبيِّ (٩/ ٢٢٦).
(٢) انظر تفسير الفخر الرازي (٩/ ١٧٦).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٠).

يحسدونك لبغضهم إيَّاك، لولا وقاية اللَّه لك وحمايته إيَّاك منهم، وفي هذه الآية دليل على أنَّ العين إصابتها وتأثيرها حقٌّ بأمر اللَّه - سبحانه وتعالى - ، كما وردت في ذلك الأحاديث المُرْوِيَّةُ من طرقٍ متعدِّدةٍ كثيرةٍ».

وأمَّا السُّنَّة النبويَّة فقد دلَّت على خطورة العين، فقد ذكر الرسول ﷺ أن أكثر ساكني المقابر منها.

فقد روى الطيالسي في «مسنده» بسندٍ حسَّنه الألبانيُّ - رحمه اللَّه - [1] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**أَكْثَرُ مَنْ يَموتُ من أُمَّتي - بَعْدَ قَضَاء اللَّه وقدره - بالعَيْنِ**».

عبادَ اللَّهِ، اتقوا العينَ، فإنها تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، والجَمَلَ القِدْرَ.

فقد روى أبو نعيم في «الحلية» بسنده، وحسَّنه الألبانيُّ [2] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**العينُ تُدخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، وتُدْخِلُ الجملَ القِدرَ**».

قال العلامة المناوي: «تُدْخِلُ الرجلَ: أي تقتله فيُدْفَن في القَبْرِ. وتُدخِلُ الجَمَلَ: أي إذا أصابته - أو أشرف على الموت - ذَبَحه مالكُهُ، وطبخه في القِدْرِ».

وهي - أيضاً - تهوي بالرجل من فوق الجبل، فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَه الألباني [3] من حديث أبي ذَرٍّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ العَيْنَ لتولعُ بالرَّجُلِ** (أي: تُلازِمُهُ فتؤثِّر فيه) **بإذن اللَّه**، حتى

---

(١) رواه الطيالسي في مسنده (١٧٦٠)، وحسَّن إسنادَه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٤٧)، و«صحيح الجامع» (١٢١٧).

(٢) رواه أبو نعيم (٧/ ٩٠)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤١٤٤)، و«الصحيحة» (١٢٤٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٤٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٦٨١)، و«الصحيحة» (٨٨٩).

يصعَدَ حالقًا، فيتردَّى منْهُ».

ومعنى الحديث: أنَّ العينَ تُصيبُ الرَّجُلَ فتؤثرُ فيه، حتَّىٰ إنه ليصعدُ مكانًا مرتفعًا، ثمَّ يسقطُ من أعلاهُ من أثر العين.

وروىٰ الإمام أحمدُ - أيضًا - بسنده، وحسَّنه الألباني[(١)] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: **«العَيْنُ حَقٌّ، تستنزلُ الحَالِقَ»**.

أي: تُسْقِطُهُ منَ الجبل العالي.

والعينُ - عبادَ اللَّه - تكاد تسبق القدرَ،

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سَابَقَ القَدَرَ لسبقتْهُ العينُ، وإذا استُغْسِلْتُم فاغسلُوا»**.

وروىٰ الإمام أحمد بسنده، وصحَّحَه الألباني[(٣)] من حديث أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ - رضي اللَّه عنها - قالت: يا رسولَ اللَّه، إنَّ بني جعفرٍ تصيبُهم العينُ أفأسترقي لَهُم؟.

فقال: **«نعمْ، فلو كان شيءٌ سَابَقَ القَضَاءَ لسَبَقَتْهُ العَيْنُ»**.

أيُّهَا الناس، إنَّ العينَ حقٌّ، فيجب الإيمان بذلك، وإن كنَّا لا ندرك كُنْهَهَا، وكيف تصل إلىٰ بُغْيتها؟!،

ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٧٤)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٥٠).

(٢) رواه مسلم (٢١٨٨).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٣٨)، والترمذي (٢٠٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٨٦).

(٤) رواه البخاري (١٠/ ٢١٣)، ومسلم بشرح النووي (١٤/ ١٧٠).

رسول اللَّه - ﷺ -: «**العَيْنُ حَقٌّ**».

وروىٰ ابن ماجَهْ بسنده، وصحَّحه الألبانيُّ(١) من حديث عائشة - رضي اللَّه عنها - أنَّ النبي ﷺ قال: «**استعيذوا باللَّهِ من العَيْنِ؛ فإنَّ العَيْنَ حَقٌّ**».

عبادَ اللَّه، إنَّ العينَ سريعة التأثير في الناس، والدَّوابِّ، والأرزاق، بل وفي المساكن، والجسور، وسائر المركوبات، ويسرع تأثيرها في أجساد الناس، ولا سيَّما الأطفال،

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: رخَّص النبيُّ - ﷺ - لآلِ حَزْمٍ في رُقْيةِ الحيَّةِ، وقال لأسماء بِنْتِ عُمَيْسٍ: «**مالي أرى أجسادَ بني أخي ضارعةً، يُصيبُهُمُ الحاجَةُ؟!**». قالتْ: لا، ولكنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إليهم. فقال: «**ارْقيهِمْ**». قالتْ: فعرضتُ عليهِ. فقال: «**ارْقيهِمْ**».

أيُّها الناسُ، إنَّ العين حقٌّ - كما سبق - وتحصل من الإنسان لأخيه الإنسان، ولكن هناك أعين هي أنفذ من أسِنَّةِ الرِّمَاح، وهي أعينُ الجانِّ، فالجنُّ يَعينون الإنس:

ففي «سنن الترمذيِّ والنسائي، وابن ماجه» بسندٍ صحَّحَه الألباني(٣) من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: كان رسول اللَّه - ﷺ - يتعوَّذُ باللَّهِ مِن أَعْيُنِ الجانِّ، ثم أَعْيُنِ الإنسِ، فلما نزلتِ المُعَوِّذتانِ أخذهما، وترك ما سوىٰ ذلك.

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث أُمِّ سَلَمَةَ - رضي اللَّه عنها - أنَّ النبيَّ - ﷺ - رأىٰ في

---

(١) رواه ابن ماجَهْ (٣٥٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٣٨)، و«الصحيحة» (٧٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢١٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٥٩)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجَهْ (٣٥١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٨٣٠).

(٤) رواه البخاريُّ (١٠/ ١٧١)، ومسلم (٢١٩٧).

بيتها جاريةً في وَجْهِها سَفْعَةٌ (أي: بُقْعَةٌ سوداءُ)، فقال: «**اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فإنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**».

قال الفراء: «سَفْعة: أي نَظْرَة من الجنِّ».

قال الشيخ وحيد بن عبد السلام: «ومن هذين الحديثين يتبيَّنُ لنا أنَّ العينَ تَقَعُ من الجنِّ، كما تقع من الإنسِ؛ ولذا يجب على كُلِّ مسلمٍ أن يذكر اسم اللَّه عندما يخلعُ ثوبهَ، أو ينظرُ في المِرْآةِ، أو يقومُ بأيِّ عَمَلٍ؛ كي يدفعَ عن نفسِه أذَى الجنِّ من عينٍ أو غيرِها»[1].

أيُّهَا الناسُ، لقد شاع وذاعَ عند الناس أنَّ العين لا تحصل إلاَّ مِن نفسٍ خبيثةٍ، أو رجلٍ خبيثٍ يكيد للآخر.

والصوابُ أنَّ العَيْنَ كما تَحْصُلُ من نفس خبيثة، فهي تحصُلُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالحِ، فالأُولَى سببُها الحَسَدُ، وهي التي تحصل من حاسدٍ، والثانية تكون بغير قَصْدٍ، وتحصُلُ من الرجلِ الصالح، كما تحصُلُ مِنْ غَيْرِ الصَّالحِ، ويكُونُ سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

فالحَسَدُ والعَيْنُ يَشْتَرِكَانِ فِي الأثر، حيثُ يُسبِّبانِ ضرراً للمَعين، ويختلفان في المصدر، فمصدر الحسد تحرُّق القلب وتمنِّي زوال النعمة عن المحسود، وأمَّا العَين فمصدرها انقداح نظرة العين؛ لهذا فالعائن قد يصيب حتى نفسه وأولاده، فرؤيته للشيء رؤية تعجُّبٍ وتحديقٍ.

والدعاء بالبركة يقطع أثر تلك العين، فإذا رأى المرء من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله - ما يُعجبه، فليدعُ له بالبركة، كأن يقول: ما شاء اللَّه، تبارك اللَّه. أو اللَّهمَّ، بارك فيه، ونحو هذا، فإذا فعل ذلك لم يضرهُّ شيءٌ، إن شاء اللَّه.

---

(١) «الصارم البتار» (ص١٣١).

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وفي «مسند أحمد»، و«سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحَّحه الألباني[1] من حديث أبي أمامةَ بنِ سَهْلِ بن حُنَيْفٍ قال: اغتسلَ أبي سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ بالخرَّار (أي: وادٍ من أودية المدينة)، فنزع جُبَّةً كانت عليه، وعامرُ بنُ ربيعةَ يَنْظُرُ إليه، وكان سَهْلٌ شديدَ البياضِ، حَسَنَ الجِلْدِ، فقال عامرٌ: ما رأيتُ كاليومِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ (أي: فتاةٍ مُخبأةٍ في خِدْرِها وهو كناية عن شدَّة بياضه) وعَذْرَاءَ!.. فَوُعِكَ (أي: أصيب بمَغْصٍ شديدٍ) سَهْلٌ مكانهُ، واشتدَّ وَعْكُهُ، فأُخْبِرَ رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ بوَعْكِهِ، فقيل له: ما يرْفَعُ رَأْسَهُ فقال: «هل تَتَّهمون له أحدًا؟». قالوا: عامر بن ربيعة. فدعاه رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ، فتغيَّظَ عليه، فقال: «عَلاَمَ يقتُل أَحَدُكُم أَخَاهُ؟! أَلاَ بَرَّكْتَ؟! اغتسل له».

ففي هذا الحديث فوائدُ تُشَدُّ لها الرِّحَالُ:

فعامر بن ربيعة أصاب سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ بعينٍ برغم أنَّ عامرًا ـ رضي اللَّه عنه ـ صحابيٌّ جليلٌ، ومن السابقين إلىٰ الإسلام، بل ومن أهل بَدْرٍ، فتبيَّن أنَّ العين تحصل من الرجل الصالح وغيره، ولكن الرسول ـ ﷺ ـ قال: «أَلاَ بَرَّكْتَ؟!» أي: هلاَّ دعوت له بالبركة؟!

ثم أمره أن يغتسل له، فتوضَّأَ عامرٌ في إناءٍ، ثمَّ صُبَّ ذلك الماء علىٰ رأس سَهْلٍ وظهرِه من خَلْفِه، فعاد سَهْلٌ ليس به بأسٌ، فهذا علاج نبويٌّ نافع ـ بإذن اللَّه ـ من العَيْنِ.

وأستغفر اللَّه.

---

(١) رواه أحمدُ (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجَهْ (٣٥٠٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجَهْ (٢٨٢٨).



الخطبة الثانية

علامَ يَقتلُ أحدُكُمْ أخاهُ؟!



الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيهَا الناسُ، عرفنا فيما سبق خطورة العين، وسرعة قتلها، فيجب علينا أن نتقيَ اللَّه، وأن نحذر من الإتيان بعبارات الوصف، وكلمات التشبيه في وصف الشيء المُتَعَجَّب منه، ويكفينا إذا رأينا شيئًا يُعْجبُنا أن ندعو لَه بالبركة؛ فإن الدعاء بالبركة يُسقط ضرر العين، ويُبطل أثرها.

والرجل بين ثلاث حالات:

الحالة الأولى - إذا نظر لشيء يُعجبه، ولم ينطق بشيءٍ، لم يُقدِّرِ اللَّهُ ضرراً، والأَوْلَى الدعاء بالبركة.

الحالة الثانية - إذا نطق العائن بكلمة استحسانٍ بدون ذكر اللَّه - جاهلاً كان، أو ناسيًا، وأشدُّها إذا كان متعمِّدًا - قدَّر اللَّه - سبحانه وتعالى - في بَدَنِ المَعِينِ المَرَضَ والهلاكَ.

الحالة الثالثة - إذا ذكر اللَّه وبرَّك - أي دعا بالبركة - حالَ نظره، سقط ضررُ العين.

فمتى رأيت - يا عبدَ اللَّه - رجلاً يُحِدُّ النظر في شيءٍ، أو ينظر إليه نظرةَ استحسان، ولم يذكر اللَّه - فقد يكون جاهلاً؛ فيجب عليك أن تعلِّمَه، وتقول له: يا أَخِي، قُلْ:

ما شاء اللَّه! . وقد يكون ناسيًا؛ فيجب عليك أن تُذكِّرَهُ.

أيُّهـا الناسُ، **إنه لابُدَّ من أخذ الوقاية من شرِّ العين قَبْلَ وقوعها؛** فالوقايةُ خيرٌ من العلاج، كما يُقال في المثل السائر.

فمن الوقاية التوكل على اللَّه، وهو: صِدْقُ اعتماد القلب على اللَّه في استجلاب المصالح ودفع المضارِّ في أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وتوكيل الأمور كُلِّها إليه، وتحقيق الإيمان بألاَّ يُعْطِيَ ولا يمنعَ، ولا يضرَّ ولا ينفعَ سواه[1].

وفي ذلك يقول ربُّنا - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

ومن الوقاية - أيضًا - المحافظة على الأذكار الصحيحة، ولاسيَّما قراءة المعوِّذتين، وسورة الإخلاص، كما سبق من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه -[2] قال: كان رسول اللَّه - ﷺ - يتعوَّذُ باللَّه من أَعْينِ الجانِّ، ثُمَّ أَعْيُنِ الإنسِ، فلمَّا نزلتِ المعوِّذتانِ أخذهما، وترك ما سوى ذلك.

ومن أسباب الوقاية - أيضًا - إذا كان العائن يخشى ضرر عينه، وإصابتها لغيره، فليدفع شرَّها بقوله: اللَّهُمَّ، باركْ عليه، كما قال رسول اللَّه - ﷺ - لعامر بن ربيعةَ - لما عان سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ -: «أَلاَ بَرَّكْتَ؟!».

وممَّا يُدْفع به إصابة العين قولُ: «ما شاء اللَّه، لا قوَّةَ إلاَّ باللَّه»، فقد روى هشامُ عن عُرْوةَ عن أبيه أنَّه كان إذا رأى شيئًا يُعجبُهُ - إن دخل حائطًا من حيطانه - قال: ما شاء اللَّه، لا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ[1].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص٤٠٩).

(٢) تقدم تخريجه

ومن الوقاية من شرِّ العين تحصين الأطفال بالدُّعاء المأثور الصحيح، كما في «صحيح البخاريِّ»(٢) من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - قال: كان رسول اللَّه - ﷺ - يُعوِّذُ الحسنَ والحُسَينَ، يَقُولُ: «**أُعِيذُكُما بكلمات اللَّه التامَّة مِنْ كُلِّ شيطانٍ، وهامَّةٍ، ومن كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**». ويقول: «**كان إبراهيمُ يُعوِّذُ إسحاقَ وإسماعيلَ - عليهما السلام -**».

وممَّا يُتَّقى به العَيْنُ كِتْمانُ النِّعم عند طلبها، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسنده، وصحَّحه الألباني(٣) من حديث مُعاذ بن جبلٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**استعينوا على إنجاحِ الحوائجِ بالكِتْمَانِ؛ فإنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**».

ومن الوقاية - أيضًا - سِتْرُ محاسن مَنْ يُخشى عليه الإصابة بالعين، كما جاء عَنْ عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ - رضي اللَّه عنه - لَمَّا رأى صَبِيًّا مَليحًا، قال: «دَسِّمُوا نُونَتَهُ - أي سَوِّدُوا نُقْرَتَهُ التي في ذِقْنِهِ - لئلاَّ تُصِيبَهُ العَيْنُ». وهذا الأثر في «شرح السُّنَّة للبغويِّ»(٤).

عبادَ اللَّه، هذا الذي قَدَّمناه هو علاج للعين قبل وقوعها، لكن إذا وقعت فقد علمنا أنَّها إنما تَقع بقدر اللَّه، فعلينا أن ندفع قدر اللَّه بقدر اللَّه.

وذلك بسلوك الطرق الشرعية، وحَذَارِ حَذَارِ - يا عبدَ اللَّه - من الذهاب إلى

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٣).

(٤) شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٦٦).

الْمُشَعْوِذين والدَّجَّالين، يسرقُون عليك دينك ومالك، وحذَارِ حَذَارِ ـ يا عبدَ اللَّه ـ من أن ينطبق عليك قولُ رسول اللَّه ﷺ كما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هُرَيرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ : «**مَنْ أَتَى كاهنًا ـ فصدَّقَهَ بما يقولُ ـ فقَدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ**» .

ومن الطرق الشرعية: أنَّه متىٰ عرفنا العائن، وتحقَّق أنه هو الذي أصاب المَعِينَ، فإنه يطلب منه غسل يديه وشيءٍ من بدنه؛ ليُصَبَّ علىٰ المعين، أو يشربَ منه، ولا يجوز للعائن أن يغضب؛ فإن كثيراً ما تقع الإصابة بدون إرادة العائن، حتىٰ إنَّه قد يُصيب بعضَ أولاده، أو بعضَ ماله، فعلام الغضب؟!، وقد قدَّمنا أن العين تحصل من الرجل الصالح، كما تحصل من غير الصالح، بخلاف الحسد فلا يحصل إلا من نفسٍ خبيثةٍ.

ومن الطرق الشرعية: ـ إذا لم تعرف العائن ـ أن تضع يدك علىٰ رأس المصاب، وتقول كما جاء في «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ أن جِبْريلَ أتىٰ النبيَّ ـ ﷺ ـ، فقال: «يا محمَّدُ، اشتكيت؟» فقال: «نعم». قال: «**باسمِ اللَّه أَرْقِيكَ من كُلِّ شيءٍ يُؤْذيك، مِنْ شرِّ كلِّ نفسٍ ـ أو عينِ حاسدٍ ـ اللَّهُ يَشْفيكَ، باسمِ اللَّه أرقيكَ**».

اللَّهُمَّ إنا نعوذُ بك من زوالِ نعمتك، وتحوُّل عافيتِك، وفُجاءَةِ نقمتِك، وجميعِ سَخَطِكَ.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢١٨٦).



الخطبة الأولى

لزوم جماعة المسلمين



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، إن لزوم جماعة المسلمين أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وجماعة المسلمين اليوم تتمثل في الحكومة الإسلامية، التي تحكم قُطْرًا من أقطار المسلمين، فيجب أن تطاع في طاعة اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وطاعة رسول اللَّه ـ ﷺ ـ، ويَحْرُمُ الخُروج علىٰ إمام المسلمين فيها، أو عدم بيعته، أو عدم السَّمْع والطاعة لَهُ.

فالجماعة ـ عبادَ اللَّهِ ـ هي رابطة المسلمين، وقوَّتهم من قوَّتِها، وضعفهم من ضَعْفِها، وقد أمرنا اللَّهُ بالجماعة، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وحبل الله هو الجماعة، كما فَهِمَ من ذلك الصحابة، وعلىٰ رأسهم حِبْرُ هذه الأمة عبد الله بن عبّاسٍ، رضي الله عنهما، فقد أخرج ابن أبي حاتم في التفسير بسندٍ حسنٍ [(١)] من حديث سماكِ بن الوليد الحنفيِّ أنَّه لقي ابن عبَّاسٍ بالمدينة، فقال: «ما تقول في سلطانٍ علينا يظلموننا، ويشتموننا، ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعهم؟» قالَ ابن عباس: «لا، أَعْطِهِمْ يا حنفيُّ». وقال: «يا حنفيُّ، الجماعة الجماعةَ، إنما هلكتِ الأمم الخالية بتفرُّقها، أما سمعت الله ـ عزَّوجلَّ ـ يقول: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾؟».

وقال الإمام ابن عبد البرِّ ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير حبل اللَّه: «وحبل اللهِ في هذا الموضع فيه قولان: أحدُهُمَا كتاب اللَّه، والآخر الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، وهو عندي معنىً متداخل متقارب؛ لأن كتاب اللَّه يأمر بالأُلفة، وينهىٰ عن التفرُّق، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾» [(٢)].

وممَّا يدلُّ علىٰ وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند ظهور الفتن ـ ما جاء في «الصحيحين» [(٣)] من حديث حُذَيْفَة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان الناسُ يسألون رسول اللَّه ـ ﷺ ـ عن الخير، وكنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مخافةَ أن يُدْركَني، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جاهليَّةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللَّهُ بهذا الخيرِ، فهل بَعْدَ هذا الخيرِ من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٥٥).
(٢) «التمهيد» لابن عبد البرِّ (٢١/ ٢٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٦).

شرٍّ؟. قال: «نعم». قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: «نعمْ، وفيه دَخَنٌ» قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: «قومٌ يَهْدُون بغير هَدْيي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ» قلتُ: فهل بَعْدَ ذلك الخير من شرٍّ؟. قال: «نعم، دُعاةٌ عَلَى أبواب جهنَّمَ، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسولَ اللَّه، صِفْهُمْ لنا قال: «همْ منْ جِلْدَتنا، ويتكلَّمون بألسنَتنا» قلتُ: فما تأمُرُني إن أَدْرَكَني ذلك؟ قال: «تلْزَم جَمَاعَةَ المسلمينَ وإمامَهُمْ». قلتُ: فإن لم يَكُنْ لَهُمْ جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتزلْ تلكَ الفرَقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شجرَةٍ، حتى يُدْرِكَكَ الموت وأنت على ذلك».

قال النوويُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «وفي حديث حُذَيفة هذا لُزُومُ جماعةِ المُسلمين وإمامِهم، ووجُوب طاعته، وإن فَسقَ، وعَمِلَ المعاصِي مِنْ أخْذِ الأموالِ، وغيرِ ذلك، فتجبُ طاعتُهُ في غير معصيةٍ»[١].

وقال ابن بطَّال ـ رحمه اللَّه ـ: «فيه حُجَّةٌ لجماعة الفقهاء في وُجُوبِ لزُومِ جماعة المُسلمينَ، وتركِ الخرُوجِ على أئمَّة الجَورِ، لأنه وصف الطَّائفَةَ الأخيرةَ بأنَّهم «دُعَاة على أبواب جهنَّمَ»، ولم يقل فيهم: تَعْرِفُ وتُنْكِرُ كما في الأَوَّلِيْنَ، وهُمْ لا يكونون كذلك إلا وهُمْ على غير حقٍّ، وأَمَرَ مع ذلك بلُزُوم الجماعة»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «ولهذا كان من أُصُول أهل السنَّة والجماعة لزومُ الجماعة، وتركُ قتال الأئمَّة، وتركُ القتال في الفتنة»[٣].

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، وابن أبي عاصم في «السنة» بسندٍ صحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[٤] من حديث زيد بن ثابتٍ

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٧).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٧).
(٣) «الحسبة في الإسلام» (ص٧٦).
(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٣)، وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ص٥٠٤)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (ص٥٠٤).

ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثُ خصَال لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ: إخلاصُ العملِ للَّه، والنصيحةُ لوُلاَةِ الأُمُورِ، ولزُومُ جماعتهم؛ فإنَّ الدعوةَ تحيطُ من ورائهم».

فدلَّ هذا الحديث ـ عباد اللَّه ـ على نصيحة وُلاَةِ الأُمور، ولزوم جماعَتِهِم.

قال الإمام ابن القيِّم ـ يرحمه اللَّه ـ: «وقولُهُ: «ثلاثُ خصال لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم» أي: لا يحمل الغِلَّ، ولا يبقى مع هذه الثلاثِ؛ فإنَّها تنفي الغِلَّ والغِشَّ، ومفسدات القلبِ وسخائمَهُ».

وقوله: «ومناصحة أئمَّة المسلمين»، وهذا ـ أيضًا ـ مُناف للغِلِّ والغشِّ، فإن النصيحة لا تُجَامِعُ الغِلَّ؛ إذْ هِيَ ضِدُّهُ، فَمَنْ نَصَحَ الأئمَّةَ والأمَّةَ، فقد برئ من الغِلِّ.

وقولُهُ: «ولُزُوم جماعتهم» هذا ـ أيضًا ـ ممَّا يُطَهِّرُ القلبَ من الغِلِّ والغِشِّ، فإنَّ صاحبه لجماعة المسلمين يُحبُّ لهم ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكرَهُ لها، ويَسُوءُهُ ما يَسُوءُهُم، ويَسُرُّهُ ما يَسُرُّهُم، وهذا بخلاف مَنِ انحاز عنهم، واشتغل بالطَّعنِ عليهم، والذَّمِّ لهُم.

وقولُهُ: «فإنَّ دعوتهم تحيطُ من ورائِهِمْ» هذا من حسن الكلامِ وأوجزِهِ وأفخمِهِ معْنًى، شبَّهَ دعوة المسلمين بالسُّورِ والسِّياج المُحيطِ بِهِمْ، المانعِ من دخول عدُوِّهم عليهم»[1].

وقال ابن الأثير ـ رحمه اللَّه ـ في قوله: «فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم»: «أي تَحُوطُهُم وتَكْنُفُهُم وتَحْفَظُهُمْ، يريدُ أهلَ السنةِ، دُونَ أهلِ البدعةِ»[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧) بتصرف.

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٢٢).

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن الترمذيِّ»(١) من حديث الحارث الأَشْعريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «أنا آمركم بخمسٍ، اللَّهُ أَمَرَني بهنَّ: بالجماعة، وبالسَّمع، والطَّاعة، والهجْرة، والجهاد في سبيل اللَّه، فإنَّه مَنْ خرج منَ الجماعة قِيْدَ شبْرٍ، فقد خلعَ رِبْقَةَ الإسلام منْ عُنُقه إلى أنْ يَرْجِعَ، ومَنْ دعا بدعوى الجاهليَّة، فهو منْ جُثُاء جَهَنَّمَ». قالوا: يا رسولَ اللَّه، وإنْ صامَ وصلَّى؟!. قال: «وإن صام وصلَّى، وزعم أنَّهُ مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سمَّاهم اللَّه - عزَّ وجلَّ -: المسلمين المؤمنين عبادَ اللَّه - عزَّ وجلَّ -».

فدل هذا الحديثُ - عبادَ اللَّه - على النَّهي الشديد في مفارقة الجماعة، والخروج عنها، وأنَّ من خرج عنها قِيْدَ شِبْرٍ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه، فأيُّ وعيدٍ أشدُّ من هذا؟!

قال الخطابيُّ - رحمه اللَّه -: «الرِّبْقَةُ: ما يُجْعَلُ في عُنُقِ الدابَّة كالطَّوقِ يُمسكُها؛ لئلاَّ تَشْرُدَ. يقول: من خرج عن طاعة الجماعة، وفارقهم في الأمر المجمع عليه - فقد ضلَّ وهَلَكَ، وكان كالدَّابَّة إذا خلعت الرِّبْقة التي هي محفوظةٌ بها، فإنَّها لا يُؤْمَنُ عليها عِنْدَ ذلك الهلاكُ والضَّياعُ»(٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه -: «قوله: «قِيْدَ شِبْرٍ» هي كناية عن معصية السُّلطان ومُحاربته»(٣).

وفي «صحيح مسلم»(٤) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعةَ فماتَ - ماتَ ميْتةً جاهليَّةً».

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٣٠)، و«سنن الترمذي» (٥/ ١٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

(٢) «معالم السنة» للخطابي (٧/ ١٤٨).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٧).

(٤) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٦).

وأخرج أحمد في «مسنده»، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[(١)] من حديث فضالة بن عُبيدٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاثةٌ لا تسألْ عنهم: رجلٌ فَارَقَ الجماعَة، وعصى إمامَهُ، ومات عاصيًا، وعَبْدٌ أَبَقَ فمات، وامرأةٌ غاب عنها زوجُها؛ يكفيها المؤْنَةَ، فتبرَّجتْ مِنْ بَعْدِه»**.

فقوله: «**لا تسألْ عنهم**» كناية عن عظيم هَلَكَتِهم.

قال المناويُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «قوله: «**ثلاثة لا تسأل عنهم**» أي فإنَّهم من الهالكين، رجُلٌ فارق الجماعة بقلبه، ولسانه، واعتقاده، أو ببدنِه، ولسانِه. . . الجماعة المعهودين هم جماعة المسلمين، «**وعصى إمامَهُ**» إمَّا بنحو بدعةٍ كالخوارج، وإما بنحو بَغْيٍ، أو حِرابةٍ، أو احتيالٍ، أو عدم إظهار الجماعة في الفرائض، فكُلُّ هؤلاء لا يسأل عنهم لحِلِّ دمائهم»[(٢)].

وأخرج الطبرانيُّ في «المُعْجم الكبير»، والهيثميُّ في «المجمع» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «ظلالِ الجنَّة»[(٣)] من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: **«يَدُ اللَّهِ على الجماعة»**.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»، والترمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيح، صحَّحه أحمد شاكر في «شرح المسند»[(٤)] من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٠٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (ص٤٢).

(٢) فيض القدير (٣/ ٣٢).

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٤٤٧)، والمجمع (٥/ ٢١٨)، وظلال الجنة (ص٤٠).

(٤) المسند (١/ ١٨)، والترمذي في سننه (٤/ ٤٦٥)، وشرح المسند (١/ ١١٢).

قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «عليكم بالجماعة، وإيَّاكم والفُـرْقةَ؛ فإن الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ، منْ أراد بُحْبُوْحَةَ الجنَّة، فليَلْزَمِ الجماعةَ».

قال أبو عُبَيْد ـ رحمه اللَّه ـ: «أراد بِبُحْبوحَةِ الجنَّة: وسطَها» قال: «وبُحْبُوحةُ كُلِّ شيءٍ وَسَطُه وخيارُه»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «لا يَحِلُّ دمُ امرئ مسلمٍ إلاَّ بإحدى ثلاثٍ: الثيِّبُ الزَّاني، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ، والتارك لدينه المُفَارِقُ للجماعة».

قال العلماء في قوله: «المفارق للجماعة»: «ويتناول ـ أيضًا ـ كُلَّ خارجٍ عن الجماعة ببدعةٍ، أو بَغْيٍ، أو غيرِها، وكذا الخوارج، واللَّه أعلم»[3].

أيها الناس، إن تلك الأحاديث وغيرها من الأحاديث لتدلُّ ـ دلالةً واضحةً ـ على وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين لهم إمام ظاهر، فمن خرج على الإمام الذي بايعه المسلمون، فقد لحقَه الوعيد الشديد في الخارج عن الجماعة.

فلا يجوز لمؤمنٍ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يقيمَ حِزْبًا في بلاد المسلمين، يخرج به عن جماعتهم، ويَنُمُّ به على سُلطانهم، فمن فعل ذلك فقد اتبع غيرَ سبيلِ المُؤمنين.

وقد ابتُلينا بدُعاةٍ لبَّسوا على الناس وحزَّبوهم، وأنزلوا أحاديث الجماعة على جماعة حِزبهم، وأخذوا البيعة على أتباعهم ـ فإنا للَّه وإنَّا إليه راجعون ـ وإلى اللَّه نشكو هذا الغُثاء، فهلاَّ رجعوا إلى تفسير السلف للجماعة؟!.

(١) غريب الحديث (٢/ ٢٠٥).
(٢) البخاري (١٢/ ٢٠١)، ومسلم (٣/ ١٣٠٢).
(٣) شرح صحيح مسلم (١١/ ١٦٥) للنووي.

قال الإمامُ الطبـريُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «إنَّ المراد من الخبر بلزوم الجماعة : الذين في طاعة مَنِ اجتمعوا على تأميرِه ، فمن نكثَ عن بيعته خرج عن الجماعة» .

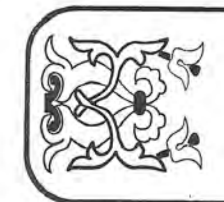
وقال الإمام ابن عبد البرِّ ـ رحمه اللَّه ـ : «المقْصُودُ : الجماعة على إمامٍ يُسْمَعُ لَهُ ويُطاعُ» .

وأستغفر اللَّه .



الخطبة الثانية

لزوم جماعة المسلمين



الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسول اللَّه، وعلىٰ آله وصَحْبه ومَنْ وَالاَهُ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، لقد سبق بيان أدلَّة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

وعليه أقول: إن الحاكم، أو الأمير، أو الرئيس هو المختصُّ بتلك الأحاديثِ، وهو المختصُّ بوجوب الصبر علىٰ جَوْرِه، وإن جَلَدَ ظَهْرَكَ، وأخذ مالك؛ لأن تلك الأدلة قد علَّقها الشارع علىٰ مسمَّىٰ السلطان، أو الإمام، أو الحاكم، أو الأمير، ولم يقلْ أحد من أهل العلم: إنَّها تتعدَّىٰ إلىٰ غيره ممَّن يقع عليه اسم الأمير: كأمراء الجماعات الدَّعويَّة، فوجب التفريق بين البيعات الشرعية وبين البيعات الحزبيَّة.

ومن أنكر هذا فهو مباهتٌ، لا يستحقُّ أن يُخاطبَ بالحُجَّة؛ لأنه لا يَعْقِلُها.

أيُّهَا الناسُ، إن الصبر على جَور الأئمَّة أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فقد جاءت أحاديث كثيرةٌ عن النبيِّ - ﷺ - تأمر بالصبر علىٰ جَوْرِ الأئمَّةِ وظُلْمهم.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عبد اللَّه بن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: **«مَنْ كَرِهَ من أميره شيئًا فَلْيَصْبِرْ عليه؛ فإنه ليس أحدٌ من الناس خَرَجَ من السلطان شِبْرًا، فمات عليه، إلاَّ مات مِيْتَةً جاهليَّةً»**.

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٧)، واللفظ له.

وفي «الشريعة» للآجري[١] عن عمرو بن يزيدَ قال: سمعتُ الحسنَ أيَّامَ يزيدَ ابن المُهَلَّب يقول: «واللَّهِ، لو أن النَّاسَ إذا ابتُلوا من قِبَلِ سُلْطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع اللَّه - عزَّ وجلَّ - ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيُوكلون إليه، وواللَّهِ، ما جاءوا بيومِ خيرٍ قَطُّ». ثمَّ تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال الإمام ابن أبي العزِّ في «شرح الطحاوية»[٢]: «وأمَّا لزوم طاعتهم - وإن جاروا -؛ لأنه يترتَّب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعافُ ما يحصل من جَوْرهم، بل في الصبر على جَوْرهم تكفيرُ السيئات، ومضاعفة الأجور؛ فإن اللَّه - تعالى - ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهاد في الاستغفارِ، والتوبةِ، وإصلاحِ العملِ».

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا

---

(١) الشريعة (ص٣٨).
(٢) شرح الطحاوية (ص٣٦٨).

يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

أَيُّهَا الناسُ، اعلموا ـ بَارك اللَّه فيكم ـ أن مسئُولي الحكومة وُلاة أمر، فإذا طلبك ـ يا عبدَ اللَّهِ ـ أيُّ مسئولٍ في منطقَتِكَ أو غيرها للمثولِ بين يديه أو لأيِّ أمرٍ كان ـ وجب عليك السمع والطاعة، ما لم يأمرك بمعصيةٍ، فإذا أمرْكَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةَ.

وبعض الناس ـ هداهم اللَّه! ـ لا يسمعون لولاة الأمور إلاَّ إذا أرسلوا قوَّةً في أثرهمْ، فهل يُشترط أن يكون الوُلاةُ معصومين، حتىٰ نُطيعهُم في طاعة اللَّه، وطاعة رسول اللَّه؟!

أَيُّهَا الناسُ، قبلَ أن أودِّع مقاميَ هذا، ألقي علىٰ مسامعكم كلمةً للإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحم اللَّه الجميع ـ؛ لتكشفَ بعض الشُّبَه، وتردَّ علىٰ من يقول: إنَّ حُكَّام السَّلفِ غيرُ حُكَّامنا.

قال ـ رحمه اللَّهُ ـ:

«ولم يَدْرِ هؤلاءِ المفتونونَ أن أكثر وُلاةِ أهل الإسلام من عَهْد يزيدَ بن مُعاوية ـ حاشا عمرَ بنِ عبد العزيز، ومَنْ شاء اللَّه من بني أُميَّةَ ـ قد وقع منهم من الجراءةِ، والحوادثِ العظامِ، والخروجِ، والفساد في ولاية أهلِ الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأَئمَّة الأعلام، والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزِعُون يداً من طاعةٍ فيما أمر اللَّه به ورسولُهُ من شرائع الإسلام، وواجبات الدِّين.

وأضربُ لك مثلاً بالحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيِّ، وقد اشتهر أمره في الأُمَّة بالظُّلم، والغَشْم، والإسراف في سَفْك الدِّماء، وانتهاك حُرُمات اللَّه، وقَتْلِ من قَتَلَ من ساداتِ الأُمَّة: كسعيد بن جُبَيرٍ، وحاصر ابنَ الزُّبيرِ وقد عاذ بالحَرَمِ الشَّريفِ،

واستباح الحُرْمة، وقتل ابنَ الزُّبير - مع أنَّ ابن الزُّبيرِ قد أعطاهُ الطاعةَ -، وبايعه عامَّة أهل مكة، والمدينة، واليمن، وأكثرُ سَوَادِ العراقِ، والحجَّاجُ نائبٌ عن مروانَ، ثم عن ولدِه عبدِ الملك، ولم يَعْهَدْ أَحَدٌ من الخلفاءِ إلىٰ مروان، ولم يبايعْهُ أهلُ الحلِّ والعقدِ، ومع ذلك لم يتوقَّفْ أحدٌ من أهل العلم في طاعته، والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته، وكان ابن عمر، ومَنْ أدرك الحجَّاجَ من أصحاب رسول اللَّه - ﷺ - لا يُنازعونه، ولا يمتنعون من طاعته فيما يقوم به الإسلام، ويكملُ به الإيمان.

وكذلك من في زمنه من التابعين: كابن المسيِّب، والحسن البصري، وابن سيرينَ، وإبراهيم التيميِّ، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأُمَّة.

واستمرَّ العمل علىٰ هذا بين علماء الأُمَّة من سادات الأُمَّةِ وأَئمتِّها، يأمرون بطاعة اللَّه ورسوله، والجهاد في سبيله مع كُلِّ إمامٍ بَرٍّ أو فاجرٍ، كما هو معروف في كتب أصول الدِّين والعقائد.

وكذلك بنو العبَّاس استولَوْا علىٰ بلاد المسلمين قهْرًا بالسيف، ولم يساعدْهم أحدٌ من أهل العلم والدِّين، وقتلوا خَلْقًا كثيرًا، وجَمًّا غَفيرًا من بني أميَّة، وأمرائهم، ونُوَّابهم، وقتلوا ابن هُبَيْرَةَ أميرَ العراق، وقتلوا الخليفة مروان، حتىٰ نُقِلَ أنَّ السَّفَّاح قَتَل في يوم واحدٍ الثمانين من بني أُميَّة، ووضع الفُرُشَ علىٰ جُثَثِهم، وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب.

ومع ذلك فسيرة الأئمة: كالأوزاعيِّ، ومالكٍ، والزُّهْريِّ، واللَّيْثِ بنِ سَعْدٍ، وعطاء بن أَبي رباحٍ - مع هؤلاءِ الملوك لا تَخْفَىٰ علىٰ مَنْ له مُشاركة في العلم والاطِّلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم: كأحمد بن حَنْبلٍ، و محمَّد بن إسماعيل، ومحمَّد بن إدريس، وأحمد بن نوحٍ، وإسحاق بن راهَوَيْهِ، وإخوانهم - وقع في عصرهم من الملوك ما وقع من البدع العظام، وإنكار الصفات، ودُعُوا إلىٰ ذلك، وامْتُحِنُوا فيه، وقُتِلَ من قُتِلَ: كمحمد بن نصرٍ، ومع ذلك فلا يُعْلَمُ أنَّ أحداً منهم نزع يداً من طاعة، ولا رأىٰ الخروجَ عليهم»[1] .

اللهمَّ إنا نسألك أن تُؤلِّف بين قلوبنا، وتُوحِّدَ كلمتنا، وتجْمَعَنا علىٰ مَنْ ولَّيتهُ أمرَنا، يا ربَّ العالمين.

(١) الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النجدية (٧/ ١٧٧، ١٧٨).



الخطبة الأولى

معاملة الحكام على ضوء الكتاب والسنة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، إن السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصلٌ من أصول الدِّين الذي ندينُ اللَّهَ به، فإنه لا دينَ إلاَّ بجماعةٍ، ولا جماعةَ إلاَّ بإمامةٍ، ولا إمامةَ إلا بسمعٍ وطاعةٍ، وقد أجمع أهلُ السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة لولاةِ الأمور استناداً إلى النصوص الواردة في ذلك، ومنها:

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] .

قال النوويُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «المراد بأولي الأمر: مَنْ أَوجب اللَّه طاعتَهُ من الوُلاة والأُمراء، وهو قول جماهير السَّلف والخَلَف من المفسِّرين، والفقهاء، وغيرهم، وقيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء والعلماء»[١] .

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ : «والظاهرُ واللَّه أَعلمُ أنها عامَّةٌ في كلِّ أُولي الأَمر من الأُمراء والعلماء»[٢] .

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث عبد اللَّه بن عُمَر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال: «**على المرْءِ المُسْلِمِ السمْعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكَرِهَ، إلاَّ أن يُؤْمَرَ بمعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سَمْعَ ولا طاعةَ**» .

قال الإمام القلْعيُّ: «ولا يُفهَم من ذلك أنه إذا أَمَرَ بمعصيةٍ فلا يُسمع له مُطْلقًا في كلِّ أوامره، بل يُسمع له ويُطاعُ مُطْلقًا إلاَّ في المعصية، فلا سمعَ ولا طاعةَ»[٤] .

وفي «صحيح مسلم»[٥] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ : «**عليْكَ السمْعُ والطاعةُ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأَثَرَةٍ عليك**» .

قال العلماء: معناه: تجبُ طاعةُ وُلاة الأُمور فيما يشقُّ وتكرهُهُ النُّفُوسُ وغيره مما

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢٢٣) .
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٨) .
(٣) البخاري (١٣/ ١٢١)، ومسلم (٣/ ١٤٦٩) .
(٤) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة (ص١١٤) .
(٥) رواه مسلم (٣/ ١٤٦٧) .

ليس بمعصيةٍ، فإن كانت معصية فلا سمعَ ولا طاعةَ.

وقال النووي: «الأَثَرةُ: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي: اسمعوا وأطيعوا، وإن اختصَّ الأُمراء بالدُّنيا، ولم يصلكم حقُّكم مِمَّا عندهم»[١].

أيُّها الناس، إنَّ اللَّه - سبحانه وتعالى - حمَّل الوُلاَة، وأوجب عليهم العدل بين الناس، فإذا لم يُقيموه أثِموا، وحمَّل الرَّعيَّةَ السمعَ والطاعةَ لهم، فإن قاموا بذلك كان الفوزُ والفلاحُ، والنجاةُ من الفتن، وإلا أثموا.

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديثِ عَلْقمةَ بْن وائلٍ الحَضْرميِّ عن أبيه قال: سأَلَ مسلمةُ بنُ يزيدَ الجُعْفِيُّ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: يا نبيَّ اللَّهِ، أرأيتَ إنْ قامتْ علينا أُمراءُ، يسألونا حقَّهم، ويمنعونا حقَّنا، فما تأمُرُنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانيةِ أو الثالثةِ، فَجَذَبَهُ الأَشعثُ بنُ قَيْسٍ، وقال: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلْتُمْ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] - أيضًا - من حديث حُذَيْفَةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، إنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فجاءَ اللَّهُ بخيرٍ، فنحنُ فيه، فهل مِنْ وراء هذا الخيرِ شرٌّ؟: قال: «نعم» قلتُ: هل وراءَ ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: «نعم». قلتُ: فهل وراءَ ذلك الخير شرٌّ؟. قال: «نعم». قلتُ: كيف؟ قال: «يكونُ بَعْدي أئمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بهُدايَ، ولا يستنُّون بسنَّتِي، وسيقومُ فيهم رجالٌ، قلوبُهُم قلوبُ الشياطين في جُثْمانِ إنسٍ».

قال: قلتُ: كيف أصنعُ - يا رسولَ اللَّهِ - إن أَدْرَكْتُ ذلك؟. قال: «تَسْمَعُ وتُطِيعُ

---

(١) شرح مسلم (١٢/ ٢٢٥).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٤).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٦).

للأمير، وإن ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وأُخِذَ مالُكَ، فاسْمَعْ وأَطع» .

عبادَ الله، هل أطرق مسامعكم بهذا التوجيه النبويِّ؟، وكيف أنَّ النبيَّ - ﷺ - وصف هؤلاء الأئمَّة بأنهم لا يهتدون بهَدْيِهِ، ولا يستنُّون بسنَّته؟ وذلك غاية الزَّيْغ والضَّلالِ، ونهاية الفساد والعناد، فهم لا يهتدون بالهدي النبويِّ، لا في أنفسهم، ولا في أهليهم، ولا في رعاياهم، ومع ذلك فقد أمر النبيُّ - ﷺ - بطاعتهم في غير معصية الله، كما جاء الأمر مقيَّدًا في أحاديثَ أُخَرَ.

عبادَ اللَّهِ، لو بلغ الأمر إلى ضربكم، وأخْذِ مالكم، فلا يحملنَّكم ذلك على ترك طاعتهم، وعدم سماع أوامرهم، فإن هذا الجُرْمَ عليهم، وسيحاسبون ويُجازَوْنَ به يومَ القيامةِ.

فإن قادَكمُ الهوى إلى مخالفة هذا الأَمْرِ الحكيم، والشَّرْعِ المستقيم، فلم تسمعوا ولم تطيعوا لأميركم ـ لحقَكمُ الإثْمُ، ووقعتم في المَحْظُورِ.

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: **«مَنْ أطاعني فقد أَطَاعَ اللَّه، ومن عصاني فقد عصى اللَّه، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أَميري فقد عصاني»** .

وفي لفظٍ لمسلمٍ: **«وَمَنْ يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعني، ومَنْ يَعْصِ الأميرَ فقد عَصَاني»** .

وفي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال:

قال رسول اللَّه - ﷺ -: **«اسمعوا وأَطيعوا، وإن اسْتُعْمِلَ عليكم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأَنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ»** .

---

(١) البخاري (١٣/ ١١١)، ومسلم (٣/ ١٤٦٦).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٢).

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عُبادة بن الصَّامت ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: دعانا رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنَا على السَّمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرةٍ علينا، وألاَّ نُنازعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قال: «**إلا أن تَرَوْا كُفْرًا بواحًا، عندكم من اللَّه فيه بُرْهَانٌ**».

أيُّها الناسُ، قد قال أهل العلم: إنه متى رأينا كُفْرًا بَوَاحًا، فالخروج على الحُكَّام مشروطٌ بالقُدْرَة، فإذا لم توجد القُدْرَةُ، فلا داعيَ لسَفْك دمائنا ودماء المسلمين، ولا نَنْزع يداً من طاعةٍ، فنحن نطيعهم من غير معصية اللَّه حِرْصًا على مصلحة المسلمين، وحَقْنًا لدمائهم.

وإننا نُحَذِّر في هذه الحالات ـ وغيرها ـ من الالتفاف حول الأحداث والمُرْجفين على وُلاة أمر المسلمين، فمثل هذه المسائل لا يفصل فيها إلا علماءُ الأُمَّة الكبار، فإذا أجمعوا على أمر بحيث لا يوجد لهم منازع فحيَّ هلا، وأمَّا الأحداث فليسوا أهلاً للاجتهاد في هذه الأمور العظام، وقد ابتليت الأمَّةُ بهذا الصِّنف من الناس خلال العصور الغابرة، وفي عصرنا هذا أشد، وسوف أضرب لكم مثلاً بعصر الإمام أحمد بن حَنْبلٍ ـ رحمه اللَّه ـ: فلقد تبنَّى الوُلاة في زمنه أحد المذاهب الفكريَّة السَّيِّئة، وحملوا الناسَ عليه بالقوة والسيف، وأُهْرِيقتْ دماءُ جَمٍّ غفيرٍ من العلماء بسبب ذلك، وفُرِضَ القولُ بخَلْق القرآن على الأُمَّة، وقُرِّرَ ذلك في كَتَاتيبِ الصِّبيان، إلى غير ذلك من الطَّامَّات والعظائم، ومع ذلك كلِّه فالإمام أَحْمَدُ لا ينازعُهُ هوى، ولا تستجيشه العواطفُ، بل يثبت على السنة؛ لأنها خير وأهدى، فيأمر بطاعة وليِّ الأمر، ويجمع العامَّة عليه، ويقف كالجبل الشامخ في وجه من أراد مخالفة المنهج النبويِّ، والسِّيَر السلفية انسياقًا وراء العواطف المجرَّدة عن قُيُود الكتاب والسنَّة، أو المذاهب الثوريَّة الفاسدة.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٠)، واللفظ له.

فقد جاء في «الآداب الشرعية» لابن مُفلحٍ، والسُّنَّة للخلاَّل[1] عن حَنْبلٍ ـ رحمه اللَّه ـ قال: «اجتمع فُقَهاءُ بَغْداد في ولايةِ الواثقِ إلىٰ أبي عبد اللَّه ـ يعني الإمام أحمدَ بنَ حنبلٍ ـ رحمه اللَّه ـ، وقالوا له: إنَّ الأمر قد تفاقمَ وفَشَا ـ يعنون إظهارَ القولِ بخَلْقِ القرآنِ، وغير ذلك ـ ولا نرضىٰ بإمارتِهِ، ولا سُلْطانِهِ، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكارِ في قُلوبكُمْ، ولا تَخْلَعُوا يداً من طاعةٍ، ولا تشقُّوا عَصَا المُسْلِمينَ، ولا تَسْفِكُوا دمَاءَكُم، ودماءَ المسلمين معكم، وانظروا في عاقبةِ أَمرِكُم، واصبروا حتىٰ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، ويُسْتَرَاحَ مِن فاجرٍ.

وقال: ليس هذا ـ يعني نَزْعَ أيديهم من طاعتِهِ ـ صوابًا، هذا خلافُ الآثار».

عبادَ اللَّهِ، ما أروعَ هذه الصُّورةَ التي نقلها الناقلون كابراً عن كابرٍ؛ لتشرحَ صراحة التطبيقِ العمليِّ لمذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب!، ألا شاهتْ وجوهُ من تلَوَّثَتْ أفكارهم في هذا الباب، فأفسدوا أيَّما إفسادٍ، وشوَّشوا علىٰ عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب الخطير بما أَلقوه من الشُّبَهِ الفاسدةِ، والحُجَجِ الفاسدَة!.

وليتقِ اللَّهَ ـ تعالىٰ ـ هؤلاء المُرْجفون، ولينتهوا عن صَدِّ الناسِ عن سبيل اللَّه ـ تعالىٰ ـ خدمةً لأَحزابهم، أو ترويجًا لمذاهبهم الفاسدة بمثل هذه الشبه الواهية[2].

قال العلاَّمة ابن عُثَيمين ـ يرحمه اللَّه ـ: «فاللَّهَ اللَّهَ في فَهْم منهج السلف الصالح في التعامل مع السُّلطان، وألاَّ يُتَّخذَ من أخطاء السُّلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلىٰ تنفير القلوب عن وُلاة الأُمور؛ فهذا عَيْنُ المفسدة، وأحد الأُسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس».

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وأخرج القصة الخلال في السنة (ص ١٣٣).

(٢) انظر مقدمة كتاب معاملة الحُكَّام في ضوء الكتاب والسنة لابن برجس.

كـما أنَّ مَلْذءَ القلوب علـى العلماء يُحْـدِثُ التقـليلَ من شَأْنِ العُلَمـاء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها .

فإذا حاول أحدٌ أن يقلِّلَ من هَيْبة العلماء، وهَيْبة وُلاة الأمر ـ ضاع الشرعُ والأمن ؛ لأنَّ الناسَ إن تكلَّم العلماءُ، لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلَّم الأمراءُ تمرَّدوا على كلامهم، وحصل الشرُّ والفسادُ، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلفُ تُجاهَ ذوي السُّلطان، وأن يضبط الإنسانُ نفسَهُ، وأن يعرف العواقب، ولْيُعْلَمْ أن من يثور إنما يخدمُ أعداءَ الإسلام، فليستِ العِبْرَةُ بالثورة، ولا بالانفعال، بل العِبْرَةُ بالحكمةِ»[1] .

وأستغفرُ اللَّه .

(٢)إصلاح الراعي والرَّعية لابن عُثيمين (ص) .



الخطبة الثانية

معاملة الحكام على ضوء الكتاب والسنة

الحمد للَّه ربِّ العالمين، ولا عُدْوانَ إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصَحْبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، سبق الحديث عن طاعة وُلاة الأمور، والآنَ حديثي معكم حَوْلَ المُنْكراتِ الصادرةِ عن الحُكَّام.

أيُّهَا الناس، إن مذهب أهل السنة والجماعة وجوبُ إنكار المنكر بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها سلفُ هذه الأمَّة، فمنها أن يُناصَحَ وُلاةُ الأمورِ سراً فيما صدر عنهم من مُنْكرات، ولا يكون ذلك على رءوس المنابر، وفي مجامع الناس؛ لما يَنْجُمُ عن ذلك - غالبًا - من تأليب العامَّة، وإثارة الرعاع عليهم، وإشعال الفتن(١).

والعمدة في ذلك ما أخرجه الهيثميُّ في «المجمع»، وابن أبي عاصمٍ في «السنة»، والحاكم في «المستدرك» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «ظلال الجنَّة في تخريج السُّنة»(٢) من حديث عياض بن غَنَمٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: **«مَنْ أراد أن ينصحَ لسُلطان بأمرٍ، فلا يُبْدِ لَهُ علانيةً، ولكن ليأخُذْ بيده، فيخلو به، فإن قَبِلَ منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه له».**

---

(١) انظر كتاب معاملة الحكام لابن برجس (ص٤٣).

(٢) المجمع (٥/ ٢٢٩)، والسنة (٢/ ٥٢٢)، وظلال الجنة (٢/ ٥٢١، ٥٢٢).

عبادَ اللَّهِ، هذا الحديث أصل في إخفاء نصيحة السُّلطان، وأن الناصح إذا قام بالنُّصْحِ علىٰ هذا الوجه، فقد بَرِئ وخلتْ ذمَّتُهُ، والحُجَّة إنما هي في حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ لا في قولٍ أو فعلٍ أحدٍ من الناس مهما كان.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

أيُّها الناسُ، إن النصيحة لوُلاةِ الأمور يجب أن تكون سرًّا بناءً علىٰ هذا الحديث العظيم.

قال الإمام عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه[1] ـ: «ليس من منهج السلف التشهير بعُيُوب الوُلاة، وذِكْرُ ذلك علىٰ المنابر؛ لأنَّ ذلك يُفضي إلىٰ الانقلابات، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويُفضي إلىٰ الخروج الذي يضرُّ ولا ينفعُ، ولكن الطريقة المتَّبعة عند السلف النصيحةُ فيما بينهم وبين السُّلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتَّصلون به؛ حتَّىٰ يُوجَّهَ إلىٰ الخير، وإنكارُ المنكرِ يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الرِّبا من دون ذكر مَن فعَلَه، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلانًا يفعلها لا حاكمًا ولا غير حاكم، ولمَّا وقعت الفتنة في عهدِ عثمانَ، قال بعضُ الناس لأسامة بن زَيْدٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ: «ألا تُنكرُ علىٰ عثمانَ؟». قال: «أَؤُنكِرُ عليه عند الناس؟!، لكن أنكر عليه بيني وبَيْنَهُ، ولا أفتحُ بابَ شَرٍّ علىٰ الناس».

ولمَّا فتحوا الشرَّ في زمن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ، وأنكروا علىٰ عُثمانَ جَهْرةً، تمَّت الفتنةُ والقتال والفسادُ، الذي لا يزال الناس في آثاره إلىٰ اليوم، حتىٰ حصلت الفتنة بين عليٍّ ومعاويةَ، وقُتِلَ عُثمانُ وعليٌّ بأسباب ذلك، وقتل جمٌّ كثيرٌ من

(١) من فتاوىٰ للشيخ مطبوعة في آخر رسالة حقوق الراعي والرعية (ص٢٧، ٢٨).

الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العَلَنيِّ، وذكر العيوب عَلَنًا، حتىٰ أبغض الناسُ وليَّ أمرهم، وحتىٰ قتلوه، نسأل اللَّهَ السلامةَ!»

ومِمَّا يدلُّ على إخفاء النصيحة للسُّلطان، والمنع من إعلان الإنكار عليه - ما أخرجه الإمام أحمدُ في «مسنده»، والهيثميُّ في «المجمع» بإسنادٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في تخريج السُّنَّة[1] من حديث سعيد بن جمهان قال: «أتيت عبد اللَّه بن أبي أَوْفَىٰ وهو محجوبُ البصيرة، فسلَّمتُ عليه. قال لي: مَنْ أنت؟ فقلتُ: أنا سعيدُ ابن جُمْهانَ. قال: فما فَعَلَ والدكَ؟ قال: قَتَلَتْهُ الأزارقةُ. قال: لعن اللَّهُ الأزارقة!، لَعَنَ اللَّهُ الأزارقة!، لَعَنَ اللَّهُ الأزارقة!، حدَّثنا رسولُ اللَّهِ - ﷺ - أنهم كلابُ النار قال: قلتُ: الأَزارقة وَحْدَهم أم الخَوَارج كُلُّها؟ قال: بلىٰ، الخوارج كلُّها. قال: قلتُ: فإنَّ السُّلطان يظلم الناس، ويفعل بهم. قال: فتناول يدِي، فَغَمَزَها بيده غَمْزةً شديدةً، ثم قال: وَيْحَكَ - يا بن جُمْهانَ - عليك بالسَّوَادِ الأعظمِ، إن كان السُّلطانُ يسمعُ منك، فأتِه في بيته، فأخبِرْهُ بما تعلم، فإن قَبِلَ منك، وإلاَّ فَدَعْهُ؛ فإنك لستَ بأعلمَ منه».

وممَّا يدلُّ على ذلك ما جاء في «الصحيحين»[2] عن أُسامةَ بنِ زيدٍ أنه قيل له: ألا تدخلُ علىٰ عُثْمَانَ لتكلِّمَهُ؟!. فقال: «أترون أنِّي لا أكلِّمُهُ إلاَّ لأُسمعكم؟!، واللَّهِ، لقد كلَّمتُهُ فيما بيني وبَيْنَهُ، ما دُونَ أن أفتحَ أمرًا لا أُحِبُّ أن أكونَ أوَّلَ مَنْ فتحه».

قال العلاَّمة الألباني - رحمه اللَّه - في تعليقه على هذا الحديث: «يعني المجاهرةَ بالإنكار علىٰ الأُمراء في الملإ؛ لأن في الإنكار جِهاراً ما يُخشىٰ عاقبتُهُ، كما اتفقَ في الإنكار علىٰ عُثمان جِهاراً، إذْ نشأ عنه قتلُهُ».

---

(١) المسند (٤/ ٣٢٢)، والمجمع (٥/ ٢٣٠) وتخريج السنة (٢/ ٥٢٣).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٣٠)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠)، واللفظ له.

ومن دُرر العلاَّمةَ محمد بن صالح العُثَيمين ـ رحمه اللَّه ـ قوله:

«فإن مخالفة السلطان فيما ليس من ضروريَّات الدِّين عَلَنًا، وإنكار ذلك عليه في المحافل، والمساجد، والصُّحف، ومواضع الوعظ ـ وغير ذلك ـ ليس من باب النصيحة في شيء، فلا تَغْتَرَّ بمن يَفْعَلُ ذلك، وإن كان عن حسْنِ نيَّةٍ؛ فإنَّه خلافُ ما عليه السَّلفُ الصالحُ المقتدىٰ بهم، واللَّه يتولَّىٰ هُداك»[1].

اللَّهُمَّ أصلحْ وُلاةَ أمورنا، وأعنَّا علىٰ طاعتِهم، والصَّبْرِ علىٰ جَوْرِهم، ياربَّ العالمين.

---

(١) مقاصد الإسلام (ص٣٩٣).





الخطبة الأولى

مخالفات في العقيدة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ بَعْضِ المُخالفاتِ في العقيدةِ، التي يقعُ فيها كثيرٌ من الناس.

والعقيدةُ ـ أيُّها الناسُ ـ أمرُها عظيمٌ؛ فوجب علينا تعلُّمُها، وتعليمُها للناس، وذلك بالدَّعْوة إليها، فإنَّ ذلك سببٌ لإقامةِ دولةِ الإسلام في الدُّنيا، والنجاةِ في الآخرة.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

أيُّها الناسُ، إنَّ المُخالفاتِ في العقيدةِ كثيرة، وسوف أذكرُ طَرَفًا منها؛ لنتجنَّبها.

فمن المخالفات الاستغاثة بغير اللَّه، وصَرْف العبادة لغير اللَّه: كالجِنِّ، والأولياءِ، والمشايخ، والذَّبحِ لهم، وسؤالِهم غُفْرَانَ الذُّنوبِ، وكَشْفَ الكُرُوبِ، وحُصولَ المطلوبِ. وهذا واقعٌ في أكثر البُلدان الإسلاميَّةِ، والذي يعملُ هذا العملَ ـ أو بَعْضَهُ ـ فقد وقع في الشِّرْكِ الأكبرِ. قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ [١] : «أي: ولا يَأْمُرُكُم بعبادةِ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ، لا نبيٍّ مُرْسلٍ، ولا مَلَكٍ مُقرَّبٍ».

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

أي: فلا تعبدوا مع اللَّه أحدًا؛ إذْ عِبادةُ غَيْرِ اللَّهِ مع اللَّهِ ـ أيًّا كان هذا المَعْبُود نبيًّا مُرْسلاً أو مَلَكًا مُقرَّبًا ـ فهي من إشراكِ غَيْرِ اللَّهِ مع اللَّهِ في أمرٍ خاصٍّ باللَّهِ، الذي هو الشِّرْكُ الأَكْبرُ، الذي قال اللَّه عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن المخالفات ـ أيُّها الناسُ ـ إتيانُ السَّحَرَةِ، والكُهَّانِ، والعرَّافين، ونَحْوِهِمْ، وتصديقُهم بما يقولون، فإنَّ هذا من الكُفر بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ.

ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هُريرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَتَى كاهنًا ـ فَصَدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ـ ﷺ ـ**».

وأخرج أبو داود بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(١)] من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصينٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**ليس منَّا مَنْ تطيَّرَ أو تُطيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومَنْ أَتَى كَاهنًا ـ فصدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ـ ﷺ ـ**».

أيُّهَا الناسُ، إنَّ هذه الأحاديثَ لتدلُّ ـ دلالةً قاطعةً ـ على كُفْرِ الكاهنِ والسَّاحرِ، لأنهما يدَّعيانِ عِلْمَ الغَيْبِ، وذلك كُفْرٌ، ولأنهما لا يتوصَّلانِ إلىٰ مقصدهما إلاَّ بخدمة الجِنِّ وعبادتِهم مِنْ دُونِ اللَّهِ، وذلك كُفْرٌ باللَّهِ، وشِرْكٌ به ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٨)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٣٣٠٤).

الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال العلاَّمة ـ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «فدلَّتْ هذه الآيةُ علىٰ أنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وأنَّ السَّحَرَةَ يُفرِّقون بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ، كما دلَّتْ علىٰ أنَّ السِّحْرَ ليس بمُؤَثِّرٍ لذاته نَفْعًا ولا ضرًّا، وإنما يُؤَثِّرُ بإذْنِ اللَّهِ ـ تعالىٰ ـ الكَوْنِيِّ القَدَرِيِّ؛ لأنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هو الذي خَلَقَ الخَيْرَ والشرَّ.

كما دلَّتِ الآيةُ الكريمةُ علىٰ أنَّ الذين يتعلَّمون السِّحْرَ إنَّما يتعلَّمون ما يضرُّهم ولا يَنْفَعُهم، وأنَّه ليس لهم عند اللَّه مِنْ خَلاَقٍ ـ أي: حَظٌّ ونصيبٍ ـ وهذا وعيدٌ عظيمٌ يدلُّ علىٰ شدَّةِ خسارتِهم في الدُّنيا والآخرةِ، وأنَّهم باعوا أنفسَهُم بأَبْخَسِ الأثمانِ، ولهذا ذمَّهُمُ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ ذلك بقول: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾»[١].

وأخيرًا ـ أيُّها الناسُ ـ إنَّ للساحرِ علاماتٍ يُعْرَفَ بها، منها:[٢]

١ ـ يسأل المريضَ عَن اسْمِهِ، أوِ اسْمِ أمِّهِ.

٢ ـ يأخذ أَثَرًا مِنْ آثارِ المريضِ (ثوب ـ قَلَنْسُوَة ـ مِنْدِيل ـ فنيلَة . . . .).

٣ ـ أحيانًا يطلبُ حيوانًا بصفاتٍ مُعيَّنةٍ؛ ليذبَحَهُ ولا يذكرُ اسْمَ اللَّه عليه، وربُّما لطَّخ بدمِهِ أماكنَ الأَلَمِ مِنَ المريضِ، أو يرمي به في مكانٍ خرِبٍ.

٤ ـ كتابة الطَّلاسم.

٥ ـ تلاوةُ العزائم والطَّلاسم غَيْرَ مفهومةٍ.

٦ ـ إعطاء المريضِ (حِجابًا) يحتوي علىٰ مُربَّعاتٍ، بداخِلِها حروفٌ أو أرقامٌ.

---

(١) الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد (ص١٠١، ١٠٢).

(٢) استفدت هذه العلامات من كتاب الصارم البتَّار لوحيد عبد السلام بالي (ص٣٩، ٤٠).

٧ ـ يأمُرَ المريضَ بأنْ يَعْتزلَ الناسَ فترةً مُعَيَّنةً في غُرْفةٍ، لا تدخلُها الشمسُ، ويُسمِّيها العامَّةُ (الحُجْبَة).

٨ ـ أحيانًا يطلبُ من المريضِ ألاَّ يمسَّ ماءً لمدَّةٍ معيَّنةٍ، غالبًا ما تكونُ أربعين يومًا.

٩ ـ يُعطي للمريضِ أشياءَ يدفنُها في الأرضِ.

١٠ ـ يُعطِي للمريضِ أوراقًا، يُحرِقُها، ويتبخَّرُ بها.

١١ ـ يتكلَّمُ بكلامٍ غَيْرِ مفهوم.

١٢ ـ أحيانًا يُخبرُ الساحرُ المريضَ باسمِهِ، واسمِ بلدِهِ، ومُشْكلتِهِ التي جاء مِنْ أجلِها.

١٣ ـ يكتبُ للمريضِ حُروفًا مقطَّعةً فِي ورقةٍ (حِجابٍ)، أو في طبقٍ من الخَزَفِ الأبيض، ويأمرُ المريضَ بإذابتِهِ وشُرْبِهِ.

أيُّها الناسُ، تلك بعضُ علاماتِ الساحرِ، فمتى رأيتَ ـ يا عبدَ اللَّه ـ علامةً واحدةً من تلك العلامات وفِي أحدِ المُعالجين، فهو ساحرٌ بلا أدنى رَيْبٍ، فإيَّاك والذَّهَابَ إليه، وإلا ينطبق عليك قولُ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ: «**مَنْ أَتَى كاهنًا ـ فصدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ـ ﷺ ـ**» رواه الإمامُ مسلم[1] من حديث أبي هريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

ومن المخالفات ـ أيُّها الناسُ ـ الغُلُوُّ في الرَّسولِ ـ ﷺ ـ والتوسُّلُ بجاهِهِ، والإطراءُ في مَدْحِه.

ولا شكَّ أنَّ لنبيِّنا محمَّدٍ ـ ﷺ ـ منزلةً عظيمةً، ومكانةً رفيعةً، لا يبلُغُها أَحَدٌ، لا مَلَكٌ، ولا إنسٌ، ولا جانٌّ، فهو صاحبُ الشفاعةِ، وأكثرُ الأنبياءِ تَبَعًا يومَ القيامةِ،

---

(١) سبق تخريجه.

وقد وصفه ربُّه بصفاتٍ عُظمىٰ، منها: قولُه ـ سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن حِرْصِه علينا أنَّه نهانا عَنِ الغُلُوِّ فيه.

ففي «صحيح البخاريِّ»[1] من حديث عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارى ابْنَ مَرْيَمَ، فإنما أنا عَبْدُهُ، فقولوا: عَبْدُ اللَّهِ، ورسولُهُ**». أي: لا تَمْدَحُونِي بالباطل، ولا تُجاوزوا الحدَّ في مَدْحي، كما غَلَتِ النَّصارىٰ في عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، فادَّعَوْا فيه الأُلُوهيَّةَ، وصِفُوني بما وَصَفَني به ربِّي، فقولوا: عبدُ اللَّهِ، ورسولُهُ.

أيُّها الناسَ، إنَّ الرسول ـ ﷺ ـ هو أفضلُ الخلق وأشْرَفُهم علىٰ الإطلاق، وقد أَرْشَدَنا أنْ نَصِفَهُ بصفتين، هما: عَبْدُ اللَّه، ورسولُه، فهو عَبْدٌ لا يُشاركُ الرَّبَّ في شيء من خصائصه، وقد خالَفَ نَهْيَهُ ﷺ كثير من الناس، فصاروا يَدْعُونَهُ، ويطلبون منه مغفرةَ الذُّنوبِ، وأن يُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ، ويَسْتَغيثون به، ويحلِفُونَ به، ويطلبون منه ما لا يُطْلَبُ إلاَّ من اللَّه، كما يُفعَلُ ذلك في الموالدِ، والقصائدِ، والأناشيدِ. ومن الناس مَنْ يتوسَّلُ بجاهِ النبيِّ ﷺ ومُسْتَنَدُهُمْ في هذا الفِعْلِ إلىٰ حديث: «**توسَّلُوا بجاهي، فإنَّ جاهي عندَ اللَّه عظيمٌ**». وهذا حديث باطلٌ لا أَصْلَ لَهُ في شيء من كُتُبِ الحديثِ السِّتَّة.

قال شيخُ الإسلامِ ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «قاعدة جليلة في التوسُّلِ والوسيلة»[2]: «مَعَ أنَّ جاهَهُ ـ ﷺ ـ أعظمُ مِنْ جاهِ جميعِ الأنبياءِ والمُرْسلين، ولكن جاه المخلوقِ عندَ الخالقِ ليس كجاهِ المخلوقِ عندَ المخلوقِ، فإنَّه لا يشفعُ عندَهُ أحدٌ إلاَّ بإذْنِهِ، والمخلوق يشفعُ عندَ المخلوقِ بغيرِ إذْنِهِ، فهو شريك لَهُ في حُصُول

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) و(٦٨٣٠).

(٢) قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة (ص١٤٧).

المطلوب، واللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا شريكَ لَهُ، كما قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سَبَأ: ٢٢ـ٢٣].

ومن الـمُـخالفات ـ أيُّها الناس ـ تعليقُ التمائم، وهي خرزةٌ، وكتابٌ مكتوبٌ في داخله حُرُوفٌ أو أرقامٌ، أو كلامٌ غيرُ مفهومٍ، فَمَن اعتقد أنَّها تدفع منه الآفاتِ، فقد وقع في الشِّركِ؛ إذ لا مانعَ إلاَّ اللَّه، ولا دافعَ غَيْرُهُ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ـ٥٤].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يُونس: ١٠٧].

فدلَّت هذه الآياتُ الكريماتُ دلالَةً واضحةً علىٰ أنَّه لا يكشفُ الضُّرَّ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّهُ ـ سُبحانه ـ هو الذي يلجأ إليه العبادُ لجلب الخَيْرِ، ودَفْعِ الشرِّ، وهو القادرُ علىٰ ذلك بسببٍ، وبغير سببٍ.

واللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ جعل سببًا شرعيًا وطبيعيًا للشفاء، فالسببُ الشرعيُّ: هو الالتجاءُ إلىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ، يكشفُ عنَّا الضُرَّ. والسببُ الطبيعيُّ: هو الدَّوَاءُ.

وأمَّا التمائمُ فقد حرَّمها اللَّهُ علىٰ لسانِ رسولِهِ ـ ﷺ ـ، بل عدَّها مِنَ الشِّرْكِ.

ففي «مسند» أحمدَ بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ[1] من حديث عُقْبَةَ بنِ عامرٍ الجُهنيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسول اللَّه ﷺ أَقْبَلَ عليه رَهْط، فبايع تسعةً، وأمسَكَ عَنْ واحدٍ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، بايعت تسْعةً، وتركتَ هذا؟! قال: «إنَّ عليْه تميمةً». فأَدْخَلَ يَدَهُ فقطعها، فبايعه، وقال: «مَنْ عَلَّقَ تميمةً فقدْ أشْرَكَ».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث عيسىٰ بن عبد الرَّحمن قال: دخلْنا علىٰ عبدِ اللَّهِ بن عُكَيْمٍ، وبه حُمْرةٌ (أي داءٌ من جِنْس الطواعين، يَعْتَري الناسَ، فَيَحْمَرُّ مَوْضعُهُ ويرِمُ)، فقلتُ: ألاَ تُعَلِّقَ شيئًا؟. فقال: المَوْتُ أَقْربُ مِنْ ذلك؛ قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[3] عَنْ زَيْنَبَ امرأة عبد اللَّه (يعني ابْنَ مسعودٍ) قالتْ: كان عَبْدُ اللَّه إذا جاء مِنْ حاجةٍ، فانتهىٰ إلىٰ الباب، تَنَحْنَحَ وبَزَقَ كراهيَةَ أنْ يَهجمَ منَّا علىٰ شيءٍ يَكْرَهُهُ. قالتْ: وإنَّه جاءَ ذاتَ يوم فَتَنَحْنَحَ. قالتْ: وعِندي عجوزٌ تَرْقِيني مِنَ الحُمرةِ، فأَدْخَلْتُها تحتَ السَّرير، فدَخَلَ وجلَسَ إلىٰ جَنْبِي، فرأىٰ في عُنُقِي خَيْطًا، قال: ما هذا الخَيْط؟ قالتْ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لي فيه. قالتْ: فأخَذَهُ، فقطَعَهُ، ثمَّ قال: إنَّ آل عَبْد اللَّه لأَغْنِياءُ عَنِ الشِّرْك، سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى، والتَّمَائمَ، والتِّوَلَةَ شِرْكٌ». قالوا: يا أبا عَبْد الرَّحمن، هذهِ الرُّقَىٰ والتمائمُ قَدْ عَرَفْنَاهُما، فما التِّوَلَةُ؟ قال: شيءٌ تَصْنَعُهُ النِّساءُ، يَتَحبَّبْنَ إلىٰ أَزْواجِهِنَّ.

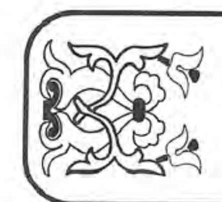
وأستغفرُ اللَّه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٥٦).
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٥٨٤).



الخطبة الثانية

مُخالفات في العقيدة



الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، سبق الحديث معكمْ حَوْلَ مُخالفاتٍ في العقيدة، وما مِنْ شكٍّ أنَّ المخالفاتِ بَحْرٌ لا ساحلَ له، ومُحيطٌ بعيدُ الأعماقِ، والذي يعصِمُ الإنسانَ مِن الوُقُوعِ في المخالفاتِ هُوَ العِلمُ.

والحديثُ عَن العِلْم ذُو شُجُونٍ، ويكفي في معرفةِ فضل العلمِ أنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ فَضَّلَ الكَلْبَ المُعَلَّمَ على الكلبِ غَيرِ المُعَلَّمِ، وجعل صَيْدَ الكلبِ المُعَلَّمِ حَلالٌ، وحرَّم صَيْدَ الكَلْبِ غَيْر المُعلَّم.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤].

أيُّها الناسُ، من المخالفات التي يقعُ فيها كثيرٌ من الناس القَوْلُ بأنَّ اللَّه في كُلِّ مكانٍ، وهذا القولُ مخالفٌ لكتابِ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، وسُنَّة رسولِ اللَّه ﷺ، وإجماعِ السَّلَف.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقد فسَّر السَّلَفُ الاستواء بالعُلُوِّ والارتفاع.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلك: ١٦].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النَّحل: ٥٠].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «ألا تأمَنُوني وأنا أمينُ مَنْ في السَّمـاءِ، يأتيني خَبَـرُ السماءِ صباحًا ومساءً؟!».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديثِ مُعاوية بْنِ الحَكَم السُّلَميِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال للجارية: «أيْنَ اللَّه؟». قالت: في السَّماءِ. قال: «مَنْ أنا؟» قالتْ: أنت رسولُ اللَّه. قال: «أَعْتِقْها؛ فإنَّها مُؤمنة».

وهذه الأدلة كُلُّهَا تدلُّ على أنَّ اللَّه - سبحانه وتعالى - في السَّماءِ، وهو معنا في كُلِّ مكان بِعلْمِه، لا يخلو منه شيءٌ، ومَن اعتقدَ أنَّ اللَّه - سبحانه وتعالى - في كُلِّ مكانٍ بذاتِهِ فهو كافرٌ يُستتابُ، وكيف لا يكون كافرًا مَنِ اعتقدَ ذلك، ومَوْضع أقدامِهِ يُطلَقُ عليها مكانٌ، والمَزَابِلُ يُطْلَقُ عليها مكانٌ؟!، وقِسْ على ذلك.

فما هو حكمُ مَنِ اعتقدَ أنَّ رَبَّهُ في كُلِّ مكانٍ بذاته؟!

ورَحِمَ اللَّهُ إمامَ الأئمَّة ابْن خُزَيْمةَ حيثُ قال: «مَنْ لم يُقِرَّ بأنَّ اللَّهَ على عَرْشِهِ، استوى فوق سَبْع سَمواتِهِ، بائنٌ (أي مُنْفَصِلٌ) من خَلْقِهِ - فهو كافرٌ، يُستَتَابُ، فإن

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

تاب، وإلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وأُلْقِي على مَزْبَلَةٍ؛ لئلاَّ يتأَذَّى بريحِهِ أهلُ القِبْلَةِ، وأَهْلُ الذِّمَّةِ».

أيُّهَا الناسُ، إن كلامَ السَّلَفِ في استواءِ اللَّهِ على عَرْشِهِ أكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَرَ في خُطْبَةٍ، وسوف أذكر طَرَفًا مِنْ ذلك:

قال الأوزاعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «كُنَّا ـ والتابعون متوافرون ـ نقولُ: إنَّ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ فَوْقَ عَرْشِهِ، ونُؤمِنُ بما وَرَدَتْ به السُّنَّةُ مِنْ صِفاتِهِ».

وقال الإمامُ مالكٌ ـ رحمه اللَّه ـ: «اللَّهُ في السماءِ، وعِلْمُهُ فِي كُلِّ مكانٍ، لا يخلو منه شيءٌ».

وعن عليِّ بْنِ الحُسينِ بْنِ شقيقٍ قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ بْنِ المُبارك: «كيف نَعْرِفُ رَبَّنا ـ عَزَّ وجَلَّ ـ؟ قال: في السماءِ السَّابعةِ على عَرْشِهِ، ولا نقولُ كما تقولُ الجهْمِيةُ: إنَّهُ ها هُنا في الأَرْضِ» فقيل هذا لأحمدَ بْنِ حَنْبلٍ، فقال: «هكذا هو عِنْدَنا».

وقال الشافعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «القولُ في السُّنَّةِ التي أنا عليها، ورأيتُ عليها الذين رأيتُهم ـ مِثْلَ سُفْيانَ، ومالكٍ، وغَيْرِهِما ـ الإقرارُ بشَهادةِ أن لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، وأنَّ اللَّهَ على عَرْشِهِ في سمائِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كيفَ شاءَ، ويَنْزِلُ إلى السماءِ الدُّنْيا كيف شاء».

وقيل للإمام أحمدَ ـ رحمه اللَّه ـ: «اللَّهُ فَوقَ السماءِ السابعةِ على عَرْشِه، بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وقُدْرَتُهُ وعِلْمُهُ بكُلِّ مكانٍ؟» قال: «نَعَمْ، هو على عَرْشِهِ، ولا يخلو شيءٌ مِنْ عِلْمِهِ».

وعَنْ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي حاتمٍ قال: سألتُ أبي وأبا زُرْعَةَ ـ رحمهما اللَّه ـ عَنْ مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ في أصولِ الدِّينِ، وما أَدْرَكَا عليه العلماءَ في جميعِ الأَمْصارِ، وما

يَعْتقدانِ مِنْ ذلك، فقالا: «أدْرَكْنا العلماءَ في جميعِ الأمصارِ، فكان من مذاهبهم أنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، يَزيدُ ويَنْقُصُ، والقُرآنَ كلامُ اللَّهِ، غَيْرُ مخلوقٍ بجميع جهاتِه، والقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ مِنَ اللَّهِ - تعالىٰ -، وأنَّ اللَّه علىٰ عَرْشِهِ، بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كما وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كتابِهِ، وعلىٰ لسانِ رسولِهِ بلا كيف، أحاط بكُلِّ شيءٍ عِلْمًا، ليس كمِثْلِهِ شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ».

وقال عبدُ القادرِ الجيليُّ - رحمه اللَّه -: «وهو مُسْتوٍ علىٰ العَرْشِ، مُحْتوٍ علىٰ المُلْكِ، مُحيطٌ عِلْمُهُ بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ولا يجوزُ وصفُهُ بأنَّهُ في كُلِّ مكانٍ، بل يُقالُ: إنَّهُ في السماء علىٰ العَرْشِ، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وينبغي إطلاق ذلك مِنْ غَيْرِ تأويلٍ، وكونُهُ علىٰ العَرْشِ فمذكورٌ فِي كُلِّ كتابٍ أُنزِلَ علىٰ كُلِّ نبيٍّ أُرْسِلَ بلا كيف»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيْمِيَّةَ - رحمه اللَّه -: «وَقَدْ دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أَخْبَر اللَّهُ به في كتابهِ، وتواتَرَ عَنْ رسولِهِ، وأَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ مِنْ أنَّهُ - سبحانه - فوق سَمواتِهِ علىٰ عَرْشِهِ، عليٌّ علىٰ خَلْقِهِ، وهو سبحانه معهم أيْنَما كانوا، يَعْلَمُ ما هم عاملون، كما جَمَعَ بَيْنَ ذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أنه مُخْتَلِطٌ بالخَلْقِ؛ فإنَّ هذا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ،

---

(١) مختصر العُلُوِّ للذهبي بتحقيق الألباني (ص١٣٧).

وهو خِلافُ ما أَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ، وخِلافُ ما فَطَرَ اللَّهُ عليه الخَلْقَ، بَلِ القَمرُ آيةٌ من آياتِ اللَّهِ، ومِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقاتِهِ، وهو موضوعٌ في السماءِ، وهُوَ مَعَ المُسافِرِ، وغيرِ المُسافِرِ، أَيْنما كان، وهوَ - سبحانه - فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقيبٌ على خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عليهم، مُطَّلِعٌ عليهم، إلى غَيْرِ ذلك من معاني رُبُوبيَّتِهِ»[1] .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لنا دِينَنا الذي هُوَ عِصْمَةُ أمرِنا، وأصلحْ لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلحْ لنا آخرتنا التي فيها معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

---

(١) الواسطية بشرح الفوزان (ص١٢٩).



الخطبة الأولى

الإخلاص



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ الإخلاصِ للَّهِ - عزَّ وجلَّ -.

فهو أعظمُ العبادات، وأهمُّها وأكبرُها، إنَّهُ عبادةُ القَلْبِ.

أيُّها الناسُ، إنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - خَلَقَنا لعبادته، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأَمَرَنا - عزَّ وجلَّ - بالإخلاصِ في هذه العبادةِ، فقال - عزَّ وجلَّ - : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الرُّوم: ٣٠].

ومعنىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي: توجَّهْ - بقَلبِكَ وقَصْدِكَ - إلىٰ إقامةِ شرائعِ الدِّينِ.

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

أي الصافي من جميعِ الشوائبِ.

وأخبر - سبحانه وتعالى - أنَّ العالمين كُلَّهم هالكون إلاَّ الذين أخلصوا دينهم للَّه، فقال - عزَّ وجلَّ - : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

ولا يتخلَّصُ العَبْدُ من الشيطان إلاَّ بالإخلاص لقول اللَّه - عزَّ وجلَّ - حاكيًا عن إبليسَ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحِجْر: ٣٩، ٤٠].

وأخبر - عزَّ وجلَّ - أنه لا يقبلُ منَ العَمَلِ إلاَّ ما كان خالصًا لوجهه، فقال - عزَّ وجلَّ - : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكَهْف: ١١٠].

قال ابنُ كثيرٍ - رحمه اللَّه - : «وهذانِ رُكْنَا العَمَلِ المُتَقَبَّلِ، لابُدَّ أنْ يكونَ خالصًا لِلَّهِ، صوابًا علىٰ شريعةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ»[1].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦).

عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

قال الفُضَيلُ بْنُ عياضٍ: «هو أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ» قالوا: يا أبا عليٍّ، ما أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ؟ فقال: «إنَّ العَمَلَ إذا كان خالصًا، ولم يكنْ صوابًا، لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا، ولم يكنْ خالصًا، لم يُقْبَلْ، حتَّىٰ يكونَ خالصًا صَوَابًا، والخالصُ: أنْ يكونَ لِلَّه، والصَّوابُ: أن يكونَ علىٰ السُّنَّة» ثمَّ قَرأَ قولَهُ - عزَّ وجلَّ -: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠][1].

وأَخْبَرَ رسولُ اللَّه ﷺ - أنَّ اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - لا يَقْبَلُ مِنَ العَبْدِ عَمَلاً، إلاَّ إذا كانَ خَالِصًا، وابْتُغِيَ به وَجْهُ اللَّهِ.

ففي «سنن النسائيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي أُمامَةَ - رضي اللَّه عنه - قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فقال: أرَأَيْتَ رجلاً غَزَىٰ يلتمسُ الأَجْرَ والذِّكْرَ، ما لَهُ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا شيءَ له» فأعادها ثلاثَ مِرارٍ، ويقولُ رسولُ اللَّه - ﷺ -: «لا شيءَ له» ثمَّ قالَ: «إنَّ اللَّه لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ ما كان له خالصًا، وابْتُغِيَ به وَجْهُهُ».

بَل إنَّ اللَّه - عزَّ وجلَّ - لا يقبلُ عَمَلاً، ابْتُغِيَ به وَجْهُهُ - عزَّ وجلَّ - إنْ كان قَدْ شابَهُ شائبةٌ مِنْ شِرْكٍ كطلبِ الأجْرِ مِنَ اللَّهِ، ثمَّ طَلَبِ مَحَامِدِ النَّاسِ، واستحسانِهِمْ لصاحِبِهِ.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول ﷺ: «قال اللَّه - تعالى - أنا أَغْنَى الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ، من عَمِلَ عَمَلاً، أَشْرَكَ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).
(٢) رواه النسائي (٦/ ٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٥٦).
(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥).

فيه معي غيري، تركْتُهُ وشِرْكَهُ».

وأخبَر النبيُّ - ﷺ - أنَّ أوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ، تُسعَّرُ بهـمُ النَّارُ يومَ القيامةِ، هُمُ الذين طلبوا محامدَ النَّاسِ بأعمالِهِمْ.

ففي «صحيح مسلم»[(1)] ، و «سننِ التِّرْمذيِّ» من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - وفيه قصة مؤثرة على تذكر النار وهولها في ذلك الموقف العظيم. اهـ - قال: حدَّثني رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ - تعالى - إذا كان يومُ القيامة يَنْزِلُ إلى العباد؛ ليقضيَ بَيْنَهُمْ، وكُلُّ أُمَّـةٍ جاثيـةٌ، فـأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو به رجُلٌ جَـمَعَ القُـرآنَ، ورجلٌ قُتِـلَ في سَبِيلِ اللَّه، ورجُلٌ كثيرُ المال، فيقـولُ اللَّهُ للقارئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُ على رَسُولي؟. قال: بلى يارب. قال: فـماذا عَمِلْتَ فيـما عَلِمْتَ؟. قال: كنتُ أقـومُ به آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهارِ. فيـقولُ اللَّهُ له: كَذَبْتَ. وتقـولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقـولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدتَ أنْ يُقَالَ: فُلانٌ قارئ، ويُؤتى بصاحبِ المالِ، فيقولُ اللَّهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عليك، حتَّى لَمْ أَدَعْكَ تحتاجُ إلى أحَدٍ؟ قال: بلى، يارب. قـال: فماذا عَمِلْتَ فيمـا آتيتُكَ؟ قال: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وأتصدَّقُ. فيقولُ اللَّهُ له: كَذَبْتَ. وتقولُ الملائكةُ له: كَذَبْتَ. ويقولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَـالَ: فُلَانٌ جَوادٌ، وقـد قيل ذلـك. ويُؤتَى بالذي قُتِلَ في سـبيلِ اللَّه، فـيقـولُ اللَّهُ له: فيماذا قُتِلْتَ؟ فـيقولُ: أُمِرْتَ بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ، حـتَّى قُتِلْتُ. فيقولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أنْ يُـقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فقد قـيل ذلك». ثمَّ ضَرَبَ رسولُ اللَّـه - ﷺ - على رُكْبتيهِ، فقال: «يا أَبَا هُرَيـرةَ، أولئك الثلاثةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّه، تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ يومَ القيامة».

وفضائلُ الإخلاصِ - أيُّها الناسُ - لا تكادُ تُحصَرُ:

---

(1) رواه مسلم (١٩٠٥)، والتِّرمذيُّ (٢٥٠٢)، واللَّفظ له.

فمنْ فضائله أنَّ المُخْلصَ ينالُ أجرًا بغيرِ عَمَلٍ.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عبد اللَّه بن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - عَنْ رَسولِ اللَّه ﷺ فيما يَرْوي عَنْ رَبِّه - تبارك وتعالى - قال: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فمَنْ هَمَّ بحسنة، فلم يَعْمَلْهَا، كَتَبَها اللَّهُ - تبارك وتعالى - عنْدَهُ حَسَنَةً كاملةً، فَإنْ هو هَمَّ بهـا، وعَمِلَها، كَتَبَهـا اللَّهُ له عنده عَشـرَ حسنات إلى سَبْعمـائة ضعْف إلى أضْعاف كثيرة، وَمَـنْ هَمَّ بسيِّئَة، فلم يَعْمَلْهَا، كَتَبَها اللَّه له عِنْدَهُ حسنةً كاملةً، فإنْ هُوَ هم بها، فَعَمِلَهَا، كتبها اللَّهُ لَهُ سيِّئةً واحدةً».

وفي «الصحيحين»[2] من حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي اللَّه عنهما - قال: كُنَّا مع النَّبيِّ - ﷺ - في غَزَاةٍ، فقال: «إنَّ بالمدينة لَرِجَالاً، ما سِرْتُمْ سيرًا، ولا قَطَعْتُمْ واديًا، إلاَّ كانوا معكُم، حَبَسَهُمُ المَرَضُ».

وفي رواية: «إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأَجْرِ».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أَنَسِ بْنِ مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادةَ صادقًا، أُعْطِيها ولو لم تُصِبْهُ».

وفي «سنن النسائي» بسند صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] مِنْ حديثِ أَبي الدَّرداءِ - رضي اللَّه عنه - يُبلِّغ به عن النبيِّ - ﷺ - قال: «مَنْ أَتَى فِراشَهُ، وهو يَنْوِي أنْ يَقُومَ يُصَلِّي منَ اللَّيلِ، فغلبَتْهُ عَيْنَاهُ، حَتَّى أَصبَحَ - كُتِبَ له ما نَوَى، وكان نَوْمُهُ صَدَقَةً عليه مِنْ رَبِّهِ - عزَّ وجلَّ -».

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).
(٢) رواه البخاري (٢٨٣٩)، ومسلم (١٩١١)، واللَّفظ له.
(٣) رواه مسلم (١٩٠٨).
(٤) أخرجه النسائي (١٦٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٤١).

ومن فضائل الإخلاصِ أنَّ وُجُودَ المُخلصين سببٌ عظيمٌ من أسباب النَّصْرِ لهذه الأُمَّة.

ففي «سنن النسائي» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(١) من حديثِ سَعْد - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هذه الأُمَّةَ بضعيفها، بدَعْوَتِهِمْ، وصلاتِهِمْ، وإخْلاصِهِمْ**».

ومن فضائل الإخلاصِ الأَجْرُ العظيمُ علىٰ العَمَلِ القليلِ.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»(٢) من حديثِ عَبْدِ اللَّه بنِ عَمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - ﷺ - يقولُ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي على رُءوسِ الخلائق يومَ القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسْعينَ سجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شيئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتي الحافظون؟ فيقولُ: لا، يارب. فيقولُ: ألك عُذْرٌ أو حسنةٌ؟ فيبهتُ الرَّجلُ، فيقولُ: لا، يارب. فيقولُ: بَلَى، إنَّ لَكَ عِنْدَنا حَسَنَةً واحدةً، وإنَّهُ لا ظُلْمَ عليكَ اليَوْمَ، فَتُخْرَجُ له بطاقةٌ، فيها: أَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ اللَّه، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسُولُهُ، فيقولُ: أحْضرْ وزنَك. فيقولُ: يارب، ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلاَّت؟! فيقالُ: فإنَّكَ لا تُظْلَمُ. قال: فَتُوْضَعُ السِّجلاَّتُ في كفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتِ السِّجلاَّتُ، وثَقُلَتِ البطاقَةُ، ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شيءٌ**».

قال شيخُ الإسلامِ - رحمه اللَّه - في شرحِهِ لهذا الحديث: «والنوعُ الواحدُ مِنَ العَمَلِ، قَدْ يَفْعَلُهُ الإِنسانُ علىٰ وَجْهٍ يكْمُلُ فيه إخلاصُهُ وَعُبُوديَّتُهُ للَّه، فيغفرُ اللَّهُ به كبائرَ، كما في حديثِ البطاقةِ. . فهذه حالُ مَنْ قالها بإخلاصٍ وصِدْقٍ، كما قالها

(١) أخرجه النسائي (٢٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٧٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٢٧).

هذا الشخصُ، وإلاَّ فأهلُ الكبائرِ الذين دخلوا النارَ كُلُّهم يقولون التوحيدَ، ولم يترجَّح قَوْلُهُمْ علىٰ سيِّئَاتِهم، كما ترجَّحَ قولُ صاحبِ البطاقةِ».

ثمَّ ذَكَرَ ابن تيميَّةَ حديثَ البَغِيِّ، التي سَقَتْ كَلْبًا، فغفر اللَّهُ لها، والرَّجُلِ الذي أماط الأَذَىٰ عن الطريقِ، فغفر اللَّهُ له، ثم قال: «فهذه سَقَتِ الكَلْبَ بإيمانٍ خالصٍ كان في قلبها، فَغُفِرَ لها، وإلاَّ فليس كُلُّ بَغيٍّ سَقَتْ كَلْبًا يُغْفَرُ لها. . . فالأعمالُ تتفاضلُ بتفاضُلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإجلال» (١).

أيُّها الناسُ، يجبُ علينا معرفةُ أعمال القُلُوب، ومن ذلك الإخلاصُ، فالإيمانُ عندَنا ـ مَعْشَرَ أهْلِ السُّنَّةِ ـ هو: إقرارٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالجَنانِ (أي بالقَلْبِ)، وعَمَلٌ بالأركانِ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالعِصْيان.

والإخلاصُ هو أهمُّ أعمالِ القُلوبِ المُنْدَرجةِ في أعمالِ الإيمانِ، وأعمالُ القُلوبِ أعظمُ من أعمالِ الجَوارحِ، كما ذكر ذلك أهلُ العلمِ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ عن الأعمال القلبيَّة: «وهي من أُصول الإيمانِ، وقواعدِ الدِّين، مثل: محبَّةِ اللَّه ورسولِه، والتَّوكُّلِ علىٰ اللَّه، وإخلاصِ الدِّينِ للَّه، والشُّكْرِ له، والصَّبْرِ علىٰ حُكْمِه، والخوفِ مِنْهُ، والرَّجاءِ له. . . وهذه الأعمالُ جميعُها واجبةٌ علىٰ جميعِ الخَلْقِ باتِّفاقِ أئمَّةِ الدِّين» (٢).

وقال الإمامُ ابْنُ القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ في بيان عِظَمِ أعمال القُلُوب: «أعمالُ القُلُوبِ هي الأصلُ، وأعمالُ الجوارحِ تَبَعٌ ومُكمِّلةٌ، وإنَّ النِّيَّةَ بمنزلَةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بِمَنزلةِ الجَسَدِ للأعضاءِ، الذي إذا فارق الرُّوحَ فمواتٌ» (٣).

(١) منهاج السنة (٦/ ٢١٨).
(٢) الفتاوىٰ (١٠/ ٥).
(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤).

وقال ـ رحمه اللَّه ـ :

«وَمَنْ تأَمَّلَ الشريعةَ في مصادرها ومَوَارِدِها ؛ عَلِمَ ارتباط أعمالِ الجوارحِ بأعمال القلوب، وأنها لا تنفعُ بدُونِها، وأنَّ أعمالَ القلوبِ أفْرَضُ على العَبْدِ من أعمال الجوارحِ، وهَلْ يُمَيَّزُ المؤمنُ عَن المنافقِ إلاَّ بما في قَلْبِ كُلِّ واحِدٍ من الأعمالِ التي مَيَّزَتْ بيْنَهمَا؟، وعُبُوديَّةُ القلب أعظمُ من عُبوديَّةِ الجوارحِ، وأكْثرُ وأدْومُ، فَهي واجبةٌ في كُلِّ وقتٍ»[1] .

وأستغفرُ اللهَ .

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٣٣٠).



الخطبة الثانية

علاج الرياء



الحَمْدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنِ الإخلاصِ وأهمِّيَّتِهِ، والآنَ حديثي معكم حَوْلَ عِلاجِ الرِّياءِ.

فمن عِلاج الرِّياءِ الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[1] مِنْ حديثِ عائشة - رضي اللَّه عنها - قالتْ: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالتْ عائشة: هُمُ الَّذينَ يشربون الخَمْرَ ويسرقون؟ قال: «لا - يا بِنْتَ الصِّدِّيقِ - ولكنَّهمُ الذين يَصُومون، ويُصلُّون، ويتصدَّقون، وهم يخافون ألاَّ يُقْبَلَ منهم، أولئك الذين يُسارعون في الخيرات».

ومِنْ عِلاجِ الرِّياءِ أنْ يعلمَ العَبْدُ أنَّ ما به من نعمة فمن اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

ومن عِلاجِ الرِّياءِ خَوْفُ مَقْتِ اللَّهِ - تعالى - إذا اطَّلع على قَلْبِه، وهو مُنْطَوٍ على الرِّياء:

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٧).

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّـه - ﷺ -: «إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى صُورِكُم وأموالِكُم، ولكنْ ينظرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ».

ومن علاجِ الرِّياءِ النَّظرُ في عاقبةِ الرِّياءِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث عبدِ اللَّه بْنِ عمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - قال: سمعتُ رسول اللَّه - ﷺ - يقولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بعملِهِ، سَمَّعَ اللَّهُ به مَسَامِعَ خَلْقِهِ، وصغَّرَهُ وحقَّرَهُ».

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٣)] من حديثِ أبي سعيدِ بْنِ أبي فَضالةَ الأنصاريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «إذا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ ليومِ القيامة، ليومٍ لا رَيْبَ فيه، نادى مُنادٍ: مَنْ كان أشْرَكَ في عَمَلٍ عَمِلَهُ للَّهِ أَحَدًا، فليطلُبْ ثوابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ أغْنَى الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ».

ومن علاجِ الرِّياء أنَّ يعلمَ العبدُ أنَّ النَّاسَ لو اجتمعوا على أنْ يَنْفَعُوهُ بشيءٍ، لم ينفعوه إلاَّ بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ له.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٤)] من حديث عبد اللَّه بْنِ عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - قال: كنتُ خَلْفَ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه أحمد (٦٥٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢١).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٣).

رسول اللَّه - ﷺ - يومًا، فقال: «يا غُلامُ، إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احفظ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استَعَنتَ فاستعنْ باللَّه، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ، لم ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لك، وإن اجتمعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يضرُّوك إلاَّ بشيءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عليك، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

ومنْ علاجِ الرِّياءِ الإكثارُ من العبادةِ غيرِ المُشاهَدَةِ: كقيامِ اللَّيلِ، وصدقةِ السِّرِّ، والبكاءِ في الخَلْوةِ من خشيةِ اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وحثَّ النَّبيُّ - ﷺ - علىٰ صلاةِ النَّفْلِ في البُيُوتِ للابتعادِ عن الرِّياءِ والسُّمْعَةِ.

ففي «الصحيحين»[١] من حديثِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «صَلُّوا - أيُّها الناسُ - في بُيُوتِكم؛ فإنَّ أَفْضَلَ الصلاةِ صلاةُ المَرْءِ في بَيْتِه إلاَّ المَكْتُوبَةَ».

وكذلك الصلاةُ في جَوفِ الليلِ، والعبدُ في هذا الوقتِ بعيدٌ عَنِ النَّاسِ.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ - قال: «يَنْزِلُ رَبُّنا - تبارك وتعالى - كُلَّ ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا، حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فأَسْتَجِيبَ له؟، مَنْ يسألُني فأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يستغفرُني فأَغْفِرَ له؟».

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٧٩)، ومسلم (٧٨١).
(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٩)، ومسلم (٧٥٨).

وحثَّ النبيُّ ﷺ علىٰ صدقةِ السِّرِّ.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه، يَومَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ..»، وذكر منهم: «ورجلٌ تصَدَّقَ بصدقة، فأخفاها؛ حتَّى لا تعلمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمينُهُ، ورجُلٌ ذكرَ اللَّهَ خاليًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

ومن علاجِ الرِّياءِ دُعاءُ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - بصَرْفِه.

والدُّعَاءُ أمرُهُ عظيمٌ، فهو من أعظمِ الوسائلِ للقضاءِ علىٰ الرِّياءِ والشِّرْكِ، وقد علَّمَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ دُعاءً يُذْهِبُ عَنَّا صِغَارَ الشِّرْكِ وكِبارَهُ.

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث أبي بَكْرٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الشِّرْكُ فيكم أَخْفَى مِنْ دَبيب النَّمْلِ، وسأدُلُّكَ على شيءٍ، إذا فعلتَهُ أَذْهَبَ عَنْكَ صِغَارَ الشِّرْكِ وكبارَهُ، تقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ أنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأَسْتَغفِرُكَ لما لا أَعْلَمُ».

اللَّهُمَّ اجعلْ أعمالَنا صالحةً وخالصةً لوجْهِكَ الكريم، ولا تجعلْ لأحدٍ منها شيئًا.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك من أن نُشْرِكَ بك شيئًا ونحن نعلمُ، ونستغفرُك لما لا نَعْلَمُ.

وسُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِك، نَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ أَنْتَ، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٣١).



الخطبة الأولى

متابعة الرسـول ـ ﷺ ـ



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ مُتابعةِ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ.

ومتابعـةُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ هو الشَّرْطُ الثاني لقَبُولِ الأعمالِ الصالحة عِندَ اللَّه، والشَّرْطُ الأوَّلُ هو الإخلاصُ.

فهما الأساسُ لقَبُولِ الأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وهذان ركنا العمل المتقبَّل، لابدَّ أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ـ ﷺ ـ»[١].

وقال العلامة ابن سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ وهو الموافق لشرع الله من واجب ومستحبٍّ: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

أي: لا يُرَائي بعملِهِ، بل يعملُهُ خالصًا لوجه اللَّه ـ تعالى ـ، فهذا الذي جمع بَيْنَ الإخلاص والمتابعةِ هو الذي ينال ما يرجو ويَطْلُبُ، وأمَّا مَنْ عدا ذلك فإنَّهُ خاسرٌ في دُنْياهُ وأُخْرَاهُ، وقد فاته القُرْبُ مِنْ مَوْلاَهُ، ونَيْلُ رِضاهُ»[٢].

وقال اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

قال الفُضَيلُ بْنُ عياض: «هوَ أَخْلَصُهُ وأَصْوَبُهُ» قالوا: يا أبا عليٍّ، ما أخلصُهُ وأصوبُهُ؟ فقال: «إنَّ العملَ إذا كان خالصًا، ولم يكن صَوَابًا، لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا، لم يُقْبَلْ، حتَّى يكونَ خالصًا صوابًا، والخالصُ: أنْ يكونَ للَّه، والصَّوابُ: أنْ يكونَ على السُّنَّة». ثمَّ قرأ قولَهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠][٣].

وفي «الصحيحين»[٤] من حديثِ عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦).
(٢) تفسير السعدي (ص٤٨٩).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).
(٤) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ».

وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمْرُنا، فهو رَدٌّ».

فقوله: «ليس عليه أمرنا» إشارةٌ إلى أنَّ أعمالَ العاملين كُلَّها يجبُ أنْ تكونَ موافقةً لسُنَّته ﷺ، فمن كانَ عَمَلُهُ موافقًا لسُنَّة نبيِّه، فعملُهُ مَقْبولٌ، ومَنْ كان عَمَلُهُ مُحدثًا، لم يَعْمَلْهُ ﷺ، ولا حثَّ عليه أُمَّتَهُ ـ فهو مَرْدودٌ على صاحبِه، وصاحبُهُ قَدْ أتى بِدْعَةً مُحْدَثَةً، فهو مَأْزُورٌ غَيْرُ مَأْجُورٍ، ويُوضِّحُ ذلك الحديثُ الآتي في «صحيح مسلم»[1] من حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ: أنَّ نَفَرًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ سألوا أزواجَ النبي ﷺ عَنْ عَمَلِه في السِّرِّ، فقال بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّساءَ. وقال بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ. وقال بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ على فِراشٍ. فَحَمِدَ اللَّه، وأَثْنَى عليه، فقال: «ما بالُ أَقْوامٍ قالوا كذا وكذا؟! لكنِّي أُصَلِّي وأنام، وأَصُومُ وأُفْطِرُ، وأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فليس مِنِّي».

أيُّهَا النـاسُ، لابُدَّ مِنْ لُزومِ مُتابعـةِ النبيِّ ـ ﷺ ـ، فلُزومُ المتـابعـةِ هو لُزُومٌ للصِّراطِ المُستقيمِ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «تخريج السُّنَّة»[2] من حديثِ عبد اللَّه بن مسعودٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطَّ لنا رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ خطًّا، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللَّه». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِه، وعَنْ شِمَالِه، ثُمَّ قال: «هذه سُبُلٌ» قال يزيدُ: «مُتفرِّقَةٌ على كُلِّ سبيلٍ منْهَا شيطانٌ يدعو إليه». ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ

---

(١) رواه مسلم (١٤٠١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، واللفظ له، وحسن إسناده الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١٣).

وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ففي هذا الحديث أَرْشَدَنا النبيُّ - ﷺ - إلى السبيلِ الذي يجبُ علينا أن نَسْلُكَهُ، حتَّى لا نكونَ يومَ القيامةِ مِنَ المَغْبونين، الذين قال اللَّه - عزَّ وجلَّ - فيهم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

ووعظ النبيُّ - ﷺ - أصحابَهُ مَوْعظةً بليغةً، فلمَّا شعروا أنها موعظةُ مُوَدِّعٍ، طلبوا منه أنْ يُوصِيَهُمْ، فأوْصَاهمْ بالتمسُّكِ بالسُّنَّةِ، واجتنابِ البِدْعَةِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[1] من حديثِ العِرْباضِ بْنِ ساريةَ - رضي اللَّه عنه - قال: وَعَظَنَا رسول اللَّه - ﷺ - يومًا بَعْدَ صَلاةِ الغَدَاةِ مَوْعظةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العُيُونُ، ووَجلَتْ منها القلوبُ، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ، فبماذا تَعهَدُ إلينا يا رسولَ اللَّه؟ قال: **«أُوصيكُم بتقوى اللَّه، والسَّمْع والطَّاعة، وإنْ تأَمَّرَ عليكم عَبْدٌ حَبَشيٌّ، وإنَّهُ مَنْ يَعشْ منكم فَسَيَرى اختلافًا كثيرًا، وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأُمور؛ فإنَّهَا ضلالةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك منكم، فعَلَيه بسُنَّتي، وسنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجذِ»**.

قال الألبانيُّ - رحمه اللَّه -: «قولُهُ: «**عَضُّوا عليها بالنَّواجذ**» أي: اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها، كما يلزم العاضُّ على الشيء بنواجذه خوفًا من ذهابه وتَفَلُّته»[2] والنَّواجذُ: هي الأضْرَاسُ، ضَرَبَ بها المَثَلَ في شدَّةِ الاستمساكِ بأمرِ الدِّينِ.

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديثِ جابرِ بْنِ عبدِ اللَّهِ - رضي اللَّه عنهما - قال:

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٥٧).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ١٢٣).
(٣) رواه مسلم (٢/ ٥٩٢).

كان رسولُ اللَّه - ﷺ - إذا خطب احمرَّتْ عَيْنَاهُ، وعلا صوتُهُ، واشتدَّ غَضَبُهُ كأنَّهُ مُنْذِرُ جيشٍ، يقولُ: صبَّحَكُمْ ومسَّاكُم، ويقول: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَيْنِ» ويَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبعَيْهِ السَّبَّابةِ والوُسطى، ويقولُ: «أمَّا بَعْدُ، فإنَّ خَيْرَ الحديث كتابُ اللَّه، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وشَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ بدْعة ضَلالَةٌ». وزاد النَّسائيُّ بسندٍ صحيحٍ[1]: «وكُلَّ ضلالة في النَّار». والمُرادُ بالهَدْيِ: هو الذي وصف اللَّهُ - سبحانه وتعالى - صاحبَهُ بقولِهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النَّجم: ٤].

ثُمَّ بيَّن النبيُّ ﷺ فَضْلَ الدَّعْوة إلى السُّنَّة، وثوابَ إحيائها ونَشْرِها بَيْنَ الناسِ، ثمَّ بيَّن لهم وِزْرَ مَنِ ابْتَدَعَ للنَّاسِ بِدْعَةً، ليس عليها دليلٌ من الشَّرْعِ، ولا فَعَلَها ﷺ.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة، فَلَهُ أَجْرُها، وأجْرُ مَنْ عَمِلَ بها بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهم شيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيِّئةً، كان عليه وِزْرُها، ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها، مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقصَ مِنْ أَوْزارِهِمْ شيءٌ».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن التِّرمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[3] من حديث جرير بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «منْ دَعَا إلى هُدىً، كَانَ لَهُ من الأجْرِ مثلُ أُجُور مَنْ يَتَّبِعُهُ، لا يَنْقُصُ ذَلكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَنْ دَعَا إلى ضلالة، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثامِ مَنْ يَتَّبعهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئًا».

---

(١) رواه النسائي (٣/ ١٨٨).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٩٧)، والترمذي (٢٨٢٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٥٥).

أيُّهَا النـاسُ، إنَّ الابتداعَ في الدِّين ليس بالشيءِ الهيِّن، فيكفي صاحبَ البِدْعَةِ زاجرًا ما جاء في «الأوسط للطبرانيِّ» بسند صحيحٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»(١) من حديث أَنَسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**إنَّ اللَّهَ حَجَبَ التوبةَ عَنْ كُلِّ صاحبِ بِدْعَةٍ، حتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**».

أيُّها الناسُ، لننظرْ كيف كانت متابعةُ الصحابة للنبيِّ ـ ﷺ ـ، وكيف أنَّهم فهمُوا قولَ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالىٰ: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٣] علىٰ أنَّ اتباعَ أمرِ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وأمْرِ رسولِهِ ـ ﷺ ـ، وسُنَّتِهِ ـ ﷺ ـ من أَوْجَبِ الواجباتِ.

فكانوا ـ رضي اللَّه عنهم ـ لا يخرجون عَنِ المُتابعةِ للنبيِّ ـ ﷺ ـ قِيْدَ شَعْرةٍ.

وكانوا ـ رضي اللَّه عنهم ـ يُعظِّمون السُّنَّةَ، ولا يُقَدِّمون عليها أيَّ قولٍ، مهما كان قائلُهُ.

ففي «صحيح البخاريِّ»(٢) أنَّ أبا هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: حرَّم رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ ما بَيْنَ لابَتَيْهَا ـ قال: يُريدُ المدينةَ ـ فلو وجدْتُ الظِّباءَ ساكنةً ما ذَعَرْتُهَا ـ أي ما فَزَّعْتُها ـ». واللاَّبَةُ: أرضٌ ذاتُ حِجارةٍ سَوْدَاءَ، والمدينة تقع بين اللاَّبَتَيْنِ: الشَّرقيَّة، والغربيَّة.

وفي «سنن الدَّارميِّ»(٣) من حديث عُبادةَ بن الصَّامتِ ـ رضي اللَّه عنه ـ: أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ نَهَىٰ عَنْ دِرْهَمَيْنِ بِدرْهَمٍ، فقال فُلانٌ: ما أرىٰ بهذا بأْسًا يدًا بيدٍ. فقال عُبَادةُ: «أَقُولُ: قال النبيُّ ﷺ، وتقولُ: لا أرىٰ بِهِ بَأْسًا، واللَّهِ، لا يُظِلُّني وإيَّاكَ

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١١٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٤).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٣).

(٣) سنن الدارمي (٤٤٣).

سَقْفٌ واحدٌ».

وروىٰ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ في «جامعه»[(١)] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّه قال: تَمَتَّعَ النَّبيُّ - ﷺ - فقال عُرْوةُ بْنُ الزُّبيرِ: نَهَىٰ أبو بَكْرٍ وعُمَر عَنِ الْمُتْعَةِ. فقال ابْنُ عَبَّاسٍ: «أراهمْ سَيَهْلِكُونَ؛ أقولُ: قال النَّبيُّ - ﷺ -، ويقولون: نهىٰ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ!».

وأستغفرُ اللَّه.

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢٣٨١).



الخطبة الثانية

وسائل معينة على الاتباع



الحَمْدُ لِلَّه وكَفَىٰ، والصلاةُ والسَّلَامُ علىٰ عِبادِهِ الذين اصْطَفَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الاتِّبَاعِ، والآنَ حديثي معكمْ عَن الوسائل المُعينةِ علىٰ الاتِّبَاعِ.

فمن الوسائل المُعينة على الاتِّبَاع تقوى اللَّه ـ عَزَّ وجلَّ ـ، فمن اتقَىٰ اللَّهَ جَعَلَ لَه فُرْقَانًا يُميِّزُ به بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال ابْنُ سَعْديٍّ ـ رحمه اللَّه ـ في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ «أي: يعطيكم عِلْمًا وهُدىً ونوراً تمشون به في ظُلماتِ الجَهْلِ»[1].

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّبَاع الإخلاصُ.

فالإخلاصُ سببٌ للنجاةِ مِنَ الزَّيْغِ والانحراف، ولننظر للبلاءِ الذي وقع فيه يُوسُفُ ـ عليه السلامُ ـ إنَّهُ بلاءُ تعرُّضِهِ للزِّنَىٰ، ومع ذلك فقد ثبتَ أمامَ الفِتَنِ

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٤٣).

بفضلِ اللَّهِ، لأنه كانَ مُخْلَصًا، كما ذكر اللَّه عنه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤].

ومِنْ لطيفِ ما جاء في «سُنَنِ النسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح النَّسائيِّ»(١) من حديث سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ - رضي اللَّه عنه - قال: «وأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ البَحْرَ، فأصابتْهُمْ عَاصِفةٌ، فقال أصحابُ السفينةِ: أَخْلِصُوا؛ فإنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا ها هُنَا. فقال عِكْرِمَةُ: واللَّهِ، لَئِنْ لم يُنْجني مِنَ البَحْرِ إلاَّ الإِخْلاصُ، لا يُنجيني في البَرِّ غَيْرُه، اللَّهُم إنَّ لك عليَّ عَهْدًا - إنْ أنت عافيتني ممَّا أنا فيه - أنْ آتِي مُحمَّدًا ﷺ حتَّى أَضَعَ يدي في يَدِه، فَلأَجدنَّهُ عَفُوًّا كريمًا، فجاء فأسلم».

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّباعِ تعلُّم الأحكامِ الشَّرْعِيَّةِ، وسُؤالُ أَهْلِ العِلْمِ في كُلِّ ما أشكل علينا.

وقد بَوَّبَ البخاريُّ - رحمه اللَّه - في «صحيحه»(٢) بابًا: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ لقولِ اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّباعِ الرُّجُوعُ إلى الكتابِ والسُّنَّة عندَ النِّزَاعِ والاختلاف، في أيِّ مَسألة كانتْ، فأيُّ القولين دلَّ عليه كتابُ اللَّهِ، وسُنَّةُ رسولِ اللَّه - ﷺ - وَجَبَ اتِّباعُهُ لقول اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشُّورى: ١٠].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) رواه النسائي (٧/ ١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٧٩).
(٢) البخاري مع الفتح (١/ ١٩٢).

ومن الأسباب المُعينة على الاتِّباع فَهْمُ الكتابِ والسُّنَّةِ بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالح؛ لأنَّهم خيرُ قُرُونِ هذه الأُمَّةِ وأَفْضَلُها .

ففي «الصحيحين»(١) من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضي اللَّه عنهما - قال : قال النبيُّ ﷺ : «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُم**» .

ولأنهم عاصروا التشريعَ وعايَشُوهُ، فَعَلِمُوا مواقِعَ التنزيلِ، وورودَ الأدلَّةِ على الوقائع والأحوالِ، ولأنَّ خطابَ الشَّارع مُتَوَجِّهٌ إليهم في الأَصْلِ .

ولأنَّ اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - جعل لهمُ الإمامةَ في الدِّين لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وأثنى عليهم، وعلى مَنْ تَبِعَهُمْ، وسَلَكَ سبيلَهُمْ، ولأنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الفِرْقَةِ الناجية، فقال : «**ما أنا عليه وأصْحابي**» .

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرْمذيِّ»(٢) من حديث عبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**وإنَّ بني إسرائيلَ تفرَّقوا على اثنَتَيْنِ وسبعين مِلَّةً، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاث وسبعين مِلَّةً، كُلُّهُمْ في النَّارِ إلاَّ مِلَّةً واحدةً**» قالوا : مَنْ هي يا رسولَ اللَّه؟ . قال : «**ما أنا عليه وأصحابي**» .

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الاتِّباعِ الدُّعَاءُ .

بل إنَّ الدُّعاءَ من أعظمِ الأسبابِ في صلاحِ الدِّين والدُّنيا، واللَّهُ - سبحانه وتعالى - أمرنا بدعائه، ووَعَدَنا بالاستجابة، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر : ٦٠] .

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٢٩) .

ولقد كان النبيُّ - ﷺ - كثير التَّضرُّع إلىٰ اللَّه أنْ يَهْدِيَهُ إلىٰ الطريقِ المستقيم، وذلك إذا افتتح صلاتَهُ من اللَّيلِ.

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديثِ عائشة - رضي اللَّه عنها - قالتْ: كان رسول اللَّه - ﷺ - إذا قام من اللَّيل افتتح صلاتَهُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيْكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السَّموات والأَرْضِ، عالمَ الغَيْبِ والشَّهَادة، أنت تحكمُ بَيْنَ عِبادكَ فيما كانوا فيه يختلفون، اهْدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذْنِك، إنَّكَ تهدي مَنْ تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيم**».

اللَّهُمَّ انفعْنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما يَنْفَعُنا، وزِدْنا عِلْمًا. اللَّهُمَّ أَسْلَمْنَا وُجوهنا إليكَ، وفوَّضْنا أُمورَنا إليك، وأَلْجَأْنا ظُهُورَنا إليك رَهْبةً ورَغْبةً إليك، لا مَلْجأَ مِنْكَ إلاَّ إليكَ.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠).



الخطبة الأولى

أمراض القلوب وعلاجها



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليومَ عنْ أمراضِ القُلوبِ وعلاجها، ولا أَعْنِي أمراضَ القُلُوبِ البَدَنِيَّة؛ وإنما أعْنِي تِلْكُمُ الأمراض التي تَعْتَرِي القَلْبَ مِمَّا يتعَلَّقُ بدينِهِ، فهي أعظمُ الأمراضِ فَتْكًا على الإطلاقِ، وأشدُّها تَدْميرًا، وأسوأها أثرًا، بل ليس هُناك مُقارنةٌ على الإطلاق بَيْنَ مَرَضٍ بَدَنِيٍّ يَعْتَرِي القَلْبَ، ويحتاجُ إلى بَعْضِ الأَدْويةِ والمُسَكِّنَاتِ - وبَيْنَ مَرَضٍ يَجْرَحُ دِينَهُ، ويُذْهِبُ تَقْوَاهُ، فالأخيرُ

يجلبُ علىٰ العَبْدِ نَكَدًا، وهَمًّا وغَمًّا، وعذابًا في الدُّنيا والآخرةِ.

أمَّا الأَوَّلُ فقدْ يُثابُ عليه العَبْد المُؤْمنُ، إذا صَبَرَ واحْتَسَبَ، كسائرِ الأَمْراضِ التي يُثابُ عليها المُؤْمنُ[1].

أيُّهَا الناسُ، هذه الحياةُ يحتاجُ القَرارُ فيها إلى سلامةِ القَلْبِ من الشِّرْك والنِّفاق، والعُجْبِ والرِّياءِ، وسائرِ الأمراضِ؛ فإنَّهُ بصلاحِ هذا القَلْبِ يَصْلُحُ سائرُ الجَسَدِ. كما في «الصحيحين»[2] من حديثِ النُّعمانِ بْنِ بَشيرٍ - رضي اللَّه عنه - قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «...**ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وهي القَلْبُ**».

واللَّه - سبحانه وتعالى - ينظرُ إلى القلوب والأعمالِ، ويُجازي عليها، ويُثيبُ ويُعاقبُ.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لا يَنْظرُ إلى صُوَرِكُمْ، ولكنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**».

وأمرُ القلوبِ - أيُّها الناسُ - مَوْكُولٌ إلىٰ اللَّهِ - سبحانه وتعالىٰ -، فهو - سبحانه وتعالىٰ - يَمْلِكُها، ويتعرَّف فيها كيف يشاءُ، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال: ٢٤].

فهو - سبحانه - أَمْلَكُ لقلوبِ عبادِهِ منهم، وهو سبحانه يَحُولُ بَيْنَهُم وبَيْنَ التسلُّطِ علىٰ قلوبهم، فهو وَحْدَهُ المتصرِّفُ فيها، يُقَلِّبها كيف يشاءُ.

---

(١) انظر شفاء القلوب للعدوي (ص٧)، وقد استفدتُ منه في هذه الخطبة كثيرًا، وننصحُ باقتنائه، فإنه مفيد - إن شاء اللَّه - .

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

يَقْذِفُ فيها الهداية، ويُزيِّن فيها الإيمانَ، يُنْزِلُ فيها السكينةَ، ويُورِثُها الاطمئنانَ، ويَرْبِطُ عليها، ليكونَ أصحابُها من المؤمنين.

قال اللّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحُجُرات: ٧].

فمَنِ الذي زيَّنَ الإيمانَ في القلوبِ؟ إنَّه اللّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، قال اللّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يُونُس: ١٠٠].

واللّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هو الذي يَأْذَنُ في الإيمانِ، ويُوفِّقُ إليه مَنْ يَشاءُ، وقد عَلِمَ أهلُ الإيمان ذلك، ومنْ ثمَّ قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

واللّه ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي يربط على القلوب.

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

فيا ترىٰ مَنِ الذي رَبَطَ علىٰ قُلُوبِهم؟ إنَّهُ اللّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وهو ـ سبحانه الذي يقذف الرَّحمةَ في القلوبِ.

قال اللّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

وفي «الصحيحين»(١) من حديثِ أسامةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال وهو يبكي علىٰ ابْنٍ مات لابْنَتِهِ، لَمَّا سَأَله الصحابةُ عَنْ سببِ بكائِهِ: «هذهِ رحمةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ في

(١) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٦/ ٢٢٤).

قُلوبِ عبادِهِ، وإنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَمَاءَ».

واللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي ينزل السكينة على القلوب:

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وكذلك أَمْرُ الغَوايةِ والإضلالِ، والقسوةِ والغَفْلَةِ ـ كُلٌّ ذلك كائنٌ بإذْنِ اللَّه وتدابيرِهِ، وحِكْمتِهِ وإرادتِهِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورىٰ: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وفي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»(١) من حديث النوَّاسِ بْنِ سمعانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «ما مِنْ قَلْبٍ إلاَّ بَيْنَ إصبعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحْمَنِ، إن شاءَ أَقَامَهُ، وإنْ شاءَ أزاغه». وكان رسول اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «يا مُثَبِّتَ القلوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِيْنِكَ».

وفي «الصحيحين»(٢) من حديثِ عائشة ـ رضي اللَّه عنها قالتْ: جاء أعرابيٌّ إلىٰ

---

(١) سنن ابن ماجَهْ (١٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجَهْ (١٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

النبي -ﷺ- فقال: تُقَبِّلُونَ الصِّبيانَ؟! فما نُقَبِّلُهُمْ. فقال النبيُّ -ﷺ-: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ».

ومادامت القُلُوبُ -أيُّها الناس- مَوْكولٌ أمرُها إلىٰ اللَّهِ.

لكنْ هناك أسبابٌ يفعلُها العَبْدُ، تكونُ سببًا في قَذْفِ الخَيْرِ -أو الشَّرِّ- إلى قلبه.

فالإيمانُ والذِّكْرُ، وأفعالُ الخَيْرِ والبِرِّ كُلُّ ذلك سببٌ في سلامةِ القُلُوبِ، والشَّرُّ والكُفْرُ، والاعتداءُ والظلْمُ، والفُسُوقُ والعِصيانُ -كُلُّ ذلك سببٌ في فساد القلوبِ.

فمنْ أمراضِ القلوبِ مَرَضُ الشِّرْكِ، فهو سببُ كُلِّ شَرٍّ، يتَّجهُ إلىٰ القلبِ.

قال اللَّه -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

ومن أمراضِ القلوبِ الرِّياءُ.

قال اللَّه -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال اللَّه -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هُريرةَ -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسولُ اللَّه -ﷺ-: «قال اللَّهُ -تعالى-: أنا أَغْنَى الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً، أَشْرَكَ فيه معي غَيْري، تركْتُهُ وشِرْكَهُ».

---

(١) تقدم تخريجه.

ومنْ أمراضِ القلوبِ الكِبْرُ والعُجْبُ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لُقْمَان: ١٨].

ومن أمراضِ القُلوبِ مَرَضُ الشُّبْهَة والشَّكِّ والرِّيْبة.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عِمْرَان: ٧].

ومن أمراض القُلوبِ كَثْرَةُ الذُّنوب.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المُطَفِّفين: ١٤].

ففي «مسند أحمد»، و«سُنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «إنَّ المؤْمنَ إذا أَذْنَبَ، كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِه، فإنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ، صُقِلَ منْها، وإنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يُغَلَّفَ قَلْبُهُ، فذلك الرَّانُ الذي ذكر اللَّهُ في كتابه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

ومن أمراضِ القلوبِ سُوءُ الظَّنِّ باللَّه، بل مِنْ أعظم أمراضِ القلوبِ.

فمن الناسِ مَنْ يُسِيءُ الظنَّ بوَعْدِ اللَّهِ، ونَصْرِهِ لعباده المؤمنين.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧)، والترمذي في جامعه (٣٣٣١)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (١١٦٥٨)، والحاكمُ في المستدرك (٢/ ٥١٧)، واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٣).

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠].

ومن أمراضِ القلوبِ سَمَاعُ الأغاني.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

رَوَىٰ ابْنُ جريرٍ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلاتِ الطَّرَبِ»[١] عَنْ أبي الصَّهباءِ البكريِّ أنَّهُ سَأَلَ ابْنَ مسعودٍ عن قول اللَّهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: «الغناء».

ومن أمراضِ القلوبِ تَرْكُ صلاةِ الجُمُعةِ.

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وأبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنَّهُما سَمِعا رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ على أعوادِ مِنْبَرِه: «لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ من الغافلين».

ومن أمراضِ القُلُوبِ كِتْمَانُ شَهَادةِ الحَقِّ

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن أمراضِ القلوبِ الحَسَدُ، وهو: اختلافُ القلبِ علىٰ الناسِ، وتمنِّي زوالِ النِّعْمةِ عَنْ مُسْتَحِقِّها، فهو مرضٌ خطيرٌ من أمراضِ القلوبِ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٥)، وصحَّحه الألباني في تحريم آلات الطرب (ص١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٨٦٥).

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النِّساء: ٥٤].

ونظرًا لخطورة الحسدِ، فقدْ أَمَرَنا اللَّه بالتعوُّذِ منه صَبَاحَ مساءَ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: ٥].

والإيمانُ والحَسَدُ لا يجتمعانِ في قلبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، يرجو اللَّهَ والدَّارَ الآخِرةِ؛ لأنَّ الحاسدَ - كأنَّهُ بَحَسَدِه - يَعْتَرِضُ علىٰ اللَّهِ في قَضَائِه، ويحسُدُ علىٰ ما مَنَحَ مِنْ عطائِه، وكأنَّهُ بحَسَدِه هذا يقولُ: فُلانٌ أُعْطِيَ وهو لا يستحقُّ.

ففي «سنن النسائي» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن النَّسائي»[١] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لا يَجْتمعانِ في قلبِ عَبْدٍ: الإيمانُ والحَسَدُ».

ومن أمراضِ القلوبِ الحِقْدُ، وهو مَرَضٌ عُضَالٌ من أمراضِ القلبِ.

فعلينا أَنْ نُطهِّرَ قُلُوبنا من الحِقْدِ، والحَسَدِ، وسائرِ أمراضِ القلوبِ حِرْصًا علىٰ سلامتِها.

أخرج المُنْذريُّ في «الترغيب والترهيب» بسندٍ صحيحٍ لغيرِه، قالهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢] من حديثِ أبي ثَعْلَبَةَ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبي ﷺ قال: «يَطَّلِعُ اللَّهُ إلى عِبادِه ليلةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فيغفِرُ للمُؤْمنينَ، ويُمْهِلُ الكافِرين، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بحِقْدِهِمْ حتى يَدَعُوهُ».

---

(١) رواه النسائي في سننه (٢٩١٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٦٥٢).

(٢) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٧١): صحيح لغيره.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قال: «تُفْتَحُ أبوابُ الجَنَّةِ يومَ الاثنينِ، ويَوْمَ الخميسِ، فيُغْفَرُ لكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلاَّ رجلاً كانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أخيه شَحْنَاءُ، فيُقَالُ: أَنْظِروا هَذَيْنِ، حتَّى يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ، حتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِروا هَذَيْنِ، حتَّى يَصْطَلِحَا».

وأستغفرُ اللَّهَ.

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).



الخطبة الثانية

عِلاجُ القلوبِ



الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أَشْرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّمَ الحديث معكمْ عَنْ أمراضِ القُلُوبِ، والآن حديثي معكم عَن عِلاجِ القلوبِ.

فمن علاج القلوبِ ذِكْرُ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ [الرَّعْد: ٢٨ـ٢٩].

ومن علاج القلوبِ التَأَسِّي برسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ في أقوالِهِ، وأفعالِهِ، وسائرِ أحوالِه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن علاج القلوبِ الإيمانُ بالقَدَرِ، والرِّضا بالقضاء.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابُن: ١١].

ومن علاجِ القلوبِ سُؤالُ اللَّه الهداية والثباتَ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ**

رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧-٨].

وَمِنْ دُعاءِ الرَّسُولِ - صلى الله عليه وسلم - كما في «صحيح مسلمٍ»[(١)]

من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - أَنَّهُ سمع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصبعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحْمَنِ، كقلبٍ واحدٍ، يُصرِّفُهُ حيثُ يشاءُ» ثمَّ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا على طاعَتِكَ».

ومن علاجِ القلوبِ التوبةُ إلى اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

ففي هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ المعاصي سببٌ في مَيْلِ القلوبِ وانحرافِها، وأنَّ التوبةَ سببٌ في سلامتِها، ومَنْ مِنَّا لا يقع في المعاصي؟!

ورسولُ اللَّه - ﷺ - يقولُ كما في «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - : «واللَّهِ، إني لأَسْتغفِرُ اللَّهَ، وأَتُوبُ إليه في اليومِ أَكْثَرَ مِنْ سبعين مَرَّةً».

وها هو يحثُّنا علىٰ التوبةِ والاستغفارِ، كما في «صحيح مسلم»[(٣)] من حديثِ الأغَرِّ بْنِ يَسار المُزَنِيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ - : «يأيُّها الناسُ، تُوبُوا إلى اللَّه، واستغفروه، فإنِّي أَتُوبُ في اليَوْمِ مائةَ مَرَّةٍ».

ومن عِلاجِ القلوبِ إمساكُ فُضُولِ السَّمْعِ.

فلا يستمع للأغاني، ولا للغِيْبَةِ، ولا للنَّميمةِ، ولا يستمع إلىٰ ما يضرُّه.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٢).

قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن علاجِ القلوبِ الإمساكُ عَنْ فُضُولِ البَصَرِ، فكم مِنْ نظرةٍ إلى ما حرَّمَ اللَّهُ أَعْقَبَتْ في القلبِ حَسْرَةً!.

وقد أمرَ اللَّهُ المؤمنين والمؤمناتِ بغَضِّ البَصَر، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(١)] من حديثِ جرير بنِ عبد اللَّهِ - رضي اللَّه عنه - قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفَجْأَةِ، فقال: «اصْرِفْ بَصَرَكَ».

ومن علاجِ القلوبِ الإمساكُ عَنْ فضولِ الكلامِ.

فَكَثْرَةُ الكلامِ مَدْعَاةٌ لقَسْوةِ القلبِ، وطولِ الحسابِ، فعلينا الاقتصارُ على الخيرِ منه، فقد حثَّنا اللَّهُ - سبحانه وتعالى - على الخيرِ من الكلامِ، وتَرْكِ ما سوى ذلك.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وإلى ذلك أرشدنَا نبيُّنا - ﷺ - كما في «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ -

(١) رواه أبو داود (٢١٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٨٠).
(٢) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ، فليقُلْ خَيْرًا أو ليَصْمُتْ».

ومن علاج القلوبِ تَرْكُ فُضُولِ الطَّعَامِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[1] من حديث المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «ما مَلأَ آدميٌّ وعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِه، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لطَعَامه، وَثُلُثٌ لشرابه، وثُلُثٌ لنَفَسه».

ومن علاجِ القُلوبِ عَدَمُ الإكثارِ من الضَّحك.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَه الألبانيُّ، في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[2] من حَديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «وأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحك تُميتُ القَلْبَ».

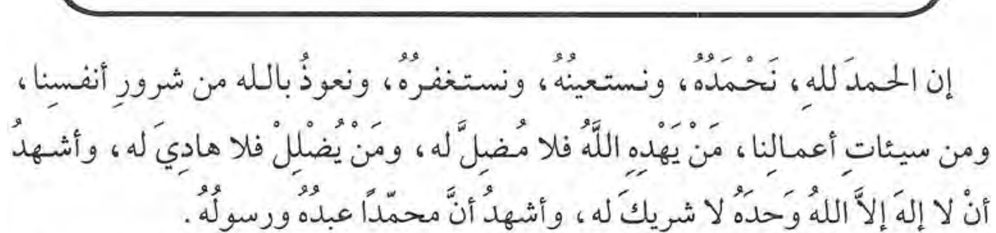
وقد ذكر أهلُ العلمِ أنَّ مِنْ عِلاجِ القلوبِ تَرْكُ فُضُولِ النَّوْمِ، وفُضُولِ مُخالَطةِ النَّاسِ، وجميع أنواع الفضول.

اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلوبِ والأبصارِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنا على دينك، واصْرِفْها على طاعتكَ، ونَقِّها مِنَ الخطايا، كما يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، واجعلْنا مِنَ الذين يَسْتَمِعُونَ القَولَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٩٣٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٧٦).





الخطبة الأولى

علاجُ الهَـمِّ والحـزنِ

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن علاجِ الهَمِّ والحَزَنِ، وما أكْثَرَهُما في زمانِنا، وما أعظم خَطَرَهما، وما أشدَّ فَتْكَهُما بقلبِ الإنسان وجَسَدِهِ من كثيرٍ من الأمراض!

ومن طبيعة هذه الحياة الدُّنيا الهَمُّ والحَزَنُ اللذان يُواجهُهُما الإنسانُ في حياته، دَلَّ على ذلك قولُ اللّه - سبحانه وتعالى -: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

ومعنىٰ ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي: ما يُكابِدُه ويقاسيه من الشدائد في الدُّنيا، فهو حزينٌ علىٰ ما مَضَىٰ، مهمومٌ بما يستقبلُ، مَغْمُومٌ في الحالِ. والقلوبُ تتفاوتُ في الهمِّ وَالحَزَنِ، فقلبٌ عامرٌ بالإيمانِ، ففيه البَهْجَةُ والسُّرورُ، وقَلْبٌ ضَعيفُ الإيمانِ، ففيه الهُمُومُ والأحزانُ. والهمُّ والحزنُ مَنْهيٌّ عنهما شَرْعًا.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مُقرِّرًا ما قاله رسولُ اللَّهِ ﷺ لصاحِبِهِ: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ونهى اللَّهُ ـ سُبْحَانه وتَعَالى ـ نَبِيَّهُ ـ ﷺ ـ عَنِ الهمِّ والحَزنِ، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

ونهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين عن الهمِّ والحزن.

فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وكان النبيُّ ـ ﷺ ـ أكْثَر ما يستعيذُ باللَّه من الهمِّ والحَزن.

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أنس بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان النبيُّ ﷺ يقولُ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ**».

فإذا كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يستعيذُ باللَّهِ من الهَمِّ والحَزَنِ، فهذا دليلٌ علىٰ أنهما شرٌّ، ولا خَيْرَ فيهما للعبدِ، فلا يجوزُ له التمادي فيهما، بل متىٰ هجما عليه، فهو مُكَلَّفٌ باستعمالِ العلاجاتِ التي تُذهِبُ الهمَّ والحَزنَ، وسوف نذكرُ بعضها:

فمن علاجِ الهمِّ والحزنِ ـ أيُّها الناسُ ـ التسلُّح بالإيمانِ المقرونِ بالعملِ الصالح.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣)، (٢٨٩٣).

قال اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ، أَدْرَكَ الحياةَ الطَّيِّبةَ: مِنْ طُمأْنينةِ النَّفْسِ، وسُكونِ القَلْبِ، وهُدوءِ البالِ، وراحةِ الضَّميرِ، مع ما ينتظرُهُ في الآخرةِ من أصنافِ اللَّذاتِ، ومن ذلك إذهَابُ الهمِّ والحزنِ عنه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ على لسان المؤمنين في الجنَّة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ تحقيقُ التوحيدِ، فلا يبقىٰ معه في القلبِ شائبةُ شِرْكٍ، فيتوجَّهُ بقلبِه إلىٰ اللَّهِ ـ وَحْدَهُ ـ في عبادتِه كُلِّها.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ اليقينُ بنَصْرِ اللَّهِ، واستشعارُ معيَّته لنا.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أنسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنا في الغارِ: لو أنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا. فقال: «ما ظَنُّكَ ـ يا أبا بَكْرٍ ـ باثنين اللَّهُ ثالثهمَا؟!» فالرسول ـ ﷺ ـ ذكَّر صاحبَهُ أبا بكرٍ بمَعِيَّةِ اللَّه لهما، وعلَّلَ وصيَّتَهُ لَهُ: ﴿لا تَحْزَنْ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ النَّظرُ فيما يَحْصُلُ للمسلمِ مِنْ تكفيرِ الذُّنوبِ، ورَفْعِ الدَّرجاتِ، إذا أصابه الهَمُّ والحَزَنُ.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي سعيدٍ وأبي هُريرة ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣).

النبيِّ ﷺ قال: «ما يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذًى، ولا غَمٍّ ـ حتَّى الشَّوكة يُشاكُها ـ إلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بها مِنْ خَطَاياه».

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ معرفةُ حقيقةِ الدُّنيا الفانية، ومتاعِها الزائلِ.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هُرَيرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وجَنَّةُ الكافرِ».

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ أنْ نجعلَ الآخرةَ هَمَّنا، واطِّراح هُمُوم الدُّنيا؛ لأَنَّ

همَّ الآخرة، سَلْوَةٌ للنَّفسِ، وهَمَّ الدُّنيا مُشَتِّتٌ للنَّفْسِ، مُفَرِّقٌ شَمْلَها.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[2] من حديث أنسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «مَنْ كانت الآخرةُ هَمَّهُ، جَعَلَ الله غِنَاهُ في قَلْبه، وجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا وهي راغِمَةٌ، ومَنْ كانت الدُّنْيا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وفَرَّقَ شَمْلَهُ، ولم يَأْتِه مِن الدُّنيا إلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ».

ومن علاجِ الهَمِّ والحَزَنِ اللُّجُوءُ إلى الصلاة.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[3] من حديث سالمِ بْنِ أبي الجَعْدِ قال: قال رَجُلٌ: لَيْتني صَلَّيْتُ فاسْتَرَحْتُ، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «يا بِلالُ، أَقِمِ

---

(١) رواه مسلم (٤٩٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٩٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٠٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٧١).

الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا».

وفي «سننِ أبي داود» بسندٍ حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيح أبي داودَ»[1] من حديث حُذيفةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان النبيُّ ـ ﷺ ـ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ التوكُّلُ على اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ وتفويضُ الأَمْرِ إليه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

أي: كافيه جميعَ ما يُهِمُّهُ مِنْ أمرِ دينِه ودُنْياهُ.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ الحِرْصُ علىٰ ما يَنْفَعُنا في الوقتِ الحاضرِ، وقَطْعُ الحُزنِ علىٰ ما فات، وتَرْكُ الهمِّ علىٰ ما هو آتٍ.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه منَ المؤمنِ الضعيف، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستعنْ باللَّه ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تقلْ: لوْ أنِّي فَعَلْتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدرُ اللَّهِ، وما شاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطانِ».

قال ابن سَعْديٍّ ـ رحمه اللَّه ـ في شرح هذا الحديث: «الحديثُ المذكورُ يدلُّ علىٰ السَّعْي في إزالةِ الأسبابِ الجالبةِ للهُمُومِ، وفي تحصيل الأَسبابِ الجالبةِ للسُّرورِ، وذلك بنسيانِ ما مَضَىٰ عليه من المكارِه التي لا يُمكنُهُ ردُّها، ومعرفته أنَّ اشتغالَ فِكْرِهِ فيها من بابِ العَبَثِ والمحالِ، وأنَّ ذلك حُمْقٌ وجنونٌ، فيجاهدُ قَلْبَهُ

(١) رواه أبو داودَ (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٧١).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

عَنِ التَّفَكُّرِ فيها، وكذلك يُجاهدُ قَلْبَهُ لما يستقبلُه، مِمَّا يَتَوهَّمُهُ مِنْ فَقْرٍ، أَوْ خَوْفٍ، أو غَيْرِهما من المكارِهِ، التي يتخيَّلُهَا في مستقبلِ حياتِهِ، فيعلمُ أنَّ الأُمُورَ المُسْتَقْبَلَةَ مَجْهُولٌ ما يقعُ فيها مِن خَيرٍ وشَرٍّ وآمالٍ وآلامٍ، وأنَّها بيدِ العزيزِ الحكيمِ، ليس بيدِ العِبادِ منها شيءٌ إلاَّ السَّعْي في تحصيلِ خَيْراتِها، ودَفْعِ مضرَّاتِها، ويعلمُ العبدُ أنه إذا صَرَفَ فِكْرَهُ عَنْ قَلَقِه مِنْ أجل مستقبلِ أَمْرِهِ، واتَّكَلَ على رَبِّهِ في إصلاحِهِ، واطمأنَّ إليه في ذلك ـ صَلُحَتْ أحوالُه، وزال عَنْهُ هَمُّهُ وقَلَقُهُ»[1] .

ومن علاج الهمِّ والحَزَنِ التَّحَدثُ بنعمةِ اللَّه الظاهرة والباطنة.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «انظروا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، ولا تنظروا إلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فهو أَجْدَرُ ألاَّ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّه عليكم».

ولا شكَّ أنَّ الإنسانَ إذا نظر إلى مَنْ هو دُونَهُ، رأى نَفْسَهُ يَفُوقُ كثيرًا من الخَلْقِ في الصِّحَّة والعافية، والهُدى والإيمان، وهذا يَدْفَعُ عنه الهمَّ والحَزَنَ.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أبي أُمامةَ عَنْ عَبْدِ اللَّه الصَّامتِ ـ رضي اللَّه عنهما ـ عَنْ رسولِ اللَّه ـ ﷺ ـ أنَّه قال: «عليكم بالجهاد في سبيلِ اللَّهِ ـ تبارك وتعالى ـ؛ فإنَّهُ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ، يُذْهِبُ اللَّهُ به الهَمَّ والغَمَّ».

---

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة لابن سعدي (ص١٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

(٣) رواه أحمدُ في مسنده (٥/ ٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٣).

ومن علاج الهمِّ والحَزَن أنْ نعلمَ أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا، فعلينا أن نُحْسِنَ الظَّنَّ باللَّهِ، فإنَّهُ جاعلٌ لنا فَرَجًا ومَخْرجًا، وكُلَّما استحكم الضِّيقُ، قَرُبَ الفَرَجُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

فذكر عسراً واحداً ويسرين، لأن التعريف يفيد الإفراد، والتَّنْكير يفيد التكرار.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[١] من حديث أنس بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**واعلمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**».

ومن علاج الهمِّ والحَزَن ما يكونُ بالأطعمة.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديثِ عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ أنَّها كانتْ تأْمُرُ بالتَّلْبِينِ للمريضِ، وللمَحْزُونِ على الهالكِ، وكانَتْ تقولُ: إنِّي سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «**إن التَّلْبِيْنَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ المريضِ، وتَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ**».

والتلبينةُ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ: هي حَسَاءٌ يعْمَلُ مِن دقيقٍ، ويُجْعَلُ فيه عَسَلٌ، وسُمِّيتْ تلبينةً لشبهها باللَّبَن، وهي تُطْبَخُ مِنَ الشَّعِير مَطْحُونًا. ومعنى مُجِمَّة: أي تُرِيحُ وتُنْشِطُ، وتُزِيلُ الهمَّ.

وأستغفر اللَّهَ.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٩٣) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٩)، ومسلم (٢٢١٦).



الخطبة الثانية

الدعاءُ العلاجُ الأعظمُ للهم والحَزَن

الحَمْدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين، وعلى آله وصحْبِه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بعضِ علاجِ الهمِّ والحَزَنِ، والآن حَديثي معكم عن أعظم علاجٍ للهمِّ والحَزَنِ، ألاَ وهو الدُّعاءُ.

والدُّعاء أمرُهُ عظيمٌ، ونَفْعُهُ عميمٌ، ومكانتُهُ عاليةٌ من الدِّين، فما اسْتُجْلِبَ السُّرورُ والعافيةُ بمثلِهِ، ولا اسْتُدْفعَ الهمُّ والحَزَنُ بِمثلِهِ، ففيه تفريجُ الهمِّ، وزوالُ الحُزْن، وتيسيرُ الأمور.

وإنِّي لأَدْعُو اللَّه، والأمْرُ ضَيِّقٌ ... عليَّ، فما يَنْفَكُّ أنْ يَتَفَرَّجا

ورُبَّ فَتَى ضاقتْ عليه وَجُوهُهُ ... أصاب لها في دعوةِ اللَّه مَخْرَجا

فعلينا - أيُّهَا الناسُ - أنْ نَدْعُوَ اللَّه بخالصِ الدُّعاء:

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشَّوكانيُّ - رحمه اللَّه - : «والآيةُ الكريمةُ دَلَّتْ على أنَّ الدُّعاءَ من العبادة، فإنَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - أَمَرَ عبادَهُ أنْ يَدْعُوه، ثمَّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد ذلك أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعاءِ الرَّبِّ - سبحانهُ - استكبارٌ، ولا أَقْبَحَ مِنْ هذا الاستكبار».

أيُّها الناسُ، إنَّهُ متى نَزَلَ بنا الهَمُّ والحَزَنُ، فبابُ الدُّعاء مفتوحٌ غَيْرُ مُغْلق.

والكريمُ - سبحانه وتعالى - إنْ طُرِقَ بابُهُ وسُئِلَ، أَعْطَى وأجابَ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أيُّها الناسَ، لا أحَدَ أكْرَمُ على اللَّهِ مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد كان أَكْثَرَ ما يستعيذُ باللَّه من الهمِّ والحَزَنِ.

ففي «صحيح البخاري»(١) من حديثِ أَنَس بْنِ مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: كُنْتُ أَخْدُمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ إذا نَزَلَ، فكنتُ أَسْمَعُهُ كَثيراً يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بك مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجال».

ومن أنفع الأدعيةِ التي كان النبيُّ - ﷺ - يدعو بها كما في «صحيح مسلم»(٢) من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: كان رسولُ اللَّه - ﷺ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي ديني الذي هُو عِصْمَةُ أَمْري، وأَصْلِح لي دُنيايَ التي فيها معاشي، وأَصْلِحْ لِي آخرتي التي فيها مَعَادي، واجعل الحياةَ زيادةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍ».

ومن الأدعية النافعة للهمِّ والحَزَنِ ما علَّمناهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ، كما في «سنن أبي داودَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «سنن أبي داودَ»(٣) من حديثِ أبي بَكْرَةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «دَعْوَةُ المكروبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فلا تَكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لِي شَأني كُلَّهُ، لا إله إلاَّ أنْتَ».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٤٦).

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ عندَ الكَرْبِ: «**لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلاَّ اللَّهُ ربُّ العَرْشِ العظيمِ، لا إله إلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وربُّ الأَرضِ، وربُّ العَرْشِ الكريمِ**».

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسند حَسَنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرْمذيِّ»[(٢)] من حديث أنَسِ بن مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قال: «**يا حَيُّ، يا قَيُّومُ، برَحْمَتِكَ أَسْتَغيثُ**».

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صَحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(٣)] من حديث أسماءُ بنتِ عُمَيْسٍ ـ رضي اللَّه عنها ـ قالتْ: قال لي رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**ألاَّ أُعَلِّمُك كلمات تَقُولينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ ـ أو في الكَرْبِ ـ؟!، اللَّهُ اللَّهُ ربِّي، لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

ومن أعظم الأدعية في إذهابِ الهمِّ والحَزَنِ الدُّعاءُ الذي حثَّ النبيُّ ـ ﷺ ـ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ أن يتعلَّمَهُ ويَحْفَظَهُ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «السِّلْسلة الصحيحة»[(٤)] من حديث عبد اللَّه بن مسعودٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**ما أصَابَ أَحَدًا ـ قَطُّ ـ هَمٌّ ولا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ، وابْنُ عَبْدِكَ، وابْنُ أَمَتِكَ، ناصيتِي بيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ، أسألُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أو أَنـزَلْتَهُ في كِتابِك، أوْ عَلَّمْتَهُ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو استَأْثَرْتَ بِهِ في علم**

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٢).
(٢) رواه الترمذي (٣٧٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٩٦).
(٣) رواه أبو داود (١٥٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٤٩).
(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٨).

الغَـيْبِ عِنْدَكَ - أَنْ تَجْـعَلَ القُرْآنَ رَبِـيعَ قَلْبي، ونُورَ صَـدْرِي، وجَلاءَ حُـزْنِي، وذَهَابَ هَمِّي. إلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وحُزْنَـهُ، وأَبْدَلَهُ مكَانَهُ فَرَجًا» قال: فـقِيلَ يا رَسُـولَ اللَّهِ، أَلاَ نَتَعَلَّمُها؟. فقال: «بلَى، ينبغي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

نسألُ اللَّهَ - سبحانه وتعالىٰ - أن يُعافِينَا من الهَمِّ والحَزَنِ، ويَجْعَلَنا هُداةً مُهْتَدينَ.




الخطبة الأولى

الدُّعـاء

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عنِ الدُّعاء، أَفْضَلِ العبادات، وأعظم القُرُباتِ لتضمُّنِهِ توحيدَ اللَّه، وإفرادَهُ بالعبادةِ دُونَ مَنْ سِواهُ، فهو رأسُ الأمرِ، وأَصْلُ الدِّينِ، ومفتاحٌ لكُلِّ خيرٍ، ومغْلاقٌ لكُلِّ شرٍّ، وجالبٌ لكُلِّ نَفْعٍ، ودافعٌ لكُلِّ ضُرٍّ.

وللدُّعَاء فضائلُ عظيمةٌ أذكُرُ منها:(١)

١ ـ أنّ الدُّعَاءَ طاعةٌ للَّه، وامتثالٌ لأمره ـ سبحانه وتعالى ـ، قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

٢ ـ ومن فضائل الدُّعاء السَّلامةُ من الكِبْر، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشوكانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ في هذه الآية: «والآية الكريمةُ دلَّتْ علىٰ أنَّ الدُّعاءَ منَ العبادة؛ فإنَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أمَرَ عبادَهُ أنْ يَدْعُوهُ، ثمَّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد ذلك أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعاءِ الرَّبِّ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ استكبارٌ، ولا أَقْبَحَ مِنْ هذا الاستكبار».

وكيف يستكبرُ العبدُ عَنْ دُعاءِ مَنْ هُو خالقٌ له، ورازقُهُ، ومُوجِدُهُ من العَدَمِ، وخالقُ العالمِ كُلِّهِ، ورازقُهُ، ومُحييهِ، ومُميتُهُ، ومُثيبُهُ، ومُعاقِبُهُ؟!

فلا شكَّ أنَّ هذا الاستكبارَ طَرَفٌ من الجنونِ، وشُعْبَةٌ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ(٢).

(١) انظر الدعاء لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٦)، وقد استفدتُ منه كثيراً جزاه الله خيراً.

(٢) تحفة الذاكرين (ص٢٨).

٣ ـ ومن فضائل الدُّعاء أنَّه عبادةٌ، بل هو العبادةُ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(١)] من حديث النعمانِ بْنِ بشيرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «الدُّعاءُ هُو العبادةُ» ثمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٤ ـ ومن فضائلِ الدُّعاءِ أنَّهُ أكْرمُ شيء على اللَّه.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ عَن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لَيْسَ شيءٌ أكْرَمَ على اللَّهِ ـ سبحانه ـ من الدُّعاءِ».

٥ ـ ومن فضائلِ الدُّعاءِ أنَّهُ سببٌ لدفعِ غضبِ اللَّهِ، فمن لم يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٣)] من حديث أبي هُرَيرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «إنَّهُ مَنْ لمْ يَسْألِ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه».

قال الشوكانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ الدُّعاءَ من العَبْدِ لربِّه من أهمِّ الواجباتِ، وأعظمِ المفروضاتِ؛ لأنَّ تَجَنُّبَ ما يَغْضَبُ اللَّهُ منْهُ لا خلافَ في وُجُوبِهِ»[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣١٢).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٨٧).
(٣) رواه الترمذي (٣٦١٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٨٦).
(٤) انظر تحفة الذاكرين (ص٣١).

وما أَحْسَنَ قَوْلَ القائلِ:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حاجةً وسَلِ الذي أَبْوابُهُ لا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

٦ ـ ومِنْ فضلِ الدُّعاء أَنَّهُ سببٌ لدَفْعِ البلاءِ قَبْلَ نُزُولِه.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنَه الألبانيُّ في «الصحيحة»[١] من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يردُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعاءُ**».

قال الشوكانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «فيه دليلٌ على أنَّه ـ سبحانَهُ ـ يَدْفَعُ بالدُّعاءِ ما قَدْ قَضَاهُ على العَبْدِ، وقَدْ وَرَدَتْ بهذا أحاديث كثيرةٌ»[٢].

وقال: «والحَاصِلُ أنَّ الدُّعاءَ مِنَ قَدَرِ اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فقدْ يَقْضِي على عَبْدِهِ قَضَاءً مُقَيَّدًا بأنْ يَدْعُوه، فإذا دَعَاهُ انْدَفَعَ عَنْهُ»[٣].

٧ ـ ومن فضائل الدُّعاءِ أَنَّهُ سببٌ لرَفْعِ البلاءِ بَعْدَ نُزُولِه.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٤] من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ ممَّا نزلَ، وممَّا لم ينزلْ؛ فعليكمْ ـ عبادَ اللَّه ـ بالدُّعاءِ**».

تلك ـ أيُّها الناسُ ـ بَعْضُ فضائلِ الدُّعاءِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٤).
(٢) تحفة الذاكرين (ص٢٩).
(٣) المرجع السابق (ص٣٠).
(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٤٠٩).

وللدُّعاءِ شُروطٌ، لابُدَّ مِنْ توافرها، حتَّى يكونَ الدُّعاءُ مُستجابًا مقْبُولاً:

١ ـ الإخلاص في الدُّعاءِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وجملة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ شاملةٌ لكُلِّ ما يُعْبدُ من دُونِ اللَّهِ: من جمادٍ، أو نباتٍ، أو حيوانٍ، أو إنسانٍ، أو صَنَمٍ، أو شَمسٍ، أو وَلِيٍّ، أو نبيٍّ، إلىٰ غَيرِ ذلك.

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»[1] من حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وإذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه».

٢ ـ ومن شروطه الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ هو القادرُ على إجابةِ دعائه، فلا يدعو إلاَّ اللَّهَ ـ ولا يجلبُ له النَّفْعَ، ولا يكشِفُ عَنْهُ السُّوءَ إلاَّ اللَّهُ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النَّمل: ٦٢].

٣ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ أنْ يتوسَّلَ إلى اللَّهِ بأَحَدِ أنواعِ التوسُّلِ المشروعةِ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

والمشروعُ ثلاثةُ توسُّلاتٍ، وهي:

أولاً ـ التوسُّل باسمٍ من أسماء اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، أو صفة من صفاته، كأنْ يقولَ: يا كريمُ، أكْرِمْنِي، يا رحمنُ ارْحمني، يا توابُ تُبْ عليَّ، يا غفارُ، اغفرْ لِي.

ودليلُ ذلك قولُهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانيًا ـ التوسُّلُ إلى اللَّهِ بصالحِ الأعمال، كأنْ يقول المُسلمُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بإيماني بك، أو بمحبَّتِي لك، أو اتِّبَاعي لرَسُولِك، أو أنْ يَذكُرَ بَيْنَ يَدَي دعائِهِ عَمَلاً صالحًا عَمِلَهُ، ثمَّ يتوسَّل به إلى اللَّه.

ويدلُّ على ذلك قولُ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

ومن ذلك قصةُ أصحابِ الغارِ الثلاثةِ، فإنَّ كلاً منهم توسَّل إلى اللَّهِ بعملٍ صالحٍ، فاستجاب اللَّهُ لهم.

ثالثًا ـ التوسُّل إلى اللَّه بدعاء رجلٍ صالحٍ، حيٍّ حاضرٍ قادرٍ، وقولُنا: حيٌّ حاضر قادرٍ احترازًا من دعاءِ الأمواتِ والغائبين، الذين لا يَقْدِرونَ على دَفْعِ الضُّرِّ عن أنفسهم، فدعاؤهم شِرْكٌ باللَّهِ، وكذلك الاعتقادُ أنَّهم يَضُرُّون أو ينفعون من الشِّرْكِ الذي لا يَغْفِرُهُ اللَّه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النِّساء: ٤٨].

ودليلُ التوسُّلِ إلى اللَّهِ بدعاءِ رجلٍ صالحٍ حيٍّ حاضرٍ قادرٍ ـ ما جاء في

«الصحيحين»[١] من حديث أنسٍ - رضي اللَّه عنه - قال: «بيْنَا النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ في يوم جُمُعةٍ، قام أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ اللَّه، هَلَكَ المالُ، وجاعَ العيالُ؛ فادْعُ اللَّهَ لنا. فَرَفَعَ يَدَيْه - وما نَرَىٰ في السَّماءِ قَزَعَةً - فوالَّذي نفسي بيدِه، ما وَضَعَهُما حتَّىٰ ثارَ السَّحابُ أَمْثَالَ الجِبالِ، ثمَّ لم يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِه، حتَّىٰ رَأَيْتُ المطرَ يَتَحَادَر علىٰ لِحيتِه - ﷺ -».

ومن ذلك ما جاء في توسُّلِ الصَّحابةِ بدعاءِ العبَّاسِ - رضي اللَّه عنه -.

ففي «صحيح البخاري»[٢] من حديث أنسٍ - رضي اللَّه عنه -: أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ كان إذا قَحَطُوا استسقىٰ بالعبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنا فَتَسْقِينا، وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا». قال: فَيُسْقَوْنَ.

٤ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ إظهارُ الافتقارِ والذِّلَّة، والاعترافُ بالذَّنْب والتقصير، يدلُّ علىٰ ذلك قولُهُ - تعالىٰ - عن يُونُسَ - عليه السلامُ -: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٥ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ تجنُّبُ الاستعجالِ.

ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هُريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهُ ﷺ: «يُسْتجابُ لأَحَدِكُمْ ما لم يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ، فلم يُسْتَجَبْ لي» وفي لَفْظِ مسلم: «لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ، ما لم يَسْتَعْجِلْ».

قيل: يا رسولَ اللَّه، ما الاستعجالُ؟

(١) رواه البخاري (٩٣٣)، واللفظ له، ومسلم (٨٩٧).
(٢) رواه البخاري (١٠١٠).
(٣) رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٦).

قـال: «يقولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وقَدْ دَعَوْتُ، فلم أَرَ يستجيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عندَ ذلك، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

قال ابن حَجَرٍ ـ رحمه اللَّه ـ : «معنى يستحسر: ينقطع.

وفي هذا الحديثِ أَدَبٌ من آدابِ الدُّعاءِ، وهو أنْ يُلازِمَ الطَّلَبَ، ولا يَيْأَس من الإجابةِ؛ لما في ذلك من الانقيادِ والاستسلامِ، وإظهارِ الافتقارِ»[١].

٦ ـ ومن شروطِ الدُّعاء، الدُّعاءُ بالخَيْر.

ففي «صحيح مسلمٍ»[٢] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ».

٧ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ حُسْنُ الظنِّ باللَّه ـ عَزَّ وجلَّ ـ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٣] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ادعوا اللَّهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ».

٨ ـ ومن شروط الدُّعاء حُضُورُ القَلْبِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ، في «صحيح الجامع»[٤] من حديث أبي هُريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «واعلموا أنَّ اللَّهَ لايَسْتَجيبُ دُعاءً مِنْ قلبٍ غافلٍ لاهٍ».

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٤١).
(٢) رواه مسلم (٢٧٣٥).
(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).
(٤) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

٩ ـ ومن شروط الدُّعاءِ إطابةُ المأكَلِ، والمَشْرَبِ، والمَلْبَسِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيُّها الناس، إنَّ اللَّهَ طيِّب لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمرَ المُؤْمنين بما أمَرَ به المُرْسلينَ»، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَهُ إلىٰ السماءِ: ياربِّ، ياربِّ. ومَطْعَمُهُ حرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنَّىٰ يُسْتَجَابُ لَهُ؟!».

وأستغفرُ اللَّه.

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥).



الخطبة الثانية

أوقات يُستجاب فيها الدعاء



الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرْسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الدُّعاءِ، وبَعْضِ فضائلِهِ وشروطِهِ، والآنَ حديثي معكُمْ عَنِ الأَوْقَاتِ التِّي يُسْتجابُ فيها الدُّعاءُ، فهناك أوقاتٌ يُسْتجابُ فيها الدُّعاءُ، منها:

وَقْتُ السَّحَرِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنا ـ تبارك وتعالى ـ كُلَّ ليلة إلى السَّمَاءِ الدُّنيا، حيْنَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فأستجيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُني فأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغفِرُني فأَغْفِرَ لَهُ؟».

ومنْ أوقاتِ الاستجابةِ عندَ النِّداءِ للصَّلَواتِ المكتوبةِ، وعندَ زَحْفِ الصُّفُوفِ، والتحامِها في المَعْرَكةِ، وعِنْدَ نُزُولِ المَطَرِ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[٢] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ ـ أو قَلَّما تُرَدَّانِ ـ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وعِنْدَ البَأْسِ، حِيْنَ يُلحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٢١٥).

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «ثِنْتان ما تُردَّان: الدُّعَاءُ عندَ النِّداء، وتَحْتَ المَطَرِ».

ومن أوقات إجابة الدُّعاء بَيْنَ الأذانِ والاقامة.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٢)] من حديث أَنَس بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «لاَ يُرَدُّ الدُّعاءُ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقامَةِ».

ومن أوقات إجابةِ الدُّعاءِ الساعةُ التي في يومِ الجُمُعة.

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ ذكرَ يومَ الجُمُعةِ، فقال: «فيه ساعةٌ، لا يُوافقُها عبدٌ مُسلمٌ، وهو قائمٌ يُصلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تعالى شيئًا إلاَّ أَعْطَاهُ إيَّاهُ». وأَشَار بيدِه يُقَلِّلُها، وقد اختلف العلماءُ في تحديدِ وَقْتِها.

فقيل: إنها وقتُ دُخُولِ الخطيبِ.

وقيل: إنَّها بَعْدَ العَصْرِ، ورجَّح هذا القولَ ابْنُ القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ[(٤)].

ومن أوقات الاستجابة عندَ شُرْبِ ماءِ زَمْزَمَ.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[(٥)] من حديث جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعتُ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١١٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٨).
(٢) رواه أبو داود (٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٩).
(٣) رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).
(٤) انظر زاد المعاد (١/ ٣٧٨).
(٥) رواه ابن ماجهْ (٣٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٨٤).

رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ يقولُ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ».

ومن أوقاتِ إجابةِ الدُّعاءِ في السُّجودِ.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّه وهو ساجدٌ؛ فأكْثِروا الدُّعاءَ».

وهناك ـ أيُّها الناسُ ـ دَعَواتٌ مُسْتجاباتٌ: دَعْوةُ الوالدِ على وَلَدِه، ودَعْوةُ المظلومِ، ودَعْوةُ المسافِرِ، ودَعْوَةُ الوالدِ لوَلَدِهِ، ودَعْوةُ الصائم، ودَعْوةُ الولدِ الصَّالح لوالدَيْهِ.

فقد روىٰ البخاري في «الأدب المفرد»[2] بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجاباتٌ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافِرِ، ودعوةُ الوالِدِ على وَلَدِه».

وروىٰ البيهقيُّ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ثلاثُ دَعَواتٍ لا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوالِدِ لوَلَدِهِ، ودعوةُ الصائمِ، ودعوةُ المسافِرِ».

وفي «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا ماتَ ابْنُ آدَمَ انقطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعو له».

أيها الناس، إن ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله، ففي مسند أحمد بسندٍ

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

(٢) الأدب المفرد (٤٨١) وصحيح الأدب المفرد للألباني (٣٧٢).

(٣) رواه البيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٢).

(٤) رواه مسلم (١٦٣١).

حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه مِنَ السُّوء مِثْلَهُ، ما لم يدعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ».

أَيُّها الناسُ، إنَّ اللَّهَ حييٌّ كريمٌ، وقد أمر بالدُّعاء، ووعَد بالاستجابة.

فقال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(٢) من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «إنَّ ربَّكُمْ حَيِيٌّ كريمٌ، يستحي مِنْ عَبْدِه إذا رَفَعَ يَدَيْه إليه أنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا».

واللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - يستجيبُ دَعْوةَ عَبْدِهِ المؤْمِن، ويُعطيهِ أَحَدَ ثلاثِ خِصالٍ، دلَّ علىٰ ذلك الحديث الآتي:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»(٣) من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما مِنْ مُسلمٍ يَدْعو بدعوةٍ، ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ - إلاَّ أعطاهُ اللَّهُ إحْدَى ثلاث: إمَّا أنْ يُعَجِّلَ له دَعْوَتَهُ، وإمَّا أنْ يَدَّخِرَهَا له في الآخرةِ، وإمَّا أنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها».

وأخرج البخاري - أيضًا - في «صحيح الأدب المفرد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»(٤) من حديث أبي هُريرةَ - عَنِ النبيِّ - ﷺ - قال:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٨).

(٢) رواه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٧٥٧). .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٨).

«ما منْ مؤمنٍ يَنْصبُ وَجْـهَهُ إلى اللَّه، يسألُهُ مسألةً ـ إلاَّ أعطاه إيَّاها، إمَّـا عَجَّلها له في الدُّنيا، وإمَّا دخَّرها له في الآخرةِ، ما لم يَعْجَلْ».

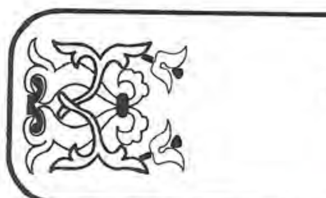
قـالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وما عَجَلَتُهُ؟ قال: «يقولُ: دَعَوْتُ ودَعَوْتُ، ولا أراهُ يُسْتجابُ لي».

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].



الخطبة الأولى

التوبة



إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ التوبةِ، والتَّوبةُ أَمْرُها عظيمٌ، ومنزلتُها من الدِّينِ عاليةٌ، فهي واجبةٌ من كُلِّ ذَنْبٍ.

ولقد فتح اللَّهُ - سبحانه وتعالى - بابَ التوبة، ووعد بقُبُولِها، مهما عَظُمت الذُّنوبُ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

﴿الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٥٤].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

ثم قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ محرضًا لهم علىٰ التوبة : ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ : «وهذا مِنْ كَرَمِهِ ـ تعالىٰ ـ وَجُودِهِ، ولُطْفِهِ ورحمَتِهِ بخَلْقِهِ مع هذا الذَّنْبِ العظيم، وهذا الافتراءِ والكَذِبِ والإفكِ، يدعوهم إلىٰ التوبةِ والمغفرةِ، فكُلُّ مَنْ تاب إليه تابَ عليه»(١).

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البُروج: ١٠].

قال الحَسَنُ البَصْرِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «انظروا إلىٰ هذا الكَرَمِ والجُودِ، قَتَلُوا أولياءَهُ، وهو يدعوهم إلىٰ التوبة!»(٢).

وللتوبةِ ـ أيُّها الناسُ ـ فضائل عظيمةٌ، لا تكاد تُحْصَرُ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٦).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٣٣).

فمن فضائلها أنَّها سببٌ للفلاحِ والفَوْزِ بسعادة الدَّارَيْنِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ومن فضائلِ التوبة أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يغفرُ بها الذُّنوبَ، مهما عظُمَتْ، ومهما كَثُرَتْ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

ومن فضائلِ التوبة أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يُبدِّلُ سيِّئاتِ صاحبِها حسنات، متى حَسُنَتْ توبتُه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

ومن فضائل التَّوبةِ أنَّها محبوبةٌ إلى اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن فضائلِ التَّوبةِ أنَّها مِنْ أَثرِ رحمة اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ـ٢٨].

ومن فضائلِ التوبة أنَّها سببٌ لحُلُول الخَيْرات.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هُود: ٣].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نُوح: ١٠-١٢].

ومن فضائل التوبةِ أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يَفْرَحُ بتوبةِ التَّائبين.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّـه ـ ﷺ ـ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِه ـ حِيْنَ يَتُوبُ إليه ـ مِنْ أَحَدِكُمْ، كان على راحلَته بأرضِ فَلاَة، فأنفَلَتَتْ منْهُ، وعليها طعامُهُ وشرابُهُ، فأَيِسَ منْهَا، فأتى شجَرَةً، فاضْطَجَعَ في ظلِّهَا، وقد أيسَ من راحلَته، فَبَيْنَما هُوَ كذَلك، إذْ هُوَ بها قائمةً عنْدَهُ، فأخَذ بخطامهَا، ثُمَّ قال ـ مِنْ شدَّةِ الفَرَحِ ـ: اللَّهُمَّ أنتَ عَبْدِي، وأنا ربُّك، أَخطَأَ مِنْ شدَّةِ الفَرَحِ».

وَمِنْ دُرر العلاَّمَة ابْن القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ قولُهُ: «التَّوبَةُ هِيَ حقيقةُ دِيْنِ الإسْلاَم، والدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ في مُسَمَّىٰ التَّوبَة؛ وبهذا استحقَّ التَّائبُ أن يَكُونَ حبيب اللَّه، فإنَّ اللَّهَ يُحبُّ التَّوابين، ويُحبُّ المُتَطَهِّرينَ، وإنما يُحبُّ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ ما أَمَرَ بِه، وتَرَكَ ما نَهَىٰ عَنْهُ. فإذًا التوبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ظاهراً وباطنًا إلىٰ ما يُحبُّهُ ظاهِرًا وباطِنًا، ويَدْخُلُ في مُسَمَّاها الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وتَتَنَاوَلُ جميعَ المقامات؛ ولهذا كانتْ غاية كُلِّ مُؤْمِنٍ، وبدايةَ الأَمْرِ، وخاتِمَتَهُ، وهي الغايةُ الَّتِي وُجِدَ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٢)، واللفظ له.

لأَجْلهَا الخَلْقُ، والأَمْرُ والتَّوْحيدُ جُزْءٌ منْهَا، بل هُو جُزْءُها الأَعْظمُ الذي عليه بناؤها.

وأَكْثَرُ الناسِ لا يعرفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ، ولا حَقيقَتَها، فَضْلاً عن القيامِ بِهَا عِلْمًا، وعملاً، وحَالاً، ولَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ - تعالىٰ - محبَّتَهُ للتَّوَّابينَ إلاَّ وَهُمْ خَواصُّ الخَلْقِ لَدَيْه، ولولاَ أنَّ التَوْبَةَ اسمٌ جامعٌ لشرائعِ الإسلامِ، وحقائقِ الإيمانِ، لَمْ يَكُن الرَّبُّ - تعالىٰ - يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِه ذلك الفَرَحَ العَظيمَ، فَجَميعُ ما يتكلَّمُ فِيهِ النَّاسُ من المقاماتِ والأحْوالِ - هُوَ تفاصيلُ التَّوبةِ وآثارُها»[1].

أيُّها الناسُ، تلك بَعْضُ فضائل التَّوبة.

ومن أسماء اللَّه الحُسنىٰ (التَّوَّابُ)، الذي لم يَزَلْ يتوبُ علىٰ التائبين، ويغفرُ ذُنوبَ المُنيبين، فَكُلُّ مَنْ تَابَ إلىٰ اللَّه توبةً نصوحًا، تاب اللَّه عليه.

فهو التَّائبُ علىٰ التَّائبين أوَّلاً بتوفيقهم للتَّوبةِ، والإقبالِ بقلوبهم إليه، وهو التَّائب عليهم بَعْدَ توبتهم، قُبولاً لها، وعَفْواً عَنْ خطاياهم[2].

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٤].

ولَقَد مَنَحَنَا اللَّهُ - سبحانه وتعالى - مُهْلَةً للتَّوبةِ، قَبْلَ أنْ يَقومَ الكِرامُ الكاتبون بالتدوين.

روىٰ الطَّبرانيُّ في «الكبير»، والبَيهَقِيُّ في «الشُّعَبِ» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة»[3] من حديث أبي أُمامةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -:

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص٣٥١).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٩).

«إنَّ صاحبَ الشِّمال لَيَرْفَعُ القَلَمَ ستَّ ساعات عَنِ العبدِ المُسلِمِ المُخْطِئِ - أو المُسيءِ - فإنْ نَدِمَ، واستغفرَ اللَّهَ منْهَا، ألْقَاها، وإلاَّ كتب واحدةً».

فعلينا - أيُّها الناسُ - بالتَّوبةِ من كُلِّ ذَنْبٍ، صغيراً كان أو كبيراً، فإنَّ من البلاءِ احتقار الصَّغائرِ من الذُّنوبِ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] من حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «إياكم ومُحقَّرات الذُّنوبِ؛ فإنَّما مَثَلُ مُحقَّرات الذُّنوب كَمَثَلِ قومٍ نَزَلُوا بَطْن وادٍ، فجاءَ ذا بعُودٍ، وجاء ذا بعُودٍ، حَتَّى حمَلُوا ما أَنْضَجُوا به خُبْزَهُمْ، وإنَّ مُحَقَّراتِ الذُّنوبِ متى يُؤْخَذْ بها صاحِبُها تُهْلِكهُ».

وكما يجبُ علينا - أيُّها الناسُ - عَدَمُ احتقارِ الصَّغائرِ، فإنَّهُ يجبُ علينا أنْ نُحْسِنَ الظَّنَّ باللَّهِ - سبحانه وتعالى -.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ: أنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - قال: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي، إنْ ظَنَّ بي خَيْراً فَلَهُ، وإنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ».

وفي «صحيح مسلمٍ»[(٣)] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - عَنِ النبيِّ - ﷺ - فيما يَحكِي عَنْ رَبِّهِ - سبحانه وتعالى - قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فقال: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فقال - تَبَارَكَ وتَعَالَى -: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لي ذَنْبِي. فقال - تَبَارَكَ وتَعَالَى -: عَبْدي

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦).
(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥).
(٣) رواه مسلم (٢٧٥٨).

أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فقال: أي رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فقالَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لك».

أيُّها النَّاسُ، إليكم نموذجًا من توبة صحابة رسولِ اللَّه ﷺ، والتي تبين لنا كيف كان خَوْفُهم مِنَ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالى ـ؟

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جَاءَ ماعِزُ بْنُ مالكٍ إلىٰ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي. فقال: «وَيْحَكَ ارْجِعْ، فاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ!» قال: فَرَجَعَ غَيْرَ بعيدٍ، ثُمَّ جَاءَ فقال: يَارَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي. فقال رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «وَيْحَكَ ارْجِعْ، فاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ!» قال: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جاء فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إذا كانت الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟». فَقَالَ: مِنَ الزِّنَىٰ. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «أَبِهِ جُنُونٌ؟». فَأخبرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: «أَشَرِبَ خَمْرًا؟». فَقَامَ رَجُلٌ، فاسْتَنْكَهَهُ (أي: شَمَّ رَائِحَتَهُ)، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قال: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «أَزَنَيْتَ؟». فقال: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لقدْ أَحاطَتْ به خطيئَتُهُ. وقائِلٌ يَقُولُ: ما تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ ماعزٍ؛ إِنَّهُ جَاء إلىٰ النَّبِي ـ ﷺ ـ فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، ثُمَّ قال: اقْتُلنِي بالحِجَارَةِ. قَالَ: فَلَبِثُوا بذَلِكَ يَوْمَيْنِ أو ثَلاثَةً، ثُمَّ جاءَ رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالك». قال: فقالوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مالكٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ».

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٥).

قال: ثُمَّ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ من غَامِدٍ مِنَ الأزدِ، فقالتْ: يا رسولَ اللَّه، طَهِّرني. فقال: «وَيْحَكِ ارجعي، فاسْتَغْفِري اللَّهَ، وَتُوبي إليه!» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أنْ تُرَدِّدَني، كما رَدَّدْتَ ماعِزَ بْنَ مَالِكٍ. قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟».

قالت: إنَّها حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ. فَقَالَ: «آنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فقال لها: «حَتَّى تضعي ما في بَطْنك» قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ من الأنصارِ حتَّىٰ وضَعَتْ. قال: فأتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: قدْ وَضَعَتِ الغامِدِيَّةُ. فَقَالَ: «إذًا لا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صغيرًا، لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ».

فقال رجُلٌ مِنَ الأنصارِ: إليَّ رَضَاعُهُ، يا نَبِيَّ اللَّهِ. قال: فرَجَمَهَا، ثمَّ أمر بها، فصلَّىٰ عليها، ودُفِنَتْ.

وفي روايـة: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيها - يا نبيَّ اللَّه - وقدْ زَنَتْ!. فقال: «لقد تَابَتْ تَوْبَةً، لو قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ منْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للَّهِ - تعالى -؟»[1].

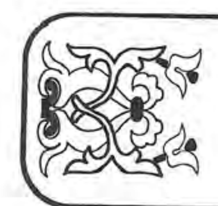
وأستغفرُ اللَّهَ.

(١) رواه مسلم (١٦٩٦).



الخطبة الثانية

شروط التوبة



الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المُرسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديث عن التَّوبةِ مع ذِكْرِ شيءٍ من فضائِلها، والآن حديثي معكمْ عَنْ شُروطِ التَّوبةِ.

أيُّها الناس، إنَّ التَّوبة الصادقة هي التي اجتمع فيها خمسةُ شُروط:

الشرط الأول ـ الإخلاص للَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بأن يقصدَ بها وَجْهَ اللَّهِ ـ تعالىٰ ـ راجيًا ثوابَهَ والنَّجاةَ من عَذَابِهِ.

والإخلاص لابُدَّ منه لكُلِّ عملٍ صالحٍ، فهو حقيقة الدِّين، ومفتاحُ دعوةِ الرُّسُلِ ـ عليهم السلامُ ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ [البيِّنة: ٥].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقُولُ: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكُلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانتْ هجْرَتُهُ إلى اللَّه وَرَسُوله، فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورسُولِهِ، ومَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ لدُنيا يُصيبُهَا، أو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**».

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧)، ومسلم (١٩٠٧).

الشرط الثاني ـ النَّدمُ على فِعْلِ المعصيةِ، بحيثُ يحزنُ على فِعْلِها، ويتمنَّى أنَّه لم يفْعَلْها.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجـه»[1] من حديثِ ابْنِ مَعْقِلٍ قال: دخلتُ مع أبي على عَبْدِ اللَّهِ (أي: ابْنِ مسعودٍ)، فسمعتهُ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**». فقال له أبي: أنت سمعتَ النبيَّ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»؟ قال: نَعَمْ.

الشَّرْطُ الثالثُ ـ الإقلاعُ عَنِ الذَّنْبِ فَوْرًا، فإنْ كانتْ في حقِّ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالى ـ، تَرَكَهَا إنْ كانتْ في فِعْلٍ مُحَرَّمٍ، وبادر بِفِعْلها إنْ كانتْ في تَرْكِ واجبٍ، وإنْ كانتْ في حقِّ مخلوقين، بادر بإرجاعِ حقوقِ مَنْ ظلمهم، أو طَلَبَ البراءةَ منهم ـ أي: طلب السماحَ له، وتحليلهُ منها ـ، لأنَّ التوبةَ تكونُ في حقِّ اللَّهِ، وحقِّ العبادِ، فحقُّ اللَّهِ يكفي فيه التَّرْكُ، وهناك ما يكفي فيه مع التَّرْكِ الكفَّارَةُ والقضاءُ.

أمَّا حقُّ غَيْرِ اللَّهِ فيحتاجُ إلى السَّماحِ من المظالمِ، وإلى أداء الحُقُوقِ إلى مُسْتحقِّيها، حتَّى يَحْصُلَ الخلاصُ من ذلك الذَّنْبِ.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**مَنْ كانتْ له مَظْلمةٌ لأَحَدٍ منْ عِرْضِه ـ أوْ شيءٍ ـ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منْهُ اليومَ، قَبْلَ ألاَّ يكونَ دينارٌ ولا درْهمٌ، إن كانَ لَهُ عَمَلٌ صالحٌ، أُخِذَ منْهُ بِقَدْرِ مَظْلمَتِه، وإنْ لم يَكُنْ لَه حسناتٌ، أُخذَ منْ سيِّئاتِ صَاحِبِه، فحُمِلَ عَلَيْه**».

الشَّرْطُ الرَّابعُ ـ العَزْمُ على ألاَّ يَعُودَ إلى تِلْكَ المعصيةِ في المُستقبلِ.

---

(١) رواه ابن ماجَهْ (٤٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجَهْ (٣٤٢٩).
(٢) رواه البخاري (٢٤٤٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٨١).

الشَّرْطُ الخامس ـ أنْ تكونَ التـوبةُ قَبْلَ فوات قَبُولها، إمَّـا بحُضُور الأَجَلِ، أو بطُلوعِ الشَّمسِ مِنْ مَغْربها.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ**﴾ [النساء: ١٨].

ومعنى حضور الموت: أَيْ: وقت الغَرْغَرةِ عِنْدما تبلُغُ الرُّوحُ الحُلْقومَ.

لما في «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[(١)] من حديث عبد اللَّه بن عَمْرٍو ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ ليَقْبَلُ تَوْبَةَ العبدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**».

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ التوبة في هذه الحالِ توبةُ اضطرارٍ، لا تنفعُ صاحبَها، إنَّما تنفعُ توبةُ الاختيارِ، وهذا كما قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [غافر: ٨٤].

وكما حكم اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بعَدَمِ توبةِ أهلِ الأَرْضِ، إذا عاينوا الشَّمسَ طالعةً من مَغْربها في قولِهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام: ١٥٨][(٢)].

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ مَغْرِبِها ـ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه**».

أيُّها الناسُ، تلك شُرُوط التوبة، فعلينا أنْ نتوبَ إلىٰ اللَّهِ توبةً نَصُوحًا، قبلَ أنْ يقولَ أَحَدُنا: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ**

---

(١) رواه ابن ماجَهْ في سننه (٤٢٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجَهْ (٣٤٣٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٣).

(٣) رواه مسلمٌ (٢٧٠٣).

قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

اللَّهُمَّ اغْفر لنا، وتُبْ علينا إنك أنت التوابُ الرَّحيم.

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ما قَدَّمْنا، وما أَخَّرْنا، وما أَسْرَرْنا، وما أَعْلَنَّا، وما أنتَ أعلمُ به منَّا، إنك أنت المُقدِّمُ والمُؤَخِّرُ، لا إله إلاَّ أنت.

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ذَنْبَنا كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخِرَهُ، وعلانِيَتَهُ وسِرَّهُ.



الخطبة الأولى

خصائص يوم الجمعة



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليومَ عَنْ خصائصِ سيِّدِ الأيَّامِ، وخَيْرِ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ، فيه خُلِقَ آدَم - عليه السلامُ - وفيه أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، وفيه تقومُ الساعةُ، وفيه ساعةٌ، لا يُوافقُها عبدٌ مُسلمٌ، يسألُ اللَّهَ خيراً، إلاَّ أعطاه ما سَأَلَ، وفيه صلاةُ الجُمعةِ التي أمرَ اللَّهُ بالسَّعْيِ إليها في كتابه العزيز، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجُمُعة: ٩].

ومن فضائل يوم الجُمُعة ـ أيُّها الناسُ ـ أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ اختصَّ به هذه الأُمَّة دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الأُمَم.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هُريرة ـ رَضِي اللَّه عنه ـ أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «نَحْنُ الآخِرُون السَّابِقُونَ يومَ القيامة، بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثمَّ هذا يَوْمُهُمُ الَّذي فُرِضَ عَلَيْـهِمْ، فاخْتَلَفُوا فيـه، فَهَدانا اللَّهُ، فالنَّاسُ لَنَا فيـه تَبَعٌ: اليهُودُ غَدًا، والنَّصَارى بَعْدَ غَد».

ومن فضائله أنَّهُ خَيْرُ يوم طلعتْ فيه الشَّمْسُ.

ففي «سنن أَبِي داودَ»، والتِّرمذيِّ، والنَّسائيِّ بسندٍ صحيح، صحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «خيرُ يوم طَلَعَتْ فـيه الشمسُ يومُ الجُمعـة: فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُهْبطَ، وفـيه تِيبَ عليه، وفيه ماتَ، وفيه تقومُ الساعةُ، وما منْ دابَّةٍ إلاَّ وَهي مُسِيخةٌ (أي منتظرةٌ لقيامِ الساعة، مُصْغيةٌ لها) يومَ الجُمُعـة، منْ حينَ تُصْبحُ، حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ شفقًـا من الساعة إلاَّ الجنَّ والإنْسَ، وفيه ساعـةٌ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ـ وهو يُـصَلِّي ـ يَسأَلُ اللَّهَ حاجةً، إلاَّ أَعْطاهُ إيَّاها».

ومن فضائله أنَّهُ من مُكَفِّرات الذُّنوب.

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حـديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قـال: «الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعـة، ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ ـ مُكَفِّرَاتٌ ما

---

(١) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦)، واللَّفظ له، والترمذي (٤٩١)، والنسائي (٣/ ١١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٢٩).

(٣) رواه مسلم (٢٣٣).

بينهنَّ، إذا اجْتُنِبَت الكبائرُ» .

وفي «صحيح البخاريِّ»[١] من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجُمُعة، ويتطهَّرُ ما استطاع منْ طُهْر، ويَدَّهِنُ منْ دُهْنه، أو يَمَسُّ منْ طِيْبِ بَيْته، ثُمَّ يَخْرُجُ، فلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصلِّي ما كُتبَ له، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تَكلَّم الإمامُ - إلا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ الجُمُعة الأُخْرَى» .

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ تَوضَّأَ، فأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعةَ، فاستَمَعَ وأَنْصَتَ - غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبيْنَ الجُمُعة، وزيادةُ ثلاثة أيَّام، ومَنْ مسَّ الحَصَى فَقَد لَغَا» .

وصلاةُ الجُمُعة - أيُّها الناسُ - فرضُ عَيْنٍ على كُلِّ مسلمٍ، ذكرٍ، حُرٍّ بالغٍ، مُقيمٍ، غَيْرِ مَعْذُورٍ لأدلَّة، منها:

قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجُمُعة: ٩] .

قال الحافظُ ابن حَجَر - رحمه اللَّه - : «فالأَكْثَرُ أنَّها فُرِضَتْ بالمدينة، وهو مُقْتَضَى ما تقدَّمَ، أنَّها فُرِضَتْ بالآيةِ المذكورة، وهي مَدَنيَّةٌ»[٣] .

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّه سمع رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «نحنُ الآخِرونَ السابقون يومَ القيامة، بَيْدَ أنَّهم أُوتُوا الكتابَ

(١) رواه البخاري (٨٨٣) .
(٢) رواه مسلم (٨٥٧) .
(٣) فتح الباري (٢/ ٣٥٤) .
(٤) تقدم تخريجه .

منْ قَبْلنا، ثمَّ هذا يَوْمُهُمُ الَّذي فُرِضَ علـيهم، فاختلفوا فيه، فهـدانا اللَّهُ، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليَهُودُ غَدًا، والنَّصارى بَعْدَ غَدٍ».

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[1] من حديث طارق بْن شهابٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «الجُمُعَةُ حقٌّ واجبٌ على كُلِّ مُسلمٍ في جماعةٍ إلاَّ أربعةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أو امرأةٌ، أو صَبِيٌّ، أو مَريضٌ».

فتبَيَّن من خِلالِ حديثِ طارقِ بن شهابٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ صلاةَ الجُمُعةِ فرض عينٍ إلا علىٰ مَنِ استثني، وهم خمسة:

أولاً ـ العَبْدُ المَمْلُوكُ. **ثانيًا** ـ المَرْأَةُ.

ثالثًا ـ الصبيُّ. **رابعًا** ـ المريضُ.

خامسًا ـ المسافرُ في أصحِّ قَولَي العلماءِ.

وقد أجمع العلماءُ علىٰ وجوبِ الجُمُعةِ.

قال ابن المُنْذر في كتابه «الإجماع»[2]: «وأجمعوا علىٰ أنَّ الجُمُعة واجبةٌ علىٰ الأحرارِ البالغين المُقيمين، الذين لا عُذْرَ لهم».

وقال الإمام ابْنُ رشد في «بداية المجتهد»[3]: «وُجُوبُ صلاةِ الجُمُعةِ علىٰ الأعيانِ هو الذي عليه الجُمْهُورُ».

أيُّها الناسُ، لقد جاء الوعيدُ الشديدُ لمن تخلَّف عن الجُمُعةِ لغير عُذْرٍ، فمن ذلك:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٦٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٤٢).

(٢) الإجماع لابن المنذر (ص٤١).

(٣) بداية المجتهد (١/ ٣٧٩).

ما جاء في «سنن أبي داودُ» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ - قالهُ الألباني في «صحيح سنن أبي داودَ»[١] مِنْ حديثِ أبي الجَعْدِ الضَّمْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ - تَهَاوُنًا بِهَا - طَبَعَ اللَّهُ على قَلْبِه».

وفي «صحيح مسلمٍ»[٢] من حديث أبي هريرة وعبدِ اللَّهِ بن عمرٍو أنَّهما سمعا رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ على أعوادِ مِنْبَرِه: «لَيَنْتَهِينَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ، ثمَّ لَيَكُونُنَّ من الغافلين».

وللجُمُعة - أيُّها الناسُ - خصائص كثيرةٌ، ذكرها بَعْضُ أَهْلِ العلمِ[٣]، وسوف أقتصرُ على الثابتِ منها.

فمن خصائصِها قراءةُ سُورةِ السَّجْدةِ في فَجْرِ يَوْمِها.

ففي «صحيح مسلمٍ»[٤] من حديث ابن عَبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - كان يقرأُ في صلاةِ الفَجْرِ يومَ الجُمُعةِ ﴿الـم ① تنزيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾، وأنَّ النبيَّ - ﷺ - كان يقرأُ في صلاةِ الجُمُعةِ سُورةَ الجُمُعةِ والمُنافقين.

ومن خصائصِها استحبابُ كَثْرَةِ الصلاةِ على النبي - ﷺ - فيها.

ففي «سنن أبي داودَ» بإسنادٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[٥] من حديثِ أَوْسِ بْنِ أوْسٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إنَّ

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥٢)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٩٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر زاد المعاد (١/ ٣٦٣).

(٤) رواه مسلم (٨٧٩).

(٥) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢٥).

منْ أَفْضَلِ أيَّامِكُم يَوْمَ الجُمُعة: فيه خُلِقَ آدَم، وفيه قُبِض، وفيه النَّفْخَةُ، وفيه الصَّعْقَةُ؛ فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإنَّ صلاتَكُمْ مَعْرُوضةٌ عليَّ» قال: قالوا: يا رسولَ اللَّه، وكيف تُعْرَضُ صلاتُنَا عليك، وقَدْ أَرَمْتَ - يقولون: بَلِيْتَ -؟! فقال: «إنَّ اللَّهَ - عَزَّ وجلَّ - حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكُلَ أَجْسَادَ الأنبياء».

وروىٰ البيهقيُّ في «سننه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «أكثروا الصلاةَ عليَّ يَوْمَ الجُمُعة، وليلةَ الجُمُعة، فَمَنْ صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى اللَّهُ عليه بها عَشْرًا».

وأخرجَ الحاكمُ في «مستدركه»، وقال: صحيحُ الإسنادِ، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» لشواهدِه[2] من حديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «أكثروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمُعة؛ فإنَّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُصَلِّي عليَّ يَوْمَ الجُمُعة، إلاَّ عُرِضَتْ عليَّ صلاتُهُ».

ومن خصائصها أنَّها من أعظم مجامعِ المُسلمين، كما ذكر ذلك بَعْضُ أهلِ العِلْمِ.

ومن خصائصها الأمْرُ بالاغتسالِ في يَوْمِها.

ففي «الصحيحين»[3] من حديثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ أَتَى - وفي روايةٍ: مَنْ جاءَ منكمُ - الجُمُعةَ فَلْيَغْتَسِل».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ

---

(١) رواه البيهقي في سننه (٣/ ٢٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٩).
(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٨).
(٣) رواه البخاري (٨٩٤)، ومسلم (٨٤٤). (٤) رواه البخاري (٨٩٥)، ومسلم (٨٤٦).

النبيَّ ﷺ قال: «غُسْلُ يوم الجُمُعةِ واجبٌ على كُلِّ مُحْتَلِمٍ».

والمُحْتَلِمُ - أيُّهَا النَّاسُ - : هو الرَّجُل البالغُ.

ومن خصائصها استحبابُ الطِّيب فيها.

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديثِ سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ - : «لا يَغْتسلُ رجلٌ يومَ الجُمُعة، ويتَطهَّرُ ما استطاع منْ طُهْرٍ، ويَدهنُ منْ دُهْنه، أو يَمَسُّ منْ طيْبِ بيْته، ثُمَّ يَخْرُجُ، فلا يُفرِّقُ بيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصلِّي ما كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصتُ إذا تَكَلَّم الإمامُ - إلاَّ غُفرَ لَهُ مَا بيْنَهُ وبيْنَ الجُمُعة الأُخْرى».

وفي رواية مسلم[2]: «ويَمَسُّ طيبًا - أو دُهْنًا - إنْ كان عندَ أَهْله».

ومن خصائصها السِّواكُ فيها.

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لَولاَ أنْ أَشقَّ على أُمَّتي، لأَمَرْتُهُمْ بالسِّواك عندَ كُلِّ صلاة».

وفي «الصحيحين»[4] من حديثِ عَمْرو بْن سُلَيمٍ الأَنصاريِّ قال: أَشْهَدُ على أبي سعيدٍ قال: أَشْهَدُ على رسولِ اللَّه - ﷺ - قال: «الغُسْلُ يومَ الجُمُعة واجبٌ على كُلِّ مُحْتَلم، وأن يستَنَّ، وأنْ يَمَسَّ طيْبًا إنْ وَجَدَ» قال عَمْرُو بن سُلَيمٍ: «أمَّا الغُسْلُ فأَشْهَدُ أنَّه واجبٌ، وأمَّا الاستنانُ (أي: الاستياكُ) والطِّيبُ فاللَّه أعلمُ، أَوَاجبٌ هُوَ أمْ لا؟، ولكنْ هكذا في الحديث».

ومن خصائصها التبكيرُ للصلاة.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) رواه مسلم (٨٤٨).

(٣) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٤) رواه البخاري (٨٨٠)، ومسلم (٨٤٦).

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «مَنِ اغتسلَ يومَ الجُمُعة غُسْلَ الجَنَابة، ثمَّ رَاحَ، فكأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَنْ أَتَى في السَّاعة الثانية، فكأنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ أَتَى في الساعة الثالثة، فكأنَّما قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، ومَنْ أَتَى في السَّاعة الرابعة، فكأنَّما قَرَّبَ دجَاجةً، ومَنْ أَتَى في السَّاعة الخامسة، فكأنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فإذا خَرَجَ الإمَامُ، طَوَت الملائكةُ صُحُفَها، وحَضَرُوا يستمعون الذِّكْرَ».

وأستغفرُ اللَّهَ.

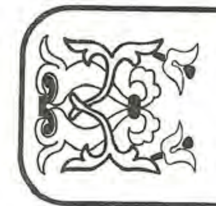
---

(١) رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).



الخطبة الثانية

خصائصُ يومِ الجمعة



الحَمْدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بَعْضِ خصائصِ يومِ الجُمُعةِ، وفيما يأتي ذِكْرُ بَعْضِها:

فمن خصائِصها - أيُّها الناسُ - قراءةُ سُورةِ الكَهْفِ في يومها.

ففي «مستدرك الحاكم» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «إرواء الغليل»[1] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**مَنْ قَرأَ سُورة الكَهْفِ في يَوْمِ الجُمُعةِ، أَضاءَ له منَ النُّورِ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ**».

ومن خصائصها أنَّه يُستحبُّ أن يلبسَ المرءُ فيها أَحْسَنَ الثِّيابِ التي يَقْدِرُ عليها من لِباسِه الشَّرعيِّ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسند حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «التعليق علىٰ صحيح ابن خُزَيْمةَ»[2] من حديث أبي أيُّوبَ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - يقول: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعةِ، ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ - إنْ كانَ له - ولَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثيابِهِ، ثمَّ خَرَجَ، وعليه**

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٦)، وإرواء الغليل (٣/ ٩٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٠)، وحسنه الألباني في التعليق علىٰ صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٧٧٥).

السكينةُ، حتَّى يَأْتِيَ المَسْجِدَ، ثمَّ يَرْكَعُ - إنْ بَدَا لَهُ - ولم يُؤْذِ أَحَدًا، ثمَّ أَنْصَتَ إذا خَرَجَ إمامُهُ حتَّى يُصَلِّيَ - كانتْ كَفَّارةً لما بَيْنَهُما».

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[1] من حديث عبد اللَّه بن سلاَّمٍ أنَّه سَمعَ النَّبيَّ - ﷺ - يقولُ على المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعةِ: «مَا علَى أَحَدِكُم، لَوِ اشترى ثَوْبَيْنِ ليومِ الجُمُعةِ سوى ثَوبَيْ مِهْنَتِه؟».

ومن خصائصها الإنصات للخُطْبَة.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذَا قُلْتَ لصاحبك يَوْمَ الجُمُعة: أَنْصِتْ - والإمامُ يَخْطُبُ - فقدْ لَغَوْتَ» ومعنى لَغَوتَ - أيُّها الناسُ - : أي بَطَلَتْ جُمُعَتُكَ. وقال بعضُ أهلِ العلمِ: أي صارتْ جُمُعتُكَ ظُهْرًا. وذلك استنادًا إلى الحديثِ الآتي:

ففي «سنن أبي داودَ»، و«صحيح ابن خُزَيمةَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[3] من حديث عبد اللَّه بن عَمْرِو بْن العاصِ - رضي اللَّه عنهما - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ - قال: «مَنِ اغتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعة، ومسَّ مِنَ طيب امْرَأَته - إنْ كان لها - ، ولَبسَ مِنْ صالحِ ثيابه، ثمَّ لم يَتَخَطَّ رِقَابَ الناس، ولم يَلْغُ عِندَ المَوْعِظَة - كان له كفَّارةً لما بَيْنَهما، وَمَنْ لَغَا، وتخطَّى رِقَابَ الناسِ، كانَتْ لَهُ ظُهْرًا».

ومن خصائصها أنَّ فيها ساعةَ الإجابة.

ففي «الصحيحين»[4] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ -

---

(١) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجَهْ (١٠٩٥).
(٢) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).
(٣) رواه أبو داود (٣٤٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٢١).
(٤) تقدم تخريجه.

ذَكَرَ يوم الجُمُعةِ، فقال: «فيه ساعةٌ، لا يُوافِقُها عَبْدٌ مسلمٌ - وهو قائم يُصَلِّي - يَسْأَلُ اللَّه - تعالى - شيئًا، إلاَّ أَعْطَاهُ إيَّاهُ». وأشارَ بيدِه يُقَلِّلُها.

وأخرج ابن ماجَهْ في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ - قاله الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»(١) - من حديث عبدِ اللَّهِ بن سلاَّمٍ قال: قلتُ - ورسولُ اللَّه - ﷺ - جالسٌ -: إنَّا لنجدُ في كتابِ اللَّهِ: في يَوْمِ الجُمُعةِ ساعةٌ، لا يُوافِقُها عبدٌ مُؤْمِنٌ يُصلِّي، يسألُ اللَّهَ فيها شيئًا، إلاَّ قَضَىٰ له حاجتَهُ. قال عَبْدُ اللَّهِ: فأشار إليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أو بَعْضُ ساعة» قلتُ: صَدَقْتَ، أو بَعْضُ ساعةٍ. قلتُ: أيُّ ساعةٍ هيَ؟ قال: «هِيَ آخِرُ ساعات النهار» قلتُ: إنها ليستْ ساعة صلاةٍ. قال: «بَلَى، إنَّ العَبْدَ المؤمِنَ إذا صَلَّى، ثُمَّ جَلَسَ لا يَحْبِسُهُ إلاَّ الصلاةُ، فهو في الصَّلاةِ».

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ(٢) من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - عن رسولِ اللَّهِ - ﷺ - أنَّهُ قال: «يَوْمُ الجُمُعة اثنتا عَشْرَةَ ساعةً، لا يُوجَدُ مُسْلمٌ يسألُ اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - شيئًا، إلاَّ آتاهُ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ -، فَالْتَمِسُوها آخِرَ ساعةٍ بَعْدَ العَصْرِ».

قال التِّرْمذيُّ: «ورأىٰ بَعْضُ أهل العلم من أصحابِ النبيِّ - ﷺ - وغَيْرِهِمْ أنَّ الساعة التي تُرْجَىٰ فيها إجابةُ الدَّعْوةِ بَعْدَ العَصْرِ إلىٰ أنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وبه يقولُ أحمدُ وإسحاقُ»(٣).

قال ابْنُ القيم: «روىٰ سعيدُ بْنُ منصورٍ في سُننه عن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرحمنِ: أنَّ ناسًا من أصحابِ رسولِ اللَّهِ - ﷺ - اجتمعوا، فتذاكروا الساعة التي في يوم

---

(١) رواه ابن ماجَهْ في سننه (١١٣٩)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (٩٣١).
(٢) رواه أبو داود في سننه (١٠٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢٦).
(٣) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ٤٤٠).

الجُمُعةِ، فتفرَّقوا ولم يختلفوا أنَّها آخِرُ ساعةٍ من يومِ الجُمُعةِ»(١) .

وقـال الحافظ ابـن حَجـر: «وقد صحَّ اتِّفاقُ الصحابة أنَّها آخِرُ ساعةٍ من يومِ الجُمُعةِ، فلا يجوزُ مُخالفتُهم»(٢) .

قال الألبـانيُّ معلِّقًا على كلام ابن حـجر: «وهو الصَّـوابُ عندي؛ لأنَّ أكـثر أحاديثِ البابِ عليه، وما خالفها فليس فيها شيٌ صحيح»(٣) .

ومن خصائصِها أنَّ الوفاةَ يومَ الجُمُعةِ أو لَيْلَتَها من علاماتِ حُسْنِ الخَاتمة.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(٤) مـــن حديث عبد اللَّه بن عَمْرٍو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قـال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «ما مِنْ مسلمٍ يموتُ يومَ الجُمُعةِ ـ أو ليلةَ الجُمُعَةِ ـ إلاَّ وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ القَبْرِ» .

وفقَنا اللَّهُ جميعًا لما يُحِبُّه ويَرْضَاهُ، وجنَّبنا ما فيه سَخَطُهُ وعقابُهُ، وجَعلَ خَيْرَ أعمالِنا خواتِمَها، وخَيْرَ أيَّامِنا يومَ نَلْقَاهُ، إنَّه جَوادٌ كريمٌ. والحَمْدُ للَّه ربِّ العالمينَ، وصَلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

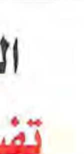
---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٧٩).

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٤٥).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٠).

(٤) رواه الإمام أحمد (٦٥٨٢)، وصححه الألباني في المشكاة (١٣٦٧)، وصحيح الجامع (٥٧٧٣).




الخطبة الأولى

تفسير سورة ق

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ سُورة ق، تلك السُّورةُ العظيمةُ، التي كان النبيُّ - ﷺ - يقرؤها كُلَّ جُمُعة.

كما في «صحيح مسلم»[(١)] من حديثِ أمِّ هشامٍ بِنْتِ حارثةَ - رضي اللّه عنها - قالتْ: «ما أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلاَّ عَنْ لسانِ رسولِ اللّه - ﷺ -، يقْرَؤُها كُلَّ يَوْمِ جُمُعةٍ على المِنْبَرِ، إذا خَطَبَ الناسَ».

---

(١) رواه مسلم (٨٧٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ② أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾.

﴿قٓ﴾ قال أهلُ العلم: إنَّه من الأَسْلَمِ عَدَمُ التعرُّضِ لمعناهُ، وكذلك الحروفُ المُقَطَّعَةُ في أوائل بَعْضِ السُّورِ، مع الجَزْمِ بأنَّ اللَّهَ لم يُنْزِلْها عَبَثًا، بل لحكمة لا نعلمُها. ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ يُقسمُ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بالقرآن الذي قد احتوى على عُلُومِ الأوَّلين والآخرين. ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسولٌ مِنْ أنْفُسِهِمْ، يُخَوِّفُهُم بالنَّارِ بَعْدَ البَعْثِ. ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الإنذارُ ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أيْ مُسْتَغْرَبٌ. ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَرْجِعُ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ غاية البُعْدِ. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ تأكُلُ الأرضُ مِنْ لُحُومِهِمْ، ودمائِهِمْ، وعِظَامِهِمْ. ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللَّوحُ المحفوظُ فيه جميعُ الأشياء المُقَدَّرة.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقُرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ في شَأْنِ النَّبيِّ ﷺ والقُرْآنِ ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مُضْطَرِبٌ، يَقُولون عَنِ النبيِّ ﷺ مَرَّةً: شاعرٌ، ومَرَّةً: ساحرٌ، ويقولون عنِ القُرآن مَرَّةً: سِحْرٌ، ومَرَّةً: رِجزٌ.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ⑥ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ⑦ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ⑧ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ⑩ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾ بعيونهم، مُعْتَبِرين بعُقُولِهم حِينَ أنكروا البَعْثَ بَعدَ المَوْتِ ﴿إِلَى

السَّمَاءِ﴾ كائنةً ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بلا عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ شقوقٍ تعيبُها ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ دَحَوْناها على وَجْهِ الماءِ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالٌ تُثبِّتُها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أصنافِ النباتِ التي تسرُّ الناظرين. ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ تبصيراً وتذكيراً لكُلِّ عبدٍ رجَّاعٍ إلى اللَّه، مُقْبلٍ عليه بالحُبِّ والخَوفِ والرَّجاءِ، وأمَّا المُكذِّبُ والمُعْرِضُ فما تُغْنِي الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قَومٍ لا يُؤْمنون.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ كثير البركَةِ ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزَّرْعِ ﴿الْحَصِيدِ﴾ المَحْصُودِ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طِوالاً ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ مُتراكِبٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ جعلناها رِزْقًا للعبادِ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالمَطَرِ أنبتنا فيها الكَلأَ ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مِثْلُ ذلك الإحياء للأرضِ بَعْدَ مَوْتِها يكونُ الخُروجُ مِنَ القُبورِ، فكيف يُنْكِرونَهُ؟!.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي كُلٌّ مِنْ هؤلاءِ المَذْكُورين كذَّبوا الرُّسَلَ، فحقَّ عليهم عذابُ اللَّهِ، وهذا جوابٌ لقولهم ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ثمَّ ذَكَرَ - سبحانه وتعالى - أنَّهُ خَلَقَهُم أوَّلَ مرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، فهو قادرٌ على أنْ يُعيدَهُم بَعْدَ مَوتِهِمْ؛ لأنَّ الإعادةَ أَهْوَنُ مِنْ الابتداءِ، لكنَّهم في شَكٍّ مِنَ البَعْثِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ يُخْبِرُ - سبحانه وتعالى - أنَّهُ الذي خَلَقَ الإنسانَ، وأنَّهُ يَعْلَمُ بِأَحْوالِهِ، وأسرارِه، وما يُحدِّثُ به قَلْبَهُ، فلا يخْفَى عليه سرائرُه وضمائرُه، وأنَّه

أقربُ إليه من حَبْلِ الوَريد، الذي هو أقربُ شيءٍ إلىٰ الإنسانِ، والوريدانِ: عِرْقانِ بصَفْحَتَي العُنُقِ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ يأخذُ ويُثبتُ ﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكانِ الموكلانِ بالإنسانِ، ما يعملُهُ ويتلفَّظُ به ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه، فالذي عَنِ اليمينِ يكتبُ الحسناتِ، والذي عَنِ الشِّمَالِ يكتبُ السَّيئاتِ ﴿قَعِيدٌ﴾ راصدٌ لعمَلِه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ مُهيَّأٌ.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غَمْرتُه وشدَّتُه ﴿بِالْحَقِّ﴾ مِنْ أَمْرِ الآخرةِ، حتَّىٰ يراها المُنْكِرُ لها عِيانًا وهو نفسُ الشِّدَّةِ ﴿ذَلِكَ﴾ المَوْتُ ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تَهْرُبُ وتَفْزَعُ، ولكن لا مَفَرَّ مِنَ المَوتِ ولا مَهْرَبَ. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبَعْثِ ﴿ذَلِكَ﴾ يَوْمُ النَّفخِ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ للكفَّارِ بالعذابِ ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلىٰ المَحْشَرِ ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ مَلَكٌ يَسُوقُها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يَشْهَدُ عليها بعملِها، وهو الأَيْدي، والأَرْجُلُ، وغَيْرُها.

ويقال للكافر: ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ في الدُّنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النَّازِلِ بِكَ اليومَ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أَزَلْنا غَفْلَتَكَ بما تُشاهِدُهُ اليومَ ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يَنْظُرُ ما يُزْعِجُهُ ويَرُوعُهُ من أنواعِ العَذَابِ والنَّكالِ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ المَلَكُ الموكَّلُ به ﴿هَذَا مَا﴾ هذا الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ، ويُقالُ لمن استحقَّ النَّارَ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ مُعاندٍ للحقِّ يمنع الخير الذي عندَهُ، ظالم لنفسه، لا يُقرُّ بتوحيدِ اللَّه ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: كالزكاةِ، وغيرِها ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٌّ في دِينِه ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا يَملكُ لنفسِه ضَرًّا ولا نَفْعًا ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ألقياهُ في النارِ ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطانُ ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أضللته ﴿وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ وجدته في الضلالِ، فَدَعوته فاستجاب لِي ﴿قَالَ﴾ أي: اللَّه ـ تعالىٰ ـ: ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أيْ: لا فائدة مِن اختصامِكُمْ، وقدْ قامتْ عليكمُ الحُجَّةُ، وانقطعتْ حُجَّتُكُمْ ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ بالعذاب، ولا يمكنُ أنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يُغَيَّرُ ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأُعذِّبهم بغيرِ جُرْمٍ، بل أَجْزيهم بما عَمِلُوا من خيرٍ وشرٍّ، فلا يُزَادُ في سيِّئَاتِهِمْ، ولا يُنْقصُ مِنْ حسناتِهِم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ﴾ وذلك من كَثْرَةِ ما أُلْقِيَ فيها ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: لا تزالُ تَطْلُبِ الزِّيادةَ مِنَ المُجْرِمين العاصين غضبًا لربِّها، ولأنَّ اللَّهَ ـ سبحانَهُ ـ سَبَقَتْ كلمتُهُ: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجْدة: ١٣].

فتقولُ: أَلَسْتَ قَدْ أَقْسَمْتَ لَتَمْلأَنِّي؟ فيضعُ اللَّهُ ـ سبحانَهُ ـ قَدَمَهُ الكريمةَ المُنَزَّهة عَنِ التَّشبيهِ، فَيَنْزَوي بَعْضُها علىٰ بَعْضٍ، فتقولُ: قط، قط، بعزَّتِكَ وكَرَمِكَ، قد امتلأتُ[1].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (٧٣٨٤).

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قُـرِّبَتْ ﴿لِلْمُـتَّقِينَ﴾ لربِّهم التاركين للشِّرْك ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، ويَرَوْنَها، ويُقالُ لهم ـ علىٰ وجْهِ التَّهْنِئَةِ ـ: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجَّاعٍ إلىٰ طاعةِ اللَّهِ ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظٍ لحدودِ اللَّه ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ سالمين من الآفاتِ، فلا انقطاعَ لنعيمها ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حَصَلَ فيه الدُّخول ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الدَّوامِ في الجنَّةِ ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: ثوابٌ يمدُّهم به ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: ولهم أعظمُ من ذلك، النَّظَرُ إلىٰ وَجْهِ اللَّهِ الكَرِيمِ، وهذا أعظم شيءٍ في الجَنَّةِ.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديثِ صهيْبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقولُ اللَّهُ ـ تعالى ـ: تُرِيدُونَ شيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تُبيِّضْ وُجُوهَنا؟!، أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟! قال: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهمْ مِنَ النَّظَرِ إلى ربِّهِمْ».

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

أي: كم أهلكنا قبلهم من أممٍ كثيرةٍ، هم أشدُّ من هؤلاءِ قُوَّةً، فهل وجدوا مفراً من الموتِ؟!، ففي ذلك ذكرىٰ لمن كان له قَلْبٌ حاضرٌ، وألقىٰ سَمْعَهُ لآياتِ اللَّهِ، ليس بغافلٍ ولا ساهٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أَوَّلُها الأحَدُ، وآخِرُها الجُمُعَةُ.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ تَعَبٍ ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطابٌ للنبيِّ ـ ﷺ ـ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾

---

(١) رواه مسلم (١٨١).

من الذَّمِّ لك، والتكذيبِ بما جئتَ به ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ أي: اشتغلْ عنهم بطاعةِ اللَّه وتسبيحه أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ، وفي أوقاتِ اللَّيلِ، وأَدْبارَ الصَّلَواتِ؛ فإن ذِكْرَ اللَّهِ مُؤْنِسٌ للنَّفْسِ، مُهَوِّنٌ للصَّبْرِ.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾ أي: واستمعْ يا مُحَمَّدُ بقلبِكَ صَيْحَةَ القيامةِ ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو إسْرافيلُ حِيْنَ يَنْفُخُ في الصُّورِ ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِنَ السَّماءِ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ هي الصَّيْحَةُ الأخيرةُ ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ مِنَ القُبُورِ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ أي: الخلائقِ ﴿سِرَاعًا﴾ أي: يُسرعون لإجابة الدَّاعي لهم إلىٰ مَوْقفِ القيامةِ ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هَيِّنٌ سَهْلٌ علىٰ اللَّه، لا تعبَ فيه ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّارُ قُرَيْشٍ ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: تُجبِرُهُم علىٰ الإيمانِ ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنون الذين يخافون وَعِيدَ اللَّه.

وأستغفرُ اللَّهَ.



الخطبة الثانية

تفسير سورة ق

الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى

الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ .

باركَ اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم



الخطبة الأولى

٤- أسباب الرزق

إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم اليوم **أيها الناس** عن أسباب الرزق، وهي كثيرة، وسوف أذكر طرفًا منها.

فمن أسباب الرزق أيها الناس:

- تقوى الله:

والتقوى كما عرفها العلماء: «امتثال أمره ونهيه، ومعناها: الوقاية من سخطه وعذابه - سبحانه وتعالى-»[1].

وقد وردت أدلة تدل على أن التقوى من أسباب الرزق:

فمنها: قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]. فقد بين الله - سبحانه وتعالى- أن من تحقق لديه شرط التقوى فإن الله يجزيه بأمرين:

أحدهما: «يجعل له مخرجًا»؛ أي: ينجيه من كل كرب الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس.

وثانيهما: «ويرزقه من حيث لا يحتسب»؛ أي: يرزقه من حيث لا يأمل ولا يرجو»[2].

---

(١) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه (ص ٣٢٢).
(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٢٩١-٢٩٢).

وقال الله _ سبحانه وتعالى _: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]؛ ففي هذه الآية بين الله – سبحانه وتعالى- أنه لو تحقق في أهل القرى أمران وهما: الإيمان، والتقوى؛ وسع – سبحانه وتعالى- عليهم الخير ويسره لهم من كل جانب.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦].

فأخبر – سبحانه وتعالى- أن لو استقام الناسُ على طريق الاستقامة والطاعة لأسقاهم ماءً غدقًا؛ أي هنيئًا مريئًا.

- ومن أسباب الرزق: تطبيق شرع الله في أنفسنا وفي الأرض:

قال الله – سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٦].

يخبر الله – سبحانه وتعالى- عن أهل الكتاب لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل والقرآن – كما قال عبد الله بن عباس؛ رضي الله عنهما[1]- لأكثر تعالى بذلك الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض.

- ومن أسباب الرزق – أيها الناس- الاستغفار:

قال الله – سبحانه وتعالى- حاكيًا عن نوح – عليه السلام – أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠: ١٢]؛ ففي هذه الآية الكريمة بيان لتحقق الأمور التالية

(١) انظر: الكشاف (١/ ٦٢٩-٦٣٠).

بالاستغفار:

فمنها: مغفرة الله - سبحانه وتعالى - الذنوب وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾.

ومنها: إنزال الله - سبحانه وتعالى- مطرًا يتبع بعضه بعضًا، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «﴿مِّدْرَارًا﴾: يتبع بعضها بعضًا»[1].

ومنها: إكثار الله - سبحانه وتعالى- الأموال والأولاد؛ قال عطاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾[2]:

ومنها: جعل الله - سبحانه وتعالى - جنات وهي البساتين، وجعل بينهما أنهارًا، وقد تمسك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بما جاء في هذه الآيات عند طلبه المطر من الله - سبحانه وتعالى-؛ فعن الشعبي أن عمر رضي الله عنه خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتَّى رجع، فقيل له: «ما سمعناك استقيت».

فقال: «طلبتُ الغيث بمجاديع السماء التي يُسْتَنْزَلُ به القطرُ، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[3].

وذكر القرطبي في «تفسيره» عن ابن صبيح قال: «شكا رجل إلى الحسن الجُدُوبَةَ، فقال له: «استغفر الله».

وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: «استغفر الله».

وقال آخر: «ادع الله أن يرزقني ولدًا». فقال له: «استغفر الله».

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير ـ تفسير سورة نوح (ص ٩٧١).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٩٨).

(٣) تفسير الخازن (٧/ ١٥٤).

وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: «استغفر الله».

فقلنا له في ذلك - وفي رواية: فقال له الربيع بن صبيح -: «أتاك رجال يشكون أنواعًا فأمرتهم كلهم بالاستغفار» فقال: «ما قلتُ لهم من عندي شيئًا إن الله - سبحانه وتعالى - يقول في سورة نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1]».

- ومن أسباب الرزق - أيها الناس -: التوبة:

قال الله _ سبحانه وتعالى _ حاكيًا عن هود أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

قال ابن كثير - رحمه الله - في «تفسيره»:[2] «ثم أمر هود - عليه السلام - قومه بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه، ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾».

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في «تفسيره»[3]: «هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٢-٣٠٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٢).
(٣) تفسير القرطبي (٩/ ٤٠٣).

بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم».

- ومن أسباب الرزق - أيها الناس -: التوكل على الله:

والمراد بالتوكل على الله: أن نعلم يقينًا أن لا فاعل في الوجود إلا الله، وأن كل موجود- من خلق ورزق، وعطاء ومنع، وضر ونفع، وفقر وغنىً، ومرض وصحة، وموت وحياة، وغير ذلك مما يُطلق عليه اسم الموجود - من الله سبحانه وتعالى[1].

ومن توكل على الله فهو حسبه؛ قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣].

ومما يدل على أن التوكل على الله من أسباب الرزق: ما جاء في «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسندٍ صحيح- صححه الألباني في السلسلة الصحيحة[2]- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».

- ومن أسباب الرزق - أيها الناس -: التفرغ لعبادة الله - سبحانه وتعالى-:

ولا نقصد من التفرغ لعبادة الله تركَ السعي لكسب المعيشة، كلَّا؛ وإنما المقصود تفرُّغ القلب لعبادة الله والجسد للسعي في طلب رزق الله.

ومما يدل على أن التفرغ للعبادة من أسباب الرزق: ما جاء في «سنن ابن ماجه» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»[3] - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ: تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي

(١) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (٩/ ١٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٥)، والترمذي في سننه (٢٤٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤١٥٩) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٩٣).

أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدُّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «الصحيحة»[(١)] - من حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ رَبُّكُمْ تبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا بْنَ آدَمَ؛ إِلَّا تُبَاعِدْنِي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأَملأْ يَدَكَ شُغْلاً».

- ومن أسباب الرزق ـ أيها الناس ـ: المتابعة بين الحج والعمرة:

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ قال عنه الألباني- كما في «صحيح الترمذي»-: حسن صحيح[(٢)]: من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ والذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحجَّةِ المَبْرُورةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ».

- ومن أسباب الرزق ـ أيها الناس ـ: الهجرة في سبيل الله:

ولا تكون إلا من دار الكفر إلى دار الإيمان؛ كمن هاجر من مكة إلى المدينة. ومما يدل على أن الهجرة في سبيل الله من أسباب الرزق قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: [(٣)] «والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان: إن كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك؛ فإن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير سببًا لرغم أنوف أعدائك، ويكون سببًا لسعة عيشك» وأستغفر الله.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٦) وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص (٤/ ٣٢٦) وقال الألباني في الصحيحة (١٣٥٩): وهو كما قال.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٨٠٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٢٤٥).

(٣) التفسير الكبير (١١/ ١٥).



الخطبة الثانية
أسباب الرزق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس؛ تقدم الحديث عن بعض أسباب الرزق، وها أنا ذا أعود للحديث ليكتمل العقد:

- فمن أسباب الرزق أيها الناس: صلة الرحم:

وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم[1].

وقد جعل الله - سبحانه وتعالى- صلة الرحم من أسباب السعة في الرزق؛ ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».

وفي «صحيح البخاري»[3] أيضًا من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح

---

(١) انظر مرقاة المفاتيح (٨/ ٦٤٥).
(٢) رواه البخاري (٥٩٨٥).
(٣) رواه البخاري (٥٩٨٦).

الترمذي»(١) - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْعُمرِ».

ففي هذه الأحاديث بيّن النبي ﷺ أن لصلة الرحم ثلاث ثمرات؛ هي: البسط في الرزق، والزيادة في العمر، والكثرة في المال.

وبعض الناس يحصرون صلة الرحم بالمال، والصواب أن صلة الرحم أوسع من ذلك؛ إنها السعي إلى إيصال الخير إلى الأقارب ودفع الشر عنهم، سواء أكان بالمال أو بغيره، فقد قال الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله-: «تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء» والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة»(٢).

- ومن أسباب الرزق أيها الناس: الإنفاق في سبيل الله:

كالإنفاق على الفقراء والإنفاق في سبيل الله لنصرة الدين، وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة تدل على أن من أنفق في سبيل الله فإن الله يخلفه في الدنيا، إلى جانب ما أعدَّ له من ثواب جزيل في الآخرة:

فمنها: قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

وقال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما- في تفسير الآية الكريمة: «اثنان من الله،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٤٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي (٦/ ٣٠).

واثنان من الشيطان ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يقول: «لا تنفق مالك وأمسكه لك؛ فإنك تحتاج إليه» ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ على هذه المعاصي، ﴿وَفَضْلًا﴾ في الرزق»[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- يبْلُغ به النبيَّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

وفي «صحيح البخاري»[3] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

أيها الناس؛ ما أكثرَ الشواهد في كتب السنة والسيرة والتراجم والتاريخ، وحتى في واقعنا المعاصر؛ تدل على إخلاف الله - سبحانه وتعالى- الرزق للمنفق في سبيله، وسأقتصر على إيراد شاهد واحد في هذا المقام إن شاء الله[4]: ففي «صحيح مسلم»[5] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتِ المَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ المَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَةٍ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسَاحَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَاللهِ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَاللهِ: لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذَا قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى**

---

(١) تفسير الطبري رقم الأثر (٦١٦٨).

(٢) رواه مسلم (٩٩٣).

(٣) رواه البخاري (١٤٤٢).

(٤) انظر مفاتيح الرزق للشيخ مفض إلهي (وما بعده) فقد استفدت منه كثيرًا.

(٥) رواه مسلم (٢٩٨٤).

مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» وفي رواية: «وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ».

اللهم يسر لنا أرزاقنا، وسهل علينا أمورنا، ووفقنا للعمل الذي يرضيك عنا، آمين يا رب العالمين.





الخطبة الأولى

الحقوق الزوجية

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرِ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ الزَّواجَ رباطٌ مُقَدَّسٌ، وميثاقٌ غليظٌ، تَتُوقُ إليه الفطْرةُ القويمةُ، فعن طريقه تحصلُ الرَّاحةُ والمودَّةُ والرحمةُ، وإذا قام كُلٌّ من الزَّوجين بواجبه على أحسن وجهٍ، حلتِ السعادةُ الزَّوجيةُ، والسعادةُ كُلُّ السَّعَادةِ في اتِّباع كتابِ اللَّه، وسُنَّةِ رسولِ اللَّه ﷺ، لا يَشكُّ في ذلك مسلمٌ، واللَّهُ - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ النحل: ٨٩].

وسنَّةُ رسول اللَّه - ﷺ - مُبيِّنةٌ لكتاب اللَّه، وقولُه - ﷺ - وَحْيٌ، كما قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٣-٥].

أيُّها الناسُ، سوف أذكرُ في هذه الخُطبة الحقوقَ الزَّوجيَّةَ علىٰ وَجْهِ الاختصارِ، علىٰ ضوءِ كتابِ اللَّه الكريم، وصحيح سنَّة رسول اللَّه ﷺ.

وسوف نبدأُ بذكر ما للزوج من حقوقٍ على زوجته.

أيُّها الناس، إنَّ الأصلَ الذي بنيتْ عليه الحقوقُ الزَّوجيَّةُ قولُه - تعالىٰ - : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

فحقُّ الزوج على زوجته عظيم.

أخرج النَّسائيُّ في «سننه»[1] بإسنادٍ حسنٍ من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «حقُّ الزوجِ على زوجتِهِ أن لو كانَتْ به قَرْحَةٌ، فلحسَتْهَا، ما أدَّتْ حَقَّهُ».

وروىٰ التِّرْمذيُّ في «سُننه»[2] بسندٍ حسنٍ من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لو كُنْتُ آمِرًا أحدًا أن يسجدَ لأحدٍ، لأمرتُ المرأة أنْ تَسْجُدَ لزوجها».

---

(١) النسائي في عِشْرة النساء (ص١٠٦)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١)، وأحمد (٤/ ٣٤١).

(٢) رواه الترمذي (٣/ ٤٦٥).

أيُّها الناسُ، إن من حقوق الزوج على زوجته ما يأتي:

١ ـ أن تطيعَهُ فيما يأمرُها، أخرج النَّسائيُّ في «سننه»[١] بسندٍ حسنٍ من حديث حُصَيْنِ بن محصنٍ عن عمَّته قالت: أتيتُ رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ فقال: «**أذاتُ زوجٍ أنت؟**» قالت: نَعَم. قال: «**فأين أنت منه؟**» قالت: ما آلُوهُ إلاَّ ما عَجَزْتُ عنه. قال: «**فكيف أنت له؟ فإنَّه جنَّتُك ونارُك**».

وأخرج النَّسائيُّ بسندٍ صحيح[٢] من حديثِ أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عن خيرِ النِّساءِ. قال: «**التي تُطيعُ إذا أَمَرَ، وتَسُرُّ إذا نَظَرَ، وتحفظُهُ في نفسِها وماله**».

وطاعة المرأة لزوجها من مُوجبات دخول الجنَّة.

فقد روىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده»، وابن حبَّان في «صحيحه» بسندٍ صحيح[٣] عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع (٦٦٠) ورقم (٦٦١) عن أنس عند البزار، وعبدالرحمن الزهري عند أحمد، وعبدالرحمن به حسنة عند الطبراني ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إذا صلَّت المرأةُ خَمْسَهَا، وصامتْ شَهْرَها، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وأطَاعَتْ زَوْجَها قيل ـ لها: ادْخُلي الجَنَّةَ من أيِّ أبوابها شئتِ**».

أيُّها الناسُ، إن طاعة المرأة لزوجها واجبة، لكنها مشروطة بما ليس فيه معصية اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، فإنه إن أمرها بما فيه معصية: كأن تخلع حجابها، أو تتركَ الصلاة، أو أن تُفْطِرَ رمضانَ، أو أن يُجامِعَها في حَيضِها، أو في المحلِّ المُحَرَّمِ، أو غيرِ ذلك من المعاصي فإنها لا تُطيعُهُ؛ لما في «الصحيحين»[٤] من حديث

(١) رواه النسائي.

(٢) أخرجه النسائي في المُجْتبىٰ (٦/ ٦٨)، وفي عِشْرَةِ النساء (٧٥).

(٣) مسند أحمد (١٦٦٠)، وصحيح ابن حبان (٤١٦٣)، وانظر صحيح الجامع (٦٦٠).

(٤) رواه البخاري (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

عليِّ بن أبي طالبٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**لا طاعةَ في معصيةِ اللَّه، إنما الطاعةُ في المعروفِ**».

٢ - ومن حقوق الزوج على زوجته أنْ تُجيبَهُ إذا دعاها إلى فِراشِه.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذا دعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فراشِه، فأبَتْ، فباتَ غضبانَ عليها - لعنتْها الملائكةُ حتى تُصبحَ**».

ومعنى اللَّعنْ هنا: الدُّعاءُ عليها بالطَّرْدِ من رحمة اللَّه - سبحانه وتعالى -، فأيُّ امرأةٍ ترضى لنفسها أن تدعو عليها الملائكةُ بالطَّرْدِ من رحمة اللَّه؟! وأي امرأةٍ تحتمل ذلك؟!

٣ - ومن حقوق الزوج على زوجته أن تشكرَ له ولا تَكْفُرَهُ.

فقد أخرج النَّسائيُّ في «سننه» بسندٍ صحيح[2] من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا ينظرُ اللَّهُ إلى امرأةٍ لا تشكُرُ لزوجِها، وهي لا تستغني عنه**».

إن هذا الحديث أيُّها الناسُ ليَدُلُّنا على وجوب شكْرِ المرأةِ لزوجها المُحْسِنِ إليها، ولاسيِّما إذا كان قيامُهُ بأمورها يَصل إلى درجة عدم الاستغناء عنه. ولا يقصدُ بالشكر هنا: مجرَّد شُكْرِ اللِّسان، ثمَّ تُؤْذيه بمساوئ الأفعال والأخلاق، بل الشكر يُقصد به هنا: قيامُها بحقِّه على أتمِّ وجهٍ وأكملِه.

أيُّها النَّاسُ، إذا كان شُكْرُ المرأة لزوجها واجبًا، فكيف حال من يَكْفُرْنَ العَشِيرَ؟!

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).

(٢) أخرجه النسائي في عشرة النساء (٢٤٩).

لقد حذَّر النبيُّ ﷺ من كُفْران العشير أشدَّ التحذير، وبيَّن أنَّ كُفْرانَ العشير، وكُفْران الإحسانِ سببٌ من أسباب دُخُولِ النار.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّه لما خَسَفت الشمسُ على عَهْدِ النبيِّ - ﷺ -، وصلَّى النبيُّ - ﷺ - بالناس، قال بَعْدَ صلاتِه: «**إنِّي رأيتُ الجَنَّةَ - أو أُريتُ الجنَّةَ - فتناولتُ منها عُنْقُودًا، ولو أَخَذْتُهُ لأكلتُمْ منه ما بَقِيَتِ الدُّنيا، ورأيتُ النارَ، فلم أرَ كاليوم منظرًا قطُّ، ورأيتُ أكثرَ أهْلِها النِّساءَ**» قالوا: لِمَ يا رسولَ اللَّه؟! قال: «**بكُفْرِهِنَّ**» قيل: يَكْفُرنَ باللَّهِ؟ قال: «**يَكْفُرْنَ العشيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهْرَ، ثمَّ رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ**».

٤ - ومن حقوق الزوج على زوجته أنْ تَقَرَّ في البيت، ولا تخرجَ إلاَّ بإذْنه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ - رحمه اللَّه -: «لا يحلُّ للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه، كانت ناشِزةً عاصيةً للَّه ورسوله، ومستحقَّةً للعقوبة»[2].

٥ - ومن حقوق الزوج على زوجته - أيضًا - ألاَّ تأذنَ لأحد أن يدخُلَ بيته إلاَّ بإذنه، ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**و لكم عليهنَّ ألاَّ يُوْطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحدًا تكْرهُونَه**».

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (ص٩٠٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٨١).
(٣) صحيح مسلم (١٢١٨).

وفي «صحيح مسلم»[١] - أيضًا - من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**ولا تأْذَنْ في بيْته - وهو شاهدٌ - إلاَّ بإذْنه**».

قال ابن حجر نقلاً عن النووي[٢] **- رحمه اللَّه - قوله:** «في هذا الحديث إشارةٌ إلىٰ أنه لا يفتَّأت علىٰ الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه، وهو محمول علىٰ ما لا تعلم رضا الزوج به، أمَّا لو علمت رضىٰ الزوج بذلك فلا حَرَجَ عليها»[٣].

ولا يُفهم من كلام النَّوويِّ - رحمه اللَّه - الدُّخولُ لكُلِّ من هبَّ ودبَّ، وإنما ممَّن يَجوز له الدخول علىٰ المرأة.

٦ - ومن حقوق الزوج على زوجته ألاَّ تصومَ - صيامَ تطوُّعٍ - وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه.

ففي «الصَّحيحين»[٤] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا يَحلُّ للمرأة أنْ تَصُومَ وزوجُها شاهدٌ إلاَّ بإذْنه**».

٧ - ومن حقوق الزوج على زوجته ألاَّ تُنفقَ من ماله إلاَّ بإذْنه.

لما في «سنن أبي داود»[٥] من حديث أبي أُمامةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**لا تُنفق امرأةٌ شيئًا من بيتِ زوجها إلاَّ بإذنِ زوجها**»

٨ - ومن حقِّ الزوجِ على زوجته أن تُحْسنَ معاملة والدَيْه وأقاربِه.

٩ - ومن حقِّه عليها ألاَّ تفعلَ ما يُؤْذيه ويُغْضِبُه.

---

(١) صحيح مسلم (١٠٢٦).

(٢) نص كلام النووي - رحمه الله - فيه إشارة إلىٰ أنه لا يفتات علىٰ الزوج وغيره من ما لكي البيوت وغيرها بالإذن في أملاكهم إلا بإذنهم، وهذا محمول علىٰ ما لا يُعلم رضا الزوج ونحوه به، فإن علمت المرأة ونحوها به جاز . . . (عند شرح حديث (١٠٢٦).

(٣) فتح الباري (٤/ ٤٠٣).

(٤) رواهُ البخاري (٢/ ٢٦٠)، ومسلم (١٠٢٦).

(٥) أبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (٦٧٠)، وابن ماجه (٢٢٩٥)، وسنده حسن.

روى التِّرمذيُّ، وابن ماجهْ[١] بإسنادٍ حسن من حديث مُعاذ بن جَبَلٍ - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تُؤْذي امرأةٌ زوجَها في الدُّنيا، إلاَّ قالتْ زوجتُهُ منَ الحُور العيْنِ: لا تُؤْذِيه، قاتلك اللَّه! ؛ فإنَّما هو دَخيلٌ عندكِ، يُوشِكُ أن يفارقَك إلينا».

١٠ - ومن حقِّه عليها أنْ تحرصَ على الحياةِ مَعَهُ، فلا تطلب الطلاق من غير سببٍ شرعيٍّ.

روى التِّرمذيُّ، وأبو داودَ وابن ماجَهْ[٢] بإسنادٍ صحيح قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَيُّمَا امرأةٍ سَأَلَتْ زوجَها الطلاقَ مِنْ غَيرِ ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحةُ الجَنَّةِ».

١١ - ومن حقوق الزوج على زوجته أن تُحِدَّ عليه إذا مات أربعةَ أشهرٍ وعَشْرًا.

ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أُمِّ حبيبةَ - رضي اللَّه عنها - قالت: سمعتُ رسولَ اللَّه - ﷺ - يقولُ على المنبرِ: «لا يَحِلُّ لامرأَة تُؤْمنُ باللَّهِ، واليومِ الآخرِ أنْ تُحِدَّ على ميِّت فوقَ ثلاث، إلاَّ على زوجٍ أربعةَ أشْهُرٍ وعَشْرًا».

أيُّها الناس، هذه هي حقوقكم على نسائكم على ضوء كتاب اللَّه، وسنة رسول اللَّه - ﷺ -، واعلموا - علَّمني اللَّهُ وإيَّاكُم - أنَّ المرأة ضعيفة، لا تقوم بحقوقِ زوجها حقَّ القيامِ، إلاَّ إذا قام بحقوقها كما شرع اللَّه.

وأستغفرُ اللَّه.

---

(١) الترمذي (١١٨٤)، وابن ماجَهْ (٢٠١٤) بسند حسن.

(٢) الترمذي (١١٩٩)، وأبو داود (٢٢٠٩)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦).




الخطبة الثانية
في حقوق الزوجة على زوجها

إنَّ الحمد للَّه، نَحْمَدُه، ونستعينُهُ، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيِّئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فهو المُهْتَدي ومَنْ يُضْلِلْ فلن تجدَ له وليًّا مُرْشداً.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، لقد سبق أنْ بيَّنا حقوق الزوج على زوجته، وفي هذه الخطبة سوف أتحدَّث معكم عن حقوق الزوجة على زوجها، ولعلَّ من المُشاهد أنَّ المرأة - لضَعْفِها - لا تقوم بحقِّ الزوج خَيْرَ قِيامٍ، إلاَّ إذا قام بحقِّها كما شرع اللَّه، فهي تأخذ لتُعطي، فعلينا أنْ نكونَ عَوْنًا لنسائنا على طاعة اللَّه.

١ - فحقُّهُنَّ علينا أنْ نُحسنَ عِشرتَهُنَّ،

والمُرادُ به هنا: هو إحسان «الصُّحْبة»، وكَفُّ الأذى، وعَدَم مَطْلِ الحقوق مع القُدْرة وإظهارُ البِشرِ والطَّلاقة والانبساط.

والأصل في هذا قوله - تعالى -: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وفي «سنن التِّرمذيِّ»، و«صحيح ابن حِبَّان» بسندٍ صحيحٍ[١]

قال رسول اللَّه ﷺ: «**خَيْرُكُم خَيْرُكُمْ لأهلِه، وأنا خيرُكُمْ لأَهْلِي**».

---

(١) الترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبَّان (١٣١٢).

وكان النبيُّ - ﷺ - حَسَنَ المُعاشرةِ، لطيفًا في المُداعبة مع أهله، وفي الوقت نفسه يَحثُّهنَّ على طاعةِ اللَّه - عزَّ وجلَّ -، والإكْثارِ من العبادة.

روى أبو داودَ بإسنادٍ حسنٍ لغيره[1] من حديث عُقْبَةَ بن عامرٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «ليس من اللَّهْوِ إلاَّ ثلاثٌ: تأديبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وملاعبتُهُ أَهْلَهُ، ورَمْيُهُ بقَوْسه ونَبْله».

٢ - ومن حقِّ الزَّوجة على زوجها أنْ يعلِّمَها أمور دينها، ويحثَّها على الطاعة.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي اللَّه عنها - قالت: استيقظ النبيُّ - ﷺ - ذاتَ ليلةٍ، فقال: «سبحان اللَّه ماذا أُنزلَ اللَّيلةَ منَ الفتنِ؟!، وماذا فتحَ منَ الخزائنِ؟!، أيقظوا صَوَاحبَات الحُجَرِ - يعني أزواجَهُ كي يَقُمْنَ فيُصلِّين - فَرُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا عارية في الآخرة».

وأخرج أحمدُ في «مسنده» بسند حسنٍ[3] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رجلاً قام من اللَّيل فصلَّى، وأيقظَ امرأَتَهُ فصلَّتْ، فإن أبَتْ نَضَحَ في وَجْهها الماءَ، ورَحِمَ اللَّهُ امرأةً، قامت من اللَّيلِ فصلَّتْ، وأيقظتْ زَوْجَها فصلَّى، فإن أَبَى نَضحَتْ في وَجْهه الماءَ».

وفي «الصحيحين»[4] أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال لمالك بن الحُوَيْرِثِ ومَنْ مَعَهُ: «ارجعوا

---

(١) رواه أبو داود (٢٥١٣)، وضعَّفه الألباني - رحمه الله -. (٢) صحيح البخاري (١١٥).
(٣) مسند أحمد (٢/ ٢٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤).
(٤) البخاري (١٣/ ٢٣١) مع الفتح، ومسلم (٦٧٤).

إلى أهليكم، فأقيمُوا فيهمْ، وعلِّموهُم، ومُرُوهُمْ».

٣ ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها أن يُنفقَ عليها، وعلى أولادها بقَدْرِ وُسْعِه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وأخرج أبو داود، والنَّسائي، وابن ماجه بإسنادٍ حسنٍ[1] من حديث معاوية بن حيدَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: يا رسولَ اللَّه، ما حَقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطْعِمهـا إذا طَعِمْتَ وتَكْسُوها إذا اكتسيتَ، ولا تَضْرِبَ الوجهَ، ولا تُقَبِّحَ، ولا تَهْجُرَ إلاَّ في البَيتِ».

٤ ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها أنْ يُحسنَ الظَنَّ بها.

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجُرات: ١٢].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «إذا أطَالَ أحدُكُمْ الغيبةَ، فلا يَطْرُق أَهْلَهُ ليلاً».

وفي رواية لمسلم: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: «نهى رسول الله ـ ﷺ ـ أنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ ليلاً؛ يَتَخَوَّنُهمْ، أو يَلْتَمِسُ عَثَراتِهِم».

٥ ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها أنْ يُعفَّهـا؛ ليقصرَ طَرْفَها عن الحرام؛ ولـذا أرشد النبيُّ ـ ﷺ ـ عبدالله بن عَمْرِو بن العاص ـ إلى ما لأهله عليه من الحقِّ، لَمَّا انقطع عنهم إلى العبادة ـ كما في «الصحيحين»[3] ـ، فقال ـ ﷺ ـ : «وإنَّ لأهلكَ عليك حقًّا».

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، والنسائي (٢٨٩)، وابن ماجه (١٨٥٠). وصححه الألباني.
(٢) البخاري (١/ ٣٠٩)، ومسلم (٣/ ١٥٢٧).
(٣) البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩).

٦ ـ ومن حقِّ المرأة على زوجها أن يَغُضَّ الطَّرْفَ عن بَعْضِ أخطائها، ما لم يكن فيه إخلال بشرع اللَّه.

وإلىٰ هذا يُرْشِدُنا النبيُّ ﷺ كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا يَفْرَكْ ـ أي لا يَكْرَهْ ويُبغض ـ مُؤْمِنٌ مؤمنةً؛ إن كَرِهَ منها خُلُقًا، رَضِيَ منها آخر**».

ولا نقولُ لكم ـ أيُّها الناسُ ـ اتركوا نساءَكم بعيوبِهِنَّ، ولكن انصحوا لهنَّ برفقٍ ولين وصبر قَدْرَ الاستطاعة، وسدِّدُوا وقاربوا، ولن تستطيعوا أن تصلوا إلىٰ التَّمام لقول النبيِّ ـ ﷺ ـ كما في «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: «**واستوصُوا بالنِّساء خَيْرًا؛ فإنهُنَّ خُلِقْنَ من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فإن ذَهَبْتَ تُقيمهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَركْتَهُ لم يزل أَعْوَجَ؛ فاستوصوا بالنساء خيراً**».

أيُّها الناس، المرأة أسيرةٌ عند الرجل.

كما في «سنن التِّرمذي»[٣] من حديث عمرو بن الأحوصِ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**إنما هُنَّ عَوانٍ عندَكُمْ**» ومعنىٰ عَوانٍ: أي: أسيراتٌ جمع عانيةٍ، ولهذا جاءتْ وصايا الرسول ﷺ بالنساء، فأرشدنا إلىٰ كيفيَّة التعايش معهُنَّ، فقال ـ ﷺ ـ كما في حديث سَمُرةَ بن جُنْدُبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو في «صحيح ابن حِبَّان»[٤]: «**المرأة كالضِّلَعِ: إنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَها، فدارِها تَعِشْ بها**».

وأمر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بإحسان معاشرة النساء في جملة آيات:

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩].

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٥٢)، ومسلم (ص١٤٦٨).
(٣) الترمذي (١١٦٣)، وحسنه الألباني.
(٤) موارد الظمآن (١٣٠٨) بإسنادٍ صحيح.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ [النساء: ٣٤].

نسأل اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يجعلنا من عباده المتقين، الذين يراقبونه ليلاً ونهاراً، وسِراً وجِهاراً، وظاهراً وباطِنًا.



إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس؛ حديثي معكم اليوم عن تربية الأولاد فهم أمانة في أعناقنا وهم أيضًا فتنة وابتلاء، يبتلي الله بهم عباده هل سيقومون بواجبهم من شكر نعمة الله على رزقه ومن شكر نعمة الله القيام بتربية الأولاد تربية صالحة كما أمر الله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

وفي «الصحيحين» (١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها**».

وفي «صحيح مسلم» (٢) : «**وإن لولدك عليك حقًّا**».

أيها الناس؛ إن تربية الأولاد تبدأ من حسن الاختيار عند الزواج فينتقي الزوجة الصالحة ذات الدين والخلق لأنها ستكون أمًّا لأولاده، وبها يتأسى

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩).
(٢) رواه مسلم (١١٥٩).

أولادها ومن ثديها وأخلاقها يرضعون[1].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**.

ومن الخير أن تكون الزوجة من أسرة طيبة صالحة فإن الله سبحانه وتعالى قال في قصة مريم عليها السلام: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨].

فأخبر الله سبحانه وتعالى أن قوم مريم قضوا بفساد الأصل على فساد الفرع، وأن مريم منزهة من ذلك، ولم يتعقب الله قولهم بشيء[3].

ومن حسن تربية الأولاد تحصينهم قبل مجيئهم إلى هذه الدنيا ويكون ذلك عند الزواج وقبل الدخول بالزوجة يسن للزوج أن يأخذ بناصيتها ويدعو بهذا الدعاء الذي أخرجه أبو داود بسندٍ حسن حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»**.

وعند الدخول بالزوجة يسن للزوج أن يقول: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا وهذا سنة عند كل جماع.

---

(١) فقه تربية الأولاد للعدوي (ص ٢٩).

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) انظر معالم السنن (٤/ ٧٣) وفيض القدير (٦/ ٣٦٤) بتصرف يسير (حسن) أخرجه أبو داود في سننه (٢١٦٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٩٢).

ففي «الصحيحين»[1] : «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدِّر بينهما في ذلك أو قضي ولد لم يضره شيطان أبدًا».

ومن حسن تربية الأولاد تعويذهم عند الولادة:

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم عليها السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦].

ومن حسن التربية المحافظة على تعويذ الأولاد:

ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

ومن حسن تربية الأولاد تحنيكهم بعد الولادة والدعاء لهم بالبركة:

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرِّك عليهم ويحنكهم.

والتحنيك هو أن يأخذ الوالد تمرة فيمضعها ثم يجعلها في فيِّ الصبي ليتمرن على الأكل.

ومن حسن تربية الأولاد أن لا يختار لهم إلا الأسماء الحسنة: وهذا من حقوق الأبناء على الآباء.

فيحسن تسميتهم بأسماء الأنبياء والصالحين.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١١٩).

(٣) رواه مسلم (٢١٤٧).

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون: يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**».

وينبغي أن نعلم أن أحب الأسماء إلى الله هما عبد الله وعبد الرحمن.

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**».

من حسن التربية الاهتمام بنظافة الأولاد، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]».

وفي «صحيح مسلم» (٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**».

ومن حسن التربية أن نأخذ لأولادنا الثياب التي هي لباس أهل الخير والصلاح: وأن نجنبهم لباس الكفار ونبعدهم عن كل ما هو من خصائصهم.

فإن النبي ﷺ قال كما في «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الجامع»(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

ومن حسن التربية أن نجنب أولادنا القزع: فنمنعهم من قص شعورهم بتلك القصة التي يتشبه فيها بالمشركين.

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٥).
(٢) رواه مسلم (٢١٣٢).
(٣) رواه مسلم (٩١).
(٤) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٥).

ففي «الصحيحين»[1] من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع قال (الراوي عن نافع): قلت لنافع: ما القزع؟ قال: يحلق بعض رأس الصبي ويُتْرَك بعضُ».

ومن حسن التربية تعويد الأولاد على الطاعات: منذ الصغر:

ففي «سنن أبي داود» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**».

ومن حسن تربية الأولاد تخفيف العتاب:

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لي لشيءٍ لم فعلت كذا؟ وهلاَّ فعلت كذا؟».

ومن حسن التربية العدل بين الأولاد في الهبات:

ففي «الصحيحين»[4] من حديث النعمان بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنتُ رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال:

«**أعطيت سائر ولدك مثل هذا**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال فرجع فردَّ عطيته.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٢١)، ومسلم (٢١٢٠).
(٢) (حسن) أخرجه أبو داود (٤٩٥) وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦) (حسن صحيح).
(٣) رواه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).
(٤) رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣).

ومن حسن التربية تفقد أحوال الأولاد والنظر في أصدقائهم: وحثهم على اختيار الأصدقاء الصالحين وتحذيرهم من أصدقاء السوء.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة**».

ومن حسن التربية أن يستخدم الضرب للأولاد عند الحاجة:

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**».

وأخرج البيهقي في «سننه» بسندٍ صحيح[3] عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل (أي القيد) يعلمني القرآن والسُّنة.

وفي «الصحيحين»[4] عن إبراهيم النخعي قال: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

وعلى الوالد إذا احتاج لضرب الأولاد فليجتنب الضرب على وجوههم فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك.

ففي «صحيح مسلم»[5] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه**».

ومن حسن التربية تعليق السوط في البيت فإنه لهم أدب: فإن نظرة واحدة من

---

(١) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢١٠١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٩).

(٤) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (١٩٦٣).

(٥) رواه مسلم (٢٦١٢).



الأولاد للسوط تجعلهم يسيرون في الطريق الصحيح.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «الصحيحة»(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب»** وليحذر الآباء من التخلي عن العصاء واستبدال به الدعاء على الأولاد.

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا ساعة يسأل فيها عطاءٌ، فيستجيب لكم»**.

أيها الناس، إن الدعاء على الأولاد سلاح فعال لإفسادهم وعونًا للشيطان عليهم فقد جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك، فشكا إليه بعض ولده، فقال له عبد الله بن المبارك: هل دعوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته. وأستغفر الله.

---

(١)(حسن) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٩٢) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٤٧).

(٢)رواه مسلم (٩٢٠).

الخطبة الثانية

موعظة لقمان لولده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس ، تقدم الحديث عن تربية الأولاد والآن حديثي معكم عن موعظة لقمان لولده قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٢ ـ ١٩].

أيها الناس؛ تلك موعظة لقمان لابنه وسوف أتكلم عن تفسيرها: بشيء من الإيجاز قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾. ففي

هذه الآية يخبر ربنا سبحانه وتعالى بامتنانه على عبده لقمان بالحكمة وهي العلم النافع، ولما أعطاه الله سبحانه وتعالى هذه النعمة العظيمة أمره أن يشكر على ما أعطاه وأخبره أن شكر الشاكرين يعود نفعه عليهم وأخبر أنه غني عن العبادة لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: (ذكره الله سبحانه وتعالى بأحسن الذكر وأنه أتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذي يشفق عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا) [1].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ولما أمر لقمان ولده بتحقيق التوحيد بترك الشرك أمره بالقيام بحق الوالدين فلم يطلب من ولده مباشرة بره والإحسان إليه، بل يعلمه حقوق الوالدين في سياق جميل وأسلوب ذكي بعيد عن استعطاف الولد إذ لا يليق بالوالد أن يقول لولده برني اعطف علي فالوالد أجل من أن يطلب من ولده هذا الطلب [2].

ومن موعظة لقمان لولده ، أنه ذكره باليوم الآخر وبالحساب فقال: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثم ذكر عقب ذلك التحذير من المعاصي والترغيب في فعل الخير: ﴿يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

قال جمهور المفسرين: إن المراد بها الخطيئة أي أن الخطيئة مهما صغر حجمها ومهما أخفاها فاعلها فإن الله يأتي بها يوم القيامة ويطلع عليها في الدنيا لا تخفى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٣).

(٢) انظر فقه تربية الأولاد للعدوي بتصرف (١٩٨).

عليه خافية سبحانه وتعالى، ويوصي لقمان ولده أيضًا: ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

فحثه على الصلاة ثم حثه على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر ولما علم أنه لابد أن يبتلى إذا أمر ونهي، أمره بالصبر وأخبره أن الصبر مما عزمه الله وأمر به؛ أي: عزيمة واجبة على عباده.

ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ أي لا تتكبر وتحتقر العباد وتعبس بوجهك للناس إذا كلمتهم احتقارًا لهم ولكن أقبل عليهم ووجهك منبسط ومقبل عليهم ، ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي لا تمش متبخترًا فخرًا بالنعم ناسيًا المنعم معجبًا بنفسك متطاولاً على غيرك فإنك إن فعلت ذلك يبغضك الله ولا يحبك ولا يجعل لك القبول في قلوب الناس.

ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾. أي: امش متواضعًا مستكينًا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط ولكن بين ذلك.

ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

قال ابن السعدي: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أدبًا مع الناس ومع الله ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾.

أي أفظعها وأبشعها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ . فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته»[1].

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

---

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٦٤٩).



الخطبة الأولى

الحجاب في الكتاب والسنة



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ الحجاب في الكتابِ والسنَّةِ، فهو فريضةٌ فرضه اللهُ على المرأةِ المُسلمةِ، وسوف أذكرُ الأدلةَ الدَّالَّةَ على ذلك:

الدليل الأول - قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية:

«أي: كما نَهَيْتُكُم عَنِ الدُّخولِ عليهِنَّ، كذلك لا تنْظروا إليهِنَّ بالكُلِّيَّة، ولو كان لأَحَدِكم حاجةٌ يُريد تناولها منهُنَّ، فلا ينظرْ إليهِنَّ، ولا يسألهُنَّ حاجةً إلا مِنْ وراءِ حِجابٍ»[(١)].

الدليل الثاني ـ قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ومِمَّا جاء في تفسير هذه الآية ما أخرجه شيخُ المُفسِّرين ابنُ جريرٍ بسنده ـ وهو سندٌ صحيحٌ ـ قال: «حدَّثني يَعْقُوبُ قال: حدَّثنا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ محمَّدٍ عَنْ عُبَيْدَةَ في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾.

فلبسها عندنا ابْنُ عونٍ، قال: ولبسها عندنا محمَّدٌ، قال محمَّدٌ: ولبسها عندنا عُبيدةُ، قال ابْنُ عَوْن بردائه، فتقنَّع به، فغطَّىٰ أَنْفَهُ وعَيْنَهُ اليُسْرىٰ، وأَخْرَجَ عَيْنَهُ اليُمْنَىٰ، وأدْنَىٰ رداءَهُ مِنْ فَوْقُ، حتىٰ جَعَلَهُ قريبًا مِنْ حاجِبِهِ، أو علىٰ الحاجبِ»[(٢)].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: «كانوا قَبْلَ أنْ تُنَزَّلَ آيةُ الحجاب كان النساءُ يَخْرُجْنَ بلاَ جِلْبَابٍ، يَرَىٰ الرَّجُلُ وَجْهَهَا ويدَيْهَا، وكانتْ إذْ ذاك يجوزُ لها أنْ تُظْهِرَ الوَجْهَ والكَفَّيْن، وكان حِينَئذٍ يَجُوزُ النَّظَرُ إليها؛ لأنه يجوزُ لها إظهارُهُ، ثمَّ لَمَّا أنْزَلَ اللهُ آية الحجابِ بقولِه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ حُجِبَ النساءُ عَنِ الرِّجالِ».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٥).

(٢) «تفسير الطبريّ» (٢٢/ ٣٣).

ثم قال: «والجِلْبَابُ: هو المُلاءَةُ، وهو الذي يُسمِّيه ابْنُ مسعودٍ وغيرُهُ الرِّداءَ، وتُسَمِّيه العامَّةُ الإزارَ، وهو الإزارُ الكبيرُ الذي يُغَطِّي رَأْسَهَا وسائرَ بَدَنِهَا».

ثم قال: «فإذا كُنَّ مَأْمُوراتٍ بالجلباب؛ لئلا يُعْرَفْنَ ـ وهو سَتْرُ الوَجْهِ أو سَتْرُ الوَجْهِ بالنِّقَابِ ـ كان الوَجْهُ واليَدَانِ مِنَ الزِّينةِ التي أُمِرَتْ ألاَّ تظْهِرَها للأجانبِ، فما بَقِيَ يَحِلُّ للأجانبِ النَّظَرُ ـ أي إلىٰ الثياب الظاهرةِ ـ»[1] أي: سَوَادِ الحجابِ.

وأخرج أبو داودَ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في صحيح سنن أبي داودَ[2] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «لَما نزلَتْ: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ خرج نساءُ الأنصارِ كأنَّ علىٰ رُءوسِهِنَّ الغِرْبانَ مِنَ الأكْسِيَةِ».

وقال محمَّد الأمين الشَّنْقيطيُّ في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾: «إنَّهُنَّ يَسْتُرْنَ بها جميعَ وُجُوهِهِنَّ، ولا يظهر منهُنَّ شيءٌ إلا عَيْنٌ واحدةٌ، تُبْصِرُ بها، وممَّنْ قال به ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وعُبيدةُ السَّلْمانيُّ، وغيرُهُم»[3].

الدليل الثالث ـ قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

والمراد من هذه الآية هو سَتْرُ الوَجْهِ، كما قال بذلك أهلُ العلمِ؛ لأنَّهُ مَحَلُّ الافتتان، ومَتىٰ رَغِبَ الرجلُ في خِطْبةِ امرأةٍ، لا ينظر لغَيْرِ وَجْهِها وكَفَّيْها.

ودَعُونا نَنظرْ إلىٰ تطبيقِ الصحابيَّاتِ لهذه الآيةِ الكريمةِ،

ففي «صحيح البخاريِّ»[4] من حديث صَفيةَ بِنْتِ شَيْبَةَ: أنَّ عائشةَ ـ رضي الله

(١) «الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١١٠).
(٢) أخرجه أبو داودَ (٤١٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٥٧).
(٣) «أضواء البيان» (٦/ ٥٨٦).
(٤) «صحيح البخاري» (٤٧٥٩).

عنها ـ كانتْ تقولُ: «لَّما نزلتْ هذه الآيةُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أخَذْنَ أُزُرَهُنَّ، فَشَقَّقْنَها مِنْ قِبَلِ الحَواشي، فاخْتَمَرْنَ بها».

قال الحافظ ابن حجرٍ ـ رحمه الله ـ: «قولُها: «فاخْتَمَرْنَ»: أي غَطَّيْنَ وُجوهَهُنَّ، وصفةُ ذلك أنْ تضعَ الخِمَارَ على رَأْسِها، وتَرميَهُ بالجانبِ الأيمن على العاتقِ الأَيْسَرِ، وهو التقنُّعُ»[1].

وأخرج الإمامُ البخاريُّ في صحيحه مُعلَّقًا، ولكنَّه موصولٌ عندَ أبي داودَ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[2] من حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «يَرْحَمُ اللهُ نساءَ المُهاجراتِ الأُوَلَ؛ لَّما أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ، فاخْتَمرنَ بها».

الدليل الرابع ـ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

ومِمَّا جاء في تفسير هذه الآية ما أخرجه شيخُ المفسِّرين ابن جريرٍ الطَّبريُّ من حديثِ شُعبةَ عَن الحكمِ قال: سمعتُ أبا وائلٍ قال: سمعت عبدَ الله (يعني ابْنَ مسعودٍ) يقولُ في هذه الآيةِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾.

قال: «الجِلْباب»[3]. وهو حديثٌ موقوفٌ صحيحٌ.

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٩٠).

(٢) رواه البخاري (٤٧٥٨) معلقًا، لكنه موصول من طريق آخر عن ابن شهاب عند أبي داود (٤١٠٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٥٧)، وانظر «تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٩).

(٣) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٢٧).

وأخرج البيهقيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[(١)] من حديثِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنه كان يقرأُ: ﴿أن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ قال: «الجِلْبابُ».

ولننظرْ كيف طبَّقتِ التابعيَّةُ الجليلةُ حَفْصَةُ بِنْتُ سيرينَ هذه الآية بالتَّنَقُّبِ:

فقد أخرج الإمام البيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ عَنْ سُفيانَ عَنْ عاصمٍ الأحولِ قال: «كُنَّا ندخلُ على حَفْصةَ بنْتِ سيرينَ، وقَدْ جَعَلتِ الجِلْبابَ هكذا، وتنقبَتْ به، فنقولُ لها: رَحِمَكِ اللهُ، قال الله - تعالى -: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ هُو الجِلْبابُ. قال: فتقولُ لنا: أيُّ شيءٍ بَعْدَ ذلك؟. فنقولُ: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] فتقولُ: هو إثباتُ الجِلْبابِ».

والقواعدُ - أيُّها الناسُ - هُنَّ العُجُزُ اللَّواتي قَعَدْنَ عَنِ التَّصرُّفِ مِنَ السِّنِّ، كما قال ذلك شيخُ المفسِّرين ابنُ جريرٍ الطبريُّ - رحمه الله -[(٢)].

الدليل الخامسُ - قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «لَمَّا أَمَرَ اللهُ النِّساءَ بالحِجابِ عَنِ الأجانبِ، بَيَّنَ أَنَّ هَؤلاءِ الأقاربَ لا يجبُ الاحتجابُ عنهم، كما استثناهم في سُورةِ النورِ عند قوله - تعالى -: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا

---

(١) رواه البيهقيُّ في «سننه» (٧/ ٩٣).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٢٦).

عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]»[١].

تلك ـ أيُّها الناسُ ـ خمسةُ أدلَّة منَ القرآنِ الكريم، تُفيدُ وُجُوبَ احتجاب المرأة المسلمة عَن الرِّجالِ الأجانب، والمؤمنُ الحقُّ يكفيه دليلٌ واحدٌ، لكن رَغِبْنا في تكثيرِ الأدلَّة؛ ليعلَمَ الناسُ الحقَّ بدليله، فإنَّ أصحابَ الشَّهواتِ قَدْ نَجَحُوا في طَرْحِ الشُّبهاتِ حَوْلَ الحِجابِ، حتَّى أقنَعُوا بَعْضَ الجُهَّالِ أنَّه عادةٌ، وليس عِبادةً، وأنَّهُ سُنَّةٌ، وليس فريضةً، فإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون!.

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٨).



الخطبة الثانية

الحجابُ في السنة

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشْرفِ المُرسلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم ذِكْرُ الأدلَّةِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ علىٰ وُجوبِ الحِجابِ.

وفيما يأتي ذكْرُ أدلَّة السُّنَّة، فمنها:

الدليل الأول ـ ما جاء في «الصحيحين»(١) مِنْ حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ في قصَّةِ الإفْك، وفيه: «وكان صَفْوانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَميُّ ثُمَّ الذَّكْوانيُّ مِنْ وراءِ الجيشِ، فأَدْلَجَ، فأصبحَ عندَ مَنْزلي، فرأىٰ سَوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فَعَرَفَني حينَ رآني، وكان يَرَاني قَبْلَ الحِجَابِ، فاستيقظتُ باسترجاعِهِ (أي: قولِهِ: إنَّا للهِ، وإنَّا إليه راجعون) حينَ عَرَفَني، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبابي».

قال الحافظ ابْنُ حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: «قولُها: «فخَمَّرْتُ» أي: غَطَّيْتُ»(٢).

الدليل الثاني ـ أخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ صحيحٍ(٣) من حديثِ أسماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قالتْ: «كُنَّا نُغَطِّي وُجُوهَنا مِنَ الرِّجالِ، وكُنَّا نَمْتَشِطُ قَبْلَ ذلك في الإِحْرامِ».

الدليل الثالثُ ـ ما جاء في «الصحيحين»(٤) من حديثِ عائشة ـ رضي الله عنها ـ

---

(١) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢١٢٩).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٤٦٣).

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٤٥٤).

(٤) رواه البخاري (٨/ ٤٣٠)، ومسلم (٧/ ٦).

قالتْ: «خَرَجَتْ سَوْدَةُ - بَعْدَ ما ضُربَ الحِجابُ - لحاجتِها، وكانت امرأةً جسيمةً (أي طويلةً)، لا تَخْفَىٰ علىٰ مَنْ يَعرِفُها، فرآها عُمَرُ بنُ الخطَّابِ، فقال: يا سَوْدَةُ، أمَا واللهِ، ما تَخْفَيْنَ عَلَيْنا، فانظري كيف تَخْرُجِينَ، قالتْ: فانكَفَأَتْ راجعةً، ورسولُ اللهِ ﷺ في بَيْتي، وإنَّهُ يتعشَّىٰ وفي يَدِه عِرْقٌ، فَدخَلَتْ فقالتْ: يا رسولَ اللهِ، إني خَرَجْتُ لبَعْضِ حاجتي، فقال لي عُمَرُ كذا وكذا - قالتْ: فأوحىٰ اللهُ إليه، ثمَّ رُفِعَ عنه، وإنَّ العَرْقَ في يدِهِ ما وَضَعَهُ، فقال: «**إنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لحاجتكُنَّ**».

قال الإمامُ السِّنْديُّ - رحمه الله -: «قلتُ: الشاهدُ معروفٌ مِنْ هذا الحديثِ، وهو أنَّ عُمَرَ - رضي الله عنه - لم يَعْرِفْ سَوْدَةَ - رضي الله عنها - مِنْ وَجْهِها وكَفَّيْها؛ وإنَّما عَرَفَها مِن جسامةِ جِسْمِها، فدلَّ علىٰ أنها كانتْ مستورةَ الوَجْهِ، والكَفَّيْنِ، وسائرِ الجِسْمِ، وإذا لم يكنْ هذا المَعْنىٰ مُراداً، فماذا كانوا يُغَطُّون قَبْلَ نُزُولِ الحِجابِ؟!، وهذا أمرٌ في غايةِ الوُضوحِ والبيانِ، وإذا لم تكنْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ - رضي الله عنها - مستورةَ الوَجْهِ عند خُروجِها مِنْ بيتِ النبيِّ - ﷺ -، فكيف يُقالُ في حَقِّها، وحَقِّ غَيْرِهَا مِنْ أُمَّهاتِ المُؤمنين - رضي الله عنهنَّ -: إنَّهُنَّ امْتَثَلْنَ الأَمْرَ الإلهيَّ بالحِجابِ؟!»[1].

الدليل الرابع - ما جاء في «الصحيحين» من حديث أُمِّ عطيَّةَ - رضي الله عنها -: أنَّ النبيَّ - ﷺ - لَمَّا أَمَرَ بإخراجِ النِّساءِ إلىٰ مُصلَّىٰ العيدِ - قُلْنَ: يا رسولَ اللهِ، إحداهُنَّ لا يكونُ لها جِلْبابٌ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لتُلْبِسْها أُختُها من جِلْبابِها**»[2].

قال العلامةُ محمَّدُ بنُ صالح العُثَيمين - رحمه الله -: «فهذا الحديثُ يدلُّ علىٰ

(١) «رسالة الحجاب» للسندي (ص٢٠).
(٢) رواه البخاريُّ (٣٢٤)، ومسلم (٨٩٠).

أنَّ المُعتادَ عندَ نساءِ الصحابةِ ألاَّ تخرُجَ المرأةُ إلاَّ بجلبابٍ، وأنَّها عندَ عَدَمِه لا يُمكنُ أنْ تخرُجَ، ولذلك ذَكَرْنَ - رضي الله عنهُنَّ - هذا المانع لرسولِ الله - ﷺ - حينَما أمَرَهُنَّ بالخروج إلى مُصلَّى العيدِ، فبيَّنَ النبيُّ ﷺ لهُنَّ حَلَّ هذا الإشكالِ، بأنْ تُلْبِسَها أُختُها مِنْ جِلْبابِها، ولمْ يَأْذَن لهُنَّ بالخروجِ بغيرِ جِلْبابٍ»[١].

الدليل الخامس - ما جاء في «صحيح البخاري»[٢] من حديث ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تَنْتَقِبِ المُحْرِمةُ، ولا تَلْبَسِ القُفَّازَيْنِ**».

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ - رحمه الله -: «وهذا ممَّا يدلُّ على أنَّ النِّقابَ والقُفَّازَيْنِ كانا مَفْرُوضيْنِ في النِّساءِ اللاتي لم يُحرِمْنَ، وذلك يَقْتضي سَتْرَ وُجُوهِهِنَّ وأَيْديهِنَّ»[٣].

الدليل السادسُ - ما جاء في «سُنَن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ[٤] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: - «**مَنْ جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ، لم ينظرِ اللهُ إليه يومَ القيامة**». فقالتْ أُمُّ سَلَمَةَ - رضي اللهُ عنها -: فكيف تصنعُ النِّساءُ بذُيولِهِنَّ؟ قال: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**». فقالت: إذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قال: «**فَيُرْخِينَهُ ذِراعًا، ولا يَزِدْنَ عليه**».

قال العلامةُ بكر أبو زيد: «فالوَجْهُ - مَثَلاً - أعظمُ فِتْنةً مِن القَدَمينِ، فسَتْرُه أوْجَبُ مِنْ سَتْرِ القدمينِ، وحكمةُ اللهِ - العليمِ الخبيرِ - تَأْبَى الأَمْرَ بسَتْرِ الأدْنَى، وكَشْفِ ما هو أشدُّ فِتْنةً»[٥].

---

(١) «رسالة الحجاب» لابن عُثيمين (ص١٦).

(٢) رواه البخاري (٤/ ٤٢).

(٣) «تفسير سورة النور» لابن تيمية (ص٥٦).

(٤) رواه الترمذي (١٨٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (١٤١٥).

(٥) «حراسة الفضيلة» (ص٦٢).

أيها الناسُ، لو أراد أحدُنا خِطْبةَ فتاةٍ، وعُرِضَ عليه رُؤْيةُ سائرِ جَسَدِها مِنْ غَيْرِ رُؤْيةِ وَجْهِها، فمَنْ منَّا يَرْضىٰ بغير رؤيةِ الوَجْهِ بديلاً؟!.

أيُّها الناسُ، علينا أنْ نتَّقيَ اللهَ في نسائنا، وبناتنا، وأخَواتِنا، ومَنْ لنا عليهنَّ ولايةٌ امتثالاً لأمرِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ القائل في مُحكَم كتابِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وامتثالاً لأمرِ الرَّسولِ ﷺ القائل ـ كما في «الصحيحين»[١] من حديث ابنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ: « «كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رعيَّته، والأميرُ راعٍ، والرجُلُ راعٍ على أهلِ بيْتِه، والمرأةُ راعيةٌ على بَيْتِ زَوْجها ووَلَدِه، فكُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رعيَّته» .

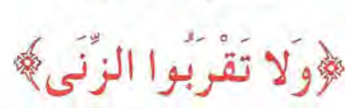
جَعَلَنا اللهُ مِنَ الذين يستمعون القولَ، فيتَّبعون أحْسَنَهُ.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).



الخطبة الأولى



﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها المسلمون، إنَّ من أعظم الكبائر والمصائب التي تُفسد على المرء دنياه وأُخراه، وتجعله في همٍّ وغمٍّ في حياته، حتى عند وفاته، وفي قبره، ويوم يقوم الناس لربِّ العالمين جريمة الزنى التي تجلب لفاعلها العذاب في الدنيا والآخرة، والتي تَتَسَبَّبُ في ذهاب العافية، وزوال الصحة، وذهاب النعم، وحلول النقم، ومَحْق البركة في الأعمار والأرزاق.

والله - سبحانه وتعالىٰ - حرم الزِّنىٰ ، وحذَّر منه أشدَّ التحذير ، وبيَّن ذلك أوضحَ بيانٍ ، فقال - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء : ٣٢] .

قال العلماء في قوله - تعالى - : ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ : «ذلك أبلغ من أن يقول : ولا تزنوا ؛ فإن معناه لا تَدْنُوا من الزنىٰ» .

وقرن الله - سبحانه وتعالىٰ - الزنىٰ بالشرك به ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٦٨-٧٠] .

فقرن الله - سبحانه وتعالىٰ - الزنىٰ بالشرك ، وقتل النفس ، وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف ، ما لم يُحْدِثِ العبدُ توبةً .

قال العلامة ابن سَعْديٍّ - رحمه الله - : «ونصَّ - تعالىٰ - علىٰ هذه الثلاثة ؛ لأنها أكبر الكبائر : فالشِّرك فيه فساد الأديان ، والقتل فيه فساد الأبدان ، والزنىٰ فيه فساد الأعراض»[1] .

وجعل الله - سبحانه وتعالىٰ - اقتران الزاني بالمشركة وبالزانية ، فقال - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٣] .

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٥٠٨) .

ومعنى الآية أن الزاني لا ينبغي له أن يتزوج إلا زانيةً أو مشركةً، ولا يجوز له أن يتزوج بالعفيفة الشريفة الطيِّبة الطاهرة، كما قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

فالرجل الشريف - حقًّا - لا يرضى لنفسه ولا لأولاده الزواج بالزانية، ومن طريف ما يذكر أن أعرابيًّا رأى رجلاً ينظر لامرأته مجرَّد نظرة؛ فطلَّقها لذلك، وأنشأ يقول:

إذا وقع الذُّبابُ على طعامٍ ... رفعتُ يدي ونفسي تَشْتَهِيهِ

وتَجْتَنِبُ الأُسُودُ وُرُودَ ماءٍ ... إذا كان الكلابُ وَلَغْنَ فِيهِ

وأثنى الله على المؤمنين المحافظين الذين لم يقعوا فيما نهاهم الله عنه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

وأمر الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين والمؤمنات بحفظ الفروج مطلقاً، فقال - تعالى -: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وأثنى الله على الحافظين فروجهم من النساء والرجال، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وحذَّرنا نبيُّنا محمَّد - ﷺ - من الزنى أشدَّ التحذير، ففي «الصحيحين»(١) من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «**يا أُمَّةَ محمَّدٍ، ما مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أن يَزْنِيَ عبدُهُ، أو تَزْنِيَ أَمَتُهُ**».

وذكر ﷺ أن جريمة الزنى أكبر ذنبٍ عند الله بعد الشرك، وقتل النفس، ففي

---

(١) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (ص٩٠١).

«الصحيحين»[١] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسولَ الله، أيُّ الذنبِ أكبرُ عندَ الله؟. قال: «أن تدعوَ لله نِدًّا وهوَ خلقكَ». قال: ثمَّ أيٌّ؟. قال: «أنْ تقتلَ ولدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «أنْ تُزانيَ حَليلةَ جارِك». فأنزل الله - عزَّ وجل - تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يزني الزاني حينَ يَزْني وهو مؤمنٌ».

وضمن رسول الله - ﷺ - لمن حفظ لسانهُ وفَرْجهُ بالجنَّة،

ففي «صحيح البخاري»[٣] من حديث سَهْل بن سَعْدٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْه - أي: اللِّسانَ - وما بَيْنَ رِجْلَيْه - أي: الفَرْجَ - أَضْمَنْ له الجنَّةَ».

وأخبر - ﷺ - أنَّ أكثر ما يُدْخلُ النارَ الفم والفَرْجُ،

ففي «سنن التِّرْمِذيِّ، وابن ماجَهْ» بسندٍ حسَّنه الألْبانيُّ في «الصحيحة»[٤] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سُئِلَ رسولُ الله - ﷺ -: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الجنَّةَ؟ قال: «التقوى، وحُسْنُ الخُلُقِ». وسُئِلَ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ النارَ؟ قال:

---

(١) البخاريُّ (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).
(٢) البخاريُّ (٢٤٧٥)، ومسلم (٧٥).
(٣) البخاري (٦٤٧٤).
(٤) الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وانظرِ «الصحيحة» (٩٧٧)، و«صحيح سنن ابن ماجهْ» (٣٤٢٤).

«الأَجْوفانِ: الفَمُ، والفَرْجُ».

وفي «مسند الإمام أحمد»(١) - رحمه الله - من حديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّت المرأةُ خَمْسَها، وصامت شَهْرَها، وحفظتْ فَرْجَها، وأطاعتْ زوجَها - قيل لها: ادخلي الجَنَّةَ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شئْت».

وفي «سنن التِّرْمِذيِّ»(٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَاهُ اللهُ شرَّ ما بَيْنَ لَحْيَيْه، وشرَّ ما بَيْنَ رِجْلَيْه - دخل الجنَّةَ».

أيُّها الناس، لقد تفشَّىٰ الموتُ والهلاكُ بَيْنَ بني البشر، وانتشرت الأمراض التي لم تكن معروفةً من قَبْلُ بسبب جريمة الزنىٰ، ومن تلك الأمراض وأكثرها شيوعًا الأمراض الزُّهْريَّة، وأخطر من ذلك الإيدز، وغير ذلك من الأمراض، وكُلُّ هذا بسبب مخالفتنا لشرع الله.

ففي «سنن ابن ماجَهْ»(٣) من حديث عبد الله بن عمرَ - رضي الله عنهما - قال: أقبل علينا رسول الله - ﷺ - فقال: «يا مَعْشَرَ المهاجرين، خَمْسٌ إذا ابتُليتم بهنَّ - وأعوذ بالله أن تُدْركوهُنَّ -: لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعْلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ، والأوجاعُ التي لم تكنْ مَضَتْ في أسْلافِهمُ الذينَ مَضَوْا...».

ولعظيم خطورة الزنىٰ جعل اللهُ عقوبتها الرَّجْمَ بالحجارة حتىٰ الممات لمن زنىٰ وهو مُحْصَن، والجَلْدَ والتغريبَ عن البلاد عامًا كاملاً لمن زنىٰ ولم يكن قد أُحْصِنَ - أي: لم يتزوج بَعْدُ -.

---

(١) رواه أحمدُ في «مسنده» (١٦٦٠)، والطبرانيُّ في «الأوسط» (٤٥٩٨)، وانظر «صحيح الجامع» للألباني (٦٦٠).

(٢) رواه الترمذيُّ في «سننه» (٢٤٠٩)، وحسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٥١٠).

(٣) «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٠٦).

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - قال: قال رسـول الله - ﷺ - :- «**خُذُوا عنِّي، خُـذوا عني، قد جعلَ اللهُ لهُنَّ سبـيلاً: البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائة، ونَفْيُ سنة، والثَّيِّبُ بالثيِّبِ جَلْدُ مائة والرَّجْمُ**».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: أن رجلاً من «أَسْلَمَ» أتىٰ رسـولَ الله - ﷺ - فـحـدَّثه أنه قـد زنىٰ، فَشَـهِـدَ علىٰ نفسِـه أربعَ شَهَادات، فأمر به رسول الله - ﷺ - فرُجِمَ، وكان قد أُحْصِنَ.

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث بُرَيْدة - رضي الله عنه - قال: إنَّ ماعزَ بن مالكٍ الأسلميَّ أتىٰ رسـولَ الله - ﷺ - فقال: يا رسـولَ الله، إني قد ظلمتُ نفسي وزَنَيْتُ، وإني أريدُ أن تُطهِّرَني، فردَّه، فلمَّا كان في الغَدِ أتاه، فقـال: يا رسولَ الله، إني قد زَنَيْتُ. فردَّه الثانيةَ، فأرسلَ رسولُ الله - ﷺ - إلىٰ قومه، فقـال: «**أتعلمـون بعـقْله بأساً، تُنكرون منْهُ شيئًا؟**». فقالوا: ما نعلمُهُ إلا وفيَّ العقلِ، من صالحينا فيما نرىٰ. فأتاه الثـالثة. فأرسل إليـهم - أيضًا -، فسأل عنه، فأخبروه: أنه لا بأسَ به ولا بعَقْلِه، فلمَّا كان الرابعة حُفرَ له، ثمَّ أمر به فَرُجِمَ.

وروىٰ مـسلم[(٤)] أيضًا - في «صحيحه» من حديث عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ - رضي الله عنهمـا - أنَّ امرأةً من جُهَينةَ أتـت النبيَّ - ﷺ - وهي حُبْلَىٰ من الزنىٰ، فقـالت: يا نبيَّ الله، أصبتُ حدًّا - أي: ارتكبتُ أمرًا يُوجب الحدَّ - فأَقِمْهُ عليَّ. فدعا نبيُّ اللهِ - ﷺ - وليَّـها، فقال: «**أَحْسِنْ إليها، فـإذا وضعتْ فائْتِني بها**» ففـعل، فأمر بهـا نبيُّ الله - ﷺ - فَشُكَّتْ عليها ثيابُها - أي شدَّتْها، حتىٰ لا تنكشف عَوْرَتُها -، ثمَّ أمر بها فرُجِمَتْ، ثمَّ

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٢) البخاري (٦٨١٤)، واللفظ له، ومسلم (١٣١٨).

(٣) رواه مسلم (١٦٩٥).

(٤) رواه مسلم (١٦٩٦).

صلَّىٰ عليها، فقال له عمر: تُصلِّي عليها - يا نبيَّ الله - وقد زَنَتْ؟!. فقال: «لقد تابتْ توبةً، لو قُسِمَتْ بَيْنَ سبعين من أهل المدينة لَوَسِعَتْهم، وهَلْ وجدْتَ توبةً أفضلَ مِنْ أنْ جادتْ بنفسِها لله - تعالى -؟!».

أيُّها الناس، هذه هي عقوبة الزاني المُحْصنِ في الدنيا، ولكن كيف تكون عقوبته في الآخرة؟!.

إن لم يُطَهَّر أو يتب إلىٰ الله توبةً صادقةً، فلا شكَّ أنَّ العقوبة أشدُّ لمن لم يشإ الله أن يغفر له.

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث سَمُرَةَ بن جُنْدبٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - رأىٰ رُؤْيا، فيها أنه قال: «إنَّهُ أتاني الليلة آتيان، وإنَّهما ابْتَعَثاني، وإنهما قالا لي: انطلقْ، وإني انطلقتُ معهما...» فذكر الحديث، وفيه: «فانطلقنا، فأتينا على مِثْلِ التَّنُّور، فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، فاطَّلَعْنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أَسْفَلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوْضَوْا - أي: صاحُوا - قلتُ: ما هؤلاء؟...» فذكر الحديث، وفيه: «وأمَّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُرَاةُ الذين في مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّور، فإنَّهُم الزُّناةُ والزواني».

أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فهذه الفُرُوجُ التي تلذَّذتْ بالحرامِ يأتيها اللَّهَبُ من أسفلَ منها فيحرقُها، فلا خيرَ في لَذَّة من بَعْدِها النَّارُ!.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٠٤٧).




الخطبة الثانية

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصَحْبه وسلَّم.

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناس، لقد حرَّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الزنى؛ حتى تنتظمَ حركة الكون والحياة، وحتى يعيشَ الإنسانُ حياةً عفيفةً طاهرةً سليمةً من الأقْذَار والأرجاسِ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ حرَّم الزنى، وحرَّم جميع مُقدِّماته ودواعيه.

أَلا فما أكثر المُغْرياتِ التي تحثُّ على الزنى، وتدعو إليه، وسوف أذكر بعضًا منها ـ على سبيل المثال ـ:

فمن ذلك إطلاق البصر فيما لا يحلُّ، فهو من أعظم الأسباب المُوصلة إلى الزنى، بل هو ـ كما يقول أهلُ العلم ـ بَرِيدُ الزِّنى ـ أي: رسولُهُ ـ؛ ولَمَّا كان الأمر كذلك أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بغضِّه، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وحذَّر النبيُّ ـ ﷺ ـ من إطلاق النظر إلى المحرَّمات، واعتبره من الزِّنى، كما في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

رسـول الـلـه - ﷺ -: «إنَّ اللهَ كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حظَّهُ من الزنى، أدركَ ذلـك لا مَحَالَةَ، **فَزنى العَيْنِ النظرُ، وزنى اللسان المَنْطِقُ، والنَّفسُ تمنَّى وتَـشتهي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك كُلَّهُ أو يُكَذِّبُهُ**».

ومن أسباب الزنى الاختلاط، فالاختلاط سبب لكثرة الفواحش والزِّنى، سواء كان الاختلاط في المدارس، أو الجامعات، أو المستشفيات، أو الطرقات، أو الأسواق، أو البيوت، أو الوظائف، وقد حرَّم الله - سبحانه وتعالى - الاختلاط، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وحذَّر نبيُّنا - ﷺ - من الاختلاط،

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» من حديث حمزةَ الأنصاريِّ عن أبيه أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول للنساء - وهو خارج من المسجد، فاختلط الرِّجال مع النساء في الطريق -: «**استأخِرْنَ، فإنَّه ليس لكُنَّ أنْ تحققْنَ الطَّريقَ** - أي: تركَبْنَ حقَّها، وهو وَسَطُها - **عليكُن بحافاتِ الطريقِ**». [١] فكانتِ المرأةُ تلتصقُ بالجِدارِ، حتَّى أنَّ ثوبَها لَيَتعلَّقُ بالجدارِ من لُصُوقِها به.

ومن ذلك سماع الأغاني، وهو من أسباب الوقوع في الزنى،

كما قال ابن القيِّم - رحمه الله -: «إنَّ المرأة إذا استعصت على الرَّجل، اجتهد أنْ يُسمعَها صوتَ الغناءِ، فحينئذٍ تُعطي اللِّيانَ - أي: تُعطي نفسَها -، والعياذ بالله!».

والغناء محرَّم، واستحلاله من قِبَلِ من لا خَلاقَ لهم من علامة الساعة،

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»[٢] معلقًا ووصله أبو داود من حديث أبي

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٧٢)، وانظر «الصحيحة» (٨٥٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٥٩٠) ووصله أبو داود (٤٠٣٩).

مالك الأشعريِّ قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «ليكُونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ، يستحلُّون الحِرَ، والحريرَ، والخَمْرَ، والمعازِفَ».

والحِرُ: هو الفَرْجُ، والمعازفُ: آلات العَزْف والمُوسيقىٰ.

ومن أسباب الزنى مُشاهدة المُسَلْسَلات التي تتبرَّج فيها النساء، وكذلك المجلاَّت والصُّحف النسائية الخليعة، والصور الماجنة، ممَّا حرَّمه الإسلام، وكذلك القنوات الفضائية التي تدعو إلىٰ الزنىٰ، والانحرافِ عن الأخلاق الفاضلةِ، بل ذلك من أعظم دواعي الزنىٰ، والواقع خيرُ شاهدٍ.

ومن أسبابِ الزنى - أيضًا - الخَلْوَةُ بالمرأةِ الأجنبية، وقد نهىٰ رسول الله -ﷺ- عن ذلك،

كما في «الصحيحين»[١] من حديث ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي مَحْرمٍ**».

وأخرج الإمامُ أحمدُ في «مُسْنده»[٢] من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يَخْلُونَّ رجلٌ بامرأة؛ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما**».

وحذَّر النَّبيُّ -ﷺ- من الدخول على النساء، وحذَّر أشدَّ التحذير من قريب الزوج: كأخيه وابن عمِّه؛ لتمكنه من الدُّخول علىٰ المرأة من غير نكيرٍ،

ففي «الصحيحين»[٣] من حديث عُقبة بن عامر -رضي الله عنه- أن رسولَ اللهِ -ﷺ- قال: «**إيَّاكُمْ والدُّخولَ على النساء**». فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٣٣٠)، ومسلم (١٣٤١).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ١٨).

(٣) البخاريُّ (٥٢٣٢)، ومسلم (٥/ ١٧).

أَفَرأيتَ الحَمْوَ؟ . قال: «الحَمْوُ المَوْتُ». والمعنىٰ ـ كما قال بعضُ العلماء ـ : احذروه، كما تحذرون الموتَ.

ومن أسباب الوقوع في الزنى مجالسةُ قُرناءِ السُّوءِ الذين يرتكبون الزنىٰ، ويحبِّبون النساء إلىٰ مَنْ يُجالسونهم، ويبالغون في وصفهنَّ؛ فيجب الحَذَرُ والتحذيرُ منهم.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

اللهُمَّ إنا نسألُك الهُدىٰ، والتُّقىٰ، والعَفَافَ، والغِنَىٰ.




الخطبة الأولى

حكم الغناء

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناس، حديثي معكمُ اليومَ حولَ الغناء، والغناء أمره معلوم، فهو يُلهي عن طاعة الله، والقيامِ بالواجباتِ الشرعيَّةِ.

وهو محرَّم بالكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأُمَّة، وقد سمَّاه اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - بلَهْوِ الحديث في قوله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ

الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وقد قال أهل العلم بالتفسير من الصحابة وغيرهم: إنَّ هذه الآية نزلت في الغناء ونَحْوِه.

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطَّرب»(١) عن تُرْجمانِ القرآن عبدِ اللهِ بن عباسٍ - رضي الله عنهما - أنه قال: «نزلت في الغناء وأشباهِهِ».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»(٢) عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنَّه سئل عن هذه الآية المذكورة، فقال: «هو الغناء، والذي لا إله إلا هو» يُرَدِّدُها ثلاثَ مرَّاتٍ.

وأخرج الإمام البخاريُّ في «تاريخه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»(٣) عن شُعيب بن يَسَارٍ قال: سألتُ عِكْرِمَةَ عن لَهْوِ الحديثِ، قال: «هو الغناء».

أيُّها الناسُ، قد تقرَّر لدىٰ الجميع علىٰ أنَّ المُرادَ بلَهْو الحديث هو الغناء.

قال الإمام الواحديُّ في «تفسيره»(٤): «أكثر المفسِّرين علىٰ أنَّ المُرادَ بلَهْوِ

(١) أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٢٦٥)، وصحَّحه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١١)، وصحَّحه الألبانيّ في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٣) أخرجه البخاريُّ في «تاريخه» (٢/ ٢١٧)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٤) «الوسيط» للإمام الواحديّ (٣/ ٤٤١).

الحديث الغناءُ، قال أهلُ المعاني: ويدخل في هذا كُلُّ مَنِ اختار اللَّهْوَ، والغِناءَ، والمزاميرَ والمعازفَ على القرآنِ».

ومعنى الاشتراء في الآية الكريمة الاستبدال والاختيار، واللامُ في قوله - تعالى -: ﴿لِيُضِلَّ﴾ لامُ العاقبةِ، كما قال الإمام الواحديُّ[١]، أي: ليصيرَ أَمْرُهُ إلى الضَّلالِ، كما قال الإمام ابن الجوزيِّ - رحمه الله - في «تفسيره»[٢].

أيها الناس، سبق أنْ ذكرتُ لكمُ الآيةَ الدالَّةَ على تحريم الغناء، ونقلتُ لكم كلامَ أهل التفسير من الصحابة، والتابعين، وغَيْرِهِمْ، وهأنذا أنقل لكمُ الأحاديث الواردة في ذلك، وهي كثيرة جدًّا، فقد جاوز عَدَدُها العشرةَ، وهي تدلُّ على أنَّ التحريمَ ثابتٌ عن رسول الله ﷺ يقينًا لا ريب فيه.

ففي «صحيح البخاري»[٣] معلقًا بصيغة الجزم ووصله أبو داود من حديث أبي عامرٍ - أو أبي مالكٍ - الأشْعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**ليكُونَنَّ مِنْ أُمَّتي أقوامٌ، يستحِلُّون الحِرَ، والحريرَ، والخَمْرَ، والمعازفَ**».

فهذا الحديث - أيُّها الناسُ - من أقوى الأدلَّة التي استدلَّ بها أهلُ العلم على تحريم الملاهي بجميع أشكالها؛ فمعنى يستحلُّون من أقوى الأدلة على أنّ المذكورات الأربعة ليست حلالاً شَرْعًا، ومنها المعازف.

قال أهلُ العلم باللُّغة: استحلَّ الشيءَ: أي عدَّه حَلالاً.

قال الشيخ عليٌّ القاري - رحمه الله -: «والمعنى يعدُّون هذه المُحرَّماتِ حلالاتٍ بإيراد شُبُهاتٍ، وأدلةٍ واهياتٍ»[٤].

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٤٤١).

(٢) «زاد المسير» (٦/ ٣١٧).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٥٥٩٠) ووصله أبو داود في سننه (٤٠٣٩).

(٤) «المرقاة» (٥/ ١٠٦).

والمعازف كما عرفها الإمام الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ قال: «المعازف: اسمٌ لكلِّ آلاتِ الملاهي التي يُعْزَفُ بها: كالمِزْمارِ، والشبابةِ، والصنُّوجِ»[1].

وقال الإمام ابن القيِّم ـ يرحمه الله ـ: «هي آلات اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أهلِ اللُّغةِ في ذلك».

وأخرج البزَّار في «مسنده» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[2] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوتان مَلْعُونانِ في الدنيا والآخرةِ: مِزْمارٌ عند نعمةٍ، ورَنَّةٌ عند مُصيبةٍ»**.

ومعنى الرَّنَّة: هو الصوتُ الحزين.

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[3] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«إنِّي لم أنْهَ عَنِ البكاء، ولكنِّي نَهيتُ عَنْ صوتينِ أحْمَقَيْنِ فاجرين: صوت عندَ نعمة: لَهْو، ولعب، ومزاميرُ الشيطانِ، وصوت عندَ مصيبةٍ: لَطْمُ وجُوهٍ، وشقُّ جيُوبٍ، ورنَّةُ شيطانٍ»**.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ[4]: «هذا الحديث من أجود ما يُحتجُّ به على تحريم الغناء، كما في اللفظ المشهور عن جابر بن عبد الله: **«صوت عند نعمة: لَهْو ولَعبٌ، ومزاميرُ الشيطان»** فنهى عن الصوت الذي يُفعلُ عند النِّعمة، كما نهى عن الصوت الذي يُفعلُ عند المُصيبة، والصوتُ الذي عندَ النعمةِ هو صوتُ الغِناءِ».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٣٣٧).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٧٩٥)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب (ص٥١).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٠)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص٥٢).

(٤) «الاستقامة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٩٢).

وأخرج الإمام أحمدُ في «مسنده»، وأبو داود في «سننه» بسندٍ صحيح، صحَّحه الإمام أحمد شاكر في تعليقه على «المسند»، والإمام الألباني في «تحريم آلات الطرب»[1] من حديث عبد الله بن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللهَ حرَّم عليَّ ـ أو حَرَّم ـ الخَمْرَ، والمَيْسِرَ، والكُوبةَ، وكُلُّ مسكرٍ حرامٌ».

قال الإمام الخطابي[2] ـ رحمه الله ـ: «(والكُوبة) يفسر بـ(الطَّبْلِ)، ويقال: هو (النَّرْد)، ويدخلُ في معناه كُلُّ وترٍ، ومِزْهَرٍ، ونَحْو ذلك من الملاهي والغناء».

وقال الإمام أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ: «وأجودُ من هذا وأحسنُ شمولاً قولُ الإمام أحمدَ: يعني (الكُوبة) كلَّ شيءٍ يكبُّ عليه»[3].

وأخرج الإمام أحمدُ في «مسنده»، وأبو داود في «سننه» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني لشواهده في كتابه «تحريم آلات الطرب» ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ: قال: «إنَّ الله حرَّمَ الخَمْرَ، والكُوبةَ، والغُبَيْرَاءَ، وكلُّ مُسكرٍ حرامٌ».

والغُبَيْراء: هو شرابٌ مُسْكِرٌ، يُتَّخَذُ من الذُّرةِ.

والكوبة: هو الطبل، وقد تقدَّم ذِكْرُهُ.

قال الخَلاَّلُ في كتابه «الأمر بالمعروف» عن الإمام أحمدَ بن حَنْبلٍ أنه قال: «وأكرهُ الطَّبْلَ ـ وهي الكوبة ـ نهى عنه رسولُ الله ـ ﷺ ـ»[4].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٧٤)، وأخرجه ـ أيضًا ـ أبو داود في «سننه» (٣٦٩٦)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب (ص٥٥).

(٢) «معالم السنن» للخطابي (٥/ ٢٦٨).

(٣) «المسند» (١٠/ ٢٧٤) بتعليق أحمد شاكر.

(٤) «الأمر بالمعروف» للخلال (ص٢٦).

وأخرج الإمام التِّرمذيُّ في كتاب «الفتن» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ - رحمه الله - في كتابه «تحريم آلات الطرب»(١) من حديث عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يكونُ في أُمَّتي قَذْفٌ، ومَسْخٌ، وخَسْفٌ».

قيل: يا رسولَ الله، ومتى ذاك؟ قال: «إذا ظَهَرَتِ المعازفُ، وكَثُرَتِ القِيانُ، وشُرِبَتِ الخُمورَ».

والقِيانُ: هُنَّ المُغَنِّياتُ جمع قَيْنَةٍ، وما أكْثَرَهُنَّ في زماننا، لا كثَّرهُنَّ اللهُ!.

أيُّها الناسُ، لقد صرَّحتِ الأحاديثُ المتقدِّمةُ على تحريم الغناء، وتحريمِ آلاتِ الطربِ بجميع أشكالِها وأنواعها، كما قال الإمامُ الألبانيُّ - رحمه الله -، وذلك لأمرين:

الأول - شمول لفظ «المعازف».

والآخر - أنها مثلها في المعنى من حيث التطريب والإلهاء، ويُؤيِّدُ ذلك ما أخرجه البيهقيُّ بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «تحريم آلات الطرب»(٢) من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أنه قال: «الدّفُّ حرامٌ، والمعازفُ حرامٌ، والكُوبةُ حرامٌ، والمِزْمارُ حرامٌ».

قال العلامة ابن القيِّم - رحمه الله -: «ووَجْهُ الدلالة أنَّ (المعازفَ) هي آلاتُ اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغةِ في ذلك، ولو كانتْ حلالاً لما ذمَّهم على استحلالها، ولَمَا قَرَنَ استحلالَها باستحلالِ الخمرِ والخِز... وقد تواعدَ مُسْتحلِّي (المعازفِ) فيه بأنه يخسفُ الله بهمُ الأرضَ، ويمسخُهُم قِرَدَة وخنازيرَ، وإن كان

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٣)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص٦٤).
(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢)، وصححه الألباني في كتابه «تحريم آلات الطرب» (ص٩٢).

الوعيدُ على جميع هذه الأفعال، فلكُلٍّ واحدٍ قِسْطٌ من الذَّمِّ والوعيدِ»[١] .

أيُّها الناسُ، إنَّ علماءَ الأَمصارِ ذهبوا إلى تحريم الأغاني،

فقد قال الإمام ابْنُ الجوزيِّ ـ رحمه الله ـ: «قال الطَّبَريُّ: فقد أجمع علماءُ الأمصارِ على كراهيَةِ الغناءِ، والمَنْعِ منه»[٢] .

ولَمَّا نَسَبَ ابْنُ المطهر الشِّيعيُّ إلى أهل السُّنة إباحةَ الملاهي والغِناءِ، كذَّبه شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ـ في ردِّه عليه في «منهاج السُّنة»، فقال: «هذا من الكَذِب على الأئمَّة الأربعة؛ فإنهم متَّفقون على تحريم المعازف التي هي آلات اللَّهوِ: كالعُود، ونَحْوِه، ولو أتلفها مُتْلِفٌ عندَهم لم يَضْمَنْ صُورةَ التالفِ، بل يَحْرُمُ عندَهُمُ اتِّخاذُها»[٣] .

وأستغفر الله .

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص٢٤٥).

(٣) «منهاج السُّنَّة» لابن تيميَّة (٣/ ٤٣٩).



الخطبة الثانية

حكم الغناء

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، سبق أن ذكرتُ لكم حُكْمَ الغناء، وأنه حرامٌ بالكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمصار، ممن يُعتدُّ بعلمهم، والشاذُّ لا حكمَ له.

وقد تقدَّم إجماعُ علماء الأمصار علىٰ المنع من الغناء، وإجماعُ الأئمة الأربعة علىٰ تحريم المعازفِ بأنواعها وأشكالها، وإن استحدث الناسُ آلاتٍ حديثة، فيشملها لفظ المعازف، وقد تقدَّم قولُ الإمام الذهبيِّ - رحمه الله -: «المعازف: اسمٌ لكُلِّ آلاتِ الملاهي التي يُعْزفُ بها».

وتقدَّم قولُ الإمام ابن القيِّم - رحمه الله - حَوْلَ تفسير المعازفِ: «هي آلاتُ اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أهلِ اللُّغةِ في ذلك».

أيُّها الناسُ، بَعْدَ أنْ عَلِمنا - يقينًا - تحريمَ الغناء بالكتاب والسُّنَّة، فما علينا إلاَّ امتثالُ أمر الله القائل في محكمِ كتابهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أيُّها الناسُ، إنه يجب علينا جميعًا أن نذهب إلىٰ بُيُوتنا، ونفتش عن أشرطة الأغاني، فنأخذها إلىٰ أقرب تسجيلات إسلاميَّة، ونطلب من صاحب التسجيلات أنْ يقوم بمسحِ الأغاني، والتسجيل عليها قال اللهُ، وقال رسولُ الله - ﷺ -.

أيُّهــا الناسُ، إنَّه يجب علينا الحذرُ تمامَ الحَذَرِ من الأناشيدِ التي يُسَمِّيها الناسُ إسلاميةً، وعلينا أن ننظرَ إلىٰ ماذا قال العلماء حَوْلَها قبلَ الاستماع لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ: «وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ لم يَشْرَعْ لصالحيْ أمته، وعُبَّادهم، وزُهَّادهم أن يجتمعوا علىٰ استماع الأبيات المُلحَّنةِ مع ضَرْبٍ بالكفِّ، أو ضَرْبٍ بالقضيبِ، أو الدُّفِّ، كما لم يُبح لأَحدٍ أن يخرجَ عن متابعته، واتِّباعِ ما جاء في الكتابِ والحكمةِ، لا في باطن الأمرِ، ولا في ظاهرِهِ، ولا لعَامِّيٍّ ولا لخَاصِّيٍّ»(١) .

وقال الإمام الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ: «وأنه من أجل ذلك حرَّم العلماءُ الغناءَ الصُّوفيَّ، واشتدَّ إنكارُهم علىٰ مُسْتحِلِّيه، فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأُصول القوية، تبيَّن له ـ بكُلِّ وُضوحٍ ـ أنَّه لا فَرْقَ من حيثُ الحُكْمِ بَيْنَ الغناءِ الصُّوفيِّ والأَناشيدِ الدينيَّة، بل قد يكون في هذه آفةٌ أُخرىٰ، وهي أَنَّها تُلَحَّنُ علىٰ أَلْحانِ الأغاني الماجنة، وتوقع علىٰ القوانين الموسيقية الشرقيَّة ـ أو الغربيَّة ـ التي تُطرِبُ السامعين، وتُرقِصُهم، وتُخرجهم عن طورهم، فيكون المقصودُ هو اللَّحْنَ والطَّرَبَ، وليس النشيد بالذاتِ، وهذه مخالفةٌ جديدةٌ، وهي التشبُّه بالكفَّار والمُجّانِ»(٢) .

وسُئِلَ العلامةُ محمَّد بنُ صالح العُثَيمين ـ رحمه الله ـ عَنْ حُكْمِ الأناشيدِ المُسمَّاة بالإسلاميَّةِ، فقال: «أمَّا حكمُ الأناشيدِ هذه، فلا أرىٰ أنها تُستَعْمَلُ، ولا يُستَمَعُ إليها؛ لأنها:

أولاً ـ ستُلْهي الإنسان عن القرآنِ، والاتعاظِ به.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٢٦٥).

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص١٨١).

ثانيًا ـ أنه ذُكِرَ لي أنَّها حُوِّلَتْ إلىٰ تَلْحينٍ، حتَّىٰ أصبَحَتْ كالأغاني تمامًا.

ثالثًا ـ أنَّ الإنسان يَجِدُ فيها نَشْوةً، وطَرَبًا، وما يجِدُ فيها عبادةً وإنابةً وخضوعًا، هذا الغالب عليها، ولهذا لا أرىٰ أن الإنسان يستمعُ إليها، ولا أراها محبوبةً، ولكن إذا حصل أن الإنسان عندهُ خَوْر وضَعْفٌ في النَّفْسِ، وأراد أن يستمع إليها ـ أحيانًا ـ فلا حَرَجَ، بشرطِ ألاَّ تكونَ مصحوبةً بآلةِ لَهْوٍ»[1].

وسُئِل **العلامةُ صالح الفوزان** عن حكم الأناشيد الإسلامية، إذا كانت تتضمَّنُ الدُّفُوفَ، أو بدونِ الدُّفُوفِ، فأجاب:

«أولاً ـ تسميةُ الأناشيدِ إسلاميَّة، أنا لا أُوافقُ علىٰ تسميتها إسلاميَّةً؛ لأنه لا يُوجدُ أناشيدُ إسلاميَّة؛ لأنَّا إذا قلنا إسلاميّة، صار معناها: أنها من الدِّين، وأنها من الإسلام.

والذي يَعْتقدُ أنَّ الأناشيدَ من الدِّين هُمُ الصُّوفيَّة؛ لأن الصُّوفيَّة يجعلون من جملة متعبَّداتهم وطُقُوسهم الأناشيدَ، يزعمون أنهم يتقرَّبون بها إلىٰ الله، والترانيم فهذه الأناشيد تشبهها من هذا الوجه، وليس هنالك أناشيدُ إسلاميَّة، ولكن قد يقال: أناشيد عربية، يباح الأناشيد ـ مثلاً ـ في حالة السفر، وحالة البناء، والأعمال الشاقَّة، أمَّا هذه الأناشيد الحالية فلا تجوز؛ لأنها:

أولاً ـ جماعيَّة.

ثانيًا ـ أنها تكون بأصوات قد تكون فاتنةً، وأنهم جعلوا هذه الأناشيدَ ـ مثلاً ـ كأنها من الإسلام، وكأنها من الدين، وتُباع كما يُباع الكتابُ الدِّينيُّ، أو الشريطُ الدِّينيُّ، هذا لا يجوز في نظري.

---

(١) «البيانُ المُفيدُ في حُكم التمثيل والأناشيد» (ص١٢).

ولكن قد يكون في أناشيد عربيَّة مباحة بحدودٍ وشروطٍ معروفةٍ، مباحة إباحة فقط، لا أنها من الإسلام أو الدِّين، ولكن يُباح إنشادُها في مثل حالة السفر، وحالة البناء الشاقة بأن ينشدَ كُلُّ شخص لنفسه، وهو يتغنىٰ بالشعر مثلاً، أمَّا أن نجتمع ونجعل أناشيد جماعيَّة، ونسمِّيها إسلاميَّةً، هذا ليس له أصل في الدِّين، وإنما هذا دخل علينا من الصوفية»[١] .

أيُّها الناسُ، لقد وضع العلامة عبدُ الله بنُ عبد الرحمن السَّلْيمانيُّ شروطًا قبل الاستماع للأناشيد، مستخلصًا ذلك من أقوال أهل العلم، وهذه الشروط هي زبدة كتابه «البيان المفيد في حكم التمثيل والأناشيد»[٢] .

فمن هذه الشروط:

١ـ أن تُعْرَضَ علىٰ طالبِ علمٍ قبلَ سماعِهَا ـ أو إنشادها ـ فينظر فيها.

٢ـ ألاَّ تشتملَ علىٰ محرَّمٍ عُمومًا: كالدُّفوفِ، والطُّبول، والزمور.

٣ـ ألا يستمعها النساءُ من الرِّجال، ولا الرِّجالُ من النساء، فإنَّ ذلك محرَّم، ولا يجوز.

٤ـ ألا تكونَ بألحانٍ مُنَغَّمةٍ: كالغناءِ، ولا تكون بأصواتِ غِلْمانٍ، ومُرْدانٍ، حيثُ تُنْشَد بِتكَسُّرٍ وتمايلٍ.

٥ـ ألا تكون جماعيَّةً.

٦ـ ألا تُسمَّىٰ إسلاميَّةً، ويُعتقد أنها من الدِّين أو من الإسلام، وألا تُتَّخذَ في الدَّعوة إلىٰ الله بصفتها الحالية هذه.

---

(١) «المرجع السابق» (ص٤٧، ٤٨).
(٢) «البيان المفيد في حكم التمثيل والأناشيد» (ص١١٣، ١١٤).

ألا تُلْهِيَ وتَشْغَلَ الإنسانَ عن تلاوةِ القرآنِ الكريمِ، ومُدارستِهِ، وحِفْظِهِ، والاشتغالِ بالسنة النبويَّة، وألا تغلبَ عليه، وتكون جُلَّ همِّه ودَيْدَنَهُ ليلَ نهارَ؛ فإنه مَنْ كانتْ هذه صفاته عند إنشادها ـ أو استماعها ـ فقد عرَّض نفسَهُ للوعيد الشديد من النبيِّ ﷺ حيث يقول في الحديث الذي أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنْ يَمْتَلِئَ جوفُ أَحَدِكُم قَيْحًا حتى يَرِيَهُ ـ أي يأكل جَوْفَهُ ـ خيرٌ له من أن يَمْتلِئَ شعْرًا**».

وقد فسَّر العلماء هذا الحديث: على أنه من يَشغَلُهُ الشِّعْرُ عن القرآن والسنة، ويكون جُلَّ همِّه. ويُسْتحسن أن تكونَ ـ فقط ـ في أوقاتِ السَّفَرِ، والجهادِ، والعملِ الشاقِّ، أو في العيدين، أو في الأعراس، وما أَشْبَهَ ذلك.

نسألُ اللهَ الكريمَ أنْ يَمُنَّ علينا بصَوْنِ أسماعِنا عَنِ الغناءِ، وكُلِّ ما يُلهِي عَنْ ذِكْرِهِ ـ جلَّ وعلا ـ.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤/ ١٤٦)، ومسلم (٧/ ٥٠).



الخطبة الأولى

حقيقة الظلم



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الظلم، وما أدراك ما الظلم؟!.

الظلمُ: طبيعةٌ بشريَّة، وجبِلَّة متأصِّلةٌ في النفوس، كما قال ربُّنا - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] فهذا هو الأصل في الناس: الظلم والجهل إلا مَن زكّاه اللهُ بالإيمان والتقوىٰ، والعلم والهدىٰ، والعدل والإنصاف..

والظلمُ مِن شِيَمِ النُّفوسِ، فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فلعلَّهُ لا يظلِمُ

وعرَّف العلماءُ الظلمَ بأنهُ: مُجاوزةُ الحدِّ، ووضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ.

وهو أنواع شتَّى، نجملُها في ثلاثة أقسامٍ:

الأول - ظلم العبدِ نفسَهُ بالإشراكِ بالله.

الثاني - ظلم العبدِ نفسَهُ بمعصية اللهِ.

الثالث - ظلم العبد لغيره من العباد.

والدليل على ذلك ما جاء في «مسند الطيالسي» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع[1] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«الظُّلْم ثلاثةٌ: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأمَّا الظلم الذي لا يغفره الله فالشركُ، قال الله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، وأما الظُّلمُ الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربِّهم، وأمَّا الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضًا، حتَّى يُدبِر لبعضهم من بَعْضٍ»**.

أما القسم الأول - فإنه أقبحُ الظلم وأفحشُه، قال الله - سبحانه وتعالى -: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: لَمَّا نزلت: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾** [الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلكَ على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلمُ نَفْسَهُ؟! قال: **«لَيْسَ ذَلكَ، إنما هو الشِّرْكُ، ألم تسمعوا ما قال لُقمانُ لابنه وهو يَعِظُهُ: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟** [لقمان: ١٣]».

فالشِّرْكُ - أيُّها الناسُ - أعظمُ أنواع الظلم؛ ولهذا كان جزاءَ صاحبه أن يَخْلُدَ في النار يومَ القيامة، قال الله - سبحانه وتعالى -: **﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾** [المائدة: ٧٢].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٦٠١٢)، وحسنه الألباني لشواهده في صحيح الجامع (٣٩٦١).

(٢) البخاري (٣١)، ومسلم (١٢٤).

وكُلُّ ذَنْبٍ قد يغفره الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إلا الشِّرْكَ، فإنه لا يغفر لصاحبه، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن الشِّرْكِ الأكبرِ المُخْرِجِ من المِلَّة التقرُّبُ إلى الموتى وأصحاب القبور من الأولياء والصالحين وغيرهم، وذلك بدعائهم، والاستغاثة بهم، والذَّبْحِ، والنَّذْر لهم، والطواف بقبورهم، والحلف بهم تعظيمًا لهم، واعتقاد النَّفْعِ والضُّرِّ فيهم، وأنَّ لهم تصرُّفًا في هذا الكونِ، وقُدرةً على الدَّفْعِ والرَّفْعِ، والضُّرِّ والنَّفْعِ، والعطاءِ والمَنْعِ.

والقسم الثاني ـ ظلمُ العَبْدِ نفسَهُ بمعصية الله، والخروج عن طاعته؛ لأنَّ حقَّ الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ عبادِهِ أن يعبدوه، ويُوحِّدُوه، ويُطيعوه، ولا يَعْصُوه، ويشكروه، ولا يَكْفُروه.

فإذا خالفوا ذلك كانوا ظالمين[١]، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

أيُّها الناسُ، إنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ غنيٌّ عن عباده، لا تنفعه طاعةُ المُطيعين، ولا تضرُّه معصيةُ العاصين، إنما ينفعون أنفسهم أو يضرُّونها، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فمن أشرك بالله أو عصاه، فإنه لا يظلم إلا نَفْسَهُ، ولا يضرُّ الله شيئًا، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

---

(١) انظر «حقيقة الظلم» د/ عبد العزيز الفوزان (ص٣).

القسم الثالث - وهو ظلمُ العَبْدِ لغيرِه من العباد، وهو أشهرُ أنواع الظلم، وأكثرُها شُيوعًا، وقد أشار ابنُ القيِّم - رحمه الله - إلى هذا التقسيم في كتابه «الوابل الصيِّب»[١].

فقال - رحمه الله -: «والظلمُ عِنْدَ اللهِ - عزَّ وجلَّ - يومَ القيامة له دواوينُ ثلاثةٌ: ديوان لا يغفرُ اللهُ منه شيئًا، وهو الشِّرْكُ بهِ، فإنَّ الله لا يغفرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ. وديوان لا يتركُ اللهُ منه شيئًا، وهو ظُلْمُ العبادِ بعضِهِم بعضًا، فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - يَسْتوفِيه كُلَّه.

وديوان لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ، وهو ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ - عزَّ وجلَّ -، فإنَّ هذا الدِّيوانَ أخفُّ الدَّواوينِ، وأسرعُها مَحْوًا، فإنه يُمْحَىٰ بالتَّوْبَةِ والاستغفارِ، والحسنات الماحيةِ، والمصائبِ المكفِّرةِ، ونَحْوِ ذلك، بخلاف ديوانِ الشِّرْكِ، فإنَّه لا يُمْحَىٰ إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمْحَىٰ إلا بالخروج منها إلىٰ أربابِها، واستحلالِهِمْ منها، ولمَّا كان الشِّرْكُ أعظمَ الدَّواوينِ الثلاثةِ عند الله - عزَّ وجلَّ - حرَّم الجنَّة علىٰ أهله، فلا تَدْخُلُ الجنَّة نفسٌ مُشركةٌ».

أيُّها الناسُ، بَعْد أن عرفنا أقسامَ الظلم، لا بُدَّ من شرح القسم الثالث من أقسام الظلم بشيءٍ من التوسُّع، وهذا الظلم هو ظلمُ العَبْد لغيره من العباد؛ لأنه أغلظ من سابقه، وأعظم إثمًا، وأسوأ عاقبةً، ولا يُمكن الخروج منه، والتخلُّصُ من شُؤمِهِ وإثمه بمجرَّد الإقلاعِ والنَّدَمِ، بل لا بُدَّ مِن استحلال صاحبه، ورد حقِّه إليه، ومَنِ الذي يضمنُ لنفسِهِ - أيُّها الناس - أنْ يُحلَّهُ المظلومُ ويُبيحَهُ، إذا استحلَّه وأباحهُ؟![٢].

أيُّها الناس، إن الظلمَ لا يَنْحَصِرُ في صورٍ معدودة، بل كُلُّ تعدٍّ علىٰ مصالحِ

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص٣٣).

(٢) انظر «حقيقة الظلم» (ص٤).

العبادِ وحُقُوقِهم فإنه يُعَدُّ ظُلْمًا لهم، وسواء كان ذلك بالقولِ أوِ الفِعْلِ.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«المسلمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لسانِه ويَدِه»**.

قال العلامة ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «فبيَّن في هذا الحديث علامة المسلم التي يُستدلُّ بها على حُسْنِ إسلامه: وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المُنافقِ»[(٢)].

وقال الإمام الخطَّابيُّ ـ رحمه الله ـ: «المراد: أفضلُ المسلمين من جمع إلى أداء حقوق اللهِ ـ سبحانه وتعالى ـ أداءَ حقوقِ المُسلمين»[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر: «وذكر المسلمين هنا خَرَجَ مَخْرَجَ الغالب؛ لأنَّ مُحافظة المسلم على كفِّ الأذى عن أخيه المسلم أشدُّ تأكيداً، وحقه عليه أعظمُ من حقِّ الكافرِ غير المحاربِ الذي لا يجوز الاعتداء عليه ـ أيضًا ـ، وخصَّ اللِّسان بالذِّكْرِ؛ لأنه المُعبِّرُ عمَّا في النفس، وهكذا اليد؛ لأنَّ أكثر الأفعال بها، وعبَّر باللسانِ دُونَ القولِ؛ ليدخلَ فيه مَنْ أخرج لسانَهُ على سبيلِ الاستهزاءِ»[(٤)] فانظرْ ـ يا عبدَ اللهِ ـ كيف اشتمل هذا الحديث على جميع أنواع الظلم بالقول والفعل؟!.

أيُّها الناسُ، إنَّ الظلم مَرْتَعُهُ وخيمٌ، وعاقبتُهُ أليمةٌ، توَعَّدَ الله أهلَهُ بالعذاب والنَّكالِ الشديد، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: **﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** [الفرقان: ٣٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا**

---

(١) رواه البخاريُّ (١٠)، ومسلم (٤١).

(٢)، (٣)، (٤) «فتح الباري» (١/ ٧٨).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي موسىٰ الأشعريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله لَيُملي للظالم (أي: يُمْهِل)، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ» ثمَّ قرأ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ كانتْ له مَظْلمةٌ لأَحَد من عِرْضه ـ أو شيء ـ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ قبلَ ألا يكونَ دينارٌ ولا درْهَمٌ، إن كان لَهُ عملٌ صالحٌ، أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلمته، وإن لم تكنْ له حسناتٌ، أُخذَ من سيِّئات صاحبِه، فحُمِلَ عليه».

وفي «صحيح مسلمٍ»(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أتدرونَ مَنِ المُفْلسُ؟» قالوا: المُفْلِسُ فينا من لا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ. فقال: «إنَّ المُفْلِسَ منْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتي يومَ القيامة بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي

(١) رواه البخاريُّ (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) رواه مسلم (٤٦٧٨).

وقَدْ شتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطى هذا من حسناته، وهذا منْ حسناته، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُهُ قَبْلَ أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهُمْ، فطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طرِحَ في النار».

وروىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[١] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ لا تُرفَعُ له يومَ القيامة صحيفتُهُ، حتى يرى أنَّه ناجٍ، فما تَزالُ مَظالِمُ بني آدمَ تَتبعُه، حتى ما يَبْقى له حَسَنَةٌ، ويُحْمَلُ عليه من سيِّئاتِهمْ».

أيُّها الناسُ، إذا كنَّا نريد المحافظة علىٰ حسناتنا، فعلينا أن نترك الظلم، وما أكثر ظلمَ الإنسان لنفسه، وظلمَهُ لغيره!.

فمن ظلم اللِّسان: الغيْبَةُ والنَّميمةُ، والكذب والبهتان، والسبُّ والشتمُ، والتنابزُ بالألقاب، والسُّخْريةُ والاستهزاءُ، والإهانةُ والتحقيرُ، والقَذْفُ والاتهامُ بغير حقٍّ، ونشرُ قالةِ السوءِ عن الناسِ، وفَضْحُ أسرارهم، إلىٰ غير ذلك من أنواع الظلم بالقول من اللسان: كشهادة الزُّور، وغيرها.

ومن ظلم الفعل والجوارح: الضربُ والقتلُ بغير حقٍّ، والسَّرِقة، والرِّشْوَة، والغشُّ، وأكلُ أموالِ الناسِ بالباطل، ومنه كذلك الزِّنىٰ، واللِّواط، والتجسُّس، والتعنُّت، وتتبُّعُ العَوْراتِ، والتلصلص علىٰ محارمِ الناسِ[٢].

روىٰ المُنْذريُّ في كتابه «الترغيب والترهيب» بإسنادٍ حسنٍ، وقال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»: صحيحٌ لغيره[٣] من حديث عبد الله بن مسعود ـ

---

(١) البيهقيُّ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٤).

(٢) انظر «حقيقة الظلم» (ص٦).

(٣) أخرجه المنذريُّ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢١).

رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «إنَّ الشيطانَ قَد يَئِـسَ أنْ تُعْبَدَ الأصنام في أرض العرب، ولكنَّه سيرضى منكم بدون ذلك بالمُحقَّـراتِ، وهي المُوبقاتُ يومَ القيامة، اتقوا الظلمَ ما استطعـتُمْ؛ فإنَّ العبدَ يجيءُ بالحسنات يومَ القـيامة، يرى أنَّها ستُنجيْـه، فما زال عَبْـدٌ يقومُ يقولُ: يا ربِّ، ظلمنـي عبدُكَ مَظْلمـةً، فيقـولُ: امْحُوا مِنْ حـسناتِه. وما يزال كذلك حتى ما يبقى لَهُ حسنةٌ».

وأستغفرُ الله.



الخطبة الثانية

حقيقة الظلم



الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على رسولِهِ الأمينِ.

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ الظلمَ من كبائر الذنُوبِ، حرَّمه الله في كتابه، بل ورد ذكره في مائةٍ وتسعين آيةً من كتاب الله الكريم، ممَّا يدلُّ على خُطورته، وقد حرَّمه الله على نفسه، وجعله بين عباده مُحرَّمًا.

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي ذَرٍّ - رضي الله عنه - عن النبيِّ ﷺ فيما رَوَى عَنِ الله - سبحانه وتعالى - أنه قال: **«يا عبادي، إني حرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظالموا»**.

والرسول - ﷺ - حذَّر من الظلم أشدَّ التحذير، وذكر أنَّ الظلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ.

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسُولُ الله - ﷺ -: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، واتقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُم: حَمَلَهُمْ على أنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واستحلُّوا محارِمَهُمْ»**.

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي هُرَيرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قال: **«المُسلمُ أخو المسلم: لا يظلمُهُ، ولا يَخْذُلُه، ولا يَحْقِرُهُ، التقوى ها هُنا،**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

التقوى ههُنا - ويُشير إلىٰ صَدْرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ - بحَسْبِ امْرِئٍ من الشرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاه المُسلمَ، كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دَمُهُ، وعِرْضُهُ، ومَالُهُ».

أيُّها الناسُ، اتَّقُوا دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بيْنَهَا وبيْنَ اللهِ حجاب، وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في اتقاء دَعْوةِ المظلوم.

فقد أخرج الحاكمُ في «مُسْتدركِهِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] من حديث عبد الله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوةَ المظلوم؛ فإنَّها تصعَدُ إلى السماء كأنَّها شَرارَةٌ».

وروىٰ الطَّبرانيُّ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ - رحمه الله - في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث خُزَيْمة بن ثابتٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوةَ المظلوم، فإنَّها تُحملُ على الغَمامِ، يقولُ اللهُ: وعِزَّتي وجلالي، لأنْصُرَنَّكِ، ولو بَعْدَ حينٍ».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما -: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بَعَث مُعاذَ بنَ جبلٍ إلىٰ اليَمَنِ، فقال: «اتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنَّهُ ليس بيْنَها وبيْنَ الله حجابٌ».

أيُّها الناسُ، إنَّ من الناس مَنْ يَهابُ دعوةَ الصالحين، ويتساهل في دعوة غيرهم، وقد روىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٢٩)، وأخرجه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه الطبرانيُّ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» للألبانيِّ برقم (٢٢٣٠).

(٣) رواه البخاريُّ (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، واللفظ له.

الترغيب والترهيب»[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**دعوة المظلوم مُستجابةٌ، وإن كان فاجرًا، ففُجُورُهُ على نَفْسِه**».

وفي «مسند أحمدَ» ـ أيضًا ـ بسندٍ حسنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**اتَّقُوا دعوةَ المظلوم، وإنْ كان كافرًا؛ فإنها ليس دُونَها حِجابٌ**».

أي: ليس بَيْنَها وبَيْنَ اللهِ سِتْرٌ، أو تأخير، فالجزاء يأتي عاجلاً من الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

أيُّها الناس، إنَّ عُقوبةَ الظلمِ لَتُعجَّلُ في الدُّنيا لصاحبه، مع ما يُدَّخرُ له في الآخرة من النَّكالِ الشديد، والعذابِ الأليمِ، وذهابِ الحسناتِ.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرمذيِّ»[٣] قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أنْ يعجِّلَ اللهُ لصاحبِه العُقوبةَ في الدُّنيا ـ مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرة ـ من البَغْيِ، وقَطيعةِ الرَّحِمِ**».

أيُّها الناسُ، إنَّ شَوَاهدَ تعجيلِ عُقوبةِ الظالمين في واقع الحياة، وفي بُطُونِ الكُتبِ أكبرُ من أنْ تحتويها خُطْبةٌ، بل أكبر من أن تحتويها أَسْفَارٌ.

ففي «الصحيحين»[٤] من حديث عُروةَ عَنْ أبيه ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ أَرْوَىٰ بِنْتَ أُويسٍ ادّعتْ علىٰ سعيد بن زيد أنَّه أخَذَ شيئًا من أَرْضِهَا، فخاصمتْهُ، إلىٰ مَرْوَانَ بنِ

---

(١) رواه أحمد (٨٧٨١)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٩)، و«صحيح الجامع» (٣٣٧٧).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٣٩).

(٤) رواه البخاريُّ (٢٤٥٢) بدونِ القصَّةِ، ومسلم (١٦١٠)، واللفظ له.

الحَكَمِ، فقال سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ مِن أرضِها شيئًا بَعْدَ الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ ؟! . قال: وما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ؟ قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «مَنْ أَخَذَ شبْرًا من الأرض ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سبْعِ أَرَضِينَ». فقال له مَرْوَانُ: لا أسألُك بيِّنةً بَعْدَ هذا. فقال: اللهمَّ إنْ كانتْ كاذبةً فَعَمِّ بَصَرَها، واقْتُلْهَا في أَرْضِهَا. فما ماتَتْ حتَّى ذَهَبَ بَصَرُها، ثُمَّ بَيْنا هي تمشي في أَرضِهَا، إذْ وقعتْ في حُفْرَةٍ فَماتتْ.

وذكر الذَّهبيُّ ـ رحمه الله ـ في كتابه «الكبائر»[١] الكتاب الذي فيه حكايات ليس صحيحًا عن الذهبي، ولكن المجرد من ذلك هو الصحيح فهذه القصة ليست في الكبائر الصحيح عن الذهبي. اهـ.: أنه لما حُبسَ خالدُ بنُ برمك وولده، في نَكْبةِ البرامكة المعروفة، قال ولدُهُ: «يا أبتي، بَعْدَ العِزِّ صِرْنا في القَيْدِ والحَبْسِ»، فقال: «يا بُنيَّ، دعوةُ مظلومٍ سَرَتْ بليلٍ، غَفَلْنا عنها، ولم يَغْفُلِ اللهُ عنها».

وقد أجاد من قال:

لا تظلمنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتدرًا ... فالظُّلْمُ آخِرُهُ يأتيكَ بالنَّدَمِ
نَامَتْ عُيُونُكَ، والمظلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعو عليك، وعَيْنُ اللهِ لم تَنَمِ[٢]

نسألُ اللهَ أنْ يُجنِّبَنا الظُّلْمَ، ويَرْزُقَنا العَدْلَ والإنصافَ في كُلِّ الأمور، إنَّه جوادٌ كريم.

---

(١) «كتاب الكبائر» (ص١٠٧).

(٢) «بصائر ذوي التمييز» (٣/ ٥٤٣).



الخطبة الأولى
مكـارم الأخـلاق



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمّا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليوم عَن مكارمِ الأخلاقِ، لما لها من مكانةٍ عظيمةٍ، ومنزلةٍ عاليةٍ من الدِّين، بَلْ هي الدِّينُ كُلُّهُ بل إن ذلك هو أحد أركان البعثة النبوية كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثتُ لأتمم صالح ـ أو مكارم ـ الأخلاق**».

أَيُّها الناسُ، إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يُحبُّ بعضَ العبادِ، وكذلك جِبْريلُ، وأَهْلُ السماءِ، ويجعلُ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - لهم وُدًّا (أي: مَودَّة)، ويُوضَعُ لهمُ القَبُولُ في الأرضِ، وذلك بفضلِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -، ثمَّ بمكارمِ الأخلاقِ.

وفضائلُ مكارمِ الأخلاقِ - أيُّها الناسُ - جلَّت عَنِ الحَصْرِ، وسَوْفَ أذكرُ طَرَفًا، **منها**[1] :

فمن فضائلها أنَّها امتثالٌ لأمرِ الله - سبحانه وتعالى -:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ومن أحسنِ ما جاء في تفسيرِ هذه الآيةِ قَوْلُ عبدِ الله بن الزُّبير - كما في «صحيح البخاريِّ»[2] : «**أَمَرَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ أَنْ يأخذَ العَفْوَ مِنْ أخلاقِ النَّاسِ**».

ومن فضائلها أنَّها طاعة لرسولِ الله - ﷺ -.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] مـن حديث أبي ذرٍّ ومُعاذٍ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لمحبَّةِ الله - سبحانه وتعالى - (لصاحبها):

فقد أخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] من حديثِ أُسامةَ بنِ شريكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -:

---

(١) انظر «الأخلاق بين الطبع والتطبع» للمؤلف (ص١٣، ١٥).
(٢) رواه البخاريُّ (٤٦٦٣).
(٣) رواه أحمدُ في «مسنده» (٥/ ١٣٥)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١/ ٩٧).
(٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٧٩).

«أحبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لمحبَّةِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ (لصاحبها):

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «إنَّ مِن أَحَبِّكُم إليَّ، وأَقْرَبِكُم منِّي مَجْلسًا يومَ القيامة ـ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا».

ومن فضائلِها أنَّها أعظمُ سببٍ لدُخُولِ الجنَّة:

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سُئِلَ النبيُّ ـ ﷺ ـ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الجنَّة؟ قال: «التَّقْوَى، وحُسْنُ الخُلُقِ». وسُئِلَ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ النَّارَ؟. قال: «الأجْوَفَانِ: الفَمُ، والفَرْجُ».

ومن فضائلِها أنَّ كمالَ الدِّينِ ـ بَعْدَ التوحيدِ ـ في حُسْنِ الخُلُقِ:

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ ـ قاله الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٣)] ـ من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

ومن فضائلها أنَّها أثقلُ شيءٍ في الميزانِ:

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(٤)] من حديث أبي الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «ما

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١/ ٢٢٠١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، وانظر «صحيح الجامع» (٣٩١٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٤).

مِنْ شيءٍ أَثْقَلُ في مِيزانِ العَبْدِ المؤمنِ يَوْمَ القيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ».

ومن فضائلها أنها من أعظمِ العبادة:

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[1] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصائمِ القائمِ».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لحُصولِ الخيريَّة:

ففي «الصَّحيحين»[2] من حديثِ عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنَّ من خِيارِكم أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا».

ومن فضائلها أنَّها مِنْ خَيْرِ أعمالِ العبادِ:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «غاية المرامِ»[3] من حديثِ أُسامةَ بن شريك - رضي الله عنه - قال: سُئِلَ رسولُ الله - ﷺ -، فقيل له: يا رسولَ الله، ما خَيْرُ ما أُعْطِيَ الإنسانُ؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ».

وروى البزَّارُ في «كشف الأستار» بسند حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] من حديث أبي ذرٍّ وأبي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسولُ الله ﷺ «يا أبا ذرٍّ، ألاَ أدُلُّكَ على خَصْلَتَيْنِ، هما أَخَفُّ على الظَّهْرِ، وأَثْقَلُ في الميزانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟». قال: بَلى، يا رسولَ اللهِ. قال: «عليك بحُسْنِ الخلُقِ، وطُولِ الصَّمْتِ،

---

(١) رواه أبو داودَ (٤٧٩٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١)

(٣) رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (٢٩١)، وصححه الألبانيُّ في «غاية المرام» (٢٩٢).

(٤) رواه البزار في «كشف الأستار» (٤/ ٢٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٤٠٤٨).

فوالذي نَفْسُ محمد بيده، ما عَملَ الخلائقُ بِمِثْلِهِمَا».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لتعمير الدِّيار، وزيادة الأعمار:

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] من حديثِ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «صِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجِوارِ ـ يُعَمِّرْنَ الدِّيارَ، ويَزِدْنَ في الأعمارِ».

تلك ـ أيُّها الناسُ ـ بَعْضُ فضائلِ الأخلاقِ، فعلينا أنْ نتقرَّبَ إلى اللهِ بهذِهِ العبادةِ العظيمة، فهي يسيرةٌ على من يسَّرَها اللهُ عليه.

والأخلاقُ ـ أيُّها الناسُ ـ على قسمين:

القسم الأول ـ تكون طَبْعًا، يتفضَّلُ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ على بَعْضِ خَلْقِهِ، فيجبُلُهُمْ عليها، ويطبعُهُمْ بها من غير كسبٍ منهم ولا جهدٍ.

القسم الثاني ـ اكتساب يكتسبها الإنسانُ بالممارسةِ والمجاهدةِ لنفسِهِ، حتَّى تصيرَ طَبْعًا.

والدَّليلُ على ذلك ما جاء في «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إنَّ فيك لَخُلُقَيْنِ، يُحِبُّهما اللهُ: الحِلْمُ، والأَنَاةُ». قال: يا رسولَ اللهِ، أهُما خُلُقانِ، تَخَلَّقْتُ بهما، أَمْ جَبَلَني اللهُ عليهما؟. قال: «بَلْ جَبَلَك اللهُ عليهما». قال: الحَمْدُ للهِ الذي جَبَلَني على خُلُقَيْنِ يحبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ.

قال العلامةُ محمَّدُ بنُ عُثَيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا الحديث:

«فهذا دليلٌ على أنَّ الأخلاقَ الحميدة تكون طَبْعًا، وتكونُ تَطَبُّعًا، ولكن الطَّبع ـ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ١٥٩)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢/ ٣٧٦٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٢٢٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٥٤).

بلا شكٍّ - أحسن من التَّطبُّع؛ لأنَّ الخُلُقَ الحسَنَ إذا كان طبيعيًّا صار سجيَّةً للإنسان وطبيعةً له، ولا يحتاجُ في ممارستِه إلىٰ تَكَلُّفٍ، ولا يحتاجُ في استدعائه إلىٰ عناء ومشقَّةٍ، ولكنْ هذا فَضْلُ الله، يُؤْتيه مَنْ يشاءُ، ، ومن حُرِمَ هذا - أي من حُرِمَ الخُلُقَ علىٰ سبيلِ الطَّبع - فإنه يُمكنُهُ أنْ ينالَهُ علىٰ سبيلِ التَّطبُّعِ، وذلك بالمَرَانةِ والمُمارسة»[١].

أيُّها الناسُ، إنه يَجبُ علينا مُجاهدةُ أنفسِنا، وحَمْلُها علىٰ مكارمِ الأخلاقِ، فنحملُها علىٰ الصَّبْرِ، ونُلْجِمُها بالحِلْمِ، ونُعوِّدُها علىٰ الجُودِ.

ومَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في اللهِ بصدْقٍ، فإنه يَحْصُلُ له - مِنَ الهدايةِ، والمعونةِ، والتوفيقِ علىٰ تحصيلِ مطْلوبِه - أمورٌ إلهيَّةٌ خارجةٌ عنْ مداركِ اجتهادِه، ويُؤَيِّدُ ذلك قولُ الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير» بسند حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] من حديث مُعاويةَ - رضي اللهُ عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنما العِلْمُ بالتعلُّمِ، وإنما الحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ، ومَنْ يَتَحرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، ومن يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ».

أيُّها الناس، إنَّ لاكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ أسبابًا، فمنها:

الإخلاصُ:

فالمُخْلصُ إنْ أَعْطَىٰ فعطاؤُهُ للهِ، وإنْ مَنعَ فَمَنْعُهُ للهِ، وإن أحَبَّ فحبُّهُ للهِ، وإنْ أَبْغَضَ فَبُغْضُهُ للهِ، وإنْ صَبَرَ فَصَبْرُهُ للهِ، وإنْ غَضِبَ فَغَضَبُهُ للهِ، وهكذا في شَأْنِهِ كُلِّهِ.

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (ص١٣).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٢٣٢٨).

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ الأخلاقِ العِلْمُ:

فمن أرادَ الأخلاقَ، فليعتمدْ علىٰ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ لاشتمالهما علىٰ جميعِ الفضائلِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ التأسِّي بالنَّبيِّ ـ ﷺ ـ:

فالنبيُّ ﷺ هو الأُسوةُ الحَسَنَةُ، الذي أَمَرَنا اللهُ بالتأسِّي به في أقوالِهِ، وأفعالِهِ، وأحوالِهِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال العلامةُ ابنُ حَزْمٍ ـ رحمه الله ـ: «من أرادَ خَيْرَ الدُّنيا والآخرةِ وحِكْمَةَ الدُّنيا، وعدلَ السِّيرة، والاحتواءَ علىٰ محاسنِ الأخلاقِ كُلِّها، واستحقاقَ الفضائلِ بأَسْرِها ـ فَلْيَقتدِ بمحمَّدٍ ﷺ، ولْيَستَعْمِلْ أخلاقَهُ وسيره ما أَمْكَنَهُ، أعانَنَا اللهُ علىٰ الاتِّساءِ به بمنِّه، آمين»[(١)].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ الدُّعاءُ:

والدُّعاءُ سببٌ عظيمٌ لنيلِ مكارمِ الأخلاقِ.

وقد كان النبيُّ ـ ﷺ ـ كثيرَ الضراعةِ إلىٰ ربِّه أنْ يَرْزُقَهُ حُسْنَ الخُلُقِ، فكان يقولُ في

---

(١) «الأخلاق والسير» (٩١).

دعاءِ الاستفتاحِ مِنْ صلاةِ الليلِ ـ كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ: «**اللهُمَّ اهْدني لأحْسن الأخلاقِ، لا يَهدِي لأَحْسَنِها إلا أنت، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها، لا يَصْرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنت**».

أيُّها الناسُ، أقولُ ما تسمعون، وأسألُ اللهَ أنْ يُوَفِّقَنا جميعًا لمكارمِ الأخلاقِ، ويَسْتعمِلَنا في طاعتِهِ.

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رواه مسلم (٧٧١).




الخطبة الثانية

مقتطفات من الشمائل المحمدية

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المرسلينَ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ نبيَّنا محمَّدًا ـ ﷺ ـ خيرُ البريَّةِ، وأزكى البشريَّةِ، وأجلُّها قَدْرًا، وأَحْسَنُها خُلُقًا.

اختارَهُ اللهُ على عِلْمٍ، وأكرمَهُ بالرِّسالةِ، وأَيَّدَهُ بالوَحْيِ.

جَبَلَهُ على حميدِ الخِلالِ، وفَطَرهُ على كريمِ الخِصالِ، ثمَّ أَدَّبَهُ، فأَحْسَنَ تأْديبَهُ، فكان خُلُقُهُ القُرآن[1].

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ سَعْدِ بنِ هشامِ بنِ عامرٍ أنه سَأَلَ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ فقال: «يا أمَّ المُؤمنين، أنْبِئيني عَنْ خُلُقِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ» قالتْ: «أَلَسْتَ تَقْرأُ القُرآنَ؟» قلتُ: بلى. قالتْ: «فإنَّ خُلُقَ نَبيِّ اللهِ ـ ﷺ ـ كان القُرْآنَ».

قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ في معنى الحديث: «مَعْنَاهُ: العَمَلُ به، والوُقُوفُ عندَ حُدُودِهِ، والتَّأَدُّبُ بآدابِهِ، والاعتبارُ بأمثالِهِ وقَصَصِهِ، وتَدَبُّرُهُ، وحُسْنُ تِلاوتِهِ».

وإنما أدَّبه القُرْآنُ بِمِثْلِ قولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) انظر «سوء الخلق» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٦٧).

(٢) رواه مسلم (٧٤٦).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وأمثالُ هذه التأديباتِ في القرآنِ كثيرٌ، لا تكادُ تُحصَرُ.

وهو - ﷺ - المقصودُ الأوَّلُ بالتأديب والتهذيبِ، ثمَّ منْهُ يُشرِقُ النُّورُ على الخَلْقِ كافَّة، فإنَّهُ أُدِّبَ بالقُرآنِ، وأَدَّبَ الخَلْقَ به، ثمَّ لمَّا كَمَّلَ اللهُ له خُلُقَهُ، أثنى عليه، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فَسُبْحانَهُ ما أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وأَتَمَّ امتنانَهُ، انظرْ إلىٰ عظيم فَضْلِه، وعَميمِ لُطْفِهِ، كيف أعطىٰ، ثمَّ أثنىٰ؟! [(١)] .

أيُّها الناسُ، لقد اجتمعتْ في رسولِ الله ﷺ خِصالُ الخَيْرِ: مِنْ حَياءٍ، وحِلْمٍ، ورحمةٍ، وشفقةٍ، وشجاعةٍ، وشهامةٍ، وجُودٍ، وكرمٍ، وصِدْقٍ، وبِرٍّ، وأمانةٍ، وتواضُعٍ، ولينِ جانبٍ، وكرمِ معشَرٍ، وإكرامِ يتيمٍ، وحُسْنِ سريرةٍ، وعفَّةٍ، وطهارةٍ، ومُروْءَةٍ، وسائرِ خِصالِ الخَيْرِ.

وقد أقسم اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ أنَّ نبيَّهُ علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ، فقال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

وأثنىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ نبيِّه - ﷺ - غايةَ الثَّناء بقولِه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبيَّنَ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - شَفَقَةَ هذا النَّبيِّ الكريم - ﷺ - علىٰ أُمَّتِه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ - في شَأْنِ هذا النَّبيِّ الكريم - ﷺ - وأُمَّتِه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وحثَّ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - المؤمنين علىٰ التَّأسِّي به - ﷺ -، فقال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فعلينا - أيُّها الناسُ - بالتأسِّي برسولِ الله - ﷺ - وطاعتِه، وإدامةِ النَّظرِ في سيرتِه؛

---

(١) انظر «إحياء عُلُوم الدين» (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).

لنقتطفَ منها مكارمَ الأخلاقِ، ففي ذلك عزُّ الدُّنيا، وشَرَفُ الآخرةِ.

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «بحَسْبِ مُتابعةِ الرَّسُولِ ﷺ تكونُ العِزَّةُ والكفايةُ والنُّصْرةُ، كما أنَّ بحَسْبِ مُتابعتِه تكونُ الهِدايةُ والفَلاحُ والنَّجاةُ، فاللهُ ـ سبحانه ـ علَّق سعادةَ الدَّارَيْنِ بمتابعتِه، وجَعَلَ شقاوةَ الدَّارَيْنِ في مُخالفتِه، فلأتباعِه الهدىٰ والأمْنُ، والفلاحُ والعِزَّةُ، والكفايةُ والنُّصْرةُ، والولايةُ والتأييدُ، وطِيْبُ العَيْشِ في الدُّنيا والآخرة، ولمخَالفيه الذِّلَّةُ والصَّغارُ، والخَوْفُ والضلالُ، والخِذْلانُ والشَّقاءُ في الدُّنيا والآخرةِ»[1] .

اللَّهُمَّ اهْدِنا لأَحْسَنِ الأخلاقِ، لا يَهْدِي لأحسنِها إلا أنتَ، واصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَها، لا يَصْرِفُ عنَّا سيِّئَها إلا أنت. اللهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَراتِ الأخلاقِ، والأعمالِ، والأهْواءِ، والأدواءِ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعلْنا هُداةً مُهْتَدينَ.

(١) «زاد المعاد» (١/ ٣٩).




الخطبة الأولى

بـر الوالديـن

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن «بر الوالدَيْنِ»، وبرُّ الوالدين مِنْ كمالِ الإيمانِ، وأفضلِ العباداتِ، وأجلِّ الطاعَاتِ، وفضائلُهُ لا تكاد تُحْصَرُ.

فمن فضائلِ برِّ الوالدَيْنِ مِنْ كتابِ اللهِ ما يأتي:

أنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ جَعَلَ برَّ الوالدين قرينَ التوحيدِ في أكثر مِنْ آيةٍ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ففي هذه الآياتِ جَعَلَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ حُرْمَةَ العُقُوقِ كحُرمةِ الإشراكِ سواءً بسواءٍ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ حرَّم الشِّرْكَ، وأمَرَ بالإحسانِ، ومُقْتَضَى ذلك أنْ يَأْمُرَ بالتوحيدِ، ويُحَرِّمَ العُقُوقَ، فكان الشِّرْكُ مُلازمًا للعُقُوقِ، والتوحيدُ قرينَ الإحسانِ.

ومن فضائلِ برِّ الوالدين أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قَرَنَ شُكْرهُما بشُكْرِهِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

ومن فضائلِ برِّ الوالدين أنَّ الرَّسُولَ ـ ﷺ ـ أخْبَرَ أنَّ بِرَّ الوالِدَيْنِ أَفْضَلَ الأعمالِ بَعْدَ الصلاةِ، التي هي أعظمُ دعائِمِ الإسلام.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديثِ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ: أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قال: «**الصَّلاةُ على وَقْتِها**». قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**» قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**».

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

ومن فضائلِ برِّ الوالدَيْن أنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - أخبر أنَّ برَّ الوالدين سببٌ لدُخُولِ الجَنَّة، ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «رَغِمَ أَنْفُهُ (أي: لَصِقَ بالرَّغامِ، وهو التُّرابُ، والعبارة كناية عن الذُّلِّ والصَّغار)، ثم رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ!». قيل: مَن يا رسولَ الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ والدَيْهِ عنْد الكِبَر - أحَدهما أو كلَيْهما - ثمَّ لم يَدْخُلِ الجَنَّةَ».

ومعنى الحديث: أنَّ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أو أحَدَهُما فلمْ يَبَرَّهُما، فمات، دخلَ النَّارَ.

وأخرج الإمام إسماعيلُ بنُ إسحاق في رسالته «فضل الصلاة على النبيِّ». بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ[٢] في تعليقه على الرِّسالةِ مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: ارتقى النبيُّ - ﷺ - المِنْبَرَ دَرَجةً، فقال: «آمينَ». ثمَّ ارتقى الثانيةَ، فقال: «آمينَ». ثمَّ ارْتَقى الثالثةَ، فقال: «آمينَ». ثمَّ استوى فَجَلَس، فقال أصحابُهُ: عَلامَ أمَّنْتَ، يا رسولَ الله؟.

قال: «أتاني جِبْريلُ، فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ، ذُكِرْتَ عندَهُ، فلمْ يُصلِّ عليك. فقلتُ: آمينَ. فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْه، فلم يَدْخُلِ الجَنَّةَ. فقلتُ: آمينَ. فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ، أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فلمْ يُغْفَرْ لَهُ. فقلتُ: آمينَ».

وأخرج الإمامُ أحمدُ في «مسندِه»، والحاكمُ في «مستدرَكِه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٣] من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - قالتْ:

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥١).

(٢) رواه البزار (٣١٦٨)، وابن شاهين (٥، ٧، ٨)، وإسماعيلُ القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (ص٣٠، ٣٣)، وصححه الألباني في تعليقه على رسالةِ «فضل الصلاة على النبي» لإسماعيل القاضي - رحم الله الجميع -.

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٢٩)، وصححه ووافقه الذهبيُّ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٧١).

قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «دخلتُ الجنَّةَ، فسمعتُ فيها قراءةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النُّعمان، كذالكُمُ البرُّ، كَذالكُمُ البرُّ!» وكان أبرَّ الناسِ بأُمِّهِ.

ومن فضائلِ برِّ الوالدَيْن أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ أخبر أنَّ بِرَّ الوالدَيْنِ جِهادٌ، بل أفضلُ من الجهادِ، وأخبر أنَّ الجنَّةَ تَحْتَ أقدامِ الأُمَّهاتِ.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء رجلٌ إلىٰ نبيِّ الله ـ ﷺ ـ فاستأذَنَهُ في الجهاد، فقال: «أحَيٌّ والداكَ؟» قال: نَعَمْ. قال: «ففيهما فجاهدْ».

وفي رواية لمسلم قال: أقْبَلَ رجلٌ إلىٰ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، فقال: أُبايِعُكَ علىٰ الهِجْرَةِ والجِهادِ، أبتغي الأَجْرَ مِنَ اللهِ، قال: «فَهَلْ مِنْ والدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟» قال: نَعَمْ، بلْ كِلاهما. قال: «فتبتغي الأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قال: نَعَمْ. قال: «فارجِعْ إلى والدَيْكَ، فأحْسِنْ صُحْبَتَهُما».

وأخرج أبو داودَ بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»(٢) مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ الله ـ ﷺ ـ فقال: جئتُ أُبايِعُكَ علىٰ الهِجْرةِ، وتركْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيانِ، فقال: «ارجِعْ إليهما؛ فَأَضْحِكْهُما كما أَبْكيتَهُما».

وأخرج أبو داودَ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»(٣) مِنْ حديثِ أبي سعيد الخُدْريِّ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: هاجَرَ إلىٰ رسولِ الله ـ ﷺ ـ رجلٌ مِنْ أَهْلِ اليمنِ، فقال له رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «هجرتَ الشِّرْكَ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩).
(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨١).
(٣) رواه أبو داود، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: صحيح لغيره (٢٤٨٢).

ولكنَّهُ الجهَادُ، هَلْ باليمنِ أَبَوَاكَ؟» قال: نَعَمْ. قال: «أَذِنَا لكَ؟» قال: لا، فقال رسُولُ اللهِ - ﷺ -: «ارجعْ إلى أَبويْكَ، فإنْ فَعَلاَ، وإلاَّ فَبِرَّهُمَا».

وأخرج النَّسائيُّ، وابنُ ماجَهْ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجَهْ»[(١)] من حديثِ مُعاويةَ بن جاهمةَ السُّلَميِّ - رضي الله عنه - أنَّ جاهمة جاءَ إلى النبيِّ - ﷺ - فقال: يا رسولَ اللهِ أَرَدْتُ أنْ أَغْزُوَ، وقدْ جِئْتُ أستشيرُكَ. فقال: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟».

قال: نَعَمْ. قال: «فَالْزَمْها؛ فإنَّ الجنَّةَ عِنْدَ رِجْلِها».

أيها الناسُ، تقدَّم فَضْلُ الوالدَيْنِ كلَيْهما، فأحبُّ أن أُنبِّهَ إلى أنَّ الأُمَّ أحقُّ الناسِ بحُسْنِ الصُّحْبةِ لأدلَّةٍ، منها:

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله، مَنْ أحقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابتي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَن؟. قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَبوكَ».

قال النَّوويُّ - رحمه الله -: «وفيه الحثُّ على برِّ الأقاربِ، وأنَّ الأُمَّ أحقُّهم بذلك، ثُمَّ بَعْدَها الأَبُ، ثُمَّ الأَقْرَبُ فالأقربُ، قال العلماء: وسببُ تقديمِ الأُمِّ كَثْرةُ تَعَبِها عليه، وشفقتها وخدمتها، ومُعاناة المشاقِّ في حَمْله، ثُمَّ وَضْعه، ثُمَّ إرضاعِهِ، ثُمَّ تربيتِهِ، وخِدْمتِهِ، وتَمْريضِهِ، وَغيرِ ذلك.

ونقل الحارثُ المحاسبي إجماعَ العُلماءِ على أنَّ الأُمَّ تَفضلُ في البِرِّ على الأبِ»[(٣)].

---

(١) النسائي (٦/ ١١)، وابن ماجه (٢٧٨١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٤٤١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٥/ ٤١٠).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٤١٠).

وأخرج ابن ماجَهْ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[1] من حديث المِقْدام بنِ مَعْدِ يْكَرِبَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بأُمَّهاتِكم (ثلاثًا) وإنَّ اللهَ يُوصيكُمْ بآبائكم، إنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بالأقربِ فالأقْربِ**».

والوالدُ - أيضًا - له حقٌّ عظيمٌ، لا يقلُّ أهمِّيَّةً عن حقِّ الأُمِّ. فقد أخرج الإمامُ التِّرْمذيُّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديثِ أبي الدَّرْداءِ - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً أتاهُ فقال: إنَّ لي امرأةً، وإنَّ أُمِّي تَأْمُرُني بطلاقِها. قال أبو الدَّرْدَاءِ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**الوالدُ أَوْسَطُ أبوابِ الجنَّة، فإنْ شئْتَ فأضِع ذلك البابَ، أوِ احْفَظْهُ**».

قال بعضُ أهلِ العلمِ: يعني أنَّ برَّ الوالدَيْنِ يُدخِلُ الشَّخْصَ مِنْ أَوْسَطِ أبوابِ الجنَّةِ.

وأخرج الإمامُ مسلمٌ[3] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**لا يَجْزِي ولَدٌ والدًا، إلا أنْ يجِده مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**».

قال الإمام النَّوويُّ: «أي: لا يُكافِئُهُ بإحسانِهِ وقضاءِ حَقِّهِ إلا أنْ يُعْتِقَهُ».

وأخرج الإمام التِّرمذيُّ في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرمذيِّ»[4] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بنِ عَمرٍو - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: «**رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الوالدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالدِ**».

---

(١) أخرجه ابن ماجَهْ» (٣٦٦١)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٥٤).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٩٠٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٤٥).
(٣) أخرجه مسلم (١٥١٠).
(٤) رواه الترمذي (١٨٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٥٤٩).

أَيُّها الناسُ، تلك بَعْضُ فضائلِ برِّ الوالدَيْنِ، وفيما يأتي خُطُورةُ عُقُوقِ الوالدَيْنِ؛ كي نحذرَ منها.

أَيُّها الناسُ، اعلموا أنَّ عُقُوقَ الوالدَيْنِ مِنْ أكبرِ الكبائرِ لأدلَّة، منها:

ففي «الصحيحين»[1] مِنْ حديثِ أبي بَكْرَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكبائرِ (ثلاثًا)؟». قُلْنا: بَلَىٰ، يا رسولَ الله. قال: «الإشراكُ بالله، وعُقُوقِ الوالديْنِ» وكان مُتَّكِئًا، فجلس فقال: «أَلاَ وقولُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّور، أَلاَ وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادةُ الزُّورِ». فما زال يُكَرِّرُها، حتَّىٰ قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

وفي «الصحيحين»[2] - أيضًا - مِنْ حديثِ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قال: ذَكَرَ رسولُ الله - ﷺ - الكبائرَ - أو سُئِلَ عَنِ الكبائرِ - فقال: «الشِّرْكُ بالله، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعُقُوقُ الوالديْنِ». فقال: «ألا أُنَبِّئكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قال: «قَوْلُ الزُّورِ - أو شَهَادةُ الزُّورِ». قال شُعبةُ: وأكبرُ ظَنِّي أنَّه قال: «شَهَادةُ الزُّورِ».

قال بَعضُ أهْلِ العلْمِ: «فجاء العُقُوقُ - في ترتيبِ الجرائمِ - بَعْدَ الشِّرْكِ باللهِ - سبحانه وتعالىٰ -، فكما أنَّ برَّ الوالدَيْنِ جاءَ بعد الأمْرِ بالتوحيدِ - في أعمالِ البرِّ - فكذلك في المُقابلِ جاء النَّهيُ عَنِ العُقُوقِ، وبيانُ خَطَرِهِ بَعْدَ النهي عَنِ الشِّرْكِ».

وفي «الصحيحين»[3] مِنْ حديثِ المُغيرةَ بنِ شُعْبةَ عَنِ النبيِّ - ﷺ - قال: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم: عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ومَنْعًا وهاتِ، ووَأْدَ البَناتِ، وكَرِهَ لكم: قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ».

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

وفي «صحيح البخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ - رضي الله عنهما - عَنِ النبيِّ - ﷺ - قال: «الكبائرُ: الإشراكُ بالله، وعُقُوقُ الوالدَيْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمينُ الغَمُوسُ».

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٧٥).



الخطبة الثانية

آدابُ التعامُل مع الوالدين



الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ أشرفِ الأنبياءِ والمُرْسلين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّينِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ معكمْ حَوْلَ فَضْلِ برِّ الوالدَيْنِ، مع ذِكْر أنَّ برَّ الوالديْنِ جاء في القرآنِ الكريمِ بَعْدَ الأمْرِ بالتوحيدِ، وذكرتُ عُقُوقَ الوالدينِ، وأنَّ عُقُوَق الوالدَيْنِ جاء بَعْدَ النَّهْي عَنِ الشِّرْكِ باللهِ.

والآنَ - أيُّها الناسُ - حديثي معكمْ حَوْلَ أدبِ التعامُلِ مَعَ الوالدَيْنِ.

فمن الأَدَب - أيُّها الناسُ - ألاَّ يُحِدَّ الرَّجُلُ النَظَرَ إلىٰ أَبَوَيْهِ، ولا يَرْفَعَ صوتَهُ عليهما، ولا يسبقهُما بحديثٍ، ولا يجلسَ أمامَهُما وهُما قِيامٌ.

ففي صحيح البخاريِّ[1] من حديثِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرمَةَ ومَرْوَانَ، فذكرا الحديثَ، وفيه: «وإذا تكلَّم - يعني رسولَ اللهِ - ﷺ - خَفَضُوا - أي الصحابةُ - أصواتَهُمْ عندَهُ، وما يُحدُّون إليه النَّظرَ تعظيمًا له».

وهذا ابنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - لا يتكلَّم لوجودِ مَن هم أكبرُ سنًّا منه، ففي «الصحيحين»[2] من حديث ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: كنَّا عندَ النَّبيِّ - ﷺ -، فأُتِيَ بجُمَّارٍ، فقال: «**إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرةً، مثلُها كَمَثَلِ المُسْلِمِ**» فأردْتُ أنْ أقولَ: هي النَّخْلَةُ، فإذا أنا أصغرُ القومِ؛ فَسكَتُّ، قال النَّبيُّ - ﷺ -: «**هي النَّخْلَةُ**».

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٧٣١).

(٢) رواه البخاريُّ (٧٢)، ومسلم (٢٨١١).

وذكر الذَّهبيُّ في السِّيَر[١] عن هشامِ بنِ حسَّانَ قال: حدَّثتني حَفْصَةُ بنْتُ سِيرينَ قالتْ: «كانتْ والدةُ محمَّدِ بن سيرين حِجازيَّةً، وكان يُعْجِبُها الصِّبْغُ، وكان محمَّد إذا اشترىٰ لها ثوبًا، اشترىٰ أَلْيَنَ ما يَجِدُ، فإذا كان عِيدٌ صَبَغَ لها ثيابًا، وما رأيتُهُ رفع صَوْتَهُ عليها، كان إذا كلَّمها كالمُصْغِي».

ومن الأدب مع الوالدين الطاعةُ بالمعروف، فتجبُ طاعتُهما، واجتنابُ معصيتهما، وأنْ تُقدَّمَ طاعتُهما علىٰ طاعةِ كُلِّ أحدٍ، ما لم يأمُرا بمعصيةِ اللهِ ورسولِهِ -ﷺ- إلا الزَّوْجة، فإنَّها تُقَدِّمُ طاعةَ زوجها علىٰ طاعةِ والدَيْها.

ففي «مسند أحمدَ» بإسنادٍ صحيحٍ[٢] مِنْ حديثِ حَنْظَلَةَ بنِ خُوَيْلدٍ العنبريِّ قال: بَيْنَما أنا عندَ مُعاويةَ إذ جاءَهُ رَجُلانِ، يختصمانِ في رأْسِ عَمَّارٍ، يقول كُلُّ واحدٍ منهما: أنا قَتَلْتُهُ، فقال عبدُ الله بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ به أحدُكما نَفْسًا لصاحبه؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ -ﷺ- يقولُ: «**تَقْتُلُهُ الفئةُ الباغيةُ**» قال مُعاويةُ: فما بالُك مَعَنا؟! قالَ: إنَّ أبي شَكَاني إلىٰ رسولِ الله -ﷺ- فقال: «**أَطِعْ أباك ما دام حيًّا، ولا تَعْصِه**»، فأنا معكم، ولستُ أُقاتلُ. فعبدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- أطاع أباهُ في المعروفِ، لكنَّهُ لم يُقاتلِ المُسلمين، ولم يرفَعْ سَيْفَهُ عليهم.

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث عليِّ بن أبي طالبٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ -ﷺ-: «**لا طاعةَ في معصيةِ الله، إنَّما الطاعةُ في المعروفِ**».

ومن الأدبِ مَعَ الوالدَينِ خَفْضُ الجَنَاحِ:

قال الله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ [الإسراء: ٢٤].

---

(١) «سير أعلام النُّبلاء» (٤/ ٦١٩).

(٢) رواه أحمدُ في «مسنده» (٢/ ١٦٤).

(٣) تقدَّم تخريجه.

أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بإسنادٍ صحيحٍ[(١)] عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ قال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: «لا تمتنعْ مِن شيءٍ أَحَبَّاهُ».

ومن الأدبِ مع الوالدَيْنِ الفَرحُ بأَوامرِهما، وتَرْكُ التَّضَجُّرِ والتَّأَفُّفِ منهما.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤].

ومن الأدب معهما المُصاحبةُ بالمعروف، حتَّىٰ ولو كانا كافرين، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] قال أبو اللَّيْث السَّمَرْقَنْديُّ: «المُصاحبةُ بالمعروفِ أنْ يُطْعِمَهُما إذا جاعا، ويكْسُوهُما إذا عَريا، ومِنْ حُقُوقِهما خِدْمتُهما إذا احتاجا ـ أو أحدُهُمَا ـ إلىٰ خِدْمةٍ، وإجابةُ دعوتهما، وامتثالُ أمْرِهمَا ـ ما لم يكن معصيةً ـ والتكلُّمُ معهُما باللِّينِ وألا يَدْعُوهُما باسْمِهما، وأن يَمْشي خَلْفَهُما، وأنْ يدْعو اللهَ لهُما بالمغفرة»[(٢)].

ففي «الصحيحين»[(٣)] مِنْ حديثِ أسماءَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: قَدِمَتْ عليَّ أُمِّي ـ وهي مُشْرِكةٌ ـ في عهد قريش إذْ عاهدهُمْ، فاسْتفتَيْتُ رسول الله ـ ﷺ ـ، فقلت: يا رسول الله: قَدِمَتْ عليَّ أُمِّي وهي راغبةٌ (أي: راغبة فيما عندي، تسألُني البرَّ والإحسانَ إليها)، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قال: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّك**».

ومن الأدبِ مع الوالدَيْنِ الاستغفارُ لهما، وطَلَبُ الرَّحْمةِ لهما في حياتِهما، وبَعْدَ مماتِهما.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

---

(١) «الأدب المفرد» (٩).
(٢) «تنبيه الغافلين» (١/ ١٣٧)، و«غذاء الألباب» (١/ ٣٨٩).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٩٧٨)، ومسلم (١٠٠٣).

فعلينا - أيُّها الناسُ - أنْ نستغفر لوالدينا ؛ فإنَّ العَبدَ إذا مات ، نَفَعَهُ استغفارُ وَلَدِه له .

أخرج ابن ماجَهْ في «سننه» ، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجَهْ»[1] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله - ﷺ - : «إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ للعَبْدِ الصَّالحِ في الجنَّةِ، فيقولُ: يا ربِّ، أَنَّى لي هذه؟! فيقولُ: باستغفارِ وَلَدِكَ لَكَ» .

وفي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال : قال النبيُّ - ﷺ - «إذا ماتَ ابنُ آدَمَ، انقطعَ عملُهُ إلا مِنْ ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ» .

ومن الأدب مع الوالدَينِ أداءُ الدَّيْنِ عنهما، والتَّصدُّق عنهما ، والصَّوم عنهما - إذا ماتا وعليهما صِيام - والإحسانُ إلىٰ مَنْ كان بينَهُ وبينَهما مودَّةٌ .

ففي «صحيح البخاريِّ»[3] من حديثِ ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ امرأةً مِنْ جُهَينَةَ ، جاءتْ إلىٰ النبيِّ - ﷺ - فقالتْ : إنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أن تَحُجَّ ، فلم تَحُجَّ حتَّىٰ ماتتْ ، أفَأَحجُّ عنْها؟ قال : «نَعَمْ، حُجِّي عنها، أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّك دَيْنٌ أكُنْتِ قاضيتَهُ؟، اقْضُوا اللهَ، فاللهُ أحَقُّ بالوَفَاءِ» .

وفي «الصحيحين»[4] مِنْ حديثِ عائشةَ - رضي الله عنها - أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ : إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُها ، وأُراها (أي : أظنُّها) لو تكلَّمتْ تصدَّقَتْ ،

(١) أخرجه ابن ماجَهْ (٣٦٦٠)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٩٥٣) .
(٢) تقدم تخريجه .
(٣) رواه البخاريُّ (١٨٥٢) .
(٤) رواه البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم مع النووي (٤/ ١٦٦) .

أَفَأتصدَّقُ عنها؟ قال: «نَعَمْ، تصدَّقْ عنها».

وأخرج البخاريُّ في «صحيحه»[١] مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ رجلاً قال لرسولِ الله - ﷺ -: إنَّ أُمَّهُ تُوفِّيَتْ، أَيَنْفَعُها إنْ تصدَّقتُ عنها؟ قال: «نَعَمْ» قال: فإنَّ لي مِخْرَافًا، فأنا أُشْهِدُكَ أنِّي قَدْ تَصدَّقْتُ به عنها.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسول الله - ﷺ -: «من مات وعليه صيامٌ صامَ عنه وَلِيُّهُ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -: أنَّ رجلاً مِنَ الأعرابِ لَقِيَهُ بطريقِ مكَّةَ، فسلَّمَ عليه عَبْدُ اللهِ، وحَمَلَهُ على حِمارٍ، كان يَرْكَبُه، وأعْطَاهُ عِمامةً، كانتْ على رأسه، فقال ابْنُ دينارٍ: فقلنا له: أصْلَحَكَ اللهُ، إنهُمْ أعرابٌ، وإنَّهُمْ يَرْضَوْنَ باليسير! . فقال عبدُ اللهِ: إنَّ أَبَا هذا كان وُدًّا لعُمَرَ بنِ الخطَّابِ (ومعنى وُدًّا أي: صديقًا مِنْ أهلِ مودَّتِهِ)، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: «إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

ربَّنا اغفرْ لنا ولوالدينا، وارحمْنا، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٧٧٠).

(٢) رواه البخاريُّ (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٢).





الخطبة الأولى
الصبر الجميل

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ الصَّبْرِ الجَميلِ.

والصَّبْرُ الجميلُ ـ أيُّها الناسُ ـ سيِّدُ الأخلاقِ، والطريقُ إلى الإمامة في الدِّينِ، والفَوْزِ العظيم.

وقد ذكره اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم في بِضْعةٍ وتسعين مَوْطنًا بأنواعٍ

عديدةٍ، تدلُّ على وُجُوبِهِ، فمنها ـ أي: ما يدلُّ على وجوب الصَّبرِ ـ:

أولاً ـ الأمــر به، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثانيًا ـ النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ثالثًا ـ الأمرُ بالاستعانة به، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

رابعًا ـ الثناء على أهله، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

خامسًا ـ إيجابُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ محبّتَهُ لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

سادسًا ـ إيجابُهُ معيّتَهُ لهم، وهي معيّةٌ خاصَّة، تتضمَّنُ حِفْظَهم ونَصْرَهُم وتأييدَهُمْ، وهي غَيْرُ المعيَّة العامَّةِ ـ وهي معيَّةُ العِلْمِ والإحاطةِ ـ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال بعضُ السَّلَفِ: «ذَهَبَ الصابرون بخير الدُّنيا والآخرةِ؛ لأنَّهم نَالُوا مِنَ اللهِ معيَّةَ الله»[١].

سابعًا ـ إيجابُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ الجزاءَ لهم بغير حسابٍ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

---

(١) «عدة الصابرين» لابن القيم (ص١٣٤).

قال الأوزاعيُّ ـ رحمه الله ـ: «ليس يُوزَنُ لهم ولا يُكالُ، إنما يُغْرَفُ لهم غَرْفًا»(١) .

ثامنًا ـ إيجابُ الجزاء لهم بأحسن أعمالهمْ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

تاسعًا ـ إخبارُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بأنَّ الصبرَ خيرٌ لأصحابه، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

عاشراً ـ إطلاقُ البُشْرى لأهل الصَّبْر، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

الحاديَ عَشَرَ ـ الإخبارُ منه ـ سبحانه وتعالى ـ: بأنَّ أَهْلَ الصَّبْرِ هُمْ أهلُ العزائم، قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

أي: ممَّا يُعْزَمُ مِنَ الأُمورِ التي هي أجلُّها وأشرفُها.

الثانيَ عَشَرَ ـ الإخبارُ بأنه لا يَنالُ جزاءَ الأعمال الصالحة إلا أَهْلُ الصَّبْر، قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

الثالثَ عَشَرَ ـ الإخبارُ أنَّ الفَوْزَ بالمطلوب المحبوب، والنَّجاةَ مِنَ المَكْروه المرْهُوب، ودُخُولَ الجنَّة إنَّما نَالُوه بالصَّبْر، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨٠).

عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

الرابعَ عَشَرَ - أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - جَمَعَ للصابرين ثلاثةَ أُمُور، لم يَجْمعْها لغيرِهم، وهي: الصلاةُ منْهُ عليهم، ورحمتُه لهم، وهدايتُه إيَّاهُم، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الخامسَ عشَرَ - أنَّ الصبْرَ يُورِثُ صاحبَهُ دَرَجَةَ الإمامةِ في الدِّين.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة - رحمه الله -: «بالصَّبْرِ واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدِّين». ثمَّ تلا قوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤][(١)].

وأمَّا الصبْرُ في السنَّةِ - أيُّها الناسُ - فأكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَرَ، وسوف نقتصرُ على ما يأتي:

فقدْ أخبر النبيُّ - ﷺ - بأنَّ الصبْرَ خير ما أُعْطِيَهُ العَبْدُ.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «ما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

وأخبر - ﷺ - أنَّ الصبْرَ ضياءٌ.

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي مالكٍ الأشْعَريِّ - رضي الله عنه - قال:

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٣)، «عدة الصابرين» (ص٨٤)، «البصائر» للفيروز أبادي (٣/ ٣٧٥)، «الصبر الجميل» لسليم الهلاليِّ (ص٩، ١٠).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣)، واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٢٢٣).

قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**والصَّبرُ ضياءٌ**».

قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «المُرادُ أنَّ الصَّبرَ محمودٌ، ولا يَزَالُ صاحبُهُ مُستضيئًا مُهْتديًا، مُسْتمرًّا علىٰ الصَّوابِ»[1].

والأدلَّةُ ـ أيُّها الناسُ ـ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ، وكُلُّها تدل علىٰ وُجُوبِ الصَّبرِ.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ: «الصَّبْرُ علىٰ المصائبِ واجبٌ باتِّفاقِ أئمَّةِ الدِّينِ».

وقال العلامةُ ابْنُ القيِّم ـ رحمه الله ـ: «هو واجبٌ بإجماعِ الأُمَّةِ، وهو نِصْفُ الإيمانِ، فإنَّ الإيمانَ نِصفانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، ونِصْفٌ شُكْرٌ».

والصبرُ المَشْرُوعُ ـ أيُّها الناسُ ـ له ثلاثةُ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الأوَّلُ ـ الإخلاصُ:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «أي: عَنِ المحارمِ والمآثمِ فَفَطَمُوا أنْفُسَهُمْ عنها لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ابتغاءَ مَرْضاتِهِ، وجزيلِ ثوابِهِ»[2].

وقال العلامةُ ابنُ سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسيرها:

«﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ علىٰ المأموراتِ بالامتثالِ، وعَنِ المَنْهيَّاتِ بالانْكفافِ عنها،

---

(١) «شرح مسلم» (٣/ ١٠٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٠٦).

والبُعْدِ منها، وعلىٰ أقْدارِ اللهِ المُؤْلمةِ بعَدمِ تَسَخُّطِها.

ولكنْ يُشترطُ أنْ يكونَ ذلك الصَّبْرُ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لغيرِ ذلك مِنَ المقاصدِ والأغراضِ الفاسدةِ فإنَّ هذا الصَّبْرَ النافعُ الذي يَحْبسُ بِهِ العَبْدُ نَفسَهُ طلبًا لمَرْضاةِ ربِّه، ورجاءً للقُربِ منه، والحَظْوَةِ بثَوابِهِ، وهو الصَّبْرُ الذي من خصائصِ أَهْلِ الإيمانِ، وأمَّا الصَّبْرُ المُشْتَركُ الذي غايتُهُ التَّجلُّدُ، ومُنْتَهاهُ الفَخْرُ - فهذا يَصْدُرُ مِنَ البَرِّ والفاجرِ، والمؤْمنِ والكافرِ، فليس هو المَمْدُوحَ علىٰ الحقيقةِ»[(١)].

الشَّرْطُ الثاني - عَدَمُ شَكْوى الله إلى العباد:

شَكْوَىٰ اللهِ إلىٰ العبادِ تُنافي الصَّبْرَ، وتُخرجُهُ إلىٰ التَّسَخُّطِ والجزَعِ،

فقدْ أخرج الحاكمُ في «مستدركه»، والبيهقيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[(٢)]، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ - فيما يَرْويه عنْ ربِّه: «**قال اللهُ - سُبْحانَهُ وتعالى -: إذا ابتليْتُ عَبْدي المُؤْمنَ، فلَم يشْكُني إلى عُوَّادِه (أي: زُوَّارِه) - أطْلَقْتُهُ مِنْ أساري، ثمَّ أَبْدلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا منْ لَحْمِه، ودَمًا خيرًا منْ دَمِه، ثمَّ يَسْتَأْنفُ العَمَلَ**».

فعلينا - أيُّها الناس - أنْ نجعلَ شَكْوانا إلىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ -، فهو أرحمُ بنا مِنْ أَنْفُسِنا، ومِنَ الناسِ أجمعين، وهو الذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرض، ولا في السماءِ، وهو الذي أنزل بنا البلاءَ، وهو القادرُ علىٰ رَفْعِهِ وإزالتِهِ.

قال ابنُ القيِّم - رحمه الله -: «والشَّكْوىٰ إلىٰ الله - عز وجل - لا تُنافِي الصَّبْرَ؛ فإنَّ يَعْقُوبَ - عليه السلام - وَعدَ بالصَّبْرِ الجميلِ - والنبيُّ إذا وَعدَ لا يُخْلِفُ - ثمَّ قال:

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٤١٧).

(٢) أخرجه الحاكمُ (١/ ٣٤٩)، والبيهقيُّ (٣/ ٣٧٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤٣٠١).

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وكذلك أيُّوبُ - عليه السلام - أخبر اللهُ عنه أنَّه وَجَدَهُ صابراً مع قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وإنَّما يُنافي الصَّبْرَ شَكْوَىٰ الله، لا الشَّكْوىٰ إلىٰ الله كما رأىٰ بَعْضُهم رجلاً يَشْكُو إلىٰ آخَر فاقةً وضرورةً فقال: يا هذا، تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُك إلىٰ مَنْ لا يَرْحَمُكَ! . ثمَّ أَنْشَدَ:

وإذا عَرَتْكَ بَلِيَّةٌ فاصبِرْ لها ... صَبْرَ الكريمِ، فإنَّهُ بكَ أعْلَمُ
وإذا شَكَوْتَ إلى ابْنِ آدَمَ إنَّما ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إلى الذي لا يَرْحَمُ[1]

أيُّها الناسُ، إنَّه متىٰ أخْبَرَ المريضُ بمَرَضِه - أو المُبْتَلَىٰ بما نَزَلَ به - لا علىٰ سَبيلِ الشَّكْوىٰ، وإنما إجابةً لسُؤالِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ حالِه، أو إخبارَ الطَّبيبِ، أو مَنْ يَرْجُو أنْ يَدُلَّهُ علىٰ الدواءِ، أو إخبار المظلومِ - لمن ينتصرُ به - بحاله - فهذا جائزٌ ولا يُنافي الصَّبْر.

لما في «الصحيحين»[2] من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: دخلتُ علىٰ رسولِ الله - ﷺ - وهو يُوْعَكُ، فَمَسَسْتُهُ بيدي، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فقال رسولُ اللهِ - ﷺ -: **«أَجَلْ، إنِّي أُوْعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ منْكمُ»**. قال: فقلتُ: ذلك أنَّ لك أجْرَيْنِ؟. فقال رسول الله - ﷺ -: **«أَجَلْ»**. ثمَّ قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: **«ما مِنْ مُسلمٍ يُصيبُهُ أَذَى - مِنْ مَرَضٍ فما سِوَاهُ - إلا حَطَّ اللهُ به سيِّئاتِه، كما تَحُطُّ الشَّجَرةُ ورَقَها»**.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٦١).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

قال ابْنُ القيِّـم ـ رحمه الله ـ: «إذا حَمِدَ المريضُ اللهَ، ثمَّ أَخْبَرَ بِعلَّتِهِ، لم يكنْ شَكْوَىٰ منه، وإنْ أَخْبَرَ بها تَبرُّمًا وتسخُّطًا، كان شَكْوًىٰ منه»[1] .

وقال ابن حَجَر ـ رحمه الله ـ: «أمَّا إخبارُ المريضِ صديقَهُ ـ أو طبيبَهُ ـ عَنْ حالِهِ فلا بأسَ به اتِّفاقًا»[2] .

وقال ابن مُفْلِح ـ رحمه الله ـ: «ويُخبِرُ بما يجدُهُ بلا شكوىٰ، وكان أحمدُ ـ رحمه الله ـ يَحْمَدُ اللهَ أوَّلاً ؛ لخبرِ ابنِ مَسْعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: «إذا كان الشُّكْرُ قَبْلَ الشَّكْوَىٰ، فليس بشاكٍ»[3] .

الشَّرطُ الثالث من شروطِ الصَّبْرِ ـ أنْ يكونَ في ساعةِ المُصيبة:

فالصَّبْرُ المحمودُ المأجورُ عليه صاحبه ـ أيُّها الناسُ ـ هو ما كان في أوانِهِ (أي في ساعةِ المُصيبةِ)، أمَّا إذا فات الأوَانُ، فلا فائدة منه .

لما في «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[4] من حديث أبي أُمامةَ ـ رضي الله عنه ـ عَن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**يقولُ الله ـ سُبْحانَهُ وتعالى ـ: ابْنَ آدَمَ، إنْ صَبَرْتَ واحْتَسَبْتَ** (أي: رَجَوْتَ ثوابَ صَبْرِكَ) **عندَ الصَّدْمةِ الأولى ـ لم أَرْضَ لَكَ ثوابًا دُونَ الجنَّة**» .

قال الخطَّابي ـ رحمه الله ـ: «المعنىٰ: أنَّ الصَّبْرَ الذي يُحْمَدُ عليه صاحبُهُ ما كان عندَ مُفاجأةِ المُصيبةِ، بخلافِ ما بَعْدَ ذلك ؛ فإنَّهُ مَعَ الأيَّامِ يَسْلُو»[5] .

---

(١) «عدة الصابرين» (١٠٧) .
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ١٢٤) .
(٣) «الفروع» (٢/ ١٧٦) .
(٤) رواه ابن ماجَهْ (١٥٩٧)، وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٩٨) .
(٥) «فتح الباري» (٣/ ١٥٠) .

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: مَرَّ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ بامرأةٍ تبكي عِنْدَ قَبْرٍ، فقال: «اتَّقي اللهَ واصْبِري».

قالتْ: إليك عني؛ فإنَّك لم تُصَبْ بمُصيبتي. ولم تَعْرِفْهُ.

فقيل لها: إنَّهُ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ، فأَتَتْ بابَ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ، فلم تجِدْ عندَهُ بوَّابِينَ، فقالتْ: لم أَعْرِفْكَ.

فقال: «إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمةِ الأُوْلى».

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).



الخطبة الثانية

الأسباب المعينة على الصبر



الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حَوْلَ الصَّبْرِ وشروطِهِ، والآن حديثي معكمْ حَوْلَ الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ.

أيُّهــا الناسُ، لا شكَّ أنَّ الأسبابَ المُعينةَ على الصَّبْرِ كثيرةٌ، وسوف أَذْكُر طَرَفًا منها،

فمنها استشعارُ الأَجْرِ العظيم على الصَّبْرِ والاسترجاعِ:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وفي «صحيح مسلم»(١) مِنْ حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَا من عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصيبةٌ، فيقولُ: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أجُرْني في مُصيبتي، وأخلفْ لي خَيْرًا منها ـ إلا أَجَرَهُ اللهُ ـ تعالى ـ في مُصيبته، وأَخْلَفَ له خَيْرًا منها**». قالتْ: فلَمَّا تُوُفِّي أبو سَلَمَةَ، قُلْتُ كما أَمَرَني رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، فأَخْلَفَ اللهُ ـ تعالى ـ لي خيرًا مِنْهُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ».

---

(١) رواه مسلم (٩١٨).

ومن الأسبابِ المُعينة على الصَّبْرِ التأسِّي بأهلِ المصائبِ:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عبد اللهِ بن مَسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قَسَمَ النبيُّ ـ ﷺ ـ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ هَذِه لَقِسْمَةٌ، ما أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله، فأَتَيْتُ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ فأَخْبَرْتُه، فَغَضِبَ، حَتَّى رَأيتُ الغَضَبَ في وَجْهِهِ، ثُمَّ قال: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكثرَ مِنْ هَذَا، فَصَبَرَ**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبرِ أنْ نعلمَ أنَّ البلاءَ قَدْ يَرْفَعُنا في دَرَجاتِ الجنَّةِ: أخرج السّيوطيُّ في «جامعه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**إنَّ الرَّجُلَ ليكونُ له المنزلةُ عندَ اللهِ فما يَبْلُغُها بعَمَلٍ، فلا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيه بما يَكرَهُ، حتَّى يُبَلِّغَهُ إيَّاها**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أنْ نَعْلَمَ أنَّ الجَزَعَ لا يَرُدُّ المُصيبةَ، بل يُضَاعِفُها: ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] منْ حديثِ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ العَافيةِ يومَ القيامةِ ـ حين يُعْطَى أهْلُ البلاءِ الثَّوَابَ ـ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كانتْ قُرِضَتْ في الدُّنيا بالمقَاريضِ**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَرَارَةَ الدُّنيا هي بعَيْنِها حَلاوةٌ في الآخرةِ: ففي «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ «**يُؤْتى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أهلِ النَّارِ يومَ القيامة، فَيُصْبَغُ**

(١) رواه البخاري (٣٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم (١٠٦٢).
(٢) رواه السيوطي في «جامعه» (٧٣٠)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٦٢٥).
(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨١٧٧).
(٤) رواه مسلم (٢٨٠٧).

في النَّار صَبْغَةً، ثُمَّ يقَالُ: يابْنَ آدَمَ، هَلْ رأيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟، هَلْ مَرَّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فَيَقُولُ: لا - والله - يا ربِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاس بُؤْسًا في الدُّنْيَا منْ أَهْلِ الجَنَّة، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّة، فَيُقالُ لَهُ: يابن آدَمَ، هَلْ رأيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟، هَلْ مَرَّ بكَ شدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا - والله - ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شدَّةً قَطُّ».

ومن الأسباب المُعينة على الصَّبْرِ أنْ نَعْلَمَ أنَّ اللهَ - سبحانَهُ وتعالى - قَد يُعَوِّضُنا على صبْرِنا واحتسابنا:

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ وأبي هُريرةَ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسولُ الله - ﷺ -: «ما يُصيبُ المُسلمَ منْ نَصَبٍ - (أي: تَعَبٍ)، ولا وَصَبٍ (أي: مَرَضٍ)، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذًى، ولا غَمٍّ - حتى الشَّوْكَة يُشاكُها - إلا كَفَّرَ اللهُ بها منْ خَطَايَاهُ».

وروىٰ التِّرْمذيُّ في «سننه»، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سُنَنِ التِّرمذيِّ»[2] من حديثِ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ الناسِ أَشَدُّ بلاءً؟. قال: «الأنبياءُ، ثمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، يُبتَلى العَبْدُ على حَسَبِ دينه، فإنْ كان في دينه صُلْبًا، اشتدَّ بلاؤُهُ، وإنْ كان في دينه رقَّةٌ، ابْتُلِيَ على حَسَبِ دينه، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعَبْد، حتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ».

ومن الأسبابِ المُعينة على الصَّبْرِ أنْ نعلمَ أنَّ ما أصابنا لم يكنْ ليُخْطئَنا:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٥٦).

التِّـرْمِـذيِّ»(1) من حديث عبد الله بن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: كنتُ خَلْفَ النبيِّ - ﷺ - يَوْمًا، فقال: «**يا غُلامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كلمات: احفظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَألتَ فاسْأَل اللهَ، وإذا استعنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَت عَلى أنْ يَنْفَعُوكَ بشيء، لم يَنْفَعُوكَ إلا بشيء، قدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيء، لمْ يَضُرُّوك إلا بشيءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الأَقْلامُ، وجَفَّت الصُّحُفُ**».

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرَّجيمِ: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القُرْآنِ العظيمِ.

---

(1) تقدم تخريجه.



الخطبة الأولى

من أحكام السلام

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ أحكامِ السَّلامِ والحديثُ عَنِ السَّلامِ ذُو شُجُونٍ، فهو أمَانُ اللهِ في الأرضِ، وتحيَّةُ المُؤمنين في الجنَّةِ، وتحية أهل الإسلام في الدنيا ، وهو ـ مع ذلك ـ طريق إلى المودَّة والمحبَّة والتعارفِ بَيْنَ المسلمين.

وممَّا جاء في فَضْلِ إفشاء السلام والبَدْء به من الأدلة ما يأتي:

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «هذه آدابٌ شرعيَّةٌ، أدَّبَ اللهُ بها عبادَهُ المؤمنين، وذلك في الاستئذانِ أَمَرَهُمْ ألاَّ يدخلوا بُيُوتًا غَيْرَ بيوتهم حتى يستأنِسُوا - أي يستأذِنُوا - قَبْلَ الدُّخولِ، ويُسلِّموا بَعْدَهُ»[1].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

قال الشيخُ السَّعْديُّ - رحمه الله -: «﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ نَكِرةٌ في سِياقِ الشَّرْطِ، يشملُ بيتَ الإنسانِ، وبيتَ غَيْرِهِ، سواء كان في البيتِ ساكنٌ أم لا، فإذا دَخَلها الإنسانُ ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ أي: فَلْيُسَلِّمْ بعضُكم على بَعْضٍ؛ لأنَّ المسلمينَ كأنَّهم شَخْصٌ واحدٌ مِنْ تَوَادُهِمْ وتراحُمِهم وتعاطُفِهِمْ»[2].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «أي إذا سَلَّمَ عليكم المُسلِّم، فردُّوا عليه أفْضَلَ مِمَّا سَلَّم، أو ردُّوا عليه بمثل ما سَلَّمَ به، فالزِّيادةُ مَنْدوبةٌ، والمُماثلةُ مَفْروضةٌ»[3].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣١٣).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٧٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٢٦).

عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ٩٤].

وأخرج البخاريُّ في «صحيحه»[١] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما -: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: كان رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ له، فَلَحِقَهُ المسلمون، فقال: السلامُ عليكم، فقَتَلُوه، وأَخَذُوا غُنيمَتَهُ، فأنزلَ اللهُ في ذلك إلى قولِهِ: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: تلك الغُنَيْمةُ، قال: قَرَأَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿السَّلَمَ﴾.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العاصِ - رضي الله عنهما - أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله - ﷺ -: أيُّ الإسلام خَيْرٌ. قال: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ، ومَنْ لم تَعْرِف».

وفي «الصحيحين»[٣] مِنْ حديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ - رضي الله عنه - قال: «أَمَرَنا رسولُ اللهِ - ﷺ - بسبعٍ: بعيادةِ المريضِ، واتِّباعِ الجنائزِ، وتشميتِ العاطسِ، ونَصْرِ الضَّعيفِ، وعَوْنِ المظْلُومِ، وإفْشَاءِ السلامِ، وإبرارِ المُقْسِمِ».

وفي «صحيح مسلم»[٤] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَدْخُلون الجنَّةَ حتَّى تُؤْمنوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تحابُّوا، أوَلاَ أدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينَكُمْ».

وأخرج الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والتِّرْمذيُّ، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»[٥] مِنْ حديثِ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ - رضي الله عنهما - قال: جاء رجلٌ إلى

(١) البخاريُّ (٤٥٩١).
(٢) البخاريُّ (٦٢٣٦)، ومسلم (٣٩).
(٣) رواه البخاري (٦٢٣٥)، واللفظ له، ومسلم (٢/ ٢٠١) مع شرح النووي.
(٤) رواه مسلم (٥٤).
(٥) رواه أحمد (٤/ ٤٤٠)، وأبو داودَ (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٦٨٩).

النَّبيِّ - ﷺ - فقال: السَّلامُ عليكم. فردَّ عليه السلامَ ثمَّ جلَسَ، فقال النبيُّ - ﷺ -: «عَشْرٌ». ثمَّ جاء آخَر فقال: السَّلامُ عليكم، ورحمةُ الله. فردَّ عليه، فجلَسَ، فقالَ: «عشْرون». ثُمَّ جاء آخرُ فقال: السَّلامُ عليكم، ورحمةُ اللهِ، وبركَاتُه. فَرَدَّ عليه، فَجَلَسَ فقال: «ثلاثونَ».

وأخرج البخاريُّ في «الأدبِ المُفْردِ»، وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» و«الصحيحة»[1] مِنْ حديثِ البراءِ بنِ عازبٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «أَفْشُوا السَّلامَ تَسْلَمُوا».

وأخرج ابن ماجَهْ في «سننه»، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، وابن خُزَيمةَ في «صحيحه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[2] من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «ما حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ على شيءٍ ما حَسَدَتْكُمْ على السَّلامِ والتَّأمين».

«وفي الصحيحين»[3] مِنْ حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ على صُورته، طُولُه ستُّون ذراعًا، فلمَّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فسلِّمْ على أُولئكَ - نَفَرٍ مِنَ الملائكةِ جُلُوسٍ - فاستمعْ ما يُحيُّونَكَ، فإنَّها تحيَّتُكَ، وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عليكم. فقالوا: السَّلامُ عليك، ورحمةُ الله. فَزَادُوهُ: ورحمةُ اللهِ، فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ على صُورةِ آدَمَ، فلم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حتَّى الآن».

وأخرجَ التِّرمذيُّ في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] من

---

(١) «الأدب المفرد» (٩٧٩)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٧٧٧)، و«الصحيحة» (١٤٩٣).
(٢) ابن ماجَهْ (٨٥٦)، و«الأدب المفرد» (٢٢٨)، وابن خُزيمة في «صحيحه» (٥٧٤)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٦٩٢).
(٣) رواه البخاريُّ (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).
(٤) الترمذيُّ (٢٤٨٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٨٦٥).

حديثِ أبي يُوسُفَ عبدِ اللهِ بنِ سلاَّمٍ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: «يأيُّها الناسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرْحامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والناسُ نيامٌ - تدْخُلوا الجَنَّة بسلامٍ».

وأخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[١] من حديث ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «إنَّ السَّـلامَ اسمٌ مِنْ أسْماءِ الله - تعالى -، وضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «إنَّ أَبْخَلَ الناسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلامِ، وأَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعاءِ».

أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بَعْضِ فضائلِ السَّلامِ، وفيما يأتي آداب السَّلامِ.

فمن آداب السلام - أيُّها الناسُ - تسليمُ القليلِ على الكثيرِ:

ففي «صحيح البخاري»[٣] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: «يُسَلِّمُ الصَّغيرُ على الكبيرِ، والمارُّ على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ».

قال الحافظ ابن حَجَرٍ - رحمه الله -: «قولُهُ: بابُ: تسليمِ القليلِ على الكثيرِ هو أمْرٌ نسبيٌّ، يشملُ الواحدَ بالنِّسبةِ للاثنين فصاعِداً، والاثنين بالنسبة للثلاثةِ فَصَاعِداً، وما فَوْقَ ذلك»[٤].

---

(١) رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٩٧)، و«الصحيحة» (١٨٩٤).
(٢) «الأدب المفرد» (١٠٤٣)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٥١٩).
(٣) رواه البخاريُّ (٦٢٣١).
(٤) «فتح الباري» (١١/ ١٦).

ومن آدابِ السلامِ تسليمُ الماشي على القاعد:

روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ في «صحيحيهما»(١) مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثيرِ**» والحكمةُ في ذلك: أنَّ الراكبَ مَظنَّةُ الزَّهْوِ والكِبرِ، فاسْتُحِبَّ له أَنْ يَبْدَأَ الماشي بالسَّلامِ كَسْراً لشَهْوةِ العُجْبِ، وإظهاراً للتواضع(٢).

ومن آدابِ السَّلامِ تسليمُ الصَّغيرِ على الكبير:

ففي «صحيح البخاري»(٣) من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «**يُسَلِّمُ الصَّغيرُ على الكبير، والمارُّ على القاعدِ، والقليلُ على الكثير**».

قال ابنُ بطَّالٍ عَنِ المُهَلَّب: «تسليمُ الصَّغيرِ لأَجْلِ حَقِّ الكبيرِ؛ لأنَّه أُمِرَ بتوقيره، والتواضُعِ لَهُ، وتسليمُ القليلِ لأَجْلِ حقِّ الكثير؛ لأنَّ حقَّهُم أعظمُ، وتسليمُ المارِّ لشبهِهِ بالدَّاخِلِ علىٰ أَهْلِ المَنْزِلِ، وتسليمُ الراكبِ؛ لئلا يتكبَّر برُكُوبِهِ، فَيَرْجع إلىٰ التواضُعِ»(٤)

وقال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «قال أصحابُنا ـ وغيرُهم من العلماء ـ: هذا المذكور هو السُّنَّةُ، فلو خالَفُوا، فَسَلَّمَ الماشي علىٰ الراكب ـ أو الجالسُ عليهما ـ لم يُكْرَهْ»(٥).

ومن آدابِ السَّلامِ ـ أيُّها الناسُ ـ إلْقاءُ السَّلامِ على مَنْ نَعْرِفُ، ومَنْ لا نَعْرِفْ: ففي «الصحيحين»(٦) من حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ـ ﷺ ـ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعْرِفْ**».

---

(١) البخاريُّ (٦٢٣٢)، ومسلم (٢١٦٠).
(٢) «فتح الباري (١١/ ١٧).
(٣) البخاريُّ (٦٢٣٤).
(٤) «الفتح» (١١/ ١٨).
(٥) «الأذكار» للنووي (٢/ ٦٤٢).
(٦) تقدم تخريجه.

قال الحافظ: «أي من يَعْرِفُهُ المسلمُ، ومَنْ لا يَعْرِفُهُ، أي: لا يَخُصُّ بالسَّلامِ مَنْ يَعْرِفُهُ دونَ مَنْ لا يَعْرِفُهُ»[١].

وقال في شرح قوله: «ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ»: «أيْ: لا تَخُصَّ به أحدًا تَكَبُّرًا أو تصنُّعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام، ومُراعاةً لأُخُوَّةِ المُسلم»[٢].

وقال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «معنىٰ قوله: «على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لمْ تَعْرِفْ»: تُسلِّم علىٰ مَنْ لَقِيْتَهُ، ولا تَخُصَّ ذلك بِمَنْ تَعْرِفُ، وفي ذلك إخلاصُ العِلْمِ، واستعمالُ التواضُعِ، وإفْشَاءُ السَّلامِ الذي هو شعارُ هذه الأُمَّةِ»[٣].

ومن الآدابِ التسليمُ على الصِّبيانِ:

ففي «الصحيحين»[٤] من حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّه مرَّ علىٰ صِبْيانٍ، فسلم عليهم، وقال: «كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يَفْعَلُهُ».

قال الحافظُ: قال ابْنُ بَطَّالٍ: «في السَّلامِ علىٰ الصِّبيانِ تَدْريبُهُمْ علىٰ آدابِ الشَّريعةِ، وفيه طَرْحُ رداءِ الكِبْرِ، وسُلوكُ التواضُعِ ولينِ الجانبِ»[٥].

ومن آدابِ السَّلامِ السَّلامُ عندَ القيامِ منَ المجلسِ:

أخرج أبو داودَ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٦] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهى أحدُكُمْ إلى المجلسِ فَلْيُسَلِّم، فإنْ بَدَا لَهُ أنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إذا قام فَلْيُسَلِّمْ؛ فليسَتِ الأُولى بأَحَق منَ الآخِرةِ**».

قال صاحبُ «عوْن المعبودِ»: «إذا انتهىٰ» أي: جاء ووصل. «**فليست الأولى**» أي:

---

(١) «الفتح» (١١/ ٢٣).
(٢) «الفتح» (١١/ ٧٣).
(٣) «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٢٠١).
(٤) البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).
(٥) «الفتح» (١١/ ٣٥).
(٦) رواه أبو داودَ (٥٢٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٠).

التسليمةُ الأولىٰ. «بأحقَّ» أي: أَوْلىٰ وأَلْيَق. «مِنَ الآخرةِ» بل كِلْتَاهُما حقٌّ وسُنَّةٌ»[1].

ومن الآداب بعث السلام إلى إخوانك:

فإن ذلك يستدعي دوام المودة والألفة والمحبة. فقد أخرج أبو داود، والتِّرْمذيُّ، وحسنه الألباني في «صحيح الكلم الطيب»[2] عن غالب قال: إنَّا لجلوس بباب الحسنِ، إذ جاء رجلٌ، فقال: حدَّثني أبي عن جدِّي، قال: بعثني أبي إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: ائته، فأقرئهُ السلامَ. قال: فأتيتُه فقلت: إن أبي يُقرئُكَ السلام. فقال: «وعليكَ وعلى أبيك السلامُ».

ومن الآدابِ أنْ نبدأَ بالسَّلام قَبْلَ الكلام:

فقد أخرج الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»، و«الصحيحة»[3] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ بَدَأَ بالكلامِ قَبْلَ السَّلامِ، فلا تُجيبُوهُ».

ومن الآدابِ أنْ يكونَ السَّلامُ بلفظٍ مُسمعٍ للمُسلَّم عليه، فإنْ لم يسمعْهُ، لم يكنِ المُسلِّمُ آتيًا بالسُّنَّة:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»[4] من حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إذا سلَّمتَ فأَسْمِعْ، فإنَّها تحيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُباركةٌ طَيِّبةٌ».

وأستغفر الله.

---

(١) «عون المعبود» (١٤/ ١١٦). (٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣١) بسندٍ حسن.

(٣) أخرج الهيثميُّ في «المجمع» (٨/ ٣٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٢٢)، و«الصحيحة» (٨١٦).

(٤) أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٠٠٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (ص٣٦٢).



الخطبة الثانية

من أخطاء الناس في السلام



الحَمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّمَ الحديثُ معكمْ عَنْ فَضْلِ السَّلامِ وآدابِهِ، والآنَ حديثي معكمْ عَنْ بَعْضِ أخطاءِ النَّاسِ في السَّلامِ.

فمن أخطاء الناسِ في السَّلامِ الزِّيادةُ بَعْدَ وبَرَكَاتُهُ، ابتداءً وردًّا، والمشروعُ في السَّلام الكاملِ ـ أيُّها الناسُ ـ هو قولُ: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ.

قال القُرْطُبيُّ ـ رحمه الله ـ في تفسير قولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦]: «رد الأحسن أنْ يَزِيدَ فيقولُ: عليك السلامُ ورحمةُ اللهِ لمن قال: سلامٌ عليك. فإنْ قال: سلامٌ عليك، ورحمةُ اللهِ. زِدْتَ في ردِّكَ: وبركاته. وهذا هو النِّهايةُ، فلا مزيدَ عليه، قال ـ تعالىٰ ـ مُخْبِرًا عن البيت الكريم: ﴿**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود: ٧٣]»[١].

وأخرج البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ[٢] عَنْ عَطَاءٍ قال: «بَيْنَا أنا عندَ ابنِ عبَّاسٍ، وعندَهُ ابنُهُ، فجاءه سائلٌ، فسلَّم عليه، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، وبركاتُهُ، ومغْفِرَتُهُ، ورِضْوانُهُ، وعدد من ذا، فقال ابنُ عبَّاسٍ: ما هذا السَّلامُ؟ وغَضِبَ حتَّىٰ

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه البيهقيُّ (٨٨٧٨).

احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، فقال له ابنُهُ عليٌّ: يا أَبَتَاهُ إنَّهُ سائلٌ مِنَ السُّؤالِ. فقال: إنَّ اللهَ حَدَّ للسَّلامِ حدًّا، ونهىٰ عمَّا وراءَ ذلك، ثمَّ قَرَأَ: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ انتظارُ الماشي للرَّاكبِ حتى يكونَ هو البادئُ بالسَّلام، وكذلك الكبيرُ للصغيرِ، والكثيرُ للقليلِ، وهكذا القاعدُ للقائم، ويطولُ الانتظارُ، وقدْ لا يَحْصُلُ إفشاءُ السَّلامِ، فتفوتُ السُّنَّةُ، والحقيقةُ أنَّ ذلك مِنَ الأدَبِ، وإذا خالفَ أحَدٌ هذا الأدَبَ، فسلَّم الماشي علىٰ الرَّاكبِ، والكبيرُ علىٰ الصَّغيرِ، والكثيرُ علىٰ القليلِ ـ فلهم أَجْرُ إفشاءِ السَّلام ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ.

قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «وهذا الذي جاء به الحديث كُلُّهُ للاستحبابِ، فلو عكسوا جاز، وكان خِلافَ الأفضلِ»[1].

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ تَرْكُ إفشاءِ السَّلام، فكم مِنَ الناسِ يمرُّون بإخوانِهمْ في الإسلامِ، فيبخلون عليهم بالسَّلامِ! ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨].

ومن أخطاءِ الناس في السَّلامِ تَرْكُ السَّلامِ على الصِّبْيانِ، فقدْ هَجَرَ النَّاسُ هذهِ السُّنَّةَ إلا قليلاً منهم، فحريٌّ بالمؤمنِ إحياؤُها اقتداءً بالنبي ـ ﷺ ـ وصحابته الكرام، وتنقيةً لنفسِهِ من داءِ الكبرِ، وتعويدًا للصِّغارِ علىٰ السُّنَّةِ والفضيلةِ.

ففي «الصحيحين»[2] من حديثِ أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّهُ مرَّ علىٰ صِبْيانٍ، فسلَّم عليهم، وقال: «كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يفْعَلُهُ».

(١) «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ١٤١).
(٢) تقدم تخريجه.

ومنْ أخطاء الناسِ في السَّلام تَرْكُ السَّلام عندَ قُرْبِ اللِّقاء، فقد يتكرَّرُ اللِّقاءُ بَيْنَ الناسِ في الوظائفِ والمدارسِ، فيُسلِّمون عندَ أَوَّلِ لقاءٍ، ويكتفي كثيرٌ منهم بهذا السَّلامِ، وهذا العَمَلُ مُخالفٌ للسُّنَّةِ النَّبويَّةِ.

فقد بوَّبَ النَّوويُّ - رحمه الله - في «رياض الصالحين» (بابَ: استحبابِ إعادةِ السَّلام عَلَىٰ مَنْ تكرَّر لقاؤُهُ علىٰ قُربٍ، بأنْ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، ثمَّ دَخَلَ في الحالِ، أو حَالَ بَيْنَهُما شَجَرةٌ ونحوِها) ثُمَّ ذكر هذا الحديث والذي بَعْدَهُ، وهما ما جاء في «الصحيحين»[1] من حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - في حديث المُسيءِ صلاتَهُ أنَّهُ جاء فصلَّىٰ، ثمَّ جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فسلَّم عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، فقال: «ارْجِعْ فصلِّ؛ فإنَّك لم تُصَلِّ». فَرَجَعَ فصلَّىٰ، ثُمَّ جاء فَسلَّمَ علىٰ النبيِّ - ﷺ -، حتَّىٰ فَعَلَ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ.

وأخرج أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في تحقيق «رياض الصالحين»[2] منْ حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إذا لَقيَ أَحَدُكُمْ أَخَاه فَلْيُسَلِّمْ عليه، فإنْ حالتْ بَيْنَهُما شَجَرَةٌ، أو جدارٌ أو حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عليه».

ومن أخطاء الناسِ في السَّلامِ ترْكُ السَّلامِ عندَ الاستئذان، والسُّنَّةُ في الاستئذانِ أنْ يُسَلِّمَ المُستأذنُ علىٰ أهْلِ الدَّارِ، فيقفُ يمينَ البابِ - أو شمالَهُ - ثمَّ يقولُ - بَعْدَ الدَّقِّ -: السَّلامُ عليكم. يَفْعَلُ ذلك ثلاثًا، فإنْ أُذِنَ له دَخَلَ، وإلا رَجَعَ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ جيِّدٍ قاله ابن حَجَرٍ[3] من حديثِ رِبْعيِّ بن خِراشٍ قال: حَدَّثَنَا رجُلٌ مِنْ بَنِي عامرٍ أنَّه استأذن علىٰ النبيِّ - ﷺ - وَهُوَ في بيتٍ، فقال:

---

(١) البخاري (٢/ ٢٢٩)، ومسلم (٣٩٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٢٠٠)، وصححه الألباني في «تحقيق رياض الصالحين» (ص٢٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٧٧)، وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣): إسنادُهُ جيِّدٌ.

أَأَلِجُ؟ فقال النبيُّ - ﷺ - لخَادِمه: «اخْرُجْ إلى هذا، فعلِّمْهُ الاستئذان، فقلْ له: قُلِ السَّلامُ عليكم، أأَدْخُلُ؟» فسمِعَهُ الرَّجُلُ، فقال: السَّلامُ عليكمْ، أأَدْخُلُ؟. فأذِنَ له النَّبيُّ - ﷺ -، فَدَخَلَ.

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ تركُ السَّلامِ على الأَهْلِ عندَ دُخُولِ المَنْزِل.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وأخرج التِّرمذيُّ في «سننه»، وحسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»[١] منْ حديثِ أَنَسِ ابنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنيَّ، إذا دَخَلْتَ على أَهْلِكَ فسلِّمْ؛ يَكُنْ بَرَكَةً عليك، وعلى أَهْلِ بيْتِكَ».

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ ابتداءُ الكافرِ بالسَّلامِ، لقد ابتُلينا في هذا العَصْرِ بكَثْرةِ وُفُودِ الكُفَّارِ إلىٰ ديارِنا، حتَّىٰ بلغ الحدُّ ببعضِ المسلمين إلىٰ التَّسويةِ بيْنَ المُؤمنين والكافرين في التحيَّةِ، وقد نهىٰ النبيُّ - ﷺ - عَنِ ابتداءِ الكافرِ بالسلام.

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تبدءُوا اليَهُودَ ولا النَّصارى بالسَّلام، فإذا لَقِيتُمْ أحدَهم في طريقٍ، فاضطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِه».

لكن متىٰ سَلَّمَ علينا أَهْلُ الكتابِ، يكون الردُّ بقولِنا: وعليكمْ.

ففي «الصحيحين»[٣] من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «إذا سلَّمَ عليكم أهْلُ الكتابِ، فقولوا: وعليكُم».

نسألُ اللهَ أنْ يُصْلِحَ أحوالَ المسلمين، وأنْ يَهْدِيَنا جميعًا سواءَ السبيلِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٨)، وقال الألباني في «المشكاة» (٤٦٥٢): حسن بطرقه.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٧).

(٣) البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).




الخطبة الأولى

الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ الله - سبحانه وتعالىٰ - منح الإنسان نِعمًا لا تُعَدُّ ولا تُحصىٰ، ومن أعظمها - بعد نعمة الهدىٰ والإيمان - نعمةُ اللسان.

ومجاهدة اللسان أشدُّ من جهاد الأعداءِ؛ فالإنسان يَهُون عليه الاحترازُ من الزنىٰ، ويَصْعُبُ عليه الاحترازُ من حركاتِ لسانِهِ، فكم قُطِعتْ من أرحامٍ، وتَفرَّقت

قلوب، بل وكم انتُهِكَتْ من أعراض بسبب اللِّسان!

فعلينا ـ عبادَ الله ـ أن نحفظَ ألسنتنا عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهر المصلحةُ فيه، فالسلامة لا يَعْدِلُها شيءٌ، كما قال ذلك الإمام النوويُّ ـ رحمه الله ـ.

أيُّها الناسُ، كم من الأدلة الدالَّة على حفظ اللسان في كتاب الله، وسنة رسول الله ـ ﷺ ـ، وإن كانتْ مشهورةً معلومةً، لكن الذِّكْرى تنفعُ المؤمنين، تنفعُ من كان له قلب، تنفع من ألْقى السَّمع وهو شهيدٌ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان يُؤْمنُ بالله واليوم الآخرِ، فلْيقُلْ خيراً أو ليَصمُتْ».

قال الإمام النوويُّ ـ رحمه الله ـ عند شرحه لهذا الحديث كما في «رياض الصالحين»(٢): «وهذا صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم، إلا إذا كان الكلام خيراً،

(١) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٧٤).
(٢) «رياض الصالحين» (ص٥٢).

وهو الذي ظهرتْ مصلحتُهُ، ومتى شكَّ في ظُهورِ المَصْلَحةِ فلا يتكلَّمُ».

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي موسى الأَشْعَريِّ - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ المُسلمين أَفْضَلُ؟ قال: «**مَنْ سَلِمَ المُسلمون منْ لسانه ويَده**».

وأخرج التِّرمذيُّ في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيح - قاله الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢] - من حديث سُفيان بن عبدِ الله - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله حدِّثْني بأمرٍ أعتصمُ به قال: «**قُلْ: ربِّيَ اللهُ، ثُمَّ استقمْ**». قلتُ: يا رسولَ الله، ما أخوفُ ما تخافُ عليَّ؟. فأَخَذَ بلسانِ نَفْسِهِ، ثمَّ قال: «**هذا**».

وأخرج الترمذيُّ - أيضًا - في «سننه»، وقال: حديث حسَنٌ صحيحٌ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[٣] من حديثِ مُعاذ بن جبلٍ قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه، ونحن نَسيرُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أَخْبِرْني بعملٍ يُدْخِلُني الجنَّة، ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ. قال: «**لقدْ سألتَ عَنْ عظيمٍ، وإنه ليسيرٌ على مَنْ يَسَّره الله - تعالى - عليه**». فعدَّ رسولُ الله - ﷺ - أبوابًا من الخير، قال بَعْدَها: «**ألا أُخْبِرُك بملاك ذلك كُلِّه؟**». فقلتُ له: بلى، يا رسولَ الله، قال: «**كُفَّ عليك هذا**» وأشار إلى لسانه. فقلتُ: يا نبيَّ الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به؟! قال: «**ثَكلتْكَ أُمُّك، وهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ - أو قال: على مَناخِرِهِم - إلا حَصَائدُ ألسنتِهِمْ؟!**».

وزادَ الطَّبرانيُّ - كما في[٤] -: «**إنَّك لَنْ تَزَالَ سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ عليك أو لك**».

---

(١) رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٠)، وحسن إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني في «صحيحن الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦).

(٤) «صحيح الترغيب والترهيب» و«فتح الباري» (١١/ ٣٠٩).

وفي «صحيح البخاري»(١) من حديث سَهْلِ بن سَعْدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وما بَيْنَ رِجْلَيْه ـ أَضْمَنْ له الجَنَّةَ».

فقوله: «ما بَيْنَ لَحْيَيْه»: أي لسانه، واللَّحْيَانِ: هُما العَظْمانِ اللَّذَانِ يَنْبُتُ عليهما الأسنانُ. و «ما بَيْنَ رجليه»: أي الفَرْج.

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «إنَّ العَبْدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ ما يتبيَّنُ فيها، يَزِلُّ بها في النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب».

وفي «صحيح البخاريِّ»(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «إن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة منْ رِضوانِ الله، لا يُلْقي لها بالاً، يرْفَعُ اللهُ بها درجات، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ الله، لا يُلقِي لها بالاً يهْوي بها في جهنَّمَ».

قال ابن حَجَرٍ ـ رحمه اللهُ ـ: «لا يلقي لها بالاً، أي: لا يتأَمَّلُها بخاطره، ولا يتفكَّر في عاقبتها، ولا يظنُّ أنها تُؤَثِّرُ شيئًا»(٤).

فيا عبدَ الله، قَبْلَ أنْ تخرجَ الكلمةُ من فِيكَ، أعطِ نَفْسَكَ فُرْصَةً للتفكير، هل ما ستقوله يُرضي اللهَ، أم يُغضبه؟ هل تكونُ عاقبتُهُ خيراً أم شرًّا؟ يا عبد الله، الكلمة إذا لم تخرج من فيك فأنت مالكها، ومتى خرجت فأنت أسيرُها.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرمذيِّ»(٥)

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٣١١).

(٥) رواه الترمذي (٢/ ٣٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٩٩٦).

من حديث بلال بن الحارث - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ يتكلَّمُ بالكلمة منْ رضوان الله - تعالى - ما كان يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، يكتبُ اللهُ له بها رِضْوَانَهُ إلى يوم يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ ليتكلَّمُ بالكلمة من سخط الله، ما كان يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بلغت، يكتبُ اللهُ له بها سَخَطَهُ إلى يوم يَلْقاهُ».

وأخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن الترمذي»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلمة، لا يَرَى بها بَأسًا، يَهوي بها سبعين خريفًا في النارِ».

انظرْ - يا عبدَ الله - الرجل منَّا قَدْ يُشارُ لهُ بالدِّينِ والزُّهْدِ والعبادةِ، وهو يتكلَّمُ بالكلمةِ، لا يُلقي لها بالاً، ولا يرىٰ بها بأسًا، تهوي به في النار سبعين سنة!.

وأخرج التِّرمذيُّ - أيضًا - في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[2] من حديث عُقبة بن عامرٍ - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ما النَّجاةُ؟ قال: «أَمْلِكْ عليك لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ على خَطيئتك».

وفي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[3] من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاصِ - رضي الله عنهما - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».

فالنجاة النجاة - يا عبدَ الله - بحفظ اللِّسانِ، ولُزُومِ الصَّمْتِ إلا من الخير، فإنك لن تَنْدَمَ علىٰ الصَّمْتِ، بل سوفَ تندمُ علىٰ الكلام، بل الصَّمْتُ يُكسبُكَ وَقاراً وبَهاءً وكمالاً، ويزيدُكَ جمالاً إلىٰ جمالك، وقد كان نبيُّنا ﷺ طويلَ الصَّمْت، كما في

(١) رواه الترمذي (٢٤٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٤).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٠).
(٣) رواه الترمذي (٢٦٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٦).

«مُسْند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة»[1] من حديث جابر بن سَمُرةَ ـ رضي الله عنه . قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ طويلَ الصَّمْتِ، قليلَ الضَّحِكِ».

أيُّها الناسُ، إنَّ الرجلَ بلسانِهِ، ولن تستقيم جوارحُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ.

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سننه» بسندٍ حسنٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ: ـ «**إذا أصبح ابْنُ آدمَ، فإنَّ الأعضاءَ كُلها تُكَفِّرُ اللِّسان، فتقولُ: اتَّق اللهَ فينا؛ فإنَّما نحنُ بكَ، فإن استَقَمْتَ استَقَمْنَا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**».

وأخرج الإمام أحمدُ في مسنده بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[3] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ: ـ «**لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ، حتى يستقيمَ قلْبُـهُ، ولا يستقيمُ قلْبُهُ، حتَّى يستَقيمَ لسانهُ، ولا يدخُلُ الجنَّةَ رجلٌ لا يَأْمَنُ جارُه بوائقَهُ**».

عبادَ الله، ما أَحْوَجَنا إلى حفظ ألسنتنا، وتَرْكِ ما لا يَعْنينا أمرُهُ، ولا سيَّما عند حدوث الفتن، فقد أخرج ابنُ ماجَهْ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[4] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**منْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيه**». ومعنى ما لا يَعْنيه: أي ما لا يُفيدُهُ من الأقوال والأفعال.

أيُّها الناسُ، استعيذوا بالله من شرِّ اللسان.

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٨٢٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧١) (١٩١٢).

(٣) رواه أحمد، وحسن إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٥).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢١١).

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرمذيِّ»[1] من حديث شَكَلِ بنِ حُمَيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيتُ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ فقلتُ: يا رسولَ الله، علِّمْني تعوُّذًا أتعوَّذُ به. قال: فأخذ بكفِّي فقال:

«**قُلْ: اللهُمَّ إني أعوذُ بك من شَرِ سَمْعي، ومِنْ شَرِّ بَصَري، ومن شرِّ لساني، ومِنْ شَرِّ قَلْبي، ومن شرِّ مَنِيِّي**».

وأستغفرُ اللهَ.

(١) أخرجه النسائي (٣/ ١١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥٠٣١).




الخطبة الثانية

الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير

الحمْد لله وَحْدَهُ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونتوبُ إليه، ونُثْني عليه الخَيْرَ كُلَّه، نرجوه ولا نرجو أحداً سواهُ، ونشكرُهُ على نعمِه العظيمة، وآلائِه الجسيمة، والصلاة والسلام على عبدِه ورسوله ﷺ، وعلى آله وصَحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، سبق أنْ تحدَّثنا معكم حولَ خُطورة اللِّسان، والآنَ نتحدَّثُ معكم حولَ أعظمِ آفَةٍ من آفات اللسان ألا وهي الغِيْبَةُ، والغِيْبَةُ هي: «ذِكْرُ العَيْب بظَهْرِ الغَيْبِ».

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«أتدرونَ ما الغيبةُ؟»** قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: **«ذكْرُكَ أخاك بما يكْرَهُ»**. قيل: أفَرَأيْتَ إن كان في أخي ما أقولُ؟ قال: **«إن كان فيه ما تقولُ فقد اغتبتهُ، وإن لم يكن فيه فقدْ بَهَتَّهُ»**: أي افتريتَ عليه الكذبَ.

والغِيبةُ - عبادَ اللهِ - من كبائر الذنوب، قال الإمام ابن حَجَرٍ الهَيْتميُّ - رحمه الله -: «الذي دلت عليه الدلائلُ الكثيرة الصحيحةُ الظاهرةُ أنَّها كبيرة، لكنها تختلف عِظماً وضِدَّهُ بحسب اختلافِ مفسدتِها»[2].

وهي - أي الغِيبةُ - محرَّمة بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائلُ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٠).

(٢) «الزواجر» (٣٧١).

الصريحةُ من الكتاب، والسُّنة، وإجماع الأمة، كما قال الإمام النوويُّ - رحمه الله -(١) .

ومن الأدلَّة الدَّالَّة على تحريم الغيبة - على سبيل المثال - قولُ الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «المسلمُ أخو المسلمِ: لا يَظْلِمُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، التَّقْوى ها هُنا - ويشير إلى صَدْرِه ثلاثَ مرَّاتٍ - بِحَسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أخاه المسلمَ، كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ» .

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(٣) من حديث أبي بَرْزَةَ الأسْلَمِيِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلسانِه، ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَهُ، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم؛ فإنه من اتبع عوراتِهم، يتَّبع اللهُ عَوْرَتَهُ، ومن يتَّبع اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحه في بيتِه» .

أيُّها الناس، الحديث عن الغِيبَةِ ذو شُجُونٍ، فهو بَحْرٌ لا ساحلَ له، والمؤمنُ يَكْفيه دليلٌ واحدٌ صحيحٌ صريحٌ يفهمُهُ، ويَعْمَلُ بِهِ .

أيُّها الناسُ، قد سمعتم حكم الغِيبة، لكن ماذا يجبُ علينا إذا سمعنا غيبة أخينا المسلم؟ إنه يجب علينا إذا سَمِعْنا غيبةَ أخينا المسلم أن نردَّها، ونُنكر على قائلها بأن

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٣) .
(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٤) .
(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٩) .

هذا لا يجوز، فإن لم يقبلِ المغتابُ النصيحة، وجب علينا أن نُفارقَ ذلك المجلس، فإن فعلنا ذلك فقد أدَّينا ما علينا من حقِّ أخينا، فإن سكَتْنا فقد شاركْنا المُغتابَ في الإثم، وكنَّا أَهْلاً لخِذْلانِ اللهِ لنا، والعياذ بالله!.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني[1] من حديث جابر بن عبد الله وأبي طَلْحَةَ - رضي الله عنهم - قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئٍ يَخْذُلُ امرأً مُسلمًا في موضعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمتُه، ويُنتقصُ فيه مِنْ عِرْضِه - إلا خَذَلَهُ اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرتَه، وما من امرئٍ يَنْصُرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِه - إلا نَصَرَهُ اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ».

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سننِ التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي الدَّرْدَاء - رضي الله عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ ردَّ عَنْ عِرْضِ أخيه بالغيب، ردَّ اللهُ عَنْ وَجْهِه النَّارَ يَوْمَ القيامة».

وأخرج الإمامُ أحمدُ - أيضًا - في «مُسنده» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أسماءَ بنتِ يَزيد الأنصاريَّة - رضي الله عنها - عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أخيه بالغَيْبة، كان حقًّا على الله أنْ يُعتِقَهُ من النَّارِ».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث عِتْبانَ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ - رضي الله عنه - في

---

(١) رواه أبو داود - واللفظ له - (٤٨٨٤)، وأحمد (٤/ ٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٥٦٩٠).

(٢) رواه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٦/ ٤٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٦٢٦٢).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٦٢٤٠).

(٤) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

حَديثه الطويل المشهور قال: قام النبيُّ - ﷺ - يُصلِّي، فقالوا: أيْنَ مالكُ بنُ الدُّخَيْشِنِ - أو ابْنُ الدُّخْشن -؟

فقال بعضُهم: ذلك منافقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ.

فقال النبيُّ - ﷺ -: «**لا تَقُلْ ذلك؛ ألا تَراهُ قَدْ قال: لا إله إلا اللهُ يريدُ بذلك وَجْهَ الله؟!**».

قال: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: فإنَّا نرىٰ وَجْهَهُ ونصيحتَهُ للمنافقين قال: فقال رسولُ الله - ﷺ -: «**فإنَّ اللهَ قد حَرَّم على النارِ مَنْ قال: لا إله إلا اللهُ يبتغي بذلك وَجْهَ الله**».

وفي «الصحيحين»[1] - أيضًا - عن كَعْبِ بنِ مالكٍ في حديثِهِ الطويل في قصَّةِ توبته قال: قال النبيُّ ﷺ - وهو جالس في القوم في تبُوكَ: «**ما فَعل كَعْبُ بنُ مالك؟**».

فقال رجلٌ من بني سَلَمَةَ: يا رسولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ.

فقال له معاذُ بن جَبَلٍ - رضي الله عنه -: بِئْسَ ما قُلْتَ!، والله - يا رسولَ الله - ما عَلِمْنا عليه إلا خيرًا.

فسكت رسولُ اللهِ - ﷺ -.

جنَّبنا اللهُ وإيَّاكم مزالَّ اللِّسانِ، ووقانا وإيَّاكم عَذَابَ النِّيرانِ.

---

(١) البخاري (٤٤٨٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، واللفظ له.



خطبة عيد الفطر المبارك



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّار[1].

---

(١) خطبة العيد كسائر الخطب، تفتتح بالحمد والثناء على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال ابن القيِّم في «زاد المعاد» (١/ ٤٤٧): «وكان ﷺ يفتتح خطبه كلها بالحمد لله، ولم يحفظ عنه في حديثٍ واحدٍ أنه كان يفتتح خُطبتَي العيدين بالتكبير». اهـ. ولم يثبت التكبير قبل الخطبتين لا في حديثٍ مرفوعٍ، ولا موقوفٍ، وعمدة بعض الفقهاء الذين قالوا بذلك حديثان ضعيفان، ضعفهما الألبانيُّ في «إرواء العليل» الأول برقم (٦٤٧)، والثاني برقم (٦٤٨).

ولم يصحَّ في السنة أن للعيد خطبتين، يُفصل بينهما بجلسةٍ، والوارد في ذلك حديث=

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، احْمدُوا اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ واشْكُروه علىٰ ما أَنْعَم به عليكم مِن إتمامِ صيامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وقِيامِهِ، واسألوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ أنْ يتقبَّلَ منكم صيامَ رَمَضَانَ، ويتجاوزَ عمَّا حَصَلَ مِنَ التفريطِ والإهمالِ، فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ غفَّارُ الذُّنوبِ، وقابلُ التَّوْبِ، أرحمُ الرَّاحمينَ، وأكرمُ الأكرمين.

أيُّهـا النَّاسُ، اعْرِفُوا نعْمةَ اللهِ عليكم بهذا العِيدِ السَّعِيدِ، اليومِ الذي توَّجَ اللهُ به شَهْرَ الصِّيامِ، فالعيدُ هو مَوسِمُ الفَرَحِ والسُّرورِ، وأفراحُ المؤمنين وسُرورُهم في الدُّنيا إنَّما هو بمولاهم، إذا فازوا بإكمالِ طاعتِهِ، وحازُوا ثوابَ أعمالِهم بوثوقِهم بوَعْدِهِ لهم عليها بفَضْلِهِ ومغفرتِهِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨].

قـال بَعْضُ العـارفين: ما فَرِحَ أَحَدٌ بغيرِ اللهِ إلا لغَفْلَتِهِ عنِ اللهِ، فالغافلُ يَفْرَحُ بلَهْوِهِ وهَوَاهُ، والعاقلُ يَفْرَحُ بمَوْلاهُ.

أيُّهـــا النَّاسُ، إنه يُستحبُّ التبكيرُ لصلاةِ العيدِ لقولِ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾ [المائدة: ٤٨]. والعيدُ مِنْ أعظمِ الخيراتِ.

ويُستحبُّ للرجالِ الاغتسالُ، والزِّينة، والتطيُّب، ولُبْسُ أَحْسَنِ الثِّيابِ للعِيدِ.

ففي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حديثِ عبْدِ اللهِ بنِ عُمرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إسْتَبْرَقٍ، تُباعُ في السّوقِ، فَأَخَذها، فأتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: يا

= ضعيف، رواه البزار في «مسنده» برقم (٥٣) عن سعد ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ كان يخطب خطبتين، يفصل بينهما بجلسة». وقد قال البخاري في سنده: «منكر الحديث» فتبقىٰ خطبة العيد واحدة علىٰ الأصل، انظر «أحكام العيدين» لعلي حسن الحلبي (ص٥٦).

(١) رواه البخاري (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨).

رسولَ الله، ابْتَعْ هذه، تجمَّلْ بها للعيْدِ والوُفُودِ».

فالشاهدُ منْ قَوْلِ عُمَرَ «تجمَّلْ بها للعيدِ»، مِنْهُ عُلِمَ أنَّ التَجمُّلَ يَوْمَ العِيدِ كانَ عادةً مُتقررةً بيْنَهُمْ، لم يُنْكِرْها النبيُّ -ﷺ-، فَعُلِمَ بقاؤها، كما قال الإمامُ النَّسائيُّ -رحمه الله-. وعلينا أنْ نلبسَ اللِّباسَ الذي هو مِنْ لِباسِ أهْلِ العِلْمِ والصَّلاحِ، ونبتعدَ عَنْ لِباسِ أَهْلِ المُجُونِ والفسادِ.

فأهلُ العِلْمِ والصَّلاحِ يلبسون الإزارَ والسَّراويلَ، وهذا معروفٌ لديْهم مِنْ لَدُنِ النَّبي -ﷺ- حتىٰ يوم الناس هذا، وكان أحبّ الثِّيابِ لرسولِ الله -ﷺ- القميصُ، كما روىٰ ذلك التِّرمذيُّ بسندٍ حسنٍ[1] من حديث أُمِّ سَلَمَة -رضي الله عنها-.

والغالبُ علىٰ أهلِ الصَّلاحِ أنَّهم يلبسون البِيضَ مِنَ الثِّيابِ.

ففي «سنن ابن ماجة» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[2] من حديثِ ابنِ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ ثيابِكمُ البَيَاضُ؛ فالْبَسُوها، وكَفِّنُوا فيها مَوْتاكُم**».

وأخرج ابْنُ ماجَهْ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[3] مِنْ حديثِ سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ -رضي اللهُ عنه- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**الْبَسُوا ثيابَ البَياضِ؛ فإنَّها أطْهَرُ وأَطْيَبُ**».

---

(١) الترمذي (١٧٦٢).

(٢) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣٥٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٨٦٩).

(٣) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣٥٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٨٧٠).

فقولُهُ: «**فإنَّها أطْهَرُ وأَطْيَبُ**»؛ لأنَّه يَلُوحُ فيها أدْنَىٰ وَسَخٍ فَيُزالُ، بخلافِ سائرِ الأَلْوانِ.

قال الطِّيبيُّ: «لأنَّ البِيْضَ أكثرُ تأثيرًا مِنَ الثِّيابِ المُلَوَّنةِ، فتكونُ أكثرَ غسلاً؛ فتكونُ أَطْهَرَ. و«أَطْيَبُ»: أي أحْسَنُ طَبْعًا وشَرْعًا»[1].

فهذا - أيُّها الناسُ - لِباسُ أهلِ العِلْمِ والصَّلاحِ، فعلَيْنا أنْ نَحْذَرَ ونُحَذِّرَ مِنْ لِباسِ الكُفَّارِ.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - قال: رأىٰ النبيُّ - ﷺ - عليَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فقال: «**إنَّ هذه مِنْ ثيابِ الكُفَّارِ؛ فلا تَلْبَسْهَا**» وهذا الحديثُ عامٌّ في كُلِّ ما كان مِنْ خَصَائصِ الكُفَّارِ وعاداتِهم، ومِنْ خَصائصِ الكفَّارِ وعادتِهمُ اليومَ البِنْطالُ، والكرفتَّةُ، وتتبُّعُ المُوضَةَ.

ومِنَ الظواهرِ الخَطيرةِ - أيُّها الناسُ - ما انتشر بَيْنَ الشَّبابِ والفتياتِ، فنجدُ الرَّجُلَ يتزيَّنُ بحَلْقِ لِحْيتِهِ.

وهذا مخالفٌ لأَمْرِ النبيِّ - ﷺ - القائل - كما في «الصحيحين»[3] مِنْ حديثِ ابن عمر - رضي الله عنهما -: «**أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وأَعْفُوا اللِّحَى**».

ونجدُ الفتياتِ يتشبَّهْنَ بالرجالِ في كثيرٍ من الأُمورِ: كقَصِّ شعرِ الرَّأْسِ، وارتداءِ اللِّباسِ الضَّيِّقِ الذي يَصِفُ مفاتِنَ الجِسْمِ، ولُبْسِ البِنْطالِ الذي يُحدِّدُ أجزاءَ البَدَنِ التي يُحيطُ بها، مع ما في لُبْسِهِ مِنْ تشبُّهٍ بالرِّجالِ؛ لأنه من لباسِهِمْ.

ففي «صحيح البخاريِّ»[4] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبّاسٍ - رضي الله عنهما -

---

(١) «تحفة الأحوذيِّ» (٨/ ٧٦)، (٨/ ٢٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٠٧٧).

(٣) رواه البخاريُّ (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

(٤) رواه البخاري (٥٨٨٥).

قال: «لَعَنَ رسولُ اللهِ - ﷺ - المُتشبِّهينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ، والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّساءِ بالرِّجالِ».

أيُّها النَّاسُ، لقد كان شَهْرُ رَمَضَانَ ميدانًا يتنافسُ فيه المتنافسون، ويتسابق فيه المتسابقون، حتَّىٰ إذا انتهىٰ مَوْسِمُ الصِّيامِ فَتَرَتْ عَزَائِمُهم، وأَخْلَدَتْ نُفُوسُهُم للرَّاحةِ.

قيل لبِشْرٍ - رحمه الله -: إنَّ قَوْمًا يتعبَّدون ويجتهدون في رَمَضَانَ. فقال: «بِئْسَ القومُ؛ لا يعرفون اللهَ حقًّا إلا في شَهْرِ رَمَضَانَ، إنَّ الصَّالح الذي يَتعبَّدُ ويَجْتَهِدُ السَّنَةَ كُلَّها».

وسُئِلَ الشِّبْليُّ - رحمه الله -: أيُّما أفضلُ رَجَبٌ أو شَعْبانُ؟ فقال: «كُنْ ربانيًّا، ولا تكنْ شعبانيًا، كانَ النَّبيُّ ﷺ عَمَلُهُ دِيْمَةً».

ففي «الصحيحين»[1] مِنْ حديثِ عَلْقَمَةَ قال: سألتُ أُمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، قال: قلتُ: يا أُمَّ المؤمنين، كيف كان عَمَلُ رسول الله - ﷺ -؟، هَلْ كان يَخُصُّ شيئًا من الأيَّامِ؟ قالتْ: لا، كان عَمَلُهُ دِيْمَةً. وأيُّكُمْ يستطيعُ ما كان رسولُ اللهِ - ﷺ - يستطيعُ؟!».

وفي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ عائشةَ - رضي الله عنها - أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلىٰ اللهِ؟ قال: «**أدْوَمُهُ، وإنْ قَلَّ**».

فعلينا - أيُّها الناسُ - بالمحافظةِ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، ومنها الصلاةُ في أوقاتِها حيثُ يُنادَىٰ لها.

فإنَّ مِنْ صفاتِ عبادِ الرَّحمنِ المُداومةَ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج: ٢٣].

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٧).

(٢) رواه مسلم (٧٨٢).

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

أيُّهــا النــاسُ، مَنْ أراد منكم أنْ يَصِلَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، ويَمُدَّهُ بالرَّحمةِ، ويُيَسِّرَ له الأُمورَ، ويُفَرِّج عنه الكُرُباتِ ـ فعليه أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[١] مِنْ حديثِ عَبْدِ الرَّحمنِ بْنِ عَوْفٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**قال الله ـ تعالى ـ: أنا الرَّحْمنُ، وهي الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لها اسْمًا مِن اسْمي، مَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**» أي: قَطَعْتُهُ.

وصِلَةُ الرَّحِمِ ـ أيُّها الناسُ ـ مِنْ أعظمِ أسبابِ دُخُولِ الجنَّةِ.

ففي «الصَّحيحين»[٢] من حديثِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال: دُلَّني علىٰ عَمَلٍ أعْمَلُهُ، يُدْنيني مِنَ الجنَّةِ، ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ. قــال: «**تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاة، وتُؤْتي الزَّكاة، وتَصِلُ ذا رَحِمك**»، فلمَّا أدْبَرَ، قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**إنْ تَمَسَّكَ بما أُمِرَ به، دَخَلَ الجنَّةَ**».

والصَّدقةُ علىٰ ذي الرَّحمِ أعظمُ أَجْرًا مِنَ الصَّدقةِ علىٰ المِسْكينِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٣] مِنْ حديثِ سَلْمانَ بْنِ عامرٍ ـ رضي الله عنه ـ عنِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**إنَّ الصَّدَقَةَ على المسكينِ صَدَقَةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ اثْنَتان: صَدَقَةٌ، وصِلَةٌ**».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديثِ زَيْنَبَ امرأةِ عَبْدِ اللهِ قالتْ: سألتُ رسولَ اللهِ ـ

(١) رواه أبو داود في «سننه» (١٦٩٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣)، واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي (٦٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٥٨).

(٤) رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

ﷺ ـ: أَيُجزِئُ عنِّي مِنَ الصَّدقةِ النَّفَقَةُ علىٰ زَوْجِي، وأيتامٍ في حجْري؟ فقال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ «**نَعَمْ، ولها أَجْرانِ: أَجْرُ القرابةِ، وأَجْرُ الصَّدَقة**».

وقطيعةُ الرَّحِمِ ـ أيُّها الناسُ ـ مِنْ كبائرِ الذُّنوبِ. ففي «الصحيحين»[1] مِنْ حديثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قال: «**لا يدخلُ الجنَّةَ قاطعُ رَحِمٍ**».

إنَّ قطيعةَ الرَّحِمِ من أعجلِ المعصيةِ عُقوبةً.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديثِ أبي بَكْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ ـ تعالى ـ لصاحِبِه العُقوبَةَ في الدُّنيا ـ مَعَ ما يَدَّخِرُ له في الآخرةِ ـ مِثْلُ البَغْيِ، وقطيعةِ الرَّحِمِ**».

فعلينا أنْ نَصِلَ أرْحامَنا بحدودِ ما نستطيعُ: مِنَ الإحسانِ إليهم، وبَذْلِ الجاهِ، أو النَّفْعِ البَدَنيِّ، أو النَّفْعِ الماليِّ، بحَسَبِ ما تطلبُهُ قُوَّةُ القرابةِ، فإنْ لم يتيَسَّرْ لنا ذلك، نصلُهم بالكلمةِ الطَّيِّبةِ: مِنْ بَسْطِ الوَجْهِ، ولِينِ الجانبِ، وكَفِّ الأذىٰ، وخَفْضِ الجَنَاحِ، وبَذْلِ السَّلامِ.

إنَّ السَّلامَ أقلُّ ما تَحْصُلُ به الصِّلَةُ.

فقد أخرج وَكِيعٌ في «الزُّهْدِ» بسندٍ صحيحٍ[3]، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» مِنْ حديثِ سُوَيْدِ بنِ عامرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ: «**بُلُّوا أرحامَكم، ولو بالسَّلامِ**».

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٤).

(٣) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢/ ٧٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٧).

ومعنىٰ بُلُّوا: أي نَدُّوها بِصِلَتِها.

ومنَ الكبْر وسوء الأخلاق أنْ نعاملَ قرابتنا بالمِثْلِ، إنْ وَصَلُونا وَصَلْناهم، وإنْ قَطَعُونا قَطَعْناهُمْ، والذي يفعلُ ذلك ليس بواصلٍ علىٰ الحقيقةِ، بل هو مُكافئٌ للمعروفِ بِمِثْلِه.

والرَّجُلُ الصَّالحُ هو مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ ولا يُبالي سواءٌ أَوصَلوهُ أمْ لا.

ففي صحيح البخاريِّ[1] منْ حديثِ ابن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - عنِ النبيِّ - ﷺ - قال: «ليس الوَاصِلُ بالمُكافئِ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها».

وحثَّنا النبيُّ - ﷺ - علىٰ أداءِ حقِّ الرَّحمِ، وإنْ عاملُونا بالجَفْوةِ والغِلْظَةِ والشَّرِّ، في حينِ أَنَّهُ يُطَمْئِنُنا علىٰ مُستقبلنا، ويُزيحُ عَنْ قُلُوبنا اليَأْسَ.

ففي «صحيح مسلم»[2] منْ حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إن لي قرابةً، أصِلُهُمْ ويَقْطَعُونني، وأحْسنُ إليهم ويُسْيئُونَ إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم ويَجْهلُون عليّ. فقال: «لَئنْ كُنْتَ كما قُلْتَ، فكأنَّما تُسفُّهُم المَلَّ (أي: تُطْعِمُهُم التُّربةَ المُحْماةَ)، ولا يزالُ معَكَ منَ اللهِ ظهيرٌ عليهم، ما دُمْتَ على ذلك».

أَيُّها الناسُ، السَّلامُ أمَانُ اللهِ في الأرضِ، وتحيَّةُ أَهْلِ الإسلامِ في الدُّنيا، وتحيَّةُ المؤمنين في الجنَّةِ.

فهو اسْمٌ من أسماءِ الله - تعالىٰ - الحُسْنَىٰ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨).

وفي «صحيح البخاري»[١] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ - رضي الله عنه - في حديثِ التشهُّد: «**إنَّ اللهَ هُو السَّلامُ**».

والسَّلامُ مَعْنَاهُ: التَّعْويذُ باللهِ، والتحصينُ به، وتقديرُهُ: اللهُ عليك حفيظٌ وكفيلٌ، كما يُقالُ: الله معك (أي: بالحفظِ والمَعُونةِ واللُّطْفِ).

وقيل: مَعْنَاهُ السَّلامةُ (أي: سلامةُ الله مُلازمةٌ لك).

روىٰ الطبرانيُّ في «الكبير»، والبزارُ في «مسندِه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[٢] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**السَّلامُ اسْمٌ مِنْ أسماءِ الله، وَضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأَفْشُوه بَيْنَكُمْ، فإنَّ الرَّجُلَ المُسلمَ إذا مَرَّ بقومٍ، فسلَّمَ عليهم، كان له عليهم فَضْلُ دَرَجَةٍ بتذكيرِه إيَّاهُمُ السَّلامَ، فإنْ لم يردُّوا عليه، ردَّ عليه مَنْ هُوَ خَيْرٌ منهمْ وأَطْيَبُ**».

فعلينا بإفشاءِ السَّلامِ؛ فإنه مِنْ أعظمِ وسائلِ المودَّة والمحبَّةِ بَيْنَ المُؤمنين، مع ما في إفشاءِ السَّلامِ مِنَ الأجرِ العظيمِ، والثوابِ الجزيلِ.

ففي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمنوا، ولا تُؤمنوا حتَّى تحابُّوا، أوَلا أَدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فعلتُمُوهُ تحابَبْتُم؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**».

أَيُّها الناسُ، المُصافحةُ سُنَّةٌ، ومِنَ الأعمالِ الصَّالحاتِ، التي تُكَفِّرُ الذُّنوبَ.

---

(١) رواه البخاري (٨٣١).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٩١)، والبزار في «مسنده» (١٩٩٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] مِـنْ حديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «مـا مِنْ مسلمينِ يَلْتقيانِ، فَيتصافحانِ، إلاَّ غفرَ لهما قَبْلَ أنْ يَتفرَّقا».

ومِمَّا يدلُّ على أنَّها سُنَّةٌ ما جاء في «صحيح البُخاريِّ»[(٢)] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: «عَلَّمَني النبيُّ - ﷺ - التشهُّدَ، وكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ».

ولننظرْ - أيُّها الناسُ - إلى آدابِ المُصافحة، كما علَّمنا ذلك نبيُّنا - ﷺ -

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسولَ الله، أَحَدُنا يَلْقى صَدِيْقَهُ، أَيَنْحني له؟ قال: «لا». قال: فَيَلْزَمُهُ ويُقَبِّلُهُ؟ قال: «لا». قال: فَيُصافِحُهُ؟ قال: «نَعَمْ، إنْ شَاءَ».

فهذا هو الأدبُ الذي أدَّبنا به نبيُّنا - ﷺ -، عَضُّوا عليه بالنَّواجذِ، ولا تغترُّوا بما يفعلُهُ بَعْضُ الناسِ مِنَ الإفراطِ في القُبَلِ على الخَدِّ، والأيْدي، وأحيانًا على الأَرْجُلِ، فكُلُّ هذا خلافُ ما عليه السَّلَفُ المُقْتدى بهم.

ومن الناسِ مَنْ يُصافحُ النِّساءَ، فإذا ما عُوتِبَ في ذلك، قال: هذِهِ أُمِّي - إنْ كانت عَجُوزًا - أو أُختي - إن كانت شابةً -![(٤)].

ومصافحةُ النِّساءِ غَيْرَ المحارمِ مُحرَّمةٌ،

فقد أخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»

(١) رواه أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٧)، و«الصحيحة» (٥٢٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٢٦٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٧٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٨).

(٤) انظر «طريقنا للقلوب» للمؤلف (ص٣٠، ٣١).

و«الصحيحة»(١) مِنْ حديثِ مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ ـ: «لأنْ يُطْعَنَ في رأسِ أَحَدِكُم بِمِخْيَطٍ مِنْ حديدٍ ـ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امرأةً، لا تَحِلُّ لَهُ».

أَيُّها الناسُ، مَنْ هنَّأ أخاه في العِيدينِ بقولِه: تَقَبَّلَ اللهُ منَّا ومِنْكُمْ ـ ويَرُدُّ عليه أخوه بِمِثلِ ذلك ـ فلَهُ قُدْوةٌ ببعضِ الصحابةِ، فمَنْ دُونَهُمْ.

وقد سُئِل الإمامُ مالكٌ ـ رحمه الله ـ: أَيُكْرَهُ للرَّجُلِ أنْ يقولَ لأخيه ـ إذا انصرف مِنَ العيدِ ـ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومِنكَ، وغَفَرَ لنا ولَكَ، ويَرُدُّ عليه أخوه مِثْلَ ذلك؟ قال: «لا يُكْرَهُ»(٢).

وعن عليِّ بنِ ثابتٍ قال: سألتُ مالكًا عَنْ قَولِ النَّاسِ في العِيدِ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنك. فقال: «ما زال الأَمْرُ عندَنا كذلك»(٣).

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ: «التَّهْنئةُ يَوْمَ العيدِ يقولُ بعضُهم لبعضٍ ـ إذا لَقِيَهُ بَعْدَ صلاةِ العيدِ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنْكُمْ، وأَحَالَهُ اللهُ عليك، ونَحْو ذلك ـ فهذا قد رُوِيَ عَنْ طائفة مِنَ الصَّحابةِ أنهم كانوا يفعلُونَهُ»(٤).

وسبحانَك اللهُمَّ وبحَمْدِكَ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٤٥).

(٢) «المنتقى» (١/ ٣٢٢).

(٣) «الحاوي» للسيوطي (١/ ٨٢).

(٤) «الفتاوىٰ» (٤٢/ ٢٥٣).




خُطبةُ عيد الأضحى المبارك

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ[١].

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ العيدَ مُناسبةٌ سعيدةٌ، تُرَفْرِفُ معها القُلُوبُ في حدائقِ البَهْجة والسُّرورِ، فهو رَمْزُ الفَرَحِ والسُّرورِ، ويَحْلُو فيه ما لا يَحْلُو في غيرِهِ مِنْ بَسْطِ

---

(١) تقدم الحديث في حاشية خطبة عيد الفطر أن خطبة العيد تفتتح بالحمد والثناء على الله كسائر الخطب، وأن الافتتاح بالتكبير لم يثبت قبل الخطبة لا في حديث مرفوع، ولا موقوف.
- وأيضًا - لم يصحَّ في السنة أن للعيد خُطبتين، يفصل بينهما بجلسة.

النَّفسِ، وترويح الخاطرِ.

ولكُلِّ أُمَّةٍ أعيادُها الخاصَّةُ بها، وليس في الإسلامِ سِوىٰ عِيدِ الأُسْبُوعِ - يوم الجُمُعةِ - وعيدين في السَّنَةِ: عِيدِ الفِطْرِ، وعيدِ الأضْحَىٰ.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**إنَّ هذا يومُ عيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ للمسلمين؛ فمَنْ جاءَ إلى الجُمعةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وإنْ كان طِيْبٌ فَلْيَمَسَّ منه، وعليكمْ بالسِّواكِ**».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود والنَّسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[2] مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قدمَ النَّبيُّ - ﷺ - ولأهْلِ المدينةِ يومان، يَلْعبون فيهما في الجاهليَّة، هما: يومُ النَّيْرُوزِ، ويومُ المهْرَجانِ، فقال: «**قَدِمْتُ عليكم ولكم يومانِ، تلعبونَ فيهما في الجاهليَّةِ، وقدْ أَبْدلَكُمُ اللهُ بهما خيْرًا منهما: يَوْمَ النَّحْرِ، ويومَ الفِطْرِ**».

قال الشيخُ أحمدُ البنا: «أي: لأنَّ يَوْمَيِ الفِطْرِ والنَّحْرِ بتشريعِ الله - تعالىٰ - واختيارِه لخَلْقِه، ولأنَّهما يعقبان أداءَ رُكْنَيْنِ عظيمينِ مِنْ أركانِ الإسلام، وهما: الحَجُّ، والصيامُ، وفيهما يَغْفرُ الله للحُجَّاجِ والصائمين، ويَنْشُرُ رحمتَهُ علىٰ جميعِ خَلْقِه الطَّائعين، أمَّا «النَّيْرُوزُ والمهْرَجانُ» فإنَّهما باختيارِ حُكماءِ ذاكَ الزَّمانِ، لما فيهما من اعتدالِ الزَّمنِ والهواءِ، ونَحْوِ ذلك مِنَ المزايا الزَّائلةِ، فالفَرْقُ بَيْنَ المزيَّتين ظاهرٌ لِمَن تأمَّل ذلك».

---

(١) رواه ابن ماجَهْ (١٠٩٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠٣)، وأبو داود (١١٣٤)، والنسائي (٣/ ١٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٠٠٤).

وفي زمانِنا هذا الأعيادُ لا تكادُ تُحْصَرُ في كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بلادِ الإسلام، فلا يجوزُ للمسلمين التشبُّهُ بغيرهم مِنْ أَهْلِ المِلَلِ الأُخْرىٰ بالاحتفالِ، أوِ المُشاركةِ، أو التَّهْنِئةِ في أعيادِهم.

لما في «سنن أبي داودَ» بسندٍ حَسَنٍ صحيح قالَهُ الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[1] - مِنْ حديثِ ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم».

أَيُّها الناسُ، إنَّ يومَكُمْ هذا هو يومُ الحَجِّ الأكبرِ، وهو عيدُ الأَضْحَىٰ والنَّحْرِ، لأنَّ الناسَ يُضَحُّونَ فيه، ويَنْحَرُونَ هَدْيَهُمْ، والأُضْحِيَّة للهِ - عزَّ وجلَّ -، وقرابةٌ إليه - سبحانه تعالىٰ -.

فهي سُنَّةُ أبيكم إبراهيمَ، ونبيِّكم مُحمَّدٍ - عليهما الصلاةُ والسلامُ -.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ لسان إبرهيمَ الخليلِ - عليه السلامُ -: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** [الصافات: ١٠٠-١٠٧].

ومِمَّا جاء في تفسيرِ هذه الآياتِ: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** أي: ولدٍ صالحٍ، **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾** أي: إسماعيلَ، **﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾** الغُلامُ، **﴿مَعَهُ السَّعْيَ﴾** أي: بلغ سِنًّا، قد أقبلتْ معها منفعتُهُ، وذهبتْ مشقَّتُهُ **﴿قَالَ﴾** له إبراهيمُ - عليه

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١)، بسند حسن صحيح قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٠١).

السلام ـ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ أي: قد رأيتُ في النَّومِ ـ ورُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ ـ ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، فإنَّ أَمْرَ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا بُدَّ مِنْ تنفيذِه، ﴿قَالَ﴾ ـ أي: إسماعيلُ ـ: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: امْضِ لما أَمَرَكَ اللهُ ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ علىٰ ذلك، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر اللهِ ـ تعالىٰ ـ ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: أَضْجَعَهُ علىٰ وَجْهِهِ؛ لئلا ينظرَ إليه وقتَ الذَّبح.

﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ في تلك الحال المُزعجة، والأمرِ المُدْهِشِ: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ أي: قَدْ فعلتَ ما أُمِرتَ به، ولم يَبْقَ إلا إمرارُ السِّكِّينِ علىٰ حَلْقِه.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في عبادتِنا، المُقدِّمين رِضانا علىٰ شهواتِ أَنْفُسِهِم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذَّبحَ المأمورَ به ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الواضحُ الذي تبيَّن به صفاءُ إبراهيمَ، وكمالُ محبَّتِه لربِّه، ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ﴾ بكبشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: عظيمٍ من جهتين: أنَّه كان فداءً لإسماعيلَ، ومِنْ جِهَةِ أَنَّهُ مِنْ جُملةِ العباداتِ العظيمةِ، فهو قُرْبانٌ وسُنَّةٌ إلىٰ يومِ الدِّينِ.

وقدْ ضحَّى نبيُّنا ـ محمَّدٌ ـ ﷺ ـ، وضحَّى المُسلمون مِنْ بَعْدِه.

ففي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «ضحَّىٰ النبيُّ ـ ﷺ ـ بكَبْشينِ أَمْلَحَيْنِ، فرأيْتُه واضِعًا قَدَمَهُ علىٰ صِفَاحِهِما، يُسمِّي ويُكَبِّرُ، فَذَبَحهُما بيدِه».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] مِنْ حديثِ عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَ بكَبْشٍ أَقْرَنَ، يَطَأُ في سَوادٍ، ويَبْرُكُ في سَوادٍ، ويَنْظُرُ في سوادٍ، فَأُتِيَ به؛

(١) رواه البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦).
(٢) رواه مسلم (١٩٦٧).

لِيُضَحِّيَ به، فقال لها: «يا عائشةُ، هَلُمِّي المُدْيَةَ» ثمَّ قال: «اشْحَذِيها بِحَجَرٍ» ففعلتْ ثمَّ أَخَذَها، وأَخذ الكَبْشَ، فأَضْجَعَهُ، ثمَّ ذَبَحَهُ، ثمَّ قال: «باسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ تقبَّلْ مِنْ مُحمَّدٍ، وآلِ مُحمَّدٍ، ومِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ» ثمَّ ضحَّى به.

أيُّها الناسُ، إنَّه ممَّا لا خِلافَ في الأُضْحيَّةِ أنَّها مِن شرائعِ الدِّينِ، وأنَّها سُنَّةٌ مُؤكَّدةٌ عندَ جُمهورِ عُلماءِ المسلمين، يُكْرَهُ لمن قَدَرَ عليها أنْ يَتْرُكَها، وفي ذَبْحِها خَيرٌ مِن التصدُّقِ بثمنها، ولا تُجْزِئُ إلا ببهيمةِ الأنعامِ، وهي: الإبلُ، أو البَقَرُ، أو الضَّأنُ، أو المَعْزُ.

ولها ثلاثةُ شُرُوط:

الشَّرْطُ الأوَّلُ - أنْ تَبْلُغَ السِّنَّ المُعْتَبرةَ شَرْعًا:

لما في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابرِ بنِ عَبْدِ الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَذْبَحُوا إلا مُسنَّةً، إلا أنْ يعسر عليكم، فتَذْبَحُوا جَذَعةً مِنَ الضَّأْنِ».

قال العلماءُ: المسنَّةُ هي الثَّنيَّةُ من كُلِّ شيءٍ: من الإبلِ، والبَقَرِ، والغَنَمِ، فما فَوْقَها[2]

والثنيَّةُ: هي خَمْسُ سنواتٍ للأبل، وسَنتانِ في البَقَرِ، وسَنَةٌ كاملةٌ في المَعْزِ، ونِصْفُ سنةٍ في الضَّأْنِ.

الشَّرْطُ الثَّاني - أنْ تكون سليمة مِنَ العُيوبِ التي تَمْنَعُ الإجْزَاءَ:

لما في «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[3] مِنْ حديثِ عُبَيْدِ بنِ فَيْرُوزَ قال: سألتُ البَرَاءَ بنَ عازبٍ: ما لا يجوزُ في

---

(١) رواه مسلم (١٩٦٣).
(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٣/ ١١٧).
(٣) رواه أبو داود (٢٨٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٤٣١).

الأَضَاحي؟ فقال: قام فينا رسولُ الله ـ ﷺ ـ، وأَصابعي أَقصرُ مِنْ أَصابِعِه، وأناملي أَقْصَرُ مِنْ أَنَامِلِه، فقال: «أَرْبَعٌ لا تَجُوزُ في الأَضَاحي: العَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُهَا، والمريضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُها، والعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ضَلْعُهَا، والكَسيرةُ التي لا تُنقي».

ففي هذا الحديث ـ أيُّها الناسُ ـ بيَّن لنا رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ أربعةَ عُيُوبٍ، لا تُجْزِئُ الأُضْحيَّةُ إذا كانتْ فيها إحدىٰ هذه العيوب:

العيبُ الأوَّلُ ـ العَوْراءُ البيِّنُ عَوَرُها، بأنْ تكونَ عينُها العَوْرَاءُ ناتئةً أو غائرةً، أمَّا إذا كانتْ لا تُبصرُ بها، لكن عَوَرُها غَيْرُ بيِّنٍ ـ فإنها تُجْزِئُ مع الكَرَاهَةِ.

والعَيبُ الثاني ـ المريضةُ البَيِّنُ مَرَضُها، وهي التي ظَهَر عليها آثارُ المَرَضِ، إمَّا في أَكْلِها، أوْ مَشْيِها، أو غَيْرِ ذلك مِنْ أحوالِها، ومِنَ المَرَضِ البَيِّنِ الجَرَبُ.

العَيْبُ الثَّالثُ ـ العَرْجَاءُ بَيِّنٌ ضَلْعُها، وهي لا تعانقُ الصحيحةَ في المَشْيِ.

العـيب الرابع ـ الكَسيرةُ التي لا تُنْقي، والكسيرة هي المُنْكَسرةُ الرِّجْلِ، التي لا تَقْدِرِ علىٰ المَشْيِ، والتي لا تُنْقِي: أي التِّي لا نِقْيَ لهـا (أي: لا مُخَّ لها) لِضَعْفِـها وهُزالِها.

قال الإمامُ ابنُ عَبْدِ البَـرِّ في التمهيد[1]: «أمَّا العُيُوبُ الأربعةُ المَذْكورةُ في هذا الحديثِ فمجمعٌ عليها، لا أعلمُ خِلافًا بَيْنَ العُلماءِ فيها، ومعلومٌ أنَّ ما كان في معناها داخلٌ فيها، ولا سِيَّما إذا كانت العِلَّةُ أَبْيَن ألا تَرَىٰ أنَّ العَوْرَاءَ، إذا لم تَجُزْ، فالعَمْياءُ أَحْرَىٰ ألاَّ تَجُوزَ، وهذا كُلُهُ واضحٌ، لا خِلافَ فيه ـ والحمدُ لله ـ. وفي هذا الحديثِ دليلٌ علىٰ أنَّ المَرَضَ الخَفيفَ يَجُوزُ في الضَّحايا، والعَرَجَ الخفيفَ التي تَلْحَقُ به الشَّاةُ الغَنَمَ لقولِهِ ﷺ: «البيِّنُ مَرَضُها والبيِّنُ ضَلْعُها» وكذلك النُّقْطَةُ في العَيْنِ، إذا

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠/ ١٦٨).

كانت يسيرةً، لقولهِ: «العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُها». وكذلك المَهْزُولةُ، التي ليستْ بغايةٍ في الهزلِ لقولهِ: «والعَجْفَاءُ التي لا تُنْقي» يُريدُ التي لا شيءَ فيها مِنَ الشَّحْمِ...».

الشَّرْطُ الثَّالثُ من شُرُوطِ الأُضْحيَّةِ - أنْ تقعَ في الوَقْتِ المُحَدَّدِ:

وهو مِنَ الفَراغِ مِنْ صلاةِ العِيدِ، والأفضلُ أنْ يَنْتظرَ حتّىٰ يَفْرُغَ الإمامُ مِن الخُطْبةِ.

ففي «الصحيحين»(١) مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاةِ، فإنَّما ذَبَحَ لنفسِه، ومَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاةِ فقدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وأصابَ سُنَّةَ المسلمينَ».

أيُّها الناسُ، إنَّهُ مِن الأَحْوطِ للمُسلمِ أنْ يَذْبَحَ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ لفِعْلِ النَّبيِّ - ﷺ - خُرُوجًا من خِلافِ العُلماءِ، لأنَّهُ لم يَثْبُتْ دليلٌ صحيحٌ عَنْ نهايةِ الأُضْحيَّةِ.

وإنْ تعسَّرَ علىٰ المُضَحِّي أنْ يُضَحِّي في يومِ النَّحْرِ، فالجمهورُ يُجوِّزُون له اليومَ الحادي عَشَرَ والثاني عَشَرَ، والثالث عشرَ.

ومَنْ كان منكم يُحْسِنُ الذَّبحِ، فَلْيَذْبَحْ أُضْحِيَّتَهُ بيدِه لِفعْلِ رسولِ الله ﷺ ذلك بيدِه كما تقدَّم، ومَنْ كان لا يُحْسِنُ فَلْيَحْضُرْ ذَبْحَها، فإنَّ ذلك أفضلُ، ولْيَكُنِ الذي يتولَّىٰ ذلك رجلاً صالحًا، فتاركُ الصلاةِ لا تجوزُ ذَبيحتُهُ، كما ذكَر ذلك بعْضُ أهلِ العلمِ.

ويُسمِّي اللهَ عندَ الذَّبحِ، فيقولُ - إذا أَضْجَعَها: باسْمِ اللهِ، واللهُ أكبرُ، اللهُمَّ هذا منك ولك، اللهُمَّ هذا عنِّي وعَن أهلِ بيتي، وإنْ نَسِيَ فلا يضرُّهُ، ولا يجوزُ البَيْعُ مِنَ الأُضحيَّةِ، كما لا يجوزُ أنْ يُعْطَىٰ الجَزَّارُ أَجْرَهُ منها، بل يُعْطَىٰ أَجْرَهُ مالاً، وأعْطُوهُ

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤٦)، ومسلم (١٩٦٢).

مِنَ الأُضْحِيَّة - إنْ شِئْتُمْ - هديَّةً - إنْ كان غنيًّا - أو صَدَقَةً - إنْ كان فقيرًا - وكُلوا منها، وتصدَّقُوا، وادَّخِرُوا - إنْ شِئْتُم -.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

أيُّها النَّاسُ، إنَّ من السُّنَّة أنْ تَخْرُجَ المَرْأَةُ إلى صلاةِ العيدِ، لِتَشْهَدَ هذه الشَّعيرة، وإنْ كانت حائضًا، وهذه سُنَّةٌ تكادُ تكُونُ ميتةً في كثيرٍ من بُلْدانِ العالمِ الإسلاميِّ، وها هو النَّبيُّ - ﷺ - يَأْمُرُ النِّساءَ العَوَاتِقَ، والحُيَّضَ، وذَوَاتِ الخُدُورِ أن يَخْرُجْنَ في الفِطْرِ والأَضْحَى.

ففي «الصحيحين»[1] من حديثِ أُمِّ عطيَّةَ - رضي الله عنها - قالتْ: أَمَرَنا رسولُ الله - ﷺ - أَن نُخْرِجَهُنَّ في الفِطْرِ والأَضْحَى: العَواتِقَ، والحُيَّضَ، وذَوَاتِ الخُدُورِ، فأمَّا الحُيَّضُ فيَعْتَزِلْنَ الصَّلاةَ، ويشْهَدْنَ الخَيْرَ ودَعْوةَ المُسلمين، قلتُ: يا رسولَ الله، إحْدانا لا يكونُ لها جِلْبابٌ؟ قال: «**لِتُلْبِسْها أُخْتُها منْ جِلْبابِها**».

ويلزمُ المرأةَ ارْتداءُ الجِلْبابِ الذي يَسْتُرُ وَجْهها، وجميع بَدَنِها لأَمرِه - ﷺ - عندَما ذَكَرْنَ المانع الذي يَمْنَعُهُنَّ مِن الخُروجِ، فبيَّن لهُنَّ النبيُّ - ﷺ - حَلَّ هذا الإشكالِ، بأنْ

(١) تقدم تخريجه.

تُلْبِسَها أُخْتُها مِنْ جِلْبابها، ولم يَأذَنْ لهُنَّ بالخروجِ بغيرِ جِلْبابٍ[١] .

وعلى المرأة أَن تَجتنبَ الطِّيْب أو البَخُورَ عندَ خُرُوجها.

لما في «سنن النَّسائيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حديثِ أبي موسىٰ الأشْعريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أيُّمَا امرأةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ على قوم ـ ليجدُوا رِيْحَها ـ فهي زانيةٌ**».

ومِنَ السُّنَّة أَنْ يَخرجَ الرَّجُلُ إلى العيد ماشيًا، ويَرْجِعَ ماشيًا.

لما في «سنن ابن ماجه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[٣] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ إلىٰ العيدِ ماشيًا، ويَرْجِعُ ماشيًا».

ومن السُّنَّة مُخالفةُ الطَّريق، فيذهبُ مِنْ طريقٍ، ويَرْجِعُ مِنْ آخَرَ.

لما في «صحيح البخاريِّ»[٤] مِنْ حديثِ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النَّبيُّ ـ ﷺ ـ إذا كان يَوْمُ عيدٍ، خالَفَ الطَّريقَ».

ومن السُّنَّة التكبيرُ في العيدين.

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

والتكبير في الفِطْرِ عندَ الذَّهابِ إلىٰ المُصَلَّىٰ، وأمَّا في عِيدِ الأضْحَىٰ فَمِنْ فَجْرِ يَوْمِ

---

(١) انظر «رسالة الحجاب» لابن عثيمين (ص١٦).

(٢) رواه النسائي (٤٧٣٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠١).

(٣) رواه ابن ماجه (١٢٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠٧١).

(٤) رواه البخاري (٥٨٦).

عَرَفَةَ إلىٰ غُروبِ شَمْسِ آخرِ أيَّامِ التشريقِ، وأيَّامُ التشريقِ ثلاثةُ أيَّامٍ بَعدَ يومِنا هذا (أي: بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ).

وصفةُ التكبير ما رَوَى ابنُ أبي شَيْبَةَ بسند صحيح[١] إلىٰ ابن مسعودٍ أنَّه كان يقولُ: «**اللهُ أكبر، اللهُ أكبرُ، لا إله إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحَمْدُ**».

وروىٰ البيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ[٢] إلىٰ ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - أنه كان يقولُ: «**اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحَمْدُ، اللهُ أكبرُ وأجَلُّ، اللهُ أكبرُ على ما هَدَانا**».

والتكبيرُ الجماعيُّ بصوتٍ واحدٍ غيرُ مشروعٍ، كما قال ذلك الألبانيُّ - رحمه الله -، وكذلك التويجريُّ - رحمه الله - له رسالةٌ مُفْرَدَةٌ في إنكارِ هذا التكبيرِ الجماعيِّ، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ - ﷺ -.

أيُّها الناسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أحثُّ النِّساءَ علىٰ تقوىٰ اللهِ، وأن يتصدَّقْنَ، فإنَّ الصَّدقةَ تُثْمِرُ سعادة الدِّينِ والدُّنيا.

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديثِ جابرِ بن عبد اللهِ - رضي الله عنهما - قال: شَهِدْتُ مع رسولِ اللهِ - ﷺ - يومَ العيدِ، فبدأ بالصلاةِ قَبْلَ الخُطبةِ بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ، ثمَّ قام مُتوكِّئًا علىٰ بلالٍ، فأمر بتقوىٰ الله، وحثَّ علىٰ طاعته، ووَعَظَ الناسَ وذكَّرهم، ثمَّ مَضَىٰ، حتَّىٰ أتىٰ النِّساءِ، فوعَظَهُنَّ وذكَّرهُنَّ، فقال: «**تَصدَّقْنَ؛ فإنَّ أكثرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**». فقامتِ امرأةٌ مِنْ سِطَةِ النِّساء، سَفْعَاءُ الخَدَّينِ، فقالتْ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**لأنكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكاة، وتَكْفُرْنَ العَشيرَ**».

قال: فَجَعَلْنَ يتصدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ في ثوبِ بلالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وخَواتِمِهِنَّ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (   ).

(٢) رواه البيهقي (٣/ ٣١٥).

(٣) رواه مسلم (٨٨٥).

وأُذَكِّرُهُنَّ بما جاء في «الصَّحيحين»(١) من حديثِ عَدِيٍّ بنِ حاتمٍ - رضي الله عنه - قال: ذكر رسولُ الله - ﷺ - النَّارَ، فأَعْرَضَ وأَشَاحَ، ثمَّ قال: «**اتَّقُوا النَّارَ**». ثُمَّ أَعْرَضَ وأَشَاحَ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّه كأنَّما ينظرُ إليها، ثمَّ قال: «**اتَّقُوا النَّار، ولو بشِقِّ تَمْرَة، فمن لم يَجدْ فبكلمة طيِّبة**».

وفي «الصحيحين»(٢) منْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يتصدَّقُ أحدٌ بتَمْرة منْ كَسْبٍ طيِّب، إلا أَخَذَها اللهُ بيَمينه، فيُرَبِّيهَا كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أو فَصيلَهُ (أي: ولد الناقة إذا فُصلَ عن أُمِّه)، حتَّى تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أوْ أعْظَمَ**».

وأُذكرُهُنَّ بعَدَمَ احتقارِ المعروفِ، واستقلالِه، واحتقارِ المَوْجُودِ من الصَّدقة عندَهُنَّ.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا نساءَ المُسلمات، لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارتها، ولو فِرْسِن شاة**».

وفِرْسِنُ الشاة: هو ظِلْفُها، وقدْ تقدَّم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تَمْرة**»، والشاهدُ في ذلك عَدَمُ احتقارِ المَوْجُودِ من الصَّدقةِ.

وسبحانك اللهُمَّ وبحَمْدِك، أشهدُ أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٢) رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠).



خطبة الكسوف والخسوف



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الكُسُوفَ يَحْدُثُ بأمرِ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، يُخَوِّفُ اللهُ به عبادَهُ؛ ليتوبوا إليه، ويستغفرُوهُ، ويعبدوه ويُعظِّموه، ويَخْشَوْهُ ويخافوهُ.

فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ نَصَبَ لهمُ الأدلَّة الدالَّةَ علىٰ كِبريائِهِ؛ ليهابوه، ووصف لهم شدَّةَ عذابِهِ، ودارَ عِقابِهِ التي أَعَدَّها لِمَنْ عصاه؛ لِيُسارعوا إلىٰ امتثالِ ما يَأْمرُ به، ويُحبُّهُ ويَرْضَاهُ، واجتنابِ ما يَنْهَىٰ عَنْه، ويَكْرَهُهُ ويَأْبَاهُ.

أَيُّها الناسُ، إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يَغَارُ علىٰ أوامره أنْ تُجتَنَبَ، ومَحارمِهِ أنْ تُرتَكَبَ، وإنَّه - سبحانه وتعالىٰ - شديدُ العِقابِ، لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ القومِ المُجرمين.

أَيُّها الناسُ، إنَّ الذُّنوبَ حِجَابٌ عَنِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -، وهي تُورِثُ الذُّلَّ والهَوانَ علىٰ الله أَوَّلاً، ثمَّ علىٰ الخَلْقِ ثانيًا؛ فعلينا أنْ نُبادرَ بالتوبة إلىٰ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -؛ فإنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يبسط يَدَهُ باللَّيلِ؛ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ، يبسط يَدَهُ بالنَّهارِ، ليتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ.

كما في «صحيح مسلم»[(١)] مِنْ حديثِ أبي موسىٰ الأَشْعَريِّ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: « «**إنَّ اللهَ - تعالى - ليَبسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ؛ ليَتُوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ؛ ليَتُوبَ مُسيءُ اللَّيلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها**».

أَيُّها الناسُ، تُوبوا إلىٰ اللهِ واستغفروه، فإنَّ اللهَ أشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِهِ حينَ يتوبُ.

ففي «الصحيحين»[(٢)] مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَفْرَحُ بتوبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وقدْ أَضَلَّهُ في أرضِ فَلاة**».

وفي روايةٍ لمُسْلم: «**اللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبة عَبْده - حينَ يَتُوبُ إليه - مِنْ أَحَدِكُمْ، كان على راحلَته بأرضِ فَلاة، فانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وعليها طعامُهُ، وشرابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فأَتَى شجرةً، فاضْطَجَعَ في ظِلِّها، وقدْ أَيِسَ من رَاحلَته، فبينما هو كذلك، إذْ هُوَ بها قائمةً عِنْدَهُ، فأَخَذَ بخطامِهَا، ثمَّ قالَ - مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ -: اللهُمَّ أنت عَبْدي، وأنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**».

أَيُّها الناسُ، إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيتان مِنْ آياتِ اللهِ الدالَّة علىٰ كمالِ قُدْرته وحِكمته ورَحْمته، وقد كَسَفَتِ الشَّمْسُ في عَهْدِ رسولِ اللهِ - ﷺ -، فخرجَ فَزِعًا، يجرُّ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٦٠).

(٢) تقدم تخريجه.

رَداءَهُ، حتَّىٰ أتىٰ المسجد، ثمَّ نُوديَ: الصَّلاةُ جامعةً، وصلَّىٰ بالنَّاسِ صلاةَ الكُسُوفِ، ثمَّ خَطَبَهُمْ - بَعْدَ ذلك - خُطبةً بليغةً، وجلَتْ منها القلوبُ، أَجِدُني مُضْطرًا لذكرِها بتمامِها، كما استخلصها الألبانيُّ - رحمه الله - في كتابِهِ الماتع «كيف صلَّىٰ النبيُّ - ﷺ - صلاةَ الكُسوفِ؟»[١].

أوَّلاً - كُسُوفُ الشَّمْسِ وفَزَعُهُ - ﷺ -:

رَكِبَ رسولُ اللهِ - ﷺ - غَدَاةَ يَوْمٍ مات ابْنُهُ إبراهيمُ - عليهما السَّلامُ -، وكان يومًا شديدَ الحرِّ، فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ، فأَتَىٰ رسولُ اللهِ - ﷺ - مِنْ مَرْكِبِهِ سريعًا[٢]، وذلك ضُحًىٰ[٣]، فمرَّ رسولُ اللهِ - ﷺ - بَيْنَ ظَهْرَانَي الحُجَرِ، فخرج فَزِعًا، فأخطأ[٤] بدرعٍ، حتىٰ أدرك بردائِهِ، فخرج يَجُرُّ رِداءَهُ؛ يَخْشَىٰ أنْ تكُونَ السَّاعةُ، فأتىٰ المسجد، حتَّىٰ انتهىٰ إلىٰ مُصَلاَّهُ الذي كان يُصلِّي فيه، وقال الناسُ: إنَّما كَسَفَتِ الشَّمْسُ لموتِ إبراهيمَ! [٥] فَبَعَثَ ﷺ مُناديًا، فنادىٰ: الصَّلاة جامعةٌ، وثابَ النَّاسُ إليه، واصْطَفُّوا وراءَهُ[٦]، وخرجتْ نِسْوةٌ بَيْنَ ظَهْرِي الحُجَرِ في المسجدِ، واجتمع إليهنَّ نساءٌ[٧]، فصلَّىٰ رسولُ اللهِ - ﷺ - بأصحابِهِ.

ثانيًا - ابتداءُ الصَّلاة:

بَدَأَ ﷺ فكبرَّ، وكبرَّ الناسُ[٨]، ثمَّ افتتحَ القُرآنَ، فقرأ قراءةً طويلةً، فجَهَرَ فيها[٩]،

---

(١) انظر «كيف صلىٰ النبي - ﷺ - صلاة الكسوف؟» للألباني (ص ١١٨، ١٧٠).
(٢) البيهقي (٣/ ٣٢٤).
(٣) البخاري (٢/ ٤٣٠).
(٤) مسلم (٣/ ٣٠).
(٥) مسلم (٣/ ٢٧).
(٦) النسائي (١/ ٢١٦).
(٧) أحمد (٦/ ٥٣).
(٨) أبو عوانة (٢/ ٣٧٥).
(٩) مسلم (٣/ ٢٩).

وقام قِيامًا طويلاً جدًّا نَحْوًا مِن سُورةِ البقرةِ؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْكعُ، وجَعَلَ أَصحابُهُ يَخِرُّون.

وقالتْ أسماءُ: أتيتُ عائشةَ، فإذا الناسُ قِيامٌ، وإذا هي تُصلِّي، فقلتُ: ما شَأْنُ النَّاسِ يُصلُّون؟ فأشارتْ برأسِها إلىٰ السَّماءِ، فقُلْتُ: آيةٌ؟ قالتْ: نَعَمْ، فأطال رسولُ الله -ﷺ- القِيامَ جدًّا، حتَّىٰ تَجَلاَّني الغَشْيُ، فأَخذْتُ قِرْبةَ ماءٍ إلىٰ جَنْبي، فجعلتُ أَصُبُّ علىٰ رَأْسي مِن الماءِ، قلتُ: فأطالَ القِيامَ؛ حتَّىٰ رَأيتُني أُريدُ أنْ أَجلسَ، ثُمَّ أَلْتَفِتُ إلىٰ المرأةِ التي هي أكبرُ منِّي، والمرأةِ التي هي أسْقَمُ منِّي، فأقولُ: أنا أحقُّ أنْ أَصْبِرَ علىٰ طُولِ القِيامِ منْك[1] . ثمَّ رَكَعَ -ﷺ- مُكبرًا، فأطالَ الرُّكوعَ جدًّا؛ حتىٰ قِيلَ: لا يَرْفعُ، وركَعَ نَحْوًا ممَّا قامَ.

ثمَّ رَفَعَ رأسهُ مِنَ الركوعِ، فقال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِده، ربَّنا ولك الحَمْدُ**»[2] ولم يسجدْ، فأطالَ القِيامَ جدًّا؛ حتىٰ قِيلَ: لا يَرْكَعُ، وهو دُونَ القِيامِ الأَوَّلِ، وقَرأ قِراءةً طويلةً، هي أَدْنَىٰ مِنَ القِراءةِ الأولىٰ، وأطَالَ؛ حتَّىٰ لو جاءَ إنسانٌ بَعْدَ ما رَكَعَ -لم يكنْ عَلِمَ أنَّهُ رَكَعَ- ما حدَّثَ نَفْسَهُ أنَّهُ رَكَعَ مِنْ طُولِ القِيامِ.

ثُمَّ رَكَعَ مُكبرًا، فأطالَ الرُّكوعَ جدًّا؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْفَعُ، وهو دونَ الرُّكوعِ الأولِ.

ثمَّ رَفَعَ رأسه، فقال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولك الحَمْدُ**»[3] .

فأطال القيام؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَسْجُدُ، ورَفَعَ يدَيْهِ، فجَعَلَ يُسبِّحُ، ويحمدُ، ويُهَلِّلُ ويُكبِّرُ ويدعو[4] .

---

(١) البخاري (١/ ١٤٨).
(٢) البيهقي (٣/ ٣٢٥).
(٣) البخاري (٢/ ٤٢٧)، ومسلم (٣/ ٢٩).
(٤) أحمد (٥/ ٦١).

ثُمَّ كَبَّر -ﷺ-، فَسَجَد سُجوداً طويلاً مِثْلَ رُكُوعِه[١] ؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْفَعُ، وقالتْ عائشةُ: ما ركعتُ رُكُوعًا قَطُّ، ولا سَجَدْتُ سُجوداً قَطُّ، كان أَطْوَلَ منه، ثمَّ كبَّرَ[٢]، ورفَعَ رَأْسَهُ وجَلَسَ، فأَطالَ الجُلُوسَ، حتَّىٰ قيلَ: لا يَسْجُدُ[٣] ، ثمَّ كبَّرَ[٤]، فَسَجَد، فأَطَالَ السُّجودَ وهو دُونَ السُّجُودِ الأَوَّلِ.

ثمَّ كبَّرَ، ورَفَعَ، فَقَامَ قِيامًا طويلاً، هُو دُونَ القيامِ الثَّاني مِنَ الركْعةِ الأُولىٰ، وقرأ قراءةً طويلةً، وهي أَدْنىٰ مِنَ القراءةِ في القيامِ الثَّاني.

ثمَّ كبَّر[٥] ، فَرَكعَ، فأطال الرُّكُوعَ، وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأوَّلِ.

ثمَّ كبَّر[٦]، فَرَفَعَ رأسه، فقال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولك الحَمْدُ»، فأَطالَ القِيامَ، وهو دُونَ القِيامِ الأوَّلِ، ثمَّ قَرَأَ قِراءةً طويلةً، هي أَدنَىٰ من القراءةِ الأولَىٰ.

ثمَّ كَبَّرَ، فَرَكَعَ، فأَطالَ الرُّكُوعَ، وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأوَّلِ[٧] .

ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فقال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ربَّنا ولك الحَمْدُ»، فأَطالَ القِيامَ؛ حتَّىٰ قِيلَ: لا يَسْجُدُ، ثمَّ تأَخَّرَ، وتَأَخَّرَتِ الصُّفوفِ خَلْفَهُ حتَّىٰ انتهتْ إلىٰ النساء، ثمَّ تقدَّم وتقدَّمتِ الصُّفوفُ حتَّىٰ قَام في مَقامِهِ.

ثمَّ كبَّر، فَسَجَدَ مِثْلَما سَجَدَ في الرَّكْعةِ الأولىٰ، إلا أنه أدْنَىٰ منه، وجَعَل يَبْكي في آخرِ سُجُودِه، ويَنفُخُ: أُفْ أُفْ، ويقولُ: «ربِّ، ألم تَعدْني ألا تُعذِّبَهُم وأنا فيهم؟!، ربِّ، ألم تَعِدْني ألا تُعذِّبَهم وهُم يستغفرون، ونحنُ نستغفرُك؟!»[٨] .

---

(١) النسائي (١/ ٢٢٠).

(٢) النسائي (١/ ٢١٨).

(٣) النسائي (١/ ٢١٩).

(٤)، (٥) النسائي (١/ ٢١٤).

(٦)، (٧) النسائي (١/ ٢١٦).

(٨) النسائي (١/ ٢١٧).

ثمَّ تشهَّدَ[١]، ثمَّ سلَّم[٢]، ثمَّ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، واستكملَ أَرْبَعَ ركعاتٍ في أَرْبَعِ سَجَداتٍ.

ثالثًا ـ الخُطبةُ على المِنْبر:

فلَّما انصرف رَقيَ المِنْبَرَ[٣]، فَخَطَبَ الناسَ؛ فَحَمِدَ اللهَ، وأَثْنَى عليه، ثمَّ قال: «أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ أَهْلَ الجاهليَّة كانوا يقولون: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يَخْسِفَان إلا لموت عظيم، وإنَّهما آيتان منْ آيات الله، لا يَنْخَسِفان لموت أَحَد، ولا لحياته؛ ولكنْ يُخَوِّفُ اللهُ به عبادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ شيئًا منْ ذلك؛ فافْزَعُوا إلى ذِكْرِه، ودُعائه، واستغفاره، وإلى الصّدَقة والعَتاقة، والصَّلاة في المساجد، حتَّى تَنْجَلي.

يا أُمَّةَ محمَّد، إنْ منْ أَحَد أَغْيَرُ منَ الله أنْ يَزْني عَبْدُهُ، أوْ تزْني أَمَتُهُ.

يا أُمَّةَ محمَّد، والله، لو تعلمون ما أعلمُ، لبكيْتُم كثيرًا، ولَضَحكْتُمْ قليلاً».

ثمَّ رَفَعَ يَدَيه، فقال: «ألا هَلْ بلَّغتُ؟! إنَّهُ عُرِضَ عليَّ كُلُّ شيءٍ تُولَجُونَهَ، فَعُرِضَتْ عليَّ الجَنَّةُ، وذلك حينَ رَأَيْتُموني تقدَّمْتُ في مَقَامي، ولقدْ مَدَدْتُ يَدي، وأنا أُريدُ أن أتناولَ منْ ثَمَرها؛ لتنظروا إليه، ثمَّ بدا لي ألاَّ أَفْعَلَ، ولو أَخَذْتُهُ، لأكلتُمْ منه ما بَقيت الدُّنيا.

ولقدْ عُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، وذلك حينَ رأيتمُوني تَأَخَّرتُ مَخَافةَ أنْ يُصيبَني منْ لَفْحها، فجعلتُ أنفخُ خَشْيَةَ أنْ يَغْشاكمُ حرُّها، ولقدْ رأَيتُ جَهَنَّمَ يحْطمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فلم أَرَ مَنْظرًا كاليوم ـ قَطُّ ـ أَفْظَعَ[٤]، ورأيتُ أكثرَ أَهْلها النِّساءَ».

قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «بكُفْرهنَّ». قيل: أيَكْفُرْنَ بالله؟ قال: «يَكْفُرنَ العَشيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحسانَ، لو أحسنْتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ منك شيئًا؛

---

(١) النسائي (١/ ٢١٥).
(٢) مسلم (٣/ ٢٩).
(٣) النسائي (١/ ٢١٥).
(٤) أبو عوانة (٢/ ٣٧٩).

قالتْ: ما رأيتُ منك خَيْرًا قَطُّ».

ورأيتُ فيها امرأةً منْ بني إسرائيل طويلةً سَوْدَاءَ[١]، تُعذَّبُ في هرَّةٍ لها ربَطتْها، فلم تُطْعِمْها، ولم تَسْقِها[٢]، ولم تَدَعْها تأكلُ منْ خَشَاشِ الأرْضِ، حتَّى ماتَتْ جُوعًا، فلقد رأيتُها تنهشُها إذا أَقْبَلَتْ، وإذا ولَّتْ، تنهش أَلْيَتَها.

ورأيتُ فيها سارقَ بَدَنَتَي رسولِ الله -ﷺ-[٣].

ورأيت صاحبَ المحْجَنِ أبا ثمامةَ عَمْرو بنَ مالك بن لُحَي -وهو الذي سَيَّبَ السَّوائبَ[٤]- يَجُرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ، كان يَسْرِقُ الحاجَّ، فإنْ فُطِنَ له، قال: إنَّما تعلَّق بمِحْجَني، وإن غُفِلَ عنه ذَهَبَ به.

وإنه قدْ أُوحيَ إليَّ أنَّكم تُفْتَنون في القُبُور كفتْنة المَسيحِ الدَّجَّال، فيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فيُقالُ: ما علْمُكَ بهذا الرَّجُلِ؟، فأمَّا المُؤمنُ -أو المُوقنُ- فيقولُ: هو مُحمَّدٌ، هو رسولُ الله، جاءَنا بالبيِّنات والهُدَى، فَأجَبْنا وأَطَعْنا (ثلاثَ مرار). فيُقالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أنَّك تُؤمنُ به؛ فَنَمْ صالحًا، هذا مَقْعَدُكَ منَ الجنَّة. وأمَّا المُنافقُ -أو المُرْتابُ- فيقولُ: لا أَدْري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلتُ، فيُقالُ لهُ: أَجَلْ، على الشَّكِّ عِشْتَ، وعليه مُتَّ؛ هذا مَقْعَدُكَ منَ النَّارِ».

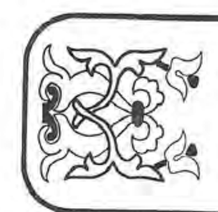
ثمَّ أَمَرَهُمْ -ﷺ- أنْ يتعوَّذُوا منْ عَذَابِ القَبْرِ[٥].

قالتْ عائشةُ: فكان رسولُ الله -ﷺ- بَعْدَ ذلك يتعوَّذُ منَ عذابِ القَبْرِ.

وسبحانك اللهُمَّ وبحمْدكَ، أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).
(٢)، (٣) النسائي (١/ ٢٢٢).
(٤) مسلم (٣/ ٣٥). (٥) البخاري (١٠٥٠).



خُطبة في الاستسقاء



إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعدُ، أيُّها الناسُ، إنه ما مِنْ بلاءٍ يَحلُّ بالمسلمين إلا بذنبٍ، وما رُفِعَ إلا بتوبةٍ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

أيهــا الـناس، إنَّ الذُّنوبَ تُحْـدِثُ في الأرضِ أنواعـًا من الفسـادِ في الميـاهِ، والهَواءِ، والزُّروعِ، والثِّمارِ، والمساكنِ. قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ومن آثارِ الذُّنوبِ حِرْمانُ الرِّزْق، وما اسْتُجْلِبَ رزقٌ بمثلِ تقوىٰ اللهِ، واجتناب المعاصي، فتقوىٰ اللهِ سببُ الفلاح في الدُّنيا والآخرةِ.

أيُّهـا الناسُ، علينا أنْ نَعُودَ إلىٰ اللهِ عَوْدةً صادقةً، ونتوبَ إليه توبةً نَصُوحًا، فإنَّ التـوبةَ سببٌ للمتـاعِ الحَسَنِ، ونُزُولِ الأمطارِ، وزيادةِ القُـوَّة، والإمدادِ بالأمـوالِ والبنين.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ لسان هود: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١٢].

أيُّهـا الناسُ، علينا أنْ نتوبَ إلىٰ اللهِ مِنْ جميعِ الذُّنوبِ، وأنْ نُحسِنَ الظَّنَّ باللهِ

حينَ نَتُوبُ.

فـإنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يقولُ في حديثِهِ القُدْسيِّ، كما في «الصحيحين»(١) من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرَني، فإنْ ذكرني في نَفْسِه، ذكرتُهُ في نَفْسي، وإنْ ذَكَرني في مَلإٍ، ذكَرْتُه في ملأ خَيْرٍ مِنْهُم، وإنْ تقرَّبَ إليَّ شِبْراً، تقرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا، تقرَّبتُ إليه بَاعًا، وإنْ أتاني يَمْشي، أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

أيُّها الناسُ، إنَّ مِنْ حِكَمِ اللهِ في الابتلاءِ أنْ تَتَيَقَّظَ النفوسُ، وتَرِقَّ القُلُوبُ بَعْدَ طُولِ غَفْلةٍ، فتتوجَّه الخلائقُ إلىٰ ربِّها، يتضرعُون إليه، ويدعونه رغبًا ورهبًا، يرجون رحمَتَهُ، ويخافون عذابه، فيجدون في ظلِّ الضَّراعة، والمَسْكنة والإنابةِ إلىٰ اللهِ ـ الطُّمَأْنينة والرَّاحةَ، والأَمَلَ في الفَرَج والوَعْدِ بالبُشْرىٰ.

وكفىٰ بالتضرُّعِ دليلاً في الرُّجوع إلىٰ الله، وأَمَلاً في الفرَجِ مِنْ عِنْده، فلا يُرجَىٰ في الشَّدائدِ إلا اللهَ، ولا يُقْصَدُ في المُلمَّاتِ سِواهُ، فلا يُلاذُ إلا بجَنَابِهِ، ولا مَلْجَأَ مِنْه إلا إليه.

فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعَاهُ، ولو كان مُشْركًا، فكيف إذا كان مُسْلمًا عاصيًا مُفرِّطًا في جَنْبِ اللهِ؟!، بل كيف إذا كان مُؤْمنًا بَرًّا تَقيًّا؟!

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قال القُرْطُبيُّ ـ رحمه الله ـ:

«ضَمِنَ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إجابةَ المُضْطَرِّ إذا دَعَاهُ، وأَخْبَرَ بذلك عَنْ نَفْسِهِ، والسَّببُ في ذلك أنَّ الضَّرورةَ إليه باللَّجَإِ ينشأُ عَنِ الإخلاصِ، وقَطْعِ القَلْبِ عمَّا سِواهُ، والإخلاص عندَّه ـ سبحانه ـ موقعٌ وذِمَّةٌ، وُجِدَ مِنْ مُؤمنٍ أو كافرٍ، طائعٍ أو فاجرٍ»[1].

وسُبحانَك اللهُمَّ وبحَمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٣/ ٢٢٣).



فهرست الموضوعات



فهرست موضوعات الجزء الثاني

الأخـــلاق

من إصداراتنا

لأبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

- فن الحوار.
- طريقنا للقلوب.
- ملك القلوب.
- تسهيل البلاغة.
- كيف تنال محبة الله.
- التاج المفقود.
- نعمة الأخوة.
- منتقى الأشعار.
- منتقى الفوائد ١/ ٢
- صيد الخواطر
- الخطاب البليغ في جماعة التبليغ.
- الصحيح من الأثر في خطب المنبر.
- حادي الصديق إلى بيت الله العتيق.
- المنتقى من الأحاديث القدسية.
- نزهة الأحباب شرح منظومة الاداب.
- تحفة الخطيب (أصول الخطابة - آدابها - صفات الخطيب).

التوزيع في القاهرة: العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر

شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٠٠٢٠٢/ ٥١٢٠٦٢١



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠-٠٢-٠٥٢٢٢٠٠٢

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الشرعي